تفسير القرآن الكريم

سورة السجدة و الحديد

تأليف

صدر المتألهين

محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي

انتشارات بيدار
قم

Princeton University Library
32101 047112097

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

M. Ṣadr al-Dīn Shīrāzī

تفسير
القرآن الكريم

سورة السجدة
سورة الحديد

تاليف

صدر المتألهين
محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي

تصحيح محمد خواجوى

انتشارات بيدار

قم

2273
8283
1944
juz' 6

(RECAP)
2273
8283
1981
juz' 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبيّه محمد خاتم النبيين، وعلى وصيّه وخليفته خير الوصيين ، وعلى الائمة المعصومين ، لاسيما خاتمهم حجة الله في السموات والارضين صلوات الله عليهم اجمعين ، من الان الى قيام يوم الدين .

وبعد : لما طبع الجزء الاول من التفسير الكبير لاستاذ البشر ، ومن تقدم بقدم العقل والكشف على من يأتي واغبر ، انسان العين وعين الانسان، امام السالكين المقربين ، وبرهان الحكماء الالهيين، صدر الملة والحق والدين، محمد بن ابراهيم الشيرازى قدس الله سره الزكى وروح الله روحه العلى، المشتهر بصدر المتالهين، كانت منيتى ان اشرع في طبع الجزء الثانى، ولكن حوادث الزمان وطوارق الحدثان كانت تعوقنى عن طبع هذا الاثر القيم، كما كتبت في مقدمة كتابه الشريف المسمى باسرار الايات وانوار البينات الذى صححته وطبعه مجمع الفلسفة الاسلامية (انجمن حكمت و فلسفه ايران) .

فحينئذ شرعت في بقية اجزاء التفسير، وتنقيحها الذى كتبه انامله الشريفة في الأزمان الماضية وبقى الى الان في المكتبات والخزائن محفوظة ، وتم التصحيح بحمدالله وحسن توفيقه في مدة قليلة وان كان بعد قدمضت عليها مدة من الزمان طويلة.

فلما اطلعت ان صديقى الفاضل المدير لمكتبة بيدار شرع فى طبع احد الاجزاء من تفسير القرآن لصاحبنا قدس سره من قصار السور الى الطوال ، وهى سورة الزلزلة والطارق والاعلى والجمعة والواقعة، سلمت اليه كلما صححته ونقحته وكتبته بيدى ، كما قال فى تصديره الذى طبع ونشر اخيرا، والان شرع فى طبع الجزء الثانى من التفسير، وهو سورتا السجدة والحديد ، وامرنى ان اقدم لهامقدمة بالاختصار، واشير الى النسخ التى كان عليها مُدار التصحيح والمقابلة .

وكانت عندى نسخة مطبوعة طبعت فى سنة ١٣٢٢ هجرية طبعة حجرية ، وصورة فتوغرافية لمكتبة ملى ، ونسخة مصححة من مكتبة ملك ، المشتملة على سورة السجدة والحديد وآيتى النور والكرسى ، التى صححها وقابلها الاخوان الفاضلان الاخوند ميرزا محمد جعفر الكاشانى والاخوند ملاابو القاسم الكاشانى مع نسخة المؤلف قدس سره وكتب احدهما فى آخر النسخة: «تمت المقابلة بقدر الوسع والطاقة بانسخهٔ اصل مع اخوى جناب قدوسى ذات ملكوتى صفات ميرزا ابو القاسم فى سنة ١٢٩٧ هجرية» وبهذه النسخ قد تم تصحيح سورتى السجدة والحديد .

واما شرح حاله وشخصيته وآرائه الخاصة واساتذته وتلامذته مضبوط فى كتب السير، لاسيما فى مقدمة الجزء الاول من التفسير الكبير التى طبع قبل سبع سنين .

وفى الخاتمة ارجو من الله الكريم ان يوفق الناشر فى طبع بقية الاجزاء من هذا التفسير النفيس باحسن وجه، وعن القراء الكرام ذوى العز والاكرام ان ينظروا بعين العفو والاغماض ، وانا احوج خلق الله الى رحمة ربى البارى محمد الخواجوى جعل الله تعالى اخرتى خيرا من دنيائى ، وكان الفراغ عن تحرير هذه المقدمة فى التاسع والعشرين من ربيع المولود سنة اثنين واربع مأة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها آلاف الثناء والتحية .

محمد خواجوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل من سماء علمه وقدرته كتابا الهيـأ يهدى الى النور ، ورزقاً سماويا فيه غذاء للارواح وشفاء للصدور، ونجاة للعقول من اسقام الجهالات الموجبةللثبور، واحياء للنفوس الراقدة فى أبدان هى كالقبور ، وتنبيه للغافلين عن لقاء الله يوم النشور، وفيه لاهل الهداية الربانية الرزق المقدّر الميسور، ولاصحاب المحبة الالهية الحظ الموفور المبرور .

والصلوة على اهل بيت العلم والنبوة والعرفان ، ومختلف الملائكة بايحاء القرآن ، **محمد سيد الانبياء والمرسلين** ، وآله سادات الاولياء والصديقين ، سلام الله عليهم اجمعين ، وعلى من سلك سبيلهم من السابقين واللاحقين .

و بعد اعلم ايها الطالب لدرك حقائق القرآن والراغب الى سلوك درجات سماء الايمان بقدم العلم والعرفان ، والعمل بمقتضى احكام الله فى نوع الانسان الذى هو اشرف مافى العناصر والاركان ، كالنبـات والحيوان ، بل أجلّ ما فى الافلاك كالثوروالسرطان ، بل ابدع مافى الامكان كالملك والرضوان ، جميع ذلك بحسب جسمه وعقله ونفسه ، من جهة ثمرته وفرعه واصله ان كل فعل وصفة صدر من نفس

او طبيعة فهو انما يكون من جنس فاعله وغايته ، ويناسب بذره وثمرته ، ولاتفاوت بينهما فى المآل الابحسب النقص والكمال، كيف والاول أول الحركة كالبذروالاخر غايتها كالثمرة ، والوسط مسافتها كالشجرة ، والمسافة تشبه الطرفين والوسطيناسب النهايتين .

وتحقق عند المحققين ان غاية كل فعل ذى غاية هى فاعل لفاعله ، فالبناء من حيث هو صاحب ماهيـة يكون من صورة البيت وماهيته ، اذ مبدأ حركته هو من حيث تصور فى ذاته اوفى قوة من قوى ذاته كالخيال صورة الدار وغيرها على وجه الوضوح، وهى الملكة الصناعية التى ينشأ منها فعل البناء من غير كثير تجشم وروية، ولرسوخها فى الذهن تصير منشأ لصورة خارجة ، هى اشد حصولا ، لكونهـا حاصلة بامداد مبدء علوى هو بـالحقيقة العلة المفيضة، والصورة الذهنية هى شبيهة بالمبدء الفياض ، الذى هو فعّال لما يشاء ومختار لما يريد ، وذلك لحصول جميع الانواع فيه على ضرب مقدس عقلى فعلى مرتفع عن المواد ، شديد البرائة عن الجسمية والقوة والاستعداد ، فالملكة الصناعية التى ينشأ منها فعل محكم من غير كثير روّية وتجشم هى تشبه بالصانع الحكيم والبديع العليم .

و من هيهنا قيل ان الصنعة تشبه بالطبيعة فالبانى لدار مثلا من حيث هو بان لها هوصورة الدار بعينها ، الا انها لضعف وجودها الذهنية تتحرك من النقص الى الكمال بامداد العقل الفعال ، وبه تنتقل من هذا التخيل بالتحصل العينى الى حد الاستكمال فاذا تم العمل صار هو صورة بنائية عينية قوية الوجود ، قريبة المناسبة الى المقصود ، بل بوجه الى الواهب المعبود ، اذ فيه منشأ كل كمال وخير وجود .

والحداد من حيث هو حداد عين الصورة الحديدية وهى كمالها ، والطبيب المعالج من حيث هومعالج هوخادم مزاج الصحى الطبيعية ، ومرتبته مرتبة الكيفية المزاجية ، لاالصورة الحيوانية او الانسانية ، فانها بعيدة عن غاية هذه الصناعة ، بل لها مبدءآخر أجل من الطبيب وماهيته وغايته ، وهوحافظ هذا النظام بكلاية الانواع على كمالها الاتم ، تشبها بالصانع الاول وتقرباً اليه وزلفى لديه جل مجده .

وكذا النحوى واللغوى والواعظ وراوى القصص والاخبار ، وان كانوا فى مراتب القصوى مـن فنونهم وصنايعهم ، كسيبويه او من هو أنحى منه ، والحسن البصرى او من هو اوعظ منه ، وابن القرية (١) او من هو أحفظ منه ، فان لهم بموجب صنايعهم وعلومهم غايات غريبة دنية ، وهم متحد الحقيقة بغاياتهم من حيث علومهم وصناعاتهم ولغاياتهم غايات اخرى هى غايات لافاعيل غيرهم أم لافاعيلهم، لكن لا بما هم هم ولابما هم ذوى تلك الافاعيـل المذكورة ، بل بما هم فاعلون لافاعيل اخرى هى غاية أفاعيلهم التى ذكرناها أولا، وهكذا الى ان ينتهى الى آخر الغايات ونهاية الموجودات على وجه عقلى مقدس عن التغير والزمان والحدثان .

والبرهان قائم على ان مثل هذه الغاية يجب ان يكون هو أول الموجودات ، كيلايكون ناقصاً فى وجوده ، مفتقراً الى غاية يتم به وجوده ، وجميع الموجودات مرتبط بالخير الاعظم والجمال الاتم، والكمال الارفع مستهلك وجودها فى وجوده القاهر ، ونورها فى نوره الباهر .

* * *

ومن هذا المقياس الذى ذكرناه يتفطن الذكى اللبيب ، بالتفاوت فى الشرف والدنائة بين الصناعات والعلوم وان أى خلق وملكة يؤدى صاحبه الى جوار الله وقربه ، ويحشر فى دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً، وأى خلق وملكة يؤدى صاحبه الى الهلاك الابدى، والشقاء السرمدى، قائلا ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القريـن ، ويتفطن ان اجل الصناعات وأشرف الاعمال القلبية والافعال الملكية تحصيل الصناعة المسماة عند طائفة بالحكمة والفلسفة التى هى التشبه بالاله الحق والتقرب به بقدر الطاقة البشرية ، وعند أصحاب الشريعة الحقة المحمدية على الصادع بها وآله افضل الصلاة واشرف التقديسات

(١) هو ايوب بن قيس . والقرية امه . . . . وكان لسنا خطيبا ... (المعارف: ٤٠٤) .

بالايمان بالله وكتبه و رسله واليوم الاخر ، المشار اليه فى القرآن المجيد الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد، بقوله: ﴿آمن الرسول بما انزل اليه﴾ الاية [۲۸۵/۲] .

ومادرى كيف يسع لاحدالتوقف والانكار والاستنكارفى أن تحصيل المعارف الالهية أجل الصناعات ، واقتناص المسائل الربوبية اشرف الانتقالات والحركات القلبية ، وجلالة كل صناعة وشرفها اما بفضيلة فاعلها ومحركها ، واما بنباهة الثمرة والغاية ، واما بشرف موضوعها وقابلها ، واما بحسن الصورة الحاصلة من تلك الصناعة .

ولا شك ان الاسباب الاربعة فى هذه الصناعة النظرية الالهية والفلسفة الكلية الربوبية ، اكرم الاسباب واشرفها ، ففاعلها العقل النظرى عند حصوله بالفعل بتأييد العقل الفعال ، وهو اشرف اجزاء الجوهر النطقى الانسانى المضاهى فى التقدس لجواهر الملائكة العقلية وهم سكان حظيرة القدس ، المجاورون للحضرة الالهية .

وغايتها الوصول الى حقايق تلك المعارف الربوبية ، وهى ذوات المفارقات النورية التى هى اشعة ذات الله وصفاته ، والقرب الى باريء الكل ومحرك الجميع بالتحريك التشويقى الربوبى ، والاحباب العقلى الالهى .

وموضوعها الجوهر النفسانى والعقل الهيولانى ، الذى هو لباب العالم الجسمانى، وليس فى موضوع الصناعات كلها مايكون اشرف منه وأجل لانه ثمرة الصورة المادية وغايتها ، وبذر الولادة الروحانية ونطفتها المعنوية ، وقد حققنا فى مقامه مرتبة العقل الهيولانى بأنه صورة الصور فى عالم الاجسام ، ومادة المواد فى عالم العقول ، ولهذا سماه بعض المحققين طراز عالم العقل .

واما الصورة فهى هيئة العالم التام بجميع اجزائه الكلية واسبابه القصوى ، وغايته العظمى، اخذاً من المبدء الاعلى الى صورة الجواهر العقلية والنفوس الفلكية والاجرام الكلية ، وجميع الهيئات والصفات الكلية للانواع الكلية ، الحاصلة بفيض

الابداع دون الشخصيات المادية ، التى ليست منضبطة تحت الامر العقلى ، وانما هى حاصلة من خصوصيات الحركات والازمان والابعاد والاحياز، ولهذا مما ينالها الحواس ، وينفعل عنها الالات ، التى هى ايضاً مثار الغلط والتغيير والزوال .

فاذا تحقق و تيقن ان الحكمة الالهية الربانية و المطالب الايمانية ، اجل الاعمال القلبية ، واشرف العبادات الباطنية ، فلابد لطالب الخير والسعادة ان ينال بحظ وافر ، وان يقنص منها قدراً صالحاً يكون ذخراً له يوم المعاد ووسيلة الى قرب الحق الجواد .

ثم لاشك ان خلاصة كتب الله الفائضة على انبيائه واوليائه هو الفرقان ، المنزل من الله على قلب خاتم انبيائه وأشرف اوليائه محمد المصطفى (ص) ، اذ فيه حكمة الانبياء والصديقين وفيه علم الاولين والاخرين ، وقواعد احكام السابقين واللاحقين ، من لدن آدم صفى الله والد العقلاء الصالحين ، وابراهيم شيخ الانبياء الموحدين الى زمان نبينا خاتم النبيين ، واولاده المقدسين الروحانيين ، المتصل دولتهم الالهية وملتهم التوحيدية ، الى المهدى سلام الله عليهم سلفاً وخلفاً أجمعين، وما من علم ربانى ومسئلة الهية وحكمة برهانية ومعرفة كشفية الا ويوجد فى القرآن اصله وفرعه ومبدئه وغايته وثمرته ولبابه ، حتى ان كل سورة من سوره يوجد فيه غاية افكار الحكماء الاولين ، ونهاية سراير الاولياء المتقدمين .

وان هذا العبد الضعيف المسكين المفتقر الى جود الله الحق المبين ، **محمد المشتهر بصدر الدين** ، يقول : انى بعدما تصفحت معظم كتب الحكماء المشهورين بالفضل والبراعة ، وتدبرت اكثر زبر العلماء المشار اليهم بالعلم والشريعة ، ماأرويت عن ظمائى فى طلب الكشف واليقين ، وما أطفأت حرارتى ونايرة شوقى فى التوسل الى معرفة حقايق الدين ، بل وجدتها كلها قاصرة عن افادة التصديق ، ما الفائدة فيها الا مجرد التشويق ﴿ومايتبع اكثرهم الاظناً ان الظن لايغنى من الحق شيئاً﴾ [١٠/٣٦] .

فلما رجعت الى تتبع معانى القرآن العظيم ، وماأفاضه الله سبحانه على قلب

رسوله النبى الكريم ، وجدتها بحمد الله غاية كل بغية ومطلب ، ونهاية كل شوق وطلب ، فتدبرت فى معانيـه ، وتصفحت اصوله ومبانيـه ، وغرقت فى بحاره ، واستخرجت درراً من اسراره ، وابرزت فى ارقام الكتابة كنوزاً من اغوار تياره ، هذا مع ان سر كلام الله تعالى اجل من ان يحيط به لسان ، وان يجمع اطرافه بنان، لكن شرعت فيه سائلا من الله عزوجل ان يوفقنى للاطلاع على معانى كتابه المجيد ، فرفعت الحجب عن بعض سوره وآياته وكشفت قناع الغمة عن وجه بيناته ، مثل **آية الكرسى ، وآية النـور ، وسورة يس ، وسورة الحديد ، والواقعـة ، والاعلى ، وسورة الطارق ، والزلزلة ، وغيرها من المتفرقات ، والمرجو من الله ان اجمع كتاباً جامعا ، وتفسيراً كبيرا** ، لم ير مثله أعين (عن ـ ن) الاعيان، ولم ينل شبيهه خواطر ابنـاء الزمان ، مع ان لى قلباً قد شوشته محن الاعصار ، ونجدته الدهور والادوار ، ومصائب الفلك الدوار ، ولخاطرى بضاعة فى العلوم مزجاة ، وظلافيها اقلص من طل حصاة ، لكن الرحمة واسعة ، وخزائن الله مملوة ، وينابيعه نابعة يفيض على من يشاء من عباده من غير دافعة ولامانعة .

فهذه يااخوانى طائفة من رموز قرآنية ، ومعانى نكات ربوبية ، متعلقة بسورة السجدة ، افاضها الله على قلب هذا المسكين ، وهى قطرة من بحرها الزاخر، ولمعة من بدرها الزاهـر ، فان هذه السورة كأكثر اخواته مشتملة على عظايم المسائل الالهية ، التى هى غاية العلم والعرفان ، وشرائف علوم النفس الادمية التى هى اساس السلوك الى الله العزيز المنان ، والنفس سلـّم العروج الى واجب الوجود ، وصراط الوصول الى الملك المعبود ، وهى السالك والمسلك ، والعارج والمعراج، بحسب درجاتها وادوارها ومراتبها واطوارها ، وغاية مرتبتها الوصول الى درجة النبوة ، ومشاهدة الوحى الصريح والالهام الصحيح ، وتلقى المعارف كفاحاً من الملك الموحى ، بالالقاء السبوحى .

وقد ذكر فيها كيفية الوحى والتنزيل ، التى هى اشرف اجزاء علم المعاد ، وعلم النبوات ، ثم بيـّن كيفية خلق السموات والارض ومابينهما ، التى هى خلاصة

علم السماء والعالم ، وهو احد المسالك المقررة فى علم التوحيد المشار اليه بقوله: ﴿سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾ [٥٣/٤١].

ثم اشار الى استوائه على العرش وتدبيره الامر من السماء الى الارض بايجاده اسباب الكاينات من الحركات والاستعدادات لخلق المواليد من الحيوان والنبات، وهو معظم ابواب الحكمة الطبيعية الموجبة لمعرفة دقايق صنع الله فى ايصال رحمته الى كل موجود من الموجودات ، واحاطة علمه بكل ذرة من الذرات ، وقد وقع فى كثير من الايات الفرقانية الحث على التأمل فى هذه الصنايع ، والتدبر فى هذه المخلوقات العظيمة بقوله : ﴿أو لم يتفكروا﴾ [٨/٣٠] ووقع ايضاً فيه المدح العظيم لمتأمليها بقوله تعالى: ﴿الذين .. يتفكرون فى خلق السموات والارض﴾ ـ الاية .. [١٩١/٣] .

ثم اشار الى الغرض الاصلى من خلقه المركبات ، وهو العروج اليه والوصول الى باب معرفته ومجاورة مقربيه ، واشار الى بدء وجود النفس الانسانية التى هى الصاعدة اليه بنور العلم والهدى ، العارجة الى بابه بقدم الصبر والتقوى ، بعدما اثنى على ذاته بأنه ﴿احسن كل شيء خلقه﴾ [٧/٣٢]، لكونه اوجدها على وجه يؤدى الى الخير التمام وحسن النظام ، وينتج وجودها وجود نوع الانسان المهتدى بنور المعرفة الى سبيل الله المنان ، الواصل الى روضة الرضوان ونعيم الجنان ومجاورة الرحمن .

ثم افاد وافاض كيفية ارتقاء النفس اليه ، وفنائها عمّا وقعت فيه من الحيوة العاجلة ، واشار الى الملك المتوفى لها عن هذه الدار الفانية المحيى اياها باذن الله تعالى فى الدار الاخرة ، السائق لها بسوط « ارجعى » الى جوار ربها .

ثم اشار الى اقسام النفوس بحسب السعادة والشقاوة الاجلتين ، وهو عمدة علم المعاد ، الذى هو اجل معارف الانسان ، واعظم قواعد الايمان ، بعد معرفة المبدء الديّان ، وهما اعظم دعائم الحكمة والعرفان ، واحكم اساطين العلم بأسرار القرآن .

ثم اكد بيان هذه المعارف ، كما هو دأبه سبحانه بتفصيل احوال الاشقياء والسعداء ، وبيان الوعد والوعيدلزيادة الاهداء والحث على الارتقاء من هذه الوهدة الظلماء ، والمقبرة الغبراء .

وقبل ان نخوض فى غرض المرام . نمهد مقدمة يناسب المقام .

تمهيد فيه تشييد

اعلم أيها القارى ان القرآن ، وسيما هذهالسورة التى نحن بصدد تبيينها ان شاء الله ، هونور يهتدى به فى ظلمات البروالبحرودواء من كل داء وضر،اذا رفع نقاب العزة عن وجهه ، وكشف جلباب العظمة والكبرياء عن لبه وحقيقته وانقشع، سحاب الاحتجاب و رفع الاختفاء والتمنع عن وجوه شموس آياته و رموزه ، وأنوار تجلياته و كنوزه : يشفى كل عليل داء الجهل و الشقاوة و يروى كل غليل طلب الحق والسعادة ، و يداوى كل مريض القلب بعلل الاخلاق الذميمة المزمنة ، وأسقام الجهالات المهلكة، وتنور بنور أبصار بصائر القلوب، ويستعد للقاء الله علام السراير والغيوب ، كما قال الله تعالى ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾ [١٦/٥] .

وقد روى عن رسول الله ﷺ: **القرآن هوالدواء** (١) .

وروى عنه ﷺ ايضاً : **القرآن غنى لافقر بعده** (٢) .

والقرآن هو حبل الله المتين الذى نزل الى العالم الاسفل ، لنجاة المحبوسين فى سجن الدنيا ، المقيدين بسلاسل التعلقات وأغلال الاثقال والاوزار ، من حب الاهل والولد والمال ، وشهوة البطن والفرج والحرص والامال وخسران الاخرة

(١) بحارالانوار ج٩٢ ص١٧٦

(٢) بحارالانوار : ج٩٢ ص١٩

والمال لوجدان العاجل والحال ، وهو مع عظمة قدرحقيقته و مغزاه ورفعة سره و معناه ، مماتلبس بلباس الحروف والاصوات واكتسى بكسوة الالفاظ والعبارات، رحمة من الله وشفقة على عباده وتأنيساً لهم ، وتقريباً اليهم ، والى أفهامهم ومداراة معهم ومنازلة الى أذواقهم ، و الافما للتراب ورب الارباب ، ففى كل حرف من حروفه ألف غنج و دلال ، و غمز وجلب قلوب لاهل الاحوال ، فوقع فيه النداء لتخليص الاسراء من قيد هذا المهوى، وسجن هذه الدنيا ، بقوله: ﴿وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [٥١/٥٥] .

فبسطت شبكة الحروف و الاصوات ، مع حبوب المعانى لاصطياد طيور السموات ، و لكل طير من طيور النفسانية رزق خاص معلوم ، كما لكل ملك فى السماء والارض مقام معلوم ، يعرف ذلك منشيها و مبدعها ، و انما الغرض الاصلى من بسط الشبكة فى الارض اصطياد نوع خاص منها برزق مخصوص معلوم من العلوم ، ولب حب خاص من لبوب الحبوب دون غيرهم ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون﴾ [٢/٦] والافما من رزق الا ويوجد فى القرآن نوع من لبه وقشره وأصله وفرعه وسنبله وتبنه ، متاعاً لكم ولانعامكم، لقوله تعالى : ﴿ولارطب ولا يابس الافى كتاب مبين﴾ [٦/٩٥] .

فكما يوجد فيه من الحقائق الربانية القدسية ، التى كانت معرفتها غذاء للارواح العالية العقلية ، ففيه ايضاً يوجد المعارف الجزئية ، والاحكام السياسية ، والقصص والاخبار، والحكايات التى ينتفع بها المتوسطون فى درجة النجاة من عامة أهل الاسلام، الذين لهم فى النشأة الثانية ضرب من الحيوة ، دون مرتبة التى للهداة المقربين ، الاحياء بالحيوة العقلية بالذات ، ففيه الاغذية الروحانية و الجسمانية الاخرويتين ، المبقية للحيوتين العقلانية و النفسانية ، لاهل المنزلتين والجنتين ، وفيه ايضاً ما به صلاح هذه النشأة الدنياوية ، كالقصاص والديات والمواريث .

و قد نظمت أبياتاً فارسية فى وصف القرآن ، و كونه غذاء سماويا يختص الاغتذاء به لارواح اهل المحبة الالهية من نوع الانسان ، اوردت بعضاً منها هيهنا ،

وهی هذه ـ شعر :

هست قرآن چون طعامی کز سما — گشته نازل از برای اغتذا
اغتذای آدم از لوح وقلم — اغتذا یابد دواب از راه فم
« فی السماء رزقکم » گفته خدا — رزق انسان گشته نازل از سما
روزی انسان رسد از آسمان — روزی حیوان بود از آش ونان
توز قرآن بنگری افسانها — قشر وکه بینی نه مغز و دانه‌ها
هست بهر آدمی دهن ولبوب — تبن وقشر ازبهر حیوان نی حبوب
توزقرآن می نجوئی غیر حرف — جان دهی بهر لغت یانحووصرف
اندر سعیی همیشه باشتاب — که نباشد فرق از تو تا دواب

هیهات انك لست من اهل القرآن حتی ینکشف لك أسراره واغواره ، لتعرف أنه مامن شیء الا وفیه بیانه وتبیانه ، و لو کان من باطنك طریق الـی عالم النور والملکوت القرآنی ،لتجلی لك قوله: ﴿انانحن نزلنا الذکروانالهلحافظون﴾ [٩/١٥] ولکنت ذاخشیة الهیة لازمة لادراك عظمة الله وذاخشوع قلبی لازم لفهم عظمة کتابه القرآنی ومعانی آیاته لقوله: ﴿لو انزلناهذا القرآن علی جبل لرایته خاشعاً متصدعا من خشیة الله﴾ [٢١/٥٩].

وخطابات القرآن مما یختص بأحباء الله والمتألهین والمقربین، لاالمبعدین الناکرین الجاهدین، ممن لیس لهم نصیب فی القرآن ولالهم اغتذاء بلبوب معانیها وحقایقها المبقیة للنفوس الملکوتیةفی دارالحیوان ﴿وان الدارالاخرةلهی الحیوان لو کانویعلمون﴾ [٦۴/٢٩] کما قلت نظماً .

چون غذا با مغتذی باشد شبه — گاو وخررا خوش نیاید جز که که

قل الحمد لله بل اکثر هم لا یعقلون [٦٣/٢٩] و هم عن السمع لمعزولون ﴿ولوعلم الله فیهم خیراً لاسمعهم ولوأسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [٢٣/٨].

* * *

و معظم الافات الحاجبة للانسان عن درك حقایق القرآن الاغترار بظواهر

الاخبار ، والاحتجاب بأوائل الانظار ، من دقائق العلوم الجزئية و معارف الاحكام الفرعية ، والا فما من شيء الا وفي القرآن مايكشف عن حقيقة ذاته ويسهل السبيل الى نيل كنه صفاته ، لكنك ايها المغرور المسرور بما عندك من القشور ، محجوب عنه لجحودك بما سوى ما سمعته من المشهور ، او فهمته من الزبور ، فغاب منك الخبر المبرور ، والحظ الموفور ، كل ذلك لاعراضك ، عن العلوم الربانية، واسرار التنزيل من الحكمة الالهية التي من يؤتها فقد اوتي خيراً كثيراً ، واغفالك عن ان حقايق الكتاب ممالايعلمه الا الراسخون في العلم لاالمشتغلون بدقائق علم العربية ، وفنون الصنائع الادبية ، كالزمخشري واترابه ، فانهم في واد ، واهل القرآن وهم اهل الله وخاصته في واد .

ثم انك ايها المغتر بفطانتك البتراء لو انصفت قليلا وزالت عنك غشاوة المراء والامتراء لعلمت ان المشار اليهم بقوله تعالى: ﴿انهم عن السمع لمعزولون﴾ [٢١٢/٢٦] كانوا عارفين بدقائق علم الالفاظ وفنون تأدية الكلام ، على ما يوافق المرام لانهم من العرب العرباء وفصحاء الدهناء بل انما انعزالهم عنه لعدم استعدادهم للاهتداء بأنوار القرآن والارتقاء الى أعلام الحقيقة والعرفان والاطلاع على أسرار المبدء والمعاد والوصول الى عالم الملكوت والتقرب بالحق الجواد .

ثم لا يخفى على اولى النهى ان تولى مثل أبي لهب وأبيجهل وغيرهما عن القرآن و انعزالهم عن السمع ليس من جهة عدم فهمهم ترجمة القرآن او عدم اطلاعهم على ظاهر العربية وقواعد النحو والصرف وعلم البيان ولالاجل الصمم في آذانهم الجسمانية والعمى في اعينهم البدنية والبكم في قلوبهم الحيوانية ولكن لانهم كانوا من أهل الغفلة والحجاب الكلي عمى القلوب عن مشاهدة الحقايق ، صم العقول عن سماع ذكر الحبيب، بكم الارواح عن قبول دعوة الاله و استدعاء طلب التقرب الى الحق بالاعراض عما سواه كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿صم بكم عمى فهم لايعقلون﴾ [١٧١/٢] .

والقرآن غذاء للقلوب الصافية ، و بلاء للنفوس المريضة بداء الجهالة لقوله

تعالى: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد [٤١/٤٤].

وليس المرادبالايمان فى هذاالمقام ماهو بحسب الظاهر والالماوقع التكليف به للموصوفين بهذاالظاهر فى قوله تعالى: ﴿ياايهاالذين آمنوا آمنوا باللهورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله﴾ [٤/١٣٦] ولاشبهة فى ان المشتغلين بالدنيا المنهمكين فى اللذات ليسوا من أهل الاهتداء بنور القرآن ولا يمكنهم الارتقاء الى نشأة العرفان ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لوان لهم مـا فى الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكراولوا الالباب﴾ [١٣/١٨-١٩].

والى ذلك اشير فى قول سقراط وهو أحد أساطين الحكماء، الذين اقتبسوا أنوار الحكمة من مشكوة بواطن النبوة: «البدن الذى ليس بالنقى كلما غذوته فقد زدته شراًووبالا» وقدذكر المفسرون لكلامه أن المراد منه الاشارة الى كيفية اقتناء العلوم الربانية، التى يتوقف الاستكمال بها على تصفية السر عن محبة الشهوات وتخلية الباطن عن الوساوس والكدورات، وهو ايضاً دواء نـافع للعقول السليمة وسم ناقع للبواطن المؤفة الشريرة السقيمة بسقم الجهل المركب المشفوع بالعناد والجدل واللداد، وحب الجاه والشهرة والاستيناس بالناس، الذى هو من علامة الافلاس، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين﴾ [٢/٢٦] واشير ايضاً الى أهل الحجاب الكلى بقوله تعالى ﴿وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لايبصرون﴾ [٣٦/٩] وقوله تعالى: ﴿واذاقرأت القرآن جعلنابينك وبين الذين لايؤمنون بالاخرة حجاباًمستوراً﴾ [١٧/٤٥]

واشير الى المعاندين الجاحدين للحق، وهم أسوء حالا بقوله: ﴿واذاتتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كـأن لم يسمعها كان فى اذنيه وقراً فبشره بعذاب اليم﴾ [٣١/٧] وقوله تعالى: ﴿ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً

كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم* واذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين* من ورائهم جهنم ولايغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولاما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم*هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم* [٤٥/٧-١١].

وقد ذكر بعض اهل الحق ان العلم علمان، علم باللسان، وعلم بالقلب.

و انى لاستعيذ بالله الرحمن، من رجل شرير عليم اللسان، جهول القلب، المترفع على الاقران لاجل تقرب السلطان، والاشتهار عند العوام، وهم العميان عن فهم درجات أحوال الانسان، و التفاوت فى خلق الرحمن، فوا مصيبتاه من علماء الجهالة، وصلحاء الافساد، الذينهم من علماء الدنيا وجهال الاخرة، المتذكرين لاداب صحبة الخلق، الناسين لاداب صحبة الرب، المقبلين الى دقائق علوم الدنيا المعرضين عن حقائق علوم الاخرة.

بل اقول: مافتنة فى الدين وخلل فى عقايد المسلمين الاومنشأها مخالطة العلماء الناقصين، مع حكام الدنيا والسلاطين، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

قوله سبحانه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الم

قد اختلفت كلمة المفسرين والمأولين فى حروف التهجى الواقعة فى أوائل السور من القرآن المبين ، فقدذكرواوجوهأمذكورة فى التفاسير المتداولة المشهورة وشيىء منها لايطمئن به القلب ، ولايسكن اليه الروع ، ونعم ماقال بعضهم : ان فى كل كتاب سرا ، وسرالله فى القرآن حروف التهجى ، وكانه قد أخذ مماروىعن أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام: **ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى(١)** .

وقال بعض أهل القرآن : الاشارة فى الالف اظهار الوحدة مطلقاً ذاتأوصفة ، والتفرد بالوجود الحقيقى أزلا وأبداً ، كان الله و لم يكن معه شيىء ، فكون الاشياء وهو كما كان ، فلم يتغير وحدته فى نفسه ، و لاتفرده بالوجود الحقيقى و انه تعالى مصدر جميع الموجودات .

فوجه مناسبة المعانى الثلثة فى الالف ، بأن (الالف) واحد فى ذاته وصفاته

---

(١) مجمع البيان فى تفسير الاية .

فى وضع الحساب ، متفرد بالاولية والانقطاع عن غيره فى وضع الحروف ، ويشير استقامته وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى وعدم تغير المبدء تعالى عن الوجود الوحدانى أزلا وأبداً ، وبأن « الالف » مصدر جميع الحروف ، فان من استقامة خطه يخرج كل حرف معوج ، ثم فى «اللام» «والميم» المتصل كل حرف منهما بالاخر اثبات أن كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية ، وانه كمثل الوحدة فى الوجود، فالصفوة المشار اليها فى «الم» هى ان «الالف» يشير الى وجود حقيقى كامل فى ذاته وصفاته، موجد للموجودات التى لها وجود ناقص مفتقر اليه قائم به ، وهو الفاعل والحاكم والمتصرف فيها . و«اللام» يشير الى معنيين : اثبات و نفى ، فالاثبات يشير الى لام التمليك يعنى له ما فى السموات ومافى الارض ملكا وملكا ، فعلا وصنعاً . وبالنفى يشير الى لاء النفى، يعنى لاوجود لشيىء حقيقة الاله .

و«الميم» ايضاً يشير الى معنيين نفى واثبات ، فالنفى يشير الى ماء النفى يعنى مافى الوجود حقيقة الاهو ، وبالاثبات يشير الى اسمه القيوم ، يعنى هو القائم بنفسه، والمقيم والقيام لغيره ، فالغير محو فى اثبات قيوميته وديموميته ، فهو على الحقيقة كاين كما كان ، بلامكان و لازمان ، ودليل هذا التأويل للسر والصفوة فى هذه الحروف ، ماأظهره الله سره المكتوم فيمابعده فى سورة آل عمران ، وهو قوله: ﴿الله لااله الاهو الحى القيوم﴾ [٢/٣]

وممن تصدى لاستكشاف أسرار هذه الحروف المقطعة شيخ فلاسفة الاسلام أبوعلى بن سينا ،فى رسالة عملها لبيان هذا المرام ، ولعمرى انه قد بالغ فى تطبيق رموز هذه الحروف على عظائم الامور الالهية التى ناسب ذكرها وتعظيمها و الاقسام بها فى اوائل السور القرآنية .

وملخص ماذكره بعد تمهيد الكلام طوينا ذكره مخافة الاسهاب هو انه ينبغى ان يدل بالالف الواقع اولا فى الترتيب القديم ، وهو ترتيب ابجد هوز على البارى، لكونه أول الموجودات ، وبالباء على العقل وعالمه لانه يتلوه فى الموجود و«بالجيم» على النفس وعالمها، و«بالدال» على الطبيعة وعالمها، هذا اذا اخذت هذه الموجودات

بماهى ذوات ، ثم بالهاء على البارى ، و«بالواو» على العقل ، وبالزاء على النفس، وبالحاء على الطبيعة ، هذا اذا اخذت بماهى مضافة الى مادونها ، ويبقى الطاء للهيولى وعالمها، وليس لها وجود بالاضافة الى شيىء تحتها، وينفدرتبة ايجاد الاحاد المبدعات ويكون الابداع وهومن اضافة الاول الى العقل . والعقل ذات لايضاف الى مابعده ، مدلولا عليه بالياء ، لانه من ضرب «ه» فى «ب» ، ولايحصل لافاضة البارى الى العقل اوالعقل الى النفس عدد يدل عليه بحرف واحد ، لان «ه» فى «ج» «يه» و«و» فى «ج» «يح» ويكون الامر و هو من اضافة البارى (الاول) الى العقل مضافاً مدلولا عليه باللام ، لانه من ضرب «ه» فى «و» ويكون الخلق وهو من اضافة البارى (الاول) الى الطبيعة(١) من ضرب «ه» فى «ح» لان الحاء دلالة الطبيعة مضافة . ويكون التكوين ، وهومن اضافة البارى الى الطبيعة (٢) لانه من ضرب «ه» فى «د» ويكون جميع نسبتى الامر والخلق أعنى ترتيب الخلق بواسطة الامر اعنى اللام والميم مدلولا عليه بحرف «ع» وجميع نسبتى الخلق والتكوين كذلك أعنى الميم والكاف مدلولا عليه بالسين، ويكون مجموع نسبتى طرفى الوجود والتكوين أعنى اللام والكاف مدلولا عليه بالنون ، ويكون جميع نسب الامر والتكوين والخلق أعنى لام وميم وكاف مدلولا عليه بصاد ، ويكون اشتمال الجملة فى الابداع أعنى «ى» فى نفسه «ق» وهو ايضاً من جمع «ص» و«ى» ، ويكون ردها الى الاول الذى هو مبدء الكل ومنتهاه ، على أنه اول وآخر ، أعنى فاعلا وغاية كما بين فى الالهيات مدلولا عليه بالراء ضعف ق .

فاذا تقرر ذلك فالمدلول عليه بالم ، هو القسم بالاول ذى الامر والخلق ، وبالراء القسم بالاول ذى الامر والخلق الذى هو الاول والآخر والامر والخلق والمبدء الفاعلى والمبدء الغائى جميعاً .

وبالمص ، القسم بالاول ذى الامر والخلق ، والمنشىء للكل .

---

(١) فى المطبوعة : مضافة «م» لانه من ضرب ....

(٢) اضيف فى نسخه : وهوذات مدلولا عليه بالكاف .

وبص : القسم بالعناية الكلية .

وبق : القسم بالابداع المشتمل على الكل بواسطة ابداع الانواع المتداولة المساوى للعقل .

وبكهيعص : القسم بالنسبة التى للكاف ، أعنى عـالم التكوين الى المبدء الاول ، بنسبة الابداع الذى هو « ى » ، ثم الخلق بواسطة الامر وهو « ع » ثم التكوين بواسطة الخلق والامر وهو «ص » ، فبين «ك» و«ه» ضرورة نسبة الابداع ، ثم نسبة الخلق والامرثم نسبة التكوين والخلق والامر.

ويس: قسم باول الفيض وهوالابداع وآخره وهوالخلق والتكوين.

وحم: قسم بالعالم الطبيعى الواقع فىالخلق .

وحمعسق : قسم بمدلول وساطة الخلق فى وجود العالم الطبيعى وما يخلق بينه وبين الامربنسبة الخلق الى الامر ، ونسبة الخلق الى التكوين ، وبأن يأخذ من هذا ويرده الى ذلك ، فيتم به الابداع الكلى المشتمل على العوالم كلها ، فانها اذا اخذت على الأجمال لم يكن لهـا نسبة الى الاول غير الابداع الكلى الذى يدل عليه بق .

وطس : قسم بعالم الهيولى الواقع فى التكوين ، و «ن» قسم بعالم التكوين وعالم الامر اعنى مجمع الكل ، ولايمكن أن يكون للحروف دلالة غيرهذا البتة ـانتهى كلامه اعلىالله مقامهـ .

دراية كشفية

اعلم أيها القارى المكتسى بكسوة العبارات العارى عن حلية ذوق الاشارات ان هذه الحروف المقطعة القرآنية تسمى فـى عالم السر ولسان أهل بيت النبوة وبلدة الولاية ، العارفين بفهم منطق الطير « بالحروف المجملة » و«حروف أبجد»، وفى هذاالعالم تصيرالحروف المتصلة منفصلة، لانه يوم الفصل جمعناكم والاولين و«يوم الجمع» ايضاً بوجه آخر، فأهلالله اذانظروا الى حروف «يحبهم ويحبونه»

يرونها متصلة ، ولكن اذا انكشف الحجاب وفتحت الابواب وتجلى جمالها يرونها بالبصيرة الباطنية هكذا : ى ، ح ، ب ، و ، ن ، ه ، م ، واذا ارتفعوا عن ذلك المقام الى مقام أعلى يرونها نقاطاً وتصير الحروف المفردة بالقياس الى من فى تلك الدرجة نقطاً ، واذا وصلوا الى مقام القرب رأواالنقاط كلها مستهلكة فى نقطة باء بسم الله .

وانت ايها الساكن فى بيت حجابك ، المقيد بقيود هواك ونفسك انك لم تخرج حتى الان قدماً من عتبة بابك التى انت معتكف فيها الى طريق الحق ، ولم ترغب فى طلب معرفته والاطلاع على اسرار ملكه وملكوته، ومطالعة كتابه الذى ورد منه اليك ، ولم تحصل بعد مفردات حروف الجمل فى معلمة العشق ومدرسة التقوى والعبودية ، والهك ومعشوقك متوجه اليك من سماء عظمته ، ناظر اليك ليجذبك بجذبة ارجعى .

وانك بعد ماتوجهت اليه بقلبك فلاعبرة بما تقوله بلسانك : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض » مع عدم موافقة الباطن وهووجهك الحقيقى ، لانك مشغول بجميع أسباب اللهو واللعب والهزل، مستغرق القلب بعمارة أرض بدنك، وتحصيل أرض اخرى، وتزيين ترابك الذى يخصك باضافة تراب آخراليه، وجمعه وادخاره بعدتلوينه ارتصييره بكثرة الحيل فى المعاملات، اوالمداهنة فى المعاشرات او الدغل فى الصناعات ، بتزويج ما كسد واصلاح ما فسد ، حتى صار ترابك ذهباً وفضة ، وما هما الاترابان ملو ّنان بالصفرة والبياض ، بتعمل طبيعى اوصناعى ، اما فى نفسها او فى تعميلك وتحصيلك لصورتهما ، اوأخذك لهما من الناس بسبب الاستيناس بهم والمداراة معهم، وذلك كله علامة الافلاس، وجميع ذلك خدمة منك لفاسق وظالم جاحد. وطاعة لشيطان مارد من الدواعى الشهوية اوالغضبية اوالوهمية،

فأول علامة من ارتفع عن هذا الادنى، وخلص عن حجاب المشتغلين بالدنيا أن ينكشف عليه معرفة الحروف المنفصلة القرآنية وكيفية نزولها، كما رمز اليه تعالى بقوله : ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ [٥١/٢٨] الى هذا القوم، وأشار

سبحانه الى مرتبة قوم آخرين بقوله : فصلنا الايات .

فقدانجلى لك أيها المسكين أن ما ارتسم فى لوح السالك المبتدى حروف ابجدليستعد بذلك الانتقاش بمفاد قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ [١/٩٦] وعند ذلـك يسهل عليه معرفة القرآن وتعلم لفظه ومعناه ومنطوقه وفحواه ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ [١٧/٥٤] .

وهذا التذكير لايتيسر الا لمن دارس وتعلم من مكتب : «**اول ما خلق الله نوری**» (١) وكان معلمه واستاذه مفاد قوله ﷺ: «**أدبنى ربى فاحسن تأديبى**»(٢) لتلقى القرآن مـن لدن حكيم عليم ، ويعلم ما لم يكن يعلم قبل ذلك بأسباب اخر ، من فكر او سماع او تعلم او رواية ، بل بان يكتب الله القرآن بقلم العقل على لوح نفسه: ﴿اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه﴾ ﴿وربك الاكرم الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم﴾ [٤/٩٦] .

وحينئذ يظهر له فى هذا المكتب الذى لاطفال الارواح واولاد روح القدس ، وهو ابوهم ومعلمهم واستاذهم ، مـا معنى اللوح والقلم والنون وما يسطرون ، فان العناية الربانية لماتعلقت بتربية الاطفال والاولاد الملكوتية أفادلهم ورزقهم من تحف ذلك العالم وهدايا الجنة فى كسوة الحروف المفردة والظروف المقطعة على طريق الرمز والاشارة، لئلايطلع عليها الاغيار، ممن ليس له قوة الارتقاء الى منزل الاخيار.

اعلم ايها القارى العارى ان القرآن انزل الى الخلق مع ألف حجاب، لاجل فهم ضعفاء العقول والابصار ، فلوفرض أن باء بسم الله مع عظمته التى كانت له نزل الى العرش على حالته التى كانت عليها، لذاب العرش مع عظمته واضمحل ، وقوله: ﴿لو انزلنا هذا القرآن﴾ ـ الاية ـ [٢١/٥٩] اشارة الى ذلك .

رحم الله من قال كاشفاً لهذا المعنى : «كل حرف فى اللوح اعظم من جبل

---

(١) بحار الانوار: كتاب الامامة، باب بدء خلقهم وطينتهم وارواحهم ٢٢/٢٥.

(٢) الجامع الصغير : باب الالف ١٤/١.

قاف » ، وهذا القاف رمز الى ما فى قوله : « ق والقرآن المجيد » [١/٥٠] .

وجملة القول ان من لم يظهرعليه سلطان الاخرة ظهوراً تاماً، ولم يقم نفسه عن قبر هذه النشأة ، لـم يطلع على معانى رموز القرآن ولم يحدث معه حروف المقطعة ، ولم يتجل له وجه صاحبه وقائله ، وعظمة منشئه ومبدعه وممليه. واحسرتا على ما فرطنا فى جنب الله .

انتبه يا مغرور ! وقم من مرقدك يا ممكور ، حتى نسافر معك فى سبيل الله ، ونتجامع بالجمعية الوفاقية، فان المسافريحتاج الى رفيق معه يصدقه أداء لقوله ﷺ: **«يدالله مع الجماعة »**(١) وكن معنافى جميع ما هدانا الله فى سفرنا ، وما هدانا رسلنا من رزق ربنا حتى لاينال بما يحيد عن المشهور ، ويخالف ما عليه الجمهور كما هو دأب المسافرين ، و اركب معنا فى سفينة النجاة التى بسم الله مجريها ومرسيها ، ولاتجلس مع هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجوراً، وهم كالذين وبخهم الله تعالى بقوله : ﴿فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا﴾[٧٨/٤] واشتكى رسول الله ﷺ الى ربه بقوله : ﴿يارب انقومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ [٣٠/٢٥] .

وقال بعض أصحاب القلوب : «انزل القرآن لتعملوا به فاتخذتم دراسته».

واليهم الاشارة فى حديث أبان بن تغلب، عن أبى جعفر عليه السلام، انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها، فقال الرجل: ان الفقهاء لايقولون هذا، فقال عليه السلام: ياويحك! هل رأيت فقيهاً قط؟ ان الفقيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الاخرة، المتمسك بسنة النبى ﷺ(٢)

وروى عمر بن حنظلة عن أبى عبدالله عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ قال: ماخالف العامة ففيه الرشاد(٣) .

رب رجل أديب أريب، له اطلاع تام على علم اللغة والفصاحة، والاقتدار على

(١) الترمذى : كتاب الفتن ، باب ماجاء فى لزوم الجماعة ٤٦٦/٤ .

(٢) الكافى : كتاب فضل العلم ، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ٧٠/١ .

(٣) الكافى : كتاب فضل العلم ، باب اختلاف الحديث ٦٨/١ .

صنعة البحث والمجادلة مع الخصام فى علم الكلام ، وهومع براعته فى فصاحته لم يسمع حرفامن حروف القرآن بما هوقرآن، ولافهم كلمة واحدة، وكذلك أكثر المشتغلين بالبحث البحث المغترين بلامع سراب الحكمة، المحرومين من شراب المعرفة فى كأس القرآن المبين، لكونهم صماً بكماً عمياً لايعقلون شيئاً ولايهتدون سبيلا لعدم حواسهم الباطنية التى هذه الحواس الدنياوية قشورلها ، وبالقشر لاينال الا القشر، وأما اللباب فلاينا له الاولوا الالباب ، ومايذكر الا اولوا الالباب، ان فى ذلك لايات لاولى الالباب .

قوله عزوجل :

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

خبر مبتدء محذوف، اوهو مبتدء خبره «لاريب فيه» ويكون «من رب العالمين» حالا من الضمير فى «فيه» لان المصدر لايعمل فيما بعد الخبر ، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً ، وعلى تقدير كون «تنزيل الكتاب» خبر مبتدء محذوف يجوز أن يكون «من رب العالمين» خبراً ثانياً، و«لاريب فيه» حال من الكتاب المنزل اواعتراض. والاولى ان يرتفع «تنزيل» بالابتداء وخبره «من رب العالمين» ويكون «لاريب فيه» اعتراض لامحل له، كماوجهه صاحب الكشاف .

واعلم ان الضمير المجرور راجع الى مضمون الجملة ، اى لاريب فى كونه منزلا من رب العالمين ، ويدل عليه قوله : ﴿ام يقولون افتراه﴾ لان هذا القول منهم فى المفهوم يساوق لانكارهم كون القرآن منزلا من الله تعالى ، للتقابل الحقيقى بين كون الكلام مفترى ، وبين كونه منزلا من رب العالمين .

ويحتمل ان يكون معنى «تنزيل الكتاب» من باب اضافة الصفة الى الموصوف، فيحتاج فى تعلق ضمير «فيه» اليه الى ارتكاب حذف مضاف ، كالتنزيل ونحوه .

ويحتمل أن يكون الجمل الثلاث اخباراً متبادلة لمبتدء محذوف ، وفى الاية احتمالات اخرى بحسب الاعراب كمالايخفى على اولى الاداب .

والمعنى ـ والله اعلم ـ انه لاريب لاهل الكشف واليقين العارفين بمقامات الواصلين الى مقام اللوح النفساني والقلم العقلاني والعلم السبحاني ، ان هذا الكتاب الذى هو العقل الفرقاني والوجود المحمدى ﷺ الذى هو لوح المعارف الالهية وقلم العلوم اللدنية، فائض من رب العالمين بلاوسيلة من خلقه ، اوذريعة من غيره، بل الله قد أنشأه وأغناه من غيره ، ورباه من مرتبة الى مرتبة ، وعرج به من عالم الى عالم ، واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، حتى بلغ غاية القصوى وارتفع الى مقام اوادنى، وحيث كانت مرتبته مشتملة على جميع مراتب العوالم ، لوروده على كل نشأة وعالم ، فكان المربى له ﷺ رب العالمين، فوقعت الاشارة الى هذه الدقيقة فى قوله «رب العالمين» تعظيماً لشأنه وتكريما لامتنانه .

فالكتاب اشارة الى ذات النبى ﷺ، المعبر عنه تارة بالقرآن لمقامه الجمعى الاجمالى العقلى، وتارة بالفرقان لمقامه الفرقى التفصيلى النفسى ، وهما مقامان باطنيان فوق ساير المقامات النزولية والانزالية السماوية والدنياوية ، واطلاق الكتاب على الجواهر العقلى القلمى القرآنى، اوالنفسى اللوحى الفرقانى شائع ذائع فى كلام الله تعالى وكلام انبيائه واوليائه عليهم السلام كقوله تعالى ﴿اولئك كتب فى قلوبهم الايمان﴾ [٥٨/٢٢] وقوله تعالى : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [١٧/١٤] وكقول امير المؤمنين عليه السلام :

وانت الكتاب المبين الذى   بآيـاته يظهـر المضمـر

وحقيقة القرآن عند المحققين من العرفاء هو جوهر ذات النبى ﷺ ، وقد سئلت بعض أزواجه عن خلقه ، فقالت فى الجواب : «**كان خلقه القرآن**» (١) .

ومن تأمل وتدبر فى ألقاب كتاب الله فى عدة مواضع من المصحف ، يعلم أن هذه الاوصاف تكون لذات روحانية مجردة عن الاجسام بحسب مرتبة ذاته ، فكما ان الانسان حقيقة واحدة ، وله مراتب كثيرة وأسامى مختلفة يسمى فى كل

---

(١) المسند : ج٦ ص٩١ وص١٦٣

عالم باسم خاص مناسب لمقامه الخاص فى الصعود، فكذلك القرآن حقيقةواحدة ولهمراتب كثيرة واسامى مختلفة يسمى فى كل عالم باسم خاص مناسب لمقامه الخاص فى النزول .

اما أسامى القرآن : ففى عالم يسمى « بالمجيد » ﴿ بل هوقرآن مجيد ﴾ [٢١/٨٥] وفى عالم آخر اسمه «على» ﴿وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى﴾ [٤/٤٣] وفى نشأة اخرى اسمه مبين ﴿وكتاب مبين﴾ [١/٢٧] وفى مقام آخر اسمه «نور» ﴿والنور الذى انزلنا﴾ [٨/٦٤] ﴿قدجائكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [١٥/٥] وفى منزل اسمه «عظيم» ﴿والقرآن العظيم﴾ [٨٧/١٥] وفى مرتبة «عزيز» ﴿انه لكتاب عزيز﴾ [٤١/٤١] وفى مظهر «كريم» ﴿انه لقرآن كريم﴾ [٧٧/٥٦] وفى طور «حكيم» ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ [٢/٣٦] وهل شاع اطلاق اسم الحكيم الا على ذوى العقول ؟ وكذا الكريم والعلى والعزيز؟

وأساميه غير محصورة ، ولو كنت ذا سمع باطنى فى عالم العشق الحقيقى والحكم الالهية ، لكنت ممن تسمع أسمائه وتنكشف لك بطونه : **ان للقرآن ظهراً وبطنا وحداً ومطلعا** (٢) كما ان للانسان ظاهراً وباطناً ، ولباطنه باطن آخر الى سبعة أبطن ، وهى المقامات الباطنية الجملية المشهورة عند العرفاء ، هى الطبع والنفس والعقل والروح والسر والخفى والاخفى ، والا فتفاصيل المقامات وخصوصيات الاطوار الانسانية غير محصورة فى حد وعد، فكذا قياس القرآن المساوق للانسان الكامل فى الكمال والنقصان ، والصعود والنزول، وفى المثنوى المولوى المعنوى قدس سره :

صورت قرآن چو شخص آدمى است كه نقوشش ظاهر وجانش خفى است

---

(٢) قال العراقى فى تخريج احاديث الأحياء (حاشية احياء علوم الدين ج١ ص٩٩) : اخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود ورواه العياشى ج١ ص١١ بلفظ آخر فراجع .

نزد عاقل زان‌پری که مضمر است آدمی صد بار خود پنهان‌تر است

ومما روی عنه ﷺ انه قال: **اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه .**

ومن تدبرفی أسامی النبی(ص)واوصافه‌من کونه: نوراًوسراجاًومحموداًومحمداً وأحمد وقاسما وحاشراً وماحياً وهادياً ومبشراً وبشيراً ومنذراً ونذيراً الى غير ذلك مما لايمكن حصره۔ وجدها بحسب المعنى والمفهوم مشتركة بينه ﷺ وبين حقيقة القرآن ، واتحاد اللوازم يدل على اتحاد الملزوم ، والاسماء المشتركة بينهما لفظاً ومعنى كثيرة ، كلفظ النور والهادى والسيد والرسول والنبى .

ولوتدبرت فيما أفدناك سابقا من قاعدة اتحاد الموصوف بالصفة التی‌وصف بها ، ومن‌قاعدة اتحادالعاقل بالمعقول التی‌ذهب اليهاأكثر الحكماء المشائين الذين مقدمهم فرفوريوس ، وهو اعظم تلامذة أرسطو ، ومن قاعدة ذهب اليها محققوا أهل الاسلام وعرفائهم من‌صيرورة الانسان بحسب النشأة الاخرة عين حقيقة ماغلب على باطنه من الاخلاق والملكات: لانكشف عليك حقيقة ماذكرناه من كون باطن النبى ﷺ كتاباًالهيا مرسلا منزلا من‌الله لنجاة المقيدين فی سجن‌هذا العالم الادنى وباطن القرآن خلقه ، وظاهره الملفوظ هو كظاهر شخصه المطهر المزكى .

ويستفاد من قوله تعالى : ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [٢/۶٢] أن صفته وخلقه (ص) كان تعليم الكتاب والحكمة ، فكان ذاته المقدسة عين‌الكتاب والحكمة وقد عبّرقوم من اهل الله عن لفظ القرآن ومعناه بالوجه الحسن والشعر المستحسن للنبی (ص)المكنى عنهما بقوله تعالى: ﴿والضحى والليل اذا سجى﴾ [٢/٩٣] .

والقرآن حبل الله المتين النازل‌من سماء الرحمة لنجاة المقيدين فی‌السجن ولماكانت الدنيا مرآة الاخرة و الارض حكاية الجحيم فانظر كيف روعى الموازنة بين العالمين فيما وقع من الاخبار فی احوال الاخرة من الجنة و النار ، أن النبی ﷺ اذن له فی الشفاعة يوم القيامة ، فورد فی الجحيم لاخراج من فی قلبه ذرة من‌الايمان ، فأخرج منها ماشاء الله‌من عصاة امته المؤمنين . ومماؤيد كون

الارواح والقلوب بمنزلة الكتب والصحائف ، ويصحح اطلاق الكتاب والصحيفة عليها ، قوله تعالى: ﴿اولئك كتب فى قلوبهم الايمان﴾ [٢٢/٥٨] .

و هل الكتاب الا ماكتب فيه شيء ، سواءكان كتابة عقلية او حسية ، وهل الكتاب الا تصوير الحقائق ، سواءكان بآلة القصب والمداد فى قرطاس او جلد حيوان ، او بواسطة الملك الملهم الملقى للحقايق فى صفحةالدماغ اوالنفس بمداد الفيض الالهى ، ومن يحجبه الظاهر المحسوس عن الباطن المستور ولا يفهم من الميزان الا ماله كفتان ، ولاخبرله من موازنة العالمين وتطابق النشأتين ، فلايمكنه التصديق بوجود كتب الله المنزلةعلى انبيائه تصديقاًعرفانياً ايمانياً ، بل تصديقاً لسانياًأو تقليديا ، وشيء منهما لايسمن ولايغنى ، ويحرم ايضا عليه معرفة صحائف الناس يوم العرض الاكبر، وكذا الفرق بين كتاب الابرار الاخيار، وبين كتاب الفجارالاشرار، المشاراليها بقوله تعالى : ﴿ان كتاب الفجار لفى سجين * وما ادريك ماسجين﴾ [٨/٨٣ ـ ٧] وقوله : ﴿ان كتاب الابرارلفى عليين * وما ادريك ماعليون * كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ ـهذاـ [١٨/٨٣ ـ ٢١].

واما قوله « رب العالمين » ففيه اشارة الى أن كل انسان كامل حكيم عالم تام فى نفسه ، اذ فيه صور جميع مافى العالم على وجه ألطف ، وقد ذكر الحكماء فـي معنى الحكمة انها صيرورة الانسان عـالماً معقولا مضاهياً للعالم المحسوس ، وقال ابويزيد البسطامى : « لو أن العرش وماحواه دخل فى زاوية من زوايا قلب ابى يزيد لما أحس به » فكل عالم ربانى فى الاخرة عالم تام لايعوزه شيء من الاشياء ولا يفتقر الى شيء خارج عنه وعن ملكه وعالمه وسلطانه ، ولا يبعد أن يكون هذا سر ايراده بصيغة الجمع الموضوعة لذوى العقول ـ فافهم وانتبه .

قوله سبحانه :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

لفظة : « أم » هاهنا هى المنقطعة الكائنة بمعنى كلمة « بل » الاضرابية والهمزة الانكارية ، كانه تعالى لما أشار أولا الى حقيقة القرآن وعظمته الثابتة له فى عالم اللوح والقلم وقضاء الله الاتم ، ثم رتب عليه تنزيله من رب العالمين ، وأكد ذلك بنفى الريب عنه لاهل الله والعلماء الراسخين ، فأضرب عنه الى مايقولون فيه ويلحدون فى حقيقته الى خلاف ذلك انكاراً لقولهم وتعجيباً من جحودهم ، فان الامر أظهر من أن يخفى على عقلائهم لظهور العجز فى اتيان ثلاث آيات منه عن بلغائهم ، ثم أضرب الى اثبات ماهو بصدده من اثبات انه الحق المنزل من الرب تعالى .

ومثّل صاحب الكشاف هذا الاسلوب الصحيح المحكم بأنه يعلل العالم فى مسئلة بعلة صحيحة جامعة ، قد احترز فيها انواع الاحتراز ، كقول المتكلمين : النظر أول الافعال الواجبة على الاطلاق ، التى لايعرى عن وجوبها مكلف ، ثم يعترض عليه فيها ببعض ماوقع احترازه منه ، فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ، ثم يعود الى تقرير كلامه ، وتمشيته . ثم بين فائدة التنزيل وهى انذار قوم لم يأتهم من قبل النبى ﷺ ، وذلك ان قريشاً لم يبعث الله اليهم رسولا قبله ﷺ ، كقوله : ﴿ماانذر آباؤهم﴾ [٦/٣٦] ترجياً من الرسول ﷺ لهدايتهم مثل ترجى موسى و هرون ، الواقع فى قوله تعالى : ﴿لعله يتذكر﴾ [٤٤/٢٠] ويحتمل ان يكون لفظ الترجى مستعاراً للارادة فيكون من الله تعالى .

مكاشفة

لما علمت ان نفى الريب فى كون الكتاب منزلا من الله انما يكون من القلوب

الصافية الصحيحة، البريئة عن مرض الغواية وآفة الغباوة ، لان مميط الريب ودافعه لازم للقرآن غيرمنفك عنه وهو كونه بالغاً حداً من الكمال يعجزعنه بنو نوع البشر، وانما هو أمر فائض من خالق القوى والقدر ، وأما قول من يقول : « انه افتراه » فهو اما قول متعنت يجحد بآيات الله مع علمه انه من الله ، أوجاهل بليد مختوم على قلبه فى أصل الفطرة ، أو غير مرتاض بالنظر والتأمل فيسمع الناس يقولون شيئاً فيتبعهم من غير روية فقال بما قالوه قبل التدبر.فاعلم ان الذين لم يأتهم نذيرفى اقامة الحجة عليهم وعدمها يوم القيامة أقسام : لانهم اما مستعدون بحسب الفطرة لارتقاء طريق السعادة والخير أم لا ، وعلى الاول : اما أن يكونوا مقصرين فيما لايدرك الابالشريعة لعدم استقلال العقل به ، واما فيما سوى ذلك كمعرفةالله وتوحيده وعلمه وحكمته ، فالاولان لايقام عليهما حجة بخلاف القسم الثالث لان أدلة العقل وأسباب الهداية معه فى كل وقت .

هذا بحسب مااقتضاه الدليل العقلى الموافق لما ذهب اليه أهل الحق من قاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، واما الدليل النقلى فالمستفاد من الاحاديث المروية عن أئمة العصمة والهداية سلام الله عليهم اجمعين :

منها مارواه صاحب كتاب الكافى(١) الشيخ الجليل ثقة الاسلام ابو جعفر محمد ابن يعقوب الكلينى طاب ثراه ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابى عمير، عن جميل بن دراج ، عن ابن طيار، عن ابى عبدالله عليه السلام ، قال : **ان الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم .**

---

(١) الكافى : كتاب التوحيد باب البيان والتعريف ولزوم الحجة ، ١٦٢/١ .

قوله سبحانه :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

«الله» مبتداء وخبره كلمة «الذى» مع صلتها ، والجمل الواقع بينهما من باب حمل الحد على المحدود فى القضية الطبيعية بالحمل الاولى الذاتى لامجرد الاتصاف الاتحادى المعتبر فى الحمل المتعارف ، فان كون الواجب لذاته مبدأ وخالقاً لشىء انما يكون بنفس ذاته المقدسة ، حتى أن مبدئيته وخالقيته بما هو حقيقته وذاته ، لا كصانعية غيره من المبادى التى ليست مبدئيتها لشىء بما به ذاتها وحقيقتها ، كالانسان فى كونه كاتباً ، حيث لايكفى فى ذلك حقيقته التى هو بها هو ، بل مفتقر معه الى صنعة الكتابة وغيره من الاسباب ، كالالة والقابل ورفع المانع ووجود الداعى، كل ذلك خارج عن الانسان بما هو انسان ، وكذا الشمس فى اضائته وجه الارض يفتقر الى وجود الارض ووجود المحاذاة بينها وبين الارض ، فليست هى بما هى شمس مضيئة لوجه الارض ، بخلاف الواجب القيوم ، فان قيوميته وخالقيته للسموات والارض وما بينهما بنفس ذاته الذى هو داع ومريد وقادر .

واعلم أنا قد حققنا مفهوم هذه الكلمة الجلالية فى تفسيرنا لاية الكرسى ، وبيّنا هناك أنها بحسب المفهوم قابل للشرح الحدى ، ويؤخذ فى حده جميع الموجودات الصادرة عنه بنفس ذاته، بياناً مقنعاً من أرادان يعلمه فليطلب من هناك.

* * *

والمراد من «اليوم» هيهنا اليوم الربوبى الذى مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولما كان مدة تكوّن العالم من زمان آدم عليه السلام الى زمان نبينا صلى الله عليه وآله ستة آلاف سنة — على ما هو المشهور — فعبرعنها بستة أيام مدة كل يوم منها ألف سنة ، يسمى باسم من أسامى ايام الاسبوع قبل يوم الجمعة، منسوب الى احد الكواكب السبعة سوى

عطارد، وفيها ميلاد واحدمن الانبياء العظام قبل محمد ﷺ من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين .

وهذا موافق لما قد اشتهر فيما بين الناس فى جميع الامصار ، ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة على عدد الكواكب، فكل ألف سنة يوم من ايام الله، لقوله: ﴿وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون﴾ فالسنة منها هى التى خلق اليه فيها السموات والارض ، لان الخلق حجاب الحق ، فمعنى خلق اختفى بهما فاظهرهما وبطن ، ويوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش والظهور بالاسماء ، وهذا الظهور يبتدى بالسابع من أول البعثة ، و يزداد الى تمام هذا اليوم ويزول الخفاء بتمام الظهور لقيام الساعة ، التى قد طلع فجرها ببعثة نبينا ﷺ كما ورد فى الحديث عن النبى (ص) انه قال : **بعثت أنا والساعة كهاتين** ، وجمع بين السبابة والوسطى (۱) .

وقال : **بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه** ـ وأشار باصبعيه السبابة والوسطى (۲) وليطلب تحقيق هذا المطلب فى تفسيرنا السورة الحديد بمالا يكون عليه مزيد .

و هذا الاصطلاح فى تقدير اليوم يستفاد من الاخبار ايضاً ، كما روى (۳) عنه ﷺ انه قال: **انى لارجو ان لايعجز امتى عند ربها ان يؤخرهم نصف يوم أعنى خمسمأة سنة** ، وروى ايضا انه قال: **ان استقامت امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم** .

واعلم انى منذ الان ما رأيت احداً عنده علم تام بتصحيح كون السموات

---

(۱) الترمذى: كتاب الفتن باب ماجاء فى قول النبى ﷺ «بعثت انا... ۴۹۷/۴ ويوجد الحديث فى جميع الصحاح راجع المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ۱۹۲/۱

(۲) المصدر والباب السابق ۴۹۶ .

(۳) ابى داود: كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة ۱۲۵/۴ .

والارض ومافيهما مخلوقة فى ستة أيام ، ولاوجدت فى كلام احد المفسرين وغيرهم ما يطمئن به القلب فى بيان ذلك ، فان الايام هى مقادير الحركات وهى متأخرة عن وجود الاجرام الكلية ، كالافلاك و ما فيها ، سواء كانت عبارة عن مقادير أدوار الحركة اليومية كما هو المتعارف بين الناس ، اوعن مقدار دورة القمر التى أسرع الدورات لكواكب السيارات ، وهو الشهر فى المشهور ، اوهو مقدار دورة الشمس وهى السنة فى المشهور ، او غيرها كدورة الفلك الثامن التى هى مقدارها خمس وعشرين ألف سنة تخميناً بحسب الارصاد الجديدة ، او غيرها من الايام الالهية التى بحسب الادوار القرآنية للكواكب السبعة فان جميعها ليست الامقادير الحركات الكلّية ، وهى متأخرة عن وجود الاجرام الكرية الدورية الحركات كالافلاك ومافيها ، فكيف يكون ظرفاً لوجود هذه الاجرام بأنفسها و مقداراً لاصل تكوّنها عنه تعالى .

واكثر المشتغلين بالعلوم العقلية اعترفوا بالعجز عن تطبيق هذا الحكم على القوانين الحكمية ، لان الحكماء اقاموا حججاً فلسفية على ان وجود الافلاك والفلكيات ليس الا على سبيل الانشاء الابداعى ، لاعلى نهج التدرج فى الحصول ، ولا لاجل الاسباب الجسمانية ، كاستعداد القوابل وتهيئة الالات ، وكذا فنائها ليس بالذبول والضعف والمرض ، بل مجرد ارادة الصانع البديع ، فهذا الاشكال غير منحل الى الان .

وغاية ما ذكر هيهنا هو قول بعض المحققين من العرفاء (١) فى تأويل هذه الاية وأمثاله ، وهو ان يكون الخلق فيها بمعنى الاحتجاب فقوله ﴿خلق السموات والارض وما بينهما﴾ اى : احتجب بها فى الايام الستة الالهية ، التى هى مدة دور الخفاء من لدن آدم عليه السلام الى دور محمد صلى الله عليه وآله .

وانت خبير بأن خروج الالفاظ القرآنية عن معانيها المتعارفة المشهورة توجب

(١) التفسير المنسوب الى محى الدين ج٢ ص٢٧٣ .

تحيّر الناظرين فيها، والقرآن نازل لهداية العباد وتعليمهم وتسهيل الامرعليهم مهما أمكن لا للتعقيد والاشكال ، فيجب ان يكون اللغات محمولة على معانيها الوضعية المشهورة بين الناس ، لئلا يوجب عليهم الالتباس .

كشف الهامى

قد منّ الله علينا فى تحقيق هذه الاية ونظائرها بما يشفى العليل ويروى الغليل من غير حاجة الى صرف اللفظ عن مفهومه الظاهر ، وهو يستدعى تمهيد مقدمات :

اولاها : ان الامور الصادرة عن الحق أقسام :

أولها مالايحتاج فى وجوده وتعقله الى قابل وحركة وزمان ، ومنها مايحتاج اليها فى وجوده لافى تعقله ، ومنها مايحتاج اليها فى الوجودين ، فالاول كالعقول ، التى هى ضرب من ملائكة الله ، ويقال لامثاله الامور الالهية ، والثانى كالعدد والمقادير ، ويقال لها الرياضيات ، والثالث كأشخاص الاجسام الطبيعية وغيرها ، ويقال لها الطبيعيات .

وثانيها : ان لوجود كل من هذه الموجودات عالماً آخر ، فالدنيا للامور الطبيعية ، وهى عالم الشهادة وعالم الحس، والاخرة للامور المقدارية من غير مادة ، ويقال لها : عالم الغيب وعالم الجزاء ، وما هو فوقهما للامور الربانية ، ولكل من هذه الموجودات مشعر آخر للانسان ، فبالحس يدرك الدنيا وما فيها ، وبالخاطر والعقل يدرك الامور الاخروية ، وبالروح والعقل النظرى يدرك الامور الالهية .

وثالثها : ان الشىء قد يكون بحسب حقيقته وماهيته من الامور العقلية ، وبحسب تشخصه من الامور المفتقرة الى المادة وانفعالها ، كالجواهر الصورية التى تقوم المادة وعوارضها بحسب سنخ تجوهرها، واما بحسب تعينها الخاص وعوارض تعينها فهى مما تقوّمها المادة وانفعالاتها .

ورابعها : ان الافلاك ومافيها يفتقر الى المادة وعوارضها الانفعالية فى التشكل

و المكان وغيرهما من المشخصات .

و خامسها : ان تشخص الشيء عبارة عن كونه مدركاً بالادراك الحسى ، واماالمحسوس بماهو محسوس اىقابل‌لان يناله الحس فوجوده انما يتقوم بانفعال المادة وعوارضها ، وكذاالجوهر الحاس مفتقرفي‌وجوده الى مادة محسوسة .

وسادسها ، ان الامر التدريجي الوجود من‌حيث هو كذلك زمان بقائه عين زمان حدوثه .

فاذاتمهدت المقدمات . فنقول :

لما اشتهر ان ابتداء وجود العالم مقارن لابتداء وجود بنى آدم ، لانه من الانواع الشريفة التى لاينفك العالم عن وجودها المستحفظ‌نوعها ببقاء الاشخاص، وجميع العقلاء قائلون‌بان‌للكاينات‌ابتداء وانقضاء بحسب‌الادوار والاكوار والطوفانات العظيمة ، حتى أن بعض الحكماء ذكر كيفية نشو الانسان من‌غير توالد عند ابتداء الكائنات ، وعلمت أن كيفية وضع‌السماء على‌هذه الهيئة المخصوصة‌ليست‌الابامور زائدة على‌ذاتها ، وتلك‌الامورمفتقرة الى انفعال المادة وتغيراتها ،والهيولى‌حقيقتها محض الانفعال والقوة والدثور والتغير ، حتى‌قيل انها من باب الحركةفى‌جوهرية الشيء : ثم ان اسم السماء كانها معتبر فى معناه الفوقية ، لانها موضوعة للحقيقة السماوية مع هذاالشكل المخصوص المحسوس ، وهذه الهيئات المخصوصة من الفوقية وغيرها ، والعرب يقول : «سماء كل‌شيء سقفه» وكذاالفلك معتبرفى معنى اسمه الحركة الدورية ، لانه‌مأخوذ من‌فلكة المغزل ، ولهذايقال بالفارسية «آسمان» اى : المشابه للرحى .

فحينئذ بحكم المقدمة الاخيرة يكون حدوث السماء بما هى سماء حاصلا بالتدريج المفتقر الى زمان يقع فيه ، وأما وجود الزمان والحركة فهمامفتقران‌الى أصل حقيقةالسماء ، لاعلى وجه دورى مستحيل ، بل‌على‌الوجه‌الذى‌حققه الراسخون فى‌العلم عند كيفية استناد كل‌متغير الى‌ثابت ، وهذاأمريحتاج تحقيقه الى‌مقام آخر لبسط المقال ، ومجال اوسع من‌هذاالمجال .

فقدثبت ان السماء بماهى شخصية محسوسة وكذاغيرها من الامور المحسوسة المادية الموجودة فى عالم الدنيا أمر زمانى الوجود ، تدريجى الحصول ، مدة كونها البقائى عين مدة حدوثها الانشائى ، فهذه المدة المضروبة فى الكلام الالهى هى مدة بقاء وجودها الذى هو عين الحدوث ، ويشير الى هذا قوله سبحانه : ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ [٢٩/٥٥] .

واما قوله ﷺ : **جف القلم بماهو كائن الى يوم القيامة**(١) فهو بالقياس الى عالم آخر فوق الدنيا وما فيها ، ولو نظرت حق النظر الى حقيقة كل أمر متغير محسوس من حيث حقيقته الثابتة العقلية ، وجدتها خارجة عن الزمان والمكان ، مرتفعة عن التجدد والتغير والحدثان ، وعن قول « أين » و« متى » ، فان قولنا « الله عالم » و« الانسان انسان » و« الفلك فلك » لاتعلق لها بهنا وهناك ، ولا بغد وامس ، فكذا حكم جميع الصفات الذاتية للاشياء ولوازم الماهيات ، فلو ارتفعت الحواس منا لارتفعت بارتفاعها جميع الاعتقادات الزمانية والمكانية الواقعة ، وتبدلت الارض غير الارض ، والسموات غير السموات ، لكونها مطويات بيمين الحق ، كما قال بعض الناظمين من حكماء فرس وهو السنائى المسمى بالالهى(٢) . شعر :

تازمين دل آدمى زايست خيمه روزگار بر پايست
آدمى چون نهادسر درخواب خيمه اوشود گسسته طناب

* * *

فقد انكشف مما بينّا بوجه حكمى سرّ كون السموات والارض وما بينهما مخلوقة فى ستة ايام من الايام الالهية ، وهى من يوم السبت الى يوم الخميس يوم ولادة عيسى بن مريم عليه السلام ، وأما يوم الجمعة فابتداؤه وصبيحته وقت بعثة رسول الله ﷺ وهو رسول آخر الزمان ، وامام الجماعة من الانبياء والاولياء ، وخطيب يوم الجمعة،

(١) من الاحاديث النبوية المشهورة . راجع البخارى : باب القدر ١٥٢/٨

(٢) حديقة الحقيقة للسنائى ١٢٧ وفيه : تا زمين جاى.....

وداعي الله والمنادى للصلوة في هذا اليوم، وهي ذكر الله تعالى وشهود وحدانيته، لقوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ [٩/٦٢]

* * *

وقد قلت ابياتاً في هذا المعنى عند انشراح صدري وانفتاح قلبي في ذكري وهي هذه . ـ شعر ـ :

چون ظهور دين پيغمبر شدى — دين توحيد خدا ظاهر شدى
مسجد جامع بانجام آمده — در يكى هفته باتمام آمده
روز اين هفته بود هر يك هزار — زين شمار دورۀ ليل و نهار
« ان يوماً عند ربك » را بخوان — پس ز آدم تا بخاتم هفته دان
روز جمعه چون شدى گاه نماز — شد خطيب أنبياء اندر نياز
در ميان روز آدينه يكى — ميشود قائم قيامت بى شكى
بانگ قدقامت بگوش مردمان — ميرسد پيش از قيامت يكزمان
مرتفع شد آفتاب معرفت — تا بسمت الرأس زين عالى صفت
اين مؤذن گفته «قدقامت صلوة» — اول اين روز اعلامى بگاه
جذبۀ «فاسعوا الى ذكر الله» است — دردرون هر كسى كاندر رهست
اول اين روز وقت بعثت است — كه محمد ﷺ را رسالت شد درست
از أذانش خفتگان آگه شدند — روح قدسى باملائك صف زدند
تو «زقدقامت» كجا دارى خبر — كز قيامت نيست درجانت اثر

﴿ تبيان ﴾

قد تحيرت أفهام العقلاء وأفكار العلماء في معنى استواه تعالى على العرش، وانقسموا في متشابهات القرآن الى مجسم كالحنابلة والى مأول كالمعتزلة والى

مقتصد ـ مجسم في البعض و مأول في البعض ـ كاصحابنا الاماميين ليسوا في مرتبة اسراف المأولين في رفع الظواهر ، ولافي مرتبةتقصير المجسمة في حسم باب التاويل

وهناقسم رابع هم الراسخون في العلم المشار اليهم في قوله تعالى: ﴿ومايعلم تأويله الاالله والراسخون في العلم﴾ [٧/٣] على قرائة الوصل ـ وقداشرنا الى طريقتهم في تفسيرنا لاية الكرسي وذكرنا هناك أنموزجاً من مقامهم في كلام الله الملك العلام بمقتضى دينهم وديانتهم في ضبط الفاظ الكتاب المجيد عن التحريف والتحديد،فان مقتضى الدين والديانة و رعاية الضبط والامانة أن لايأول المؤمن شيئاً من الاعيان التي نطق بها القرآن والحديث، الابصورها كماجاء وفسرها علماء التفسير الواقعين في عهد النبي (ص) والائمة الماضين المعصومين عن الخطاء سلام الله عليهم اجمعين

اللهم الاان يكون محققاًخصصه الله تعالى بكشف الحقايق والمعاني والاسرار والاشارات في فهم التنزيل وتحقيق التأويل ، فاذا كوشف بمعنى خاص اواشارة وتحقيق وتقرر ذلك المعنى من غيران يبطل صورة الاعيان ، مثل الجنة والنار والميزان ، ومافي الجنة من الحور والقصور و الانهار والاشجار ومافي النار من الحميم والزقوم وتصلية جحيم والمهل يشوى في البطون كغلي الحميم ، وغيرها من العرش والكرسي والشمس والقمر والليل والنهار ، لايأول منها شيئاً على مجرد المفهوم ويبطل صورته، بل يثبت تلك الاعيان كماجاء ويفهم منها حقائقها ومعانيها ، فان الله تعالى ماخلق شيئاً في عالم الصورة الاوله نظير في عالم المعنى ، وماخلق شيئاً في عالم المعنى وهو الاخرة الاوله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جداً ، وماخلق شيئاًفي العالمين الاوله مثال وانموزج في عالم الانسان .

فاذاعرفت هذا على الكشف واليقين فقداعتصمت بحبل متين من حبال القرآن المبين ، واستمسكت بعروةوثقى من عروة الدين ـ فالزم .

واعلم ان مثال العرش في العالم الصغير الانساني قلبه ، اذ هو محل استواء الروح عليه بخلافة الله تعالى ، فكما أن كون القلب ـ بل البخار اللطيف الذي فيه مستوى للنفس الانسانية بل للروح العقلي لايوجب تجسماً لها ،لان حقيقةهذاالاستواء

ليس كاستواء جسم على جسم ، بل هذا تجلّ للروح بواسطة قوتها العملية فى القلب وظهور منها عليه يوجب استعمالهاله وتحريكها اياه بحيث يكون آثارها فى سائر الاعضاء وغيرها بواسطة القلب ، فمايفعل فعلا الاويظهر أولا أثرمن الروح فى قلبه ، ثم يسرى منه فى الاعضاء الالية ، ثم فى الات الخارجية ان كان فعلاخارجياً يفتقر اليها ، ثم يوجد ذلك الشيء الذى يقال انه اثر النفس كالكتابة فى مادة خارجية كالمداد وصفحة القرطاس فكذلك معنى استوائه تعالى على العرش استعماله تعالى اياه بواسطة ملك مقرب هو مثال رحمانيته وتجليه له وظهوره فيه ، بحيث لايتكون متكون فى عالم العناصر الا و يظهر أصله فى عرش الله ، ثم بواسطته يسرى فى عالم السموات التى هى بمنزلة الاعصاب والرباطات للانسان الكبير ، ثم يوجد فى هذا العالم صورة منه فى هيولى العنصريات التى هى مداد كلمات الله على صفحة الارض ، وهى المعبر بالبحر المسجور و اليها الاشارة فى قوله تعالى : ﴿ لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل انتنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مدداً ﴾ [١٨/١٠٩] .

و هيهنا اسرار عظيمة عزيزة اعز وأرفع من أن يمكن كشفها على غير أهلها كماهو حقه ، بهايتبين تمام المضاهاة بين فعل الادمى داخل العالم الصغير وخارجه، وفعل القدرة الالهية داخل العالم الكبير و خارجه ، فان من لم يعرف شمول جوهر النفس الادمية جميع أفاعيلها الغيبية والشهادية ، الداخلة والخارجة ، يرجع ويقول اغتراراً بظواهر ماوصل اليه من كتب الحكماء اوفهمه من كتب الاطباء ان فعل النفس لذاتها ليس الاادراك المعقولات ، واما الافاعيل البدنية الداخلة فهى منسوبة الى القوى كالهاضمة والجاذبة و الدافعة و غيرها ، أما الافاعيل الخارجة كالكتابة و الحياكة والصياغة فهى منسوبة الى الاعضاء بواسطة الالات الصناعية ، فلم يتم فى حقه كون النفس مثالا للرب تعالى ذاتاً و صفة وفعلا وآثاراً ، ولم يتم عنده التوحيد الافعالى المستفاد فى هذه الاية من قوله : ﴿ مالكم من دونه من ولى ولاشفيع افلاتتذكرون ﴾ [٣٢/٤].

ثم لايخفى ان المكونات العنصرية خارجة عن العالم الكبير الحيوانى لماثبت

فى مباحث الغايات لحركات السماويات ان لها فى حركاتها اغراضاعلويةومايترتب على فعل الافلاك والسماويات ليس بالذات وجود العنصريات ، كماأن الفعل الذاتى للنفس هى الارادات والتدبرات ثم بواسطتها انشاء الحوادث فى عالمها الخاص ـ أعنى بدنها ـ وغاية فعلها مايلحق اليها من الحكم و المصالح والخيرات او اللذات، وأما الفعل الخارجى فهو فعل تبعى ، و اما الغاية الخارجية كتسود وجه القرطاس ، فهى غاية عرضية بأحد الوجوه المذكورة فى بابها .

و بالجملة فكما ان فى الحيوان توجد امور لايسرى اليه الحيوة الا بالتبع كالظفر والشعر والظلف والقرن ، فان هذه كثائف يؤدى اليها البخارات والادخنة المزاجية ، فينجمد عندها وينقطع دونها أثر تصرف النفس فى انشاء الروح الغريزى النفسانى ، الحامل للحيوة والحس والحركة الارادى ، فهى حية بحيوة البدن بالعرض فكذلك فى الوجود امور يقال لها فى عرف العرفاء «الاثار» وهى عبارة عن الموجودات العرضية التبعية ، التى ليست الطبيعة الكلية متوجهة اليها، ولا هى غايات ذاتية للحركات الكلية ، وهذه كالشخصيات العنصرية ،فهى واقعة فى الوجود اتفاقاً بهذا المعنى الذى ذكرناه ، كماان وجود الكثائف والاوساخ التى تحصل فى دكة القصاب وينتفع بها الذباب ليس من الغاية الذاتية لصنعة القصابين ، بل هى امور ضرورية :اتفاقية لازمة للصنعة المذكورة من غير توجه الفاعل اليها بالذات .

و الله سبحانه عالم قادر بجميع الاشياء لايعزب عن علمه شىء فى الارض ولافى السماء ، الاان غاية ايجاده للكائنات وجود العقول النظرية العارفة لذاته تعالى لقوله : ﴿وماخلقت الجن والانس الاليعبدون﴾ [۵۱/۵۶] واماغيرهامن الشخصيات الكائنة الفاسدة فوجودها خارج عن القصد الذاتى ، لانهاطفيل ذات الانسان الكامل .

ومن هيهنا استتم وجه من وجوه المضاهاة بين فعل النفس خارج البدن ، وبين فعل الله تعالى بواسطة العرش فيمادون السموات فى كون كل منهما اثرمن آثار فاعل قادر حكيم مدبر .

بسط حكمة رحمانية

ان استوائه تعالى على العرش بعد الفراغ من خلق الانواع على نهج الابداع تصرفه تعالى فى العالم بواسطته وتـدبيره الامور بوسيلة تحريك السماء الموجب لحدوث الاشياء المتجددة ، وانما خص العرش بالاستواء لانه مبدء الاجسام (الاشياء ـن) اللطيفة القابلة للفيض الرحمانى .

وعند بعضهم العرش فلك عظيم مشتمل على جميع الاجرام الفلكية والكوكبية يحيط به سطحان: أحدهما مقعر مائل القمر ، والاخر ما هو منتهى الاشارة الحسية اى جهة الفوق الحقيقى ، وهو متحرك بالحركة اليومية السريعة الحافظة للزمان المحيطة بسائر الحركات المستديرة ، وبه يتجدد الابعاد المكانية والزمـانية ، والحوادث والاستعدادات و غيرها ، فما من حادث من الحوادث من الحركة والاجسام الكائنة والفاسدة الا وللعرش مدخل فى وجوده وعدمه ، كما أن القلب الانسانى رئيس سائر الاعضاء ولايسرى قوة الحيوة والحس والحركة الفائضة من النفس على البدن الا بتوسط القلب فانه اول مايتحرك من أعضاء البدن ، وآخر ما يسكن منها ، فهو بحسب حقيقته وذاته محيط بالبدن.

والنفس مستو عليه على مثـال استواء الرحمان على العرش ، فان الاستواء صفة من صفاته تعالى لايشبه استواء المخلوقين ، كالعلم وساير الصفات ، لاشتراك بينه تعالى وبين الخلق الا بحسب الاسم والحكاية ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [١١/٤٢] وهذه الاية توجب نفى المثـل واثبات المثال ، ولا مثال له تعالى ذاتاً وصفاتاً وأفعالا فى الوجود الاالنفس الادمية بحسب جمعيته الاحدية .

ولو أمعنت النظر فى خصوصية خلافتك للحق تعالى لعرفت نفسك فعرفت ربك ، وذلك ان الله تعالى لما أراد خلق شخصك من النطفة المودعة فى الرحم ، استعمل روحك بخلافته ليتصرف فى النطفة ، وهو بذر شجرة عالمك وبدنك ، كما

ان الهيولى الكلية المطلقة بذرشجرة العالم الجسمانى التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، فتصرفت فيها أيام الحمل فى أطوارها ، فجعلها عالما صغيراً مناسباً للعالم الكبير ، فتكون المعدة بمثابة الارض والرأس بمثابة السماء والقلب بمثابة العرش والصدر لمكان الكبد بمثابة الكرسى ، وهذا كله بتدبير الروح وتصرفه خلافة عن ربه .

ثم استوى الروح بعد فراغه من الشخص الكامل على عرش القلب ، لااستواءاً مكانياً ، بل استواءاً ارتباطياً تعلقياً معنوياً ، ليتصرف فى جميع أجزاء الشخص ، وتدبر اموره بافاضة فيضه على القلب أولا ، ثم من القلب على الكبد والدماغ والاعضاء الشريفة الرئيسة ثانيا ، ثم على سائر الاعضاء والجوارح بتوسطها ، فالعرش مقسم فيض الحق على العالم كله كما ان القلب مقسم فيض الروح الى القالب كله .

فاذا تأملت فى هذا المثال تأملا شافيــاً وجدته فى نفى التشبيه عن الصفات المقدسة المنزهة كافياً ، وتحققت بحقيقة قوله ﷺ(١) : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » انشاء الله .

تلويح عرشى

لايسترعلى العارف المكاشف ان فى الوجود وجوهاً من المشابهة والمماثلة بين القلب الانسانى وعرش الرحمان ، ذكرنا فى بعض كتبنا العرفانية بوجه تفصيلى لابأس بذكر جملة منها على وجه التلخيص وهى خمسه :

الاول : انهما يشتركان فى كونهما محل استواء الرحمان ، اما العرش فلدلالة هذه الاية ونظائرها على كونه كذلك ، و اما قلب المؤمن العارف فلقوله تعالى فى القرآن : ﴿ هو معكم اينما كنتم ﴾ [۴/۵۷] وفى الحديث القدسى : « **ياداود فرغ لى بيتا ، انا عند المنكسرة قلوبهم** » .

(١) مصباح الشريعة : الباب ۶۲ ص۴۱ ونسبه ابن ابى الحديد ج۴ ص۵۴۷ الى على عليه السلام .

وروى ايضا انه سئل عن رسول الله ﷺ(١) : اين الله ؟ فقال : «**فى قلوب عباده**» فعليك ان تتفحص القلب الانسانى ، فاذا وجدت وصرت ذا قلب فقد وجدت بيت الله ، لان الروح محل معرفة الله ، **و قلب المؤمن عرش الله** وهو لطيفة صافية ينبعث من صفوة الاخلاط الاربعة وبخاريتها ودخانيتها ، كما ان السماء وهى دخان حاصلة من صفو الأجرام ودخانيتها .

الثانى : كونهما بين اصبعين من اصابع الرحمان ، والاصبعان هما النفس والعقل، المحركان للاشياء ،أحدهمابالمباشرة والتدبير،وثانيهما بالامداد والتشويق، وهما ملكان مقربان روحانيان . أحدهما عقلى والاخرنفسى ، اماكون العرش بينهما فلما ثبت أن وجوده بعد القلم واللوح المعبران عن العقل والنفس والقضاء والقدر ، وأماكون القلب بينهما فلكونه مسببا عن القوة العاقلة والعاملة من الروح الانسانى .

الثالث : اشتراكهما فى السعة والاحاطة ، اما العرش فلقوله تعالى :﴿وسع كرسيّه السموات والارض﴾ [٢٥٥/٢] والعرش وسع الكرسى فيكون أوسع منه ومما يحويه ويسعه ، ولكثيرمن الاحاديث الدالة على ان العرش محيط بما فى هذا العالم الجسمانى ، واما قلب العارف فلقوله تعالى(٢) : «**لايسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن**» .

وأنت اذا تأملت فى احضارك لكل شىء تريده فى قلبك ، من الافلاك العظيمة والكواكب بأى مقدار وعدد شئت ، واخطارك الصحارى الوسيعة فى بالك بأى سعة شئت، والخلائق الكثيرة بأى كثرة شئت، فلاتتعجب فى قول أبى يزيدالبسطامى: «لوأن العرش وماحواه ألف مرة دخل فى زاوية من زوايا قلب أبى يزيد لما أحس به» وماقيل: ان العرش مع نسبته باستواء الرحمانية كحلقة ملقاة بين السماء والارض

(١-٢) قال العراقى : لم اجده بهذا اللفظ . وللطبرانى من حديث ابى عتبة الخولانى يرفعه الى النبى ﷺ قال : « ان لله آنية من اهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين . . . الحديث » . ذيل احياء العلوم : ١٥/٣ .

بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن.

الرابع : ان كلامنهما بمنزلة السرير للسلطان تحته أربعة أركان ، وفوقه أربعة قوائم ، أما الاربعة الفوقانية فهى العقل العملى والنفس والروح القدسى والطبع ، وكل منها ملك عظيم ، واما الاربعة التحتانية فهى الارض والماء والنار والهواء ، ولكل صورة من صور العناصر حقيقة روحانية وهو ملك ربانى يدبرها ويربيها باذن مبدع الكل ، فاذا اتصل كل مستفيض بمفيضه ، وانصب كل ماء باناته ، وانضم كل معلول الى علته ، وصارعرش الله بارزاً ، وبرز كل الحقايق لله الواحد القهار ، ينضم هذه الاربعة الجسمانية بتلك الاربعة الروحانية وتصير ثمانية ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ [۱۷/۶۹] وهى الانوار القاهرة القدسية ، أرباب الاصنام العنصرية مع طبايعها الاربعة التىهى الصور النوعية ، يحمله بالاجتماع من الطرفين ـ العلوى والسفلى ـ عند البعث والنشور من كل طرف أربعة فيكونون ثمانية ، أى عند النشور .

ولهذا قال (۱) ﷺ : على ماروى عنه : **هم اليوم اربعة ، فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية .**

ولكون تلك الأملاك مختلفة الحقايق بحسب اختلاف اصنامها العنصرية قال بعضهم انهم على صور مختلفة ، ولكونها مستولية مستعلية على تلك الاجرام شبهت بالاوعال (۲) وسميت بها تشبيهاً لاجرامها بالجبال ، ولكونها شاملة لتلك الأجرام بالغة الى افاضتها حيثما بلغت لازمة لها فاعلة ايضاً فيها .

قال بعضهم : هى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون ، مسبحون لله ، والله أعلم بحقائق الامور .

الوجه الخامس : ان كلا منهما نهاية الجسمانيات وبداية الروحانيات ، وكل

---

(۱) الدر المنثور : ۳۴۶/۵ و ۲۶۱/۶

(۲) الدر المنثور : ۲۶۱/۶

منهما صورة الصور فى‌هذا العالم ومادة المواد فى‌عالم الاخرة ، وكل‌منهما برزخ جامع بوجه و حد فاصل بوجه ، وخط واصل وصراط ممدود على متن جهنم ، وطريق مستقيم الى الله تعالى ، وكل منهما بمنزلة سور ذوبابين ، باب داخلى الى عالم الرحمة والرضوان ، لا يلج من يلج ملكوت السموات الا من هذا الباب ، وباب خارجى الى‌عالم المقت والنيران ، لاينزل ماينزل الى‌منازل الشياطين ومزابل الملاعين الا من هذا الباب كما اشير اليه فى قوله تعالى : ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ [۱۳/۵۷] والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب.

قوله سبحانه :

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

«الامر» هو وجود الاشياء فى أنفسها ، وتدبير الوجود المطلق من الله تعالى هوافاضته بالفيض الايجادى المعبرعند بعض العارفين بالنفس الرحمانى ، فان علمه تعالى بالاشياء عين موجوديته لها .

وقوله : «من السماء الى الارض» اشارة الى الموجودات الواقعة فى سلسلة البدو والصادرة على سنة الابداع من غير مدخلية الحركات والاستعدادات ، اذ الوجودابتدأ منه بأن‌أبدع أولا عقلاقدسياً مع مايتلوه فى‌الشرف من العقول‌القادسة، وعالمها عالم القضاء وعالم القلم الاعلى ، ثم أبدع نفساً كلياً متعلقاً بالفلك مع‌سائر النفوس‌الفلكية التى دونها فى‌الشرف ، وعالمها عالم القدر وعالم‌اللوح المحفوظ، ثم الصور النوعية وقواها و كيفياتها، ثم الصور الجرمية الامتدادية ، ثم الهيوليات الفلكية والعنصرية ، واحدة للعنصريات والتسع الباقية للفلكيات ، لانها تسع جمل

كما بيّن عددها وترتيبها بالرصد والحساب فى علم الهيئة .

وقوله تعالى « ثم يعرج اليه » اشارة الى وجود سلسلة العود اليه ورجوع الاشياء الى فطرتها الاصلية ، وذلك بتمزيج العناصر الحاصلة من هيولى هذا العالم وتحصيل مزاج متوسط بين الاضداد ، معتدل بعيد عن الفساد ، مظهر اسم الله الجامع المستحق لخلافته تعالى ، فيبتدىء الوجود فيها من أخس الموجودات رتبة الى الاشرف فالاشرف ، وهى الهيولى الاولى، ثم الجسم المطلق ، ثم المركب المعدنى، ثم النبات ، ثم الحيوان، ثم الانسان ، ثم ذو العقل الهيولانى ، ثم ذو العقل بالملكة ، ثم ذو العقل بالفعل ، وهلـمّ جراً الى مرتبة الانبياء والاولياء الواصلين الى عالم الربوبية ومجاورة الحق الاول والملائكة المقربين .

وقوله تعالى : ﴿فى يوم كان مقداره الف سنة مماتعدون﴾ يحتمل ان يكون ظرفاً لقوله : «يدبر الامر» مع مايتلوه ، او لقوله : «ثم يرجع اليه» وعلى الوجهين لاتفاوت فى التقدير لان التقدير بالزمان يختص بسلسلة العائدات ، واما البادئات فوجودها عنه تعالى دفعى كلمح البصر لايتقدر بالزمان أصلا .

تبصرة

قيل : «الامر» هو المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبراً من السماء الى الارض ، ثم لايعمل به ولايصعد اليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده ويرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لايوصف بالصعود الا الخالص، ودل عليه قوله تعالى على اثره «قليلا ماتشكرون»

اويدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كماقال : ﴿وان يوما عند ربك كالف سنة مماتعدون﴾ [٢٢/٤٧].

ثم يعرج اليه «اى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة مايرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود ، الى أن تبلغ

المدة آخرها ، ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جراً الى أن تقوم الساعة .

وقيل : ينزل الوحى مع جبرئيل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى او رده مع جبرئيل عليه السلام، وذلك فى وقت هو بالحقيقة كالف سنة ، لان لمسافة مسيرة الف سنة فى الهبوط والصعود لان مابين السماء والارض مسيرة خمسمأة سنة ، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبرئيل عليه السلام ، لانه يقطع مسيرة الف سنة فى يوم واحد ، وقيل : يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله، اى يصير اليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة ــ وهو يوم القيامة ــ .

* * *

وانى أقول ــ والعلم عندالله ــ يحتمل أن يكون «الامر» فى قوله «يدبر الامر» اشارة الى الروح الانسانى لقوله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ [١٧/٨٥] وذلك لمروره على مراتب الموجودات عند خروجه عن مقام الفطرة الاصلية ونزوله فى العالم الارضى بحسب الانسلاخ عن عالمه الاعلى، ثم عروجه من هذا العالم الاسفل بحسب العلم والعمل ــ ان ساعده التوفيق من الازل ــ الى مقامه الاصلى لقوله سبحانه ﴿لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [٩٥/٤-٥] .

وكون بدو وجود الروح الانسانى من عالم القدس لاينافى قوله تعالى : ﴿وبدء خلق الانسان من طين﴾ [٣٢/٧] لان الخلق لكونه بمعنى التقدير عبارة عن جسمية الانسان وقالبه، وفطرة الروح غير فطرة البدن ، لان بداية أحدهما من التراب وبداية الاخر من رب الارباب ، ما للتراب ورب الارباب .

تفصيل تنبيهي

انما ذكرناه من مرور الحقيقة الانسانية والفطرة الادمية على جميع العوالم والنشآت، واستجماعها لجميع الحقائق من أعلى سماء عالم القدس الى أسفل أرض التجسم شيء استبشعه ذوق أرباب العلوم الرسمية، لعدم انطباقه على ملفقات أفكارهم القياسية، و أما ارباب الحكمة المتعالية والناظرون بعقولهم المستفادة من الحق وعيونهم المكحلة بنور التوحيد في الأسباب الاول والغايات الأخيرة لموضوعات علومهم ومعارفهم، فهم عارفون بأن علة الشيء كما أنها مقوم وجوده، فهي مقوم حده الحقيقي، وأن «ماهو» «ولم هو» أمر واحد في كل وجود صوري يحتمل البقاء الابدي اذ المجعول عندهم نحو وجود المعلول بالجعل البسيط، وهو عين هويته الخارجية التي هي وجه من وجوه علته الجاعلة، والعلة الجاعلة تمام حقيقة المعلول وصورته العقلية.

ثم ان كل موجود من الموجودات الكائنة في هذا العالم له طور واحد من الاطوار لايتعداه، الا الهوية الانسانية، فان لها قابلية الارتقاء من أسفل الاسافل الى أعلى الاعالي.

وهذا ايضاً يختص ببعض أفراد الانسان المسافر الى ربه في تمام القوس الصعودية من دائرة الوجوب، دون غيره الذي لايكون له هذه السعة من القابلية. وان قطع في سيره الضعيف مقدارا قليلا من تلك القوس النصفية الصعودية منها كباقي الحيوانات، بل ربما يكون اضل سبيلا وأضيق مجالا منها كما نطق به التنزيل.

والسر في هذا أن مواطن أفراد الانسان ومعاد كل صنف منه الى ماهو مبدء وجوده ان لم يمنعه عائق خارجي- فرب انسان يكون الحق علة وجوده ومباشر تكوينه بيديه فيكون اليه معاده كما منه بدؤه، ورب انسان يكون مبدء وجوده القريب أحد المبادي النازلة التي يكون في اخير المراتب.

بل ربما يكون وجوده بمدخلية بعض الشياطين، الذين هم من عمار عالم الشر والوسواس، فيكون مثل هذا الانسان الممسوس بنار الشيطان راجعاً الى أصله الذي

نشأمنه، فيحترق بالنار التي هي أصل وجوده، مثل هذا الاشرار، فكم بين من باشر الحق تسوية وجوده وتعديله وجمعه بين يديه المقدسين ثم نفخ بنفسه فيه من روحه نفخاً استلزم معرفة الاسماء كلها وسجود الملائكة له أجمعين واجلاسه مرتبة الخلافة والنيابة عنه في الكون، وبين من خلقه بيده الواحدة اوبواسطة ماشاء من الوسائط الوجودية الواقعة في سلسلة البدو، فلم يقبل من حكمى السوية والتعديل ماقبله من اختير واصطفى للخلافة .

* * *

وهذا الذي ذكرناه من تفاوت خلقة الانسان بحسب الفطرة الاصلية ممايستفاد من الاحاديث الكثيرة المختلفة الفحوى في الاخبار عن كيفية بدو الانسان ، وبه ايضاً يحصل التوفيق بين الجميع ، لان اختلاف المعاليل و المسببات في الحقيقة مما يستدعي اختلاف الاسباب والعلل، فان الذي ينفخ فيه الروح وهو الملك بالاذن - كما يدل عليه بعض الاخبار - كيف يكون مساوياً في الحقيقة لمن باشر الحق انشائه بيده

فانظر فيما روى عنه ﷺ انه قال:(١) يجمع خلق احدكم في بطن أمه اربعين يوماً نطفة ، ثم اربعين يوماً علقة ، ثم اربعين يوماً مضغة ، ثم يؤمر الملك فينفخ فيه الروح . فيقول : يارب أذكر ام انثى ؟ أشقي ام سعيد ؟ مارزقه ؟ وما اجله ؟ ما عمله فالحق يملي والملك يكتب .

فاين هذا من قوله تعالى: ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [٧٢/٣٨] وشتان ما بينهما ؟ اذ هاهنا أضاف المباشرة الى نفسه بضمير الافراد الرافع للاحتمال ، ولذلك فرغ بذلك من أبى و استكبر عن السجود له ولعنه و طرده ، وقال : ﴿ ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين ﴾ [٧٥/٣٨] .

---

(١) جاء مايقرب منه في المسند: ٣٨٢/١ و٤١٤ و الترمذي: ٤٤٦/٤ وسائر الصحاح وكذا روى ما يشبهه عن الصادق ؑ راجع الكافي: ١٣/٦ .

واكد ذلك ﷺ بامور كثيرة روى عنه، منها قوله: (١) **ان الله خلق آدم «على صورته» او «على صورة الرحمان» ولقوله «ان الله اذا خلق خلقاً للخلافة مسح بيمينه على ناصيته»** (٢) فنبه على مزيد الاهتمام والتخصيص قوله ﷺ: **«لاتسبوا عليا فانه ممسوس بنور الله»** (٣) فكيف يكون الممسوس بنور الله كالممسوس بنار الشيطان؟

وفي حديث آخر عنه ﷺ (٤) **ان الذى باشر الحق سبحانه ايجاده أربعة أشياء ـ ثم سردها فقال ـ:** «خلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وخلق آدم بيده».

وقال ايضاً: «الانسان اعجب موجود خلق» فافهم.

تبيين مقال لكشف حال

فلا يزال الانسان الكامل مباشراً في ساير مراتب الاستبداع الى ان ينزل الى اسفل عالم الاجتماع، فكان أولا متعيناً تعينه الخاص في علم الله ثم انفرز بارادته تعالى وظهوره في مقام القلم الاعلى، الذى هو العقل الاول المشتمل على عالم العقول، ثم في مقام اللوحى النفسى، ثم في مرتبة الطبيعة باعتبار ظهور حكمه في الاجسام، ثم في العرش المحدد للجهات مستوى اسم الرحمان، ثم في الكرسى الكريم مستوى اسم الرحيم، ثم في السموات السبع، ثم في صور العناصر المتعلقة بهيولى العنصريات، هذه غاية تدبير الامر النازل من سماء العقل الاول الاعلى الى ارض الهيولى السفلى، التى هى محض القوة و العدم، المشار اليها بقوله

---

(١) البحار: ج٤ ص١٢ البخارى ج٨ ص٦٢. المسند ج٢ ص٢٤٤.

(٢) الجامع الصغير: باب الالف ج١ص٦٧.

(٣) جاءفى المناقب: ٢٢١/٣: عن النبى ﷺ «لاتسبوا عليا فانه ممسوس فى ذات الله».

(٤) جاء فى الدر المنثور ٣٢١/٤ ما يقرب من هذا.

تعالى: ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً﴾ [٧٦/١] .

ثم شرع فى الصعود والارتقاء الى مانزل منهوالرجوع الى ما بدأمنه ، فصار بالامتزاج و حصول المزاج طينا ثم منيا فيه صورة حافظة للتركيب كالمعادن ، ثم صار مضغة قابلة للنمو كالنبات ، ثم صار علقة قابلة لان يلجه الروح ، ثم صاربشرا سميعا بصيراً ، ثم رجلا بـالغاً انفتح بصره قليلا الى مـا وراء هـذا العالم ، كما قال سبحانه ﴿ انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ﴾ انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا ﴾ [٧٦/ ٢ ـ ٣] وهلم الى ان يبلغ درجة العقول ، بل العقل الاعظم والقلم الاعلى ، لولم يعقه العوائق وقواطع الطريق .

واما كون زمانهذا الصعود ومدة هذاالارتقاء يوماًكان مقداره ألف سنة فهو شيء لايعلمه بخصوصه الا علام الغيوب ، اومن اصطفاه من رسوله ، او من ينتمى الى وصيه ، فان مكث الانسان فى كل عالم وحضرة يمر عليها بحسب طول مسافة سفره وتهيئة أسباب ارتحاله وانتفاع كل عالم من وجوده ، واستتمام أهل كل نشأة ومرتبة به وبخدمته ، وامداده وحسن تلقيه أولا ومشايعتهثانياً ، هو بحسب مايدركونه فيه منشيمة العناية وأثر الاختصاص وشرف الاصطفاء، ومامن عالميمر عليهالاوهو بصدد التعويق فى الانحراف المعنوى لغلبة صفة بعضالارواح يتصل حكمه عليه ، اوبعض الافلاك الذى ينوط به طالع ولادته البدنية ، اوبحسب دولة بعض الاسماء الالهية المدبرله . الذى هو طالعه الاسمائى قبل طالعه السمائى ، فيعوق او ينحرف عما يقتضيه حكم الاعتدال الجمعى الاستقامى الذى هو شأن من يختار النهاية من الانبياء والاولياء عليهم السلام ، ثم الامثل فالامثل .

فاذا دخل عالمالمولدات سيما منحين تعدى مرتبة المعدن الى مرتبة النبات وعالمه ان لم تصحبه العناية بحسنالمعونة والمرافقة والحرامة والرعاية حيف عليه فانه بصدد آفات كثيرة ، لانه عند دخوله عالم النبات ان لم يكن محروسا معتنا به فقد ينجذب فى بعض المناسبات التى يشتمل عليها جمعيته الى نبات ردى لاياكله حيوان ولا يأكله الابوان أو أحدهما ، ويفسد ذلك النبـات فيخرج منه الى عالم

العناصر ، و يبقى فيه حائراً عاجزاً حتى يعان ويتدارك بلطف جديد ؛ ويؤذن له في الدخول مرة اخرى بعد دخوله واتصاله بنبات صالح للتغذى، فربما عرضت له آفة من العناصرمن برد شديد او حرّمفرط او رطوبة زائدة او يبس بالغ ، فيتلف ويخرج يستأنف دخولا آخر هكذا مراراً شتى حسب ماشاء الله وقدر .

ثم على تقدير سلامته مماذكرناه بسبب الرعاية والحراسة وباقى النعم التى يستدعيها استحقاقه ، ربما تـّم فى صورةنبات لكن تناوله حيوان ولم يقدر للابوين أكله او أكل ذلك الحيوان لمانع من الموانع لما لميكن رزق الذين سبق فى علم الله أن يكونا أبويه ، واذاقدر مواطاة كلما ذكرنا و تناوله الشخصان المعينان فى العلم أن يكونا ابويهاوأحدهما ،وصار ذلك النبات كيلوساً ثمدماًثم منياً، فانه قد يخرج على غير الوجه الذى يقتضى تكوينه فهو مفتقر الى نعمة الحراسة والرعاية فى كل مرتبة وحال الى حال مسقط النطفة مدخلا كريماً وحال انفصاله ونزوله عن الوالدة منزلا مباركاً ، فان لمسقط النطفة ومسقط الرأس فى امر الانسان الكامل الجامع للاسماء مدخلا عظيماً من حيث ظاهره وباطنه .

وجملة القول انه ما من مرتبة من هذه المراتب التى ذكرت ولم تذكر الا و يتصور للانسان تعوقات عما بصدده من السلوك الى عالم الربوبية بحسب امور شتى، من عدم توافق الاسباب الارضية ، وعدم اجتماع المعاونات الفلكية علىوضع يؤدى الى وجود مثل هذا الانسان الذى يستحق الارتقاء اليه تعالى ، وقطع القوس الصعودية تماماً ، او الحكم والمصالح التى يترتب على مكنته فى كل مرتبة وعالم التى يعلمها علام الغيوب ، حتى يخلص من الجميع ويصعد الى الله فى الترقى من مقام الى مقام ، ومن عالم الى عالم ، بأن يترقى من مقام الطبايع الى مقام المعادن بالاعتدال، ثم الىمقام النبات ، ثم الىالحيوان، ثم الىالانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ، ثم فى منازل السلوك كالانتباه و اليقظة والتوبة والانابة الى آخر ماأشار اليه أهل السلوك من منازل النفس ومناهل القلب ، ثم فى مراتب

الفناء فى الافعال والصفات الى الفناء فى الذات بما لايحصى كثرة .

* * *

ثم اعلم انه ليس فى قوله تعالى : « ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة » نص صريح على ان كل روح من الارواح المقدسة لابد وان يكون مدة مكثه نزولا وصعوداً مابين البدو والانتهاء هذا المقدار، بل يحتمل ان يكون بعضها هكذا وبعضها يقطع المسافة العروجية فى أقل مدة يتصور ، لان ذلك يتفاوت فى الناس بحسب مراتب جواهر ارواحهم ، لطافة و كثافة ، ومراتب توافق المعاونات والمعدات كثرة وقلة ، وتطابق الاوضاع للطالع السماوى ومقتضيات الطالع الاسمائى من حيث توجه الحق اليه شدة وضعفا بحسب ضرب من اعداد من الاسماء التى يقتضى سرعة العود لمظهرها اليها او اقل منهـا او بخلافهـا ، فرب انسان يقول : الان فى اذنى قول الحق فى الازل : « الست بربكم » وذلك لقله الحجاب وشدة الصفاء فى الفطرة .

كشف استفادى

لايبعد ان يكون اليوم المذكور المقدر بألف سنة من أيام الدنيا اشارة الى آخر الايام الاسبوعية الدنياوية التى ستة منها مضت وانقضت قبل هذا اليوم الاخر المسمى بالجمعة ، وهى الستة التى كان كل واحد منها ميلاد واحد من الانبياء العظام الستة ، الذين بهم وبمتابعتهم صعدت نفوس الشريفة الانسانية من أسفل سافلين الى اعلى عليين، وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، واما اليوم السابع وهو الذى للمحمديين من اولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين ، ووراثه الراسخين فى العلم ، الكاملين فى العمل، القائمين بأمرالله ، المعلنين كلمة الحق ، المستحفظين دينه الى زمان ظهور المهدى عليه السلام ، الذى به يكون غاية ارتفاع نهار هذا اليوم ، وغايـة سطوع شمس الحقيقة فى وسط سماء الاستقامة الحقيقية ، ومعدّل النهار الاعتدال الجمعى الكمالى ، فيه ظهور نور دين

التوحيد الالهى ، وانفلات ظلام الشرك الابليسى ،وانقماع الباطل الوهمى بالكلية، اذ به يملاء الله الارض قسطا وعدلا، بعدما ملئت ظلما وجوراً، وعند ذلك تقوم الساعة ، لان وجود الدنيا مبنى على الحجاب والاحتجاب ، وحيث رفع النقاب وانقشع السحاب ، فلا وجود للامع السراب ، لشدة اشراق الحقيقة الموجبة لاضمحلال الرسوم والاطلال والسحب والظلال، اضمحلال الجميد وذوبان الثلوج عند ارتفاع الشمس فى رابعة النهار .

واما اليوم المقدر بخمسين الف سنة فى قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ [٧٠/٤] فهو يوم من أيام الله تعالى العلىّ بالذات ، ذى المعارج العلى التى يعرجونها اهل القيامة الكبرى الى حضرته الذاتية ، وهى ايام السنة السرمدية من ابتداء الازل الى انتهاء الابد ، وهو غير هذا اليوم ، لانه يوم من ايام الرب ، المقدر بألف سنة الذى وقّت به التدبير . فى قوله تعالى : ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض فى يوم كان مقداره الف سنة مماتعدون ﴾ ووقّت به العذاب وانجاز الوعد فى قوله تعالى : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ [٢٢/٤٧] وهو اليوم الاخر من الاسبوع الذى هو مدة الدنيا ، المنتهية بنبوة خاتم الانبياء صلوات الله عليه وظهور دينه وانتشار نوره الذى يكمل فى آخر الزمان لقوله تعالى : ﴿ ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كرها لكافرون ﴾ [٩/٣٢] وان كان أول بعثته كان فى آخر اليوم السادس ، والى هذا السابع أشار بقوله ﷺ : «**ان استقامت امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم** » مع قوله : « **بعثت انا والساعة كهاتين** » ، كما مر ذكره .

وبالجملة فهذا يوم من الايام الالوهية، وهو مقدار اقتضاء الربوبية بظهور اسماء الله الغير المتناهية التى يندرج مع لاتناهيها فى الائمة السبعة ، وهى : الحى، العالم القادر ، السميع ، البصير، المتكلم ، المريد . ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ، مقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد

من اخوانه الى انتهائه بالتجلى الذاتى، وكما ان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى، الحاصل من ضرب ايام الدنيا فى عدد اسماء الربوبية ، وهو تسعة واربعين سنة ، وآخره الخميس (الخمسين - ن) الذى هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيامة الكبرى ، والله اعلم بحقائق الامور .

تنوير تمثيلى

اعلم ان الله تعالى وضع العالم على هيئة مدينة كاملة ، فيها مساجد وبيع وصلوات ، ولاهل الدين فيها مجالس ومجامع وجمعات وأعياد ، وكما ان للمدينة صناع وعمال لهم اجرة وأرزاق ، وفيها بيع وتجار يتعاملون بموازين ومكائيل ، ولهم مظالم وخصومات ، ولهم فيها قضاة وحكام وعدول، ولهم فقه وأحكام وفصول، وان من سنة القضاة والحكام البروز والجلوس لفصل القضاء فى كل سبعة أيام يوم واحد ، فهكذا يجرى حكم القضاء الالهى فى كل سبعة الف سنة مرة ، لعرض النفوس الجزئية لدى الملك الحق المبين ، لفصل القضاء بينها ﴿فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [٤٧/٢١] .

و روى عن النبى ﷺ انه قال : **عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها ألفا** (١) .

وقال : **لانبى بعدى على هذه الامة .**

يقوم القيامة وهو يوم العرض الثانى، كما ان يوم العرض الاول ما اشار تعالى اليه : ﴿واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾ [١٧٢/٧] وبين اليومين سبعة أيام ، كل يوم كألف سنة مما تعدون .

---

(١) الجامع الصغير : ١٧/٢ .

قوله سبحانه :

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾

ذلك المدبر «عالم» يكون علمه عين ايجاده للاشياء على أحكم وجه وأتقنه، وايجاده للاشياء على أبلغ النظام والاحكام عين علمه وتدبيره ، فيكون غيبه شهادة وشهادته غيباً وهو العزيزفي غاية العظمة والكبرياء، لبرائة ذاته عن وصمة الحدوث والامكان وعن شوب الاشتراك والمماثلة مع الماهيات ، «الرحيم» الذى يصل نور فيضه وأثر جوده الى كل عال وسافل ، وقاص ودان ، لكونه فى العلو الاعلى من جهة الذات والوجود ، والدنو الادنى من جهة الفيض والجود ، ولذا عقبه بقوله : «احسن كل شيء خلقه» فان ذاته لما كان فيغاية الجلالة والعظمة، وكان الموجودات كلها نتائج ذاته واشعة أنوار صفاته ، فيكون فى غاية ما يمكن من الحسن والجمال والكمال ، ولانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة الالهية ، واوجبته العناية الازلية، فيكون جميع المخلوقات حسنة فى غاية الحسن المتصور فى حقه ، وان تفاوتت وانقسمت الى حسن وأحسن اذا قيس بعضها الى بعض ، كما قال سبحانه : ﴿لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم﴾ [٩٥/٤] .

اما الشرور والافات التى يترأى فى نظر المحجوبين ، فهى ليست شروراً بالحقيقة ، لان الشر الحقيقى عدم او عدمى لاوجود له ، واما الذى يؤدى الى عدم ذات او عدم كمال الذات مما يسمى باسم الشر مجازاً فهو انما خلق لاجل النفع فى أشياء اخر ، لايهملها خالق القضاء والقدر ، وما يعد شراً فى تركه شر اكثربكثير منه ، وهوايضاً لايوجد الافى جزء من وجه الارض ، وهى حقيرة بالقياس الى سماء الدنيا الخالية عن هذه الافات مع حقارتها بالنسبة الى جملة السموات المقهورة ،

المطموسة تحت اشعة الأنوارالقادسات والقاهرات، الاسيرة كلها فى قبضة الرحمن ولا نسبة لعالم الامكان الذى هو مثار القصور والنقصان الى جناب الكبرياء الباهر برهانه على الضياء .

فقدلاح أن الوجود كله على أحسن ما يتصورمن الحسن والنظام،ولنابراهين نيرة على هذاالمطلب اوردناها فى مواضع من كتبنا علىوجه البسط والتحقيق، من أراد الوقوف عليها فليطلب من هناك ، والله ولى التوفيق .

وقيل: معنى «أحسن كل شيء خلقه» علم كيف يخلقه ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : **قيمة كل امرء مايحسنه** . (١) وحقيقته بحسن معرفته، اى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان ، وقرىء « خلقه » على البدل ، اى أحسن خلق كلشيء و«خلقه» على الوصف ، اى كل شيء خلقه فقد أحسنه .

قو له سبحانه :

وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

لما وصف خلقه بالحسن ولاريب فى أن حسن النظام بترتب الغاية المطلوبة منه ، وغاية ايجاد العالم كما بين ذاته تعالى معروفاً ومعلوماً كما دل عليه الحديث القدسى من قوله تعالى : **(كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لاعرف)** وحامل معرفةالله من جملة الاكوانالحادثة هوالروح الانسانية التى هىنور من أنوار الله الفائضة على اللطيفة القلبية ، وسره الواردة من امر« كن» على عرش

(١) نهج البلاغة : باب الحكم رقم ٨١ .

الجسم البخاری القلبی ، المشابه للجرم السماوی المنعوت بقوله تعالى: «وهی دخان» [١١/٤١] فأراد ان يشير عقيب ذكر احسان خلق كل شیء الى كيفية خلقة الانسان الذی هو الثمرة لوجود الخلائق .

ثم لما كانت حقيقة الانسان ذات جهتين ، مركبة من أصلين هما خلاصة العالمين : بدن هو صفوة الاجسام العنصرية ، وروح هی صفوة الارواح ـ كما أن العالم بتمامه منقسم الى غيب وشهادة ـ كذلك الانسان الذی هو على صورة العالم عالم صغير مشتمل على غيب وشهادة، ای روح وجسم، فأشار الى اصل تكوّن كل منهما وقدم بيان نشو البدن على بيان نشو الروح ، لكونه أظهر وجوداً وأجلى معرفة على المتوطنين فی دار المحسوسات ، فقال مشيراً الى انشاء البدن : «وبدء خلق الانسان من طين» هذا بحسب أصل خلقته الحدوثية فی أول شخص وجد كآدم عليه‌السلام فانه كان انساناً تولد من غير مادة باقية من شخص آخر او شخصين ، استعدت لوجود ذلك الانسان استعداداً قريباً .

ثم قال: «وجعل نسله من ماء مهين» ، وهذا بحسب وجوده البقائی التوالدی، الحاصل من بقية أصل بدنی، كان جزء من بدن مماثل للبدن اللاحق المسمی بالنسل، ای الذرية، وانما سميت ذرية الانسان نسلاله ، لانها تنسل منه ای تنفصل منه وتخرج من صلبه ، ونحوه قولهم للولد «سليل» و«نجل» .

وقال مشيراً الى انشاء الروح وابداعها « ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه» ونعم ما قال الزمخشری من قوله : ودل باضافة الروح الى ذاته على أنه خلق عجيب لايعلم كنهه الاهو، كقوله : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربی وما اوتيتم من العلم الاقليلا﴾ [٨٥/١٧] .

* * *

واعلم ان الخطب فی الروح عظيم والكلام فيه طويل، قلّ من الحكماء من حصّل معناه ، وقلّ من النظار من بلغ الى فحواه ، وليس هذا الروح المذكور فی هذا الموضع ما اثبته الاطباء وهو الجرم الشبيه بالاجرام السماوية ، لصفائه واعتداله

وتوسطه بين الكيفيات المتقابلة التى هى من أوائل الملموسات، والاطراف المتضادة والتوسط بين الكيفيات المتقابلات بمنزلة الخلو عنها .

وليس المراد منه ما سماه الحكماء « النفس الناطقة » التى هى جوهر مدبّر للبدن ، مرتبتها مرتبة العقل الهيولانى ولها استعداد الترقى الى مقام الروح الالهى الذى هو من أمر الله ، وكل ماكان من أمرالله وعالم جبروته وقاهريته فشأنه التأثير فى الاشياء بالقهر والابداع من غير انفعال واستكمال بما تحته، فكيف يكون منفعلا عن البدن ويكون الحاصل منه ومن المادة البدنية نوعاً طبيعياً ذامادة وصورة ،له تركيب اتحادى بينهما ،كما هو شأن النفس ، والنفس اذااثرت فى شيء ماأثرت الابتأييد هذا الروح المسمى عند بعضهم بالعقل الفعال .

واليه أشار النبى (ص) فى قوله : «ان الله تبارك وتعالى خلق العقل من نور مخزون مكنون فى سابق علمه الذى لم يطلع عليه نبى مرسل ولاملك مقرب ، وهو أول ماخلق الله ، قال له : «أدبر» فأدبر. ثم قال له: «أقبل» فأقبل. فقال : «تكلم» فقال : الحمدلله الذى ليس له ضد و لاند ، ولاشبيه ولا كفو ، ولاعديل ولامثل ، الذى كل شيء لعظمته خاضع ذليل .

فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا احسن منك ، ولا اطوع لى منك ، ولاارفع منك ، ولااشرف منك ، ولااعز منك ، بك احيى وبك آخذ ، وبك اعطى وبك اوحّد، وبك اعبد وبك ادعى، وبك ارتجى وبك ابتغى، وبك اخاف وبك احذر ، وبك الثواب وبك العقاب .

فخرّ العقل عند ذلك ساجداً فكان فى سجوده الف عام ، فقال الرب تبارك وتعالى : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع .

فرفع العقل رأسه فقال : الهى اسئلك ان تشفعنى فيمن خلقتنى فيه .

فقال الله جل جلاله : اشهدكم انى قد شفعته فيمن اخلقه فيه».

وهذا الحديث متفق عليه بحسب الفحوى، وان كانت العبارات مختلفة النقل،

وانى اخترت هذا النقل لكونه أمتن واوثق ، وقد شرحت معنى الادبار والاقبال المنسوبان الى العقل الفعال فى تفسيرنا لاية الكرسى بما لامزيد عليه ، وذكرنا هناك ان هذه الصفات كلها صادقة فى حق النبى ﷺ بحسب المقام المحمود عند ربه .

اشارة

واعلم ان الروح البخارى الموضوع لمسائل علم الطب ، ظل محاك للروح الالهى ، ومحل استوائه عليه ومعسكر لقواه وجنوده ، وهو ايضاً حاصل بعد تسوية العناصر وتعديلها وتوسطها فى الكيفية بين الاطراف المتضادة ، كما ان هذا الروح الالهى الذى هو موضوع لمعرفة الله و علم المعاد حاصل بعد تسوية الاخلاق وحصول العدالة والتوسط فى الصفات الاربعة بين اطرافها المتقابلة ، فان «العدالة» كيفية حاصلة من العفة المتوسطة بين افراط القوة الشهوية ـ المسماة بالفجور ـ وتفريطها ـ المسماة بالخمول ـ ومن الشجاعة المتوسطة بين افراط القوة الغضبية وتفريطها ـ المسماتين بالتهور والجبن ـ ومن الحكمة المتوسطة بين طرفى القوة الادراكية ، المسماتين بالجربزة والبلاهة .

والعدالة ايضاً متوسطة بين الظلم والانظلام ، الحاصلتين من افراط بعض تلك القوى وتفريطها .

ومعنى قوله ﷺ : « **العلم علمان ، علم الابدان وعلم الاديان** »(١) اشارة الى ان كمال الانسان بحسب النشأتين منوط باصلاح هذين الروحين ، اذ بمعرفة الطب والعمل بمقتضاها ينصلح الروح الذى بدء خلقه من طين ، لان صفوة العناصر الغالب عليها الارض ومرجعه اليها ، وبمعرفة العلم الالهى والدين الربانى ينصلح حال الروح الذى هو من امرالله و مرجعه اليه تعالى ، فباصلاح احدهما

(١)بحار الانوار : ج١ ص٢٢٠

وتعديله ينصلح امر المعاش فى الدنيا، وباصلاح الاخرة ينصلح أمر المعاد فى الاخرة، والاحوط عند الاكياس ترجيح صلاح المعاد على صلاح المعاش، وعيش الاخرة على عيش الدنيا ، بل « **لا عيش الا عيش الاخرة** » كما ورد فى الحديث(١) ، وعليه الانبياء والاولياء والصديقين سلام الله عليهم اجمعين .

تنبيه فرقانى

اعلم ان اكثر الالفاظ الواردة فى الكتاب الالهى كسائر الالفاظ الموضوعة للحقائق الكلية مجملة ، يطلق تارة ويراد به الظاهر المحسوس ، ويطلق تارة ويراد به سره وحقيقته وباطنه ، وتارة يطلق ويراد به سرّ سره وحقيقته وباطن باطنه .

وذلك لان اصول العوالم والنشآت ثلاثة : الدنيا و الآخرة وعالم الالهية ، وكلها متطابقة ، و كل مايوجد فى أحد من هذه العوالم يوجد فى الاخيرين على وجه يناسب كل موجود لما فى عالمه الخاص به .

فالروح مثلا كما يطلق على الجسم البخارى، يطلق ايضاً على النفس الحيوانية او الانسانية ، ويشترك جميع افراد الانسان فى الاول والثانى ، وكذلك يطلق على الروح الالهى الذى هو محل استواء الرحمان بلا واسطة ومحل نفخه وفيضه ، وله الخلافة الكبرى من الحق والسلطنة العظمى نيابة عنه تعالى .

فمن تلك الالفاظ : السمع والبصر والفؤاد ، فان هذه الثلاثة ربما يراد بها الاعضاء الثلاثة ، كالاذن الغضروفى ، والعين الشحمى، والقلب اللحمى ، ومايتعلق بها من الاعصاب والارواح التى كلها من عالم الخلق والتقدير وعالم الشهادة والحس، وربمايراد بها القوة السمعية المدركة للاصوات والالفاظ والنغمات، والقوة البصرية المدركة للاضواء والالوان، والقوة القلبية المدركة للمفهومات واوائل المعقولات والمسلمات المقبولات ، وتارة يراد بالسمع سماع المواعظ والحكم القرآنية ،

(١) البخارى : باب ماجاء فى الرقائق ١٠٩/٨ .

والآيات الالهية ، وبالبصر مشاهدة اولياء الله واحبائهم ومعارفهم وتصديق حالهم ، وبالفؤاد الروح القدسى الواصل الى الله تعالى بنور العرفان .

وهذه المعانى الاخيرة مما لااشتراك لجميع الناس فيه ، بل يختص بالمقربين ، وكذلك معانيها المتوسطة ممالايشترك الجميع فيه الا انها اشمل وجوداً من الاخيرة ، بل يختص بالمتوسطين من الناس ، وهم اصحاب اليمين وأهل السعادة العملية ، الفائزون بنعيم الاخرة بميراث عملهم ، ان لم يكن اعمالهم مشوشة مغشوشة بالجهل المركب و الاستبداد بالرأى ، و الخروج عن صفو الاستعداد المطلق بالاكدار الاعتقادية الباطلة الوهمية فى احوال المبدء والمعاد .

فاذا علمت هذا فاعلم ان قوله « و جعل لكم السمع و الابصار» لما وقع فى معرض الامتنان واظهار الاحسان ، فالظاهر ان المراد بالسمع والبصر ههنا مايختص بأحباء الله والمتألهين والمقربين ، لا المبعدين الناكرين ممن ليس لهم نصيب من القرآن ، وهم عن السمع لمعزولون ﴿ولوعلم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [٢٣/٨] ولا من الذين كانوا عمى القلب عن مشاهدة الحقائق كأبى لهب وأبى جهل و نظرائهما فى الجهل والعمى والصم عن مشاهدة آيات الله وسماع ذكر الحبيب .

ولو كان لفظ السمع والبصر والقلب أينما وقع فى القرآن كان المراد منه ما وقع فيه الاشتراك لجميع الناس من هذه المشاعر الحسية الدنياوية لما سلب الله سبحانه معانيها عن أهل الكفر والجهل بقوله ﴿ صم بكم عمى فهم لايعقلون﴾ [١٧١/٢] مع وجود هذه الآلات فيهم ، و كذا قوله : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ﴾ [١٧٩/٧] ولعدم انتفاعهم بهذه الآلات بصرفها فيما خلقت لاجله ليزيدهم بسبب شكر هذه النعم الدنياوية نعمة بواطن هذه المشاعر وحقائقها ، اولعدم نصيبهم عن تلك النعم الباطنية وزوال استعدادهم واستحقاقهم لها

كما لانصيب للانعام منها،وانماهم أضل لبطلان استعدادهم بالمسخ والطمس لعدم الشكرمنهم لله علىهذه النعم و العمل بخلاف ما اعطيت له .

و في قوله : ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ اشارة لطيفة الى ان هذه الظواهر نعم جليلة يجب الشكرعليها ، ليصل الىمقام اسرارها وحقائقها .

و قوله : « جعل لكم السمع و الابصار » وان كان ظاهره مشعراً بعموم هذه العطية ، الاان الواقع فى معرض الامتنان والاحسان ليس الا مايختص بالقليل النادر من الناس من بواطن هذه الظواهروغيوب هذه الشواهد ، لان قوالب هذه الآلات بمجردها ليست من الامور الشريفة الباقية الاخروية حتى يلائم ذكرها بعد ذكر الروح الامرى الحاصل بالنفخ الالهى وعدها فى معرض ذكرالافعال الالهية و بعد ذكرعظائم الامورالصادرة من الحق سبحانه .

ومن الدلائل القاطعة علىأن اهل الحجاب الكثيف وأصحاب التجسم والبعد عن عالم الملكوت محرومين عن النظر الى آيات الله وشهود أهل الله ، مع وجودهذه الباصرة الدنياوية قوله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون﴾[١٩٨/٧] اى ينظرون اليك منحيث بشريتك ولايبصرونك منحيث نبوتك ، فانهم لايرون من اولياءالله وأحبائه ومحبوبيه الاالبشرية المحسوسة ، وليس لهم اطلاع علىاعيان الاخرة وأهل القرابة الالهية ، ولذلك حكى الله عن نكرهم وجهلهم وانكارهم واستنكارهم لوجود الانبياء بقوله: ﴿قالوا ماانتم الابشر مثلنا﴾ [١٥/٣٦] وبقوله ﴿ان انتم الابشر مثلنا﴾[١٠/١٤] .

وان سئلت الحق فليس معنى الكفر الاهذه النكرة ، والاحتجاب بهذه الحيوة الدنياوية ، والالتباس بهذهالحواس الحسية ، والانسان مالميتجرد منهذهالغشاوات والاسبال (لاسباب ـ ن) لم يخرج الى فضاء الايمان ومعارفة أهل الايقان وأصحاب المشاهدة والعيان ، فكن أحدالرجلين: اما سميعابصيراً بالسمع والبصر الاخرويين عارفاً بحقائق الامور شاهداً بحال اولياء الله تعالى ، و اما مقلدة متشبثاً بذيل قائد

يسمع آيات الله بسماع عقلي ويـرى ملكوت السموات والارض ببصيرة كشفية ، فتكون بصيراً ببصره وسميعاً بسمعهماشياً بمشيه ، كقول النبى (ص) (١)« صلوا كما رأيتمونى اصلى » ولو قال: «صلوا كصلوتى» من الذى قدرعلى مثل صلوته ، فانه ﷺ كان يصلي وفى قلبه ازيز كازير المرجل (٢) لهيبة الحضور مع الرب سبحانه ودهشته مشاهدة ملكوته .

فالرجل الاول حى بالذات حيوة طيبة ، والثانى حى بالعرض كشعر الحيوان وعظمه وظلفه (٣) .

قوله سبحانه :

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾

قالوا ـ اى منكروا البعث والحشر ، وقيل : القائل ابى بن خلف و لرضاهم بقوله اسند اليهم جميعاً .

أاذاضللنافى الارض ، اى غبنافيها وصرناتراباً محضاً ، اوذهبنا مختلطين بتراب الارض لاتتميز منه كما يضل الماء فى اللبن ، فان كـل شىء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضل ، وقيل معناه: غبنا فى الارض بالدفن فيها ، من قول الشاعر:(٤).

(١)بحار الانوار: ١٦٢/١و١١٠/٨و١٠٧/٩ .المسند:٥٣/٥ .

(٢)المسند: ٢٥/٤و٢٦ .

(٣) وفى النسخة المطبوعة: واليه أشار بما روى عنه ﷺ : اناواياكم كراعى غنم .

(٤) البيت للنابغة الذبيانى يرثى النعمان بن الحارث بن ابى شمر الغسانى*

و آب مضلوه بعين جلية وغودر فـي الجولان حـزم ونائل

وعن قتاده ومجاهد: ان معنى «ضللنا»: «هلكنا».

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام، «ضللنا» ـ بكسر اللام ـ يقال: ضل يضل وضل يضل.

وقرء الحسن: «صللنا» من: صل اللحم وأصل اذا انتن ، وربما يقال في معناه صرنا من جنس «الصلة» وهى الارض.

«أئنا لفى خلق جديد» استفهام انكارى لغاية كونه مستبعداً، بل مستحيلا عندهم ، اى أنحن أحياء مبعوثون بعد الفساد والاضمحلال ؟ فالظرف فى: «أاذا ضللنا» متعلق بما يدل عليه «أانا لفى خلق جديد» من نحيى اونبعث او نخلق مجددين.

بل هم بلقاء ربهم كافرون: اى انكارهم للوعد والوعيد والثواب والعقاب، وكفرهم بجميع ذلك انما نشأ من كفرهم بلقاء ربهم وجحودهم لبعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وتكذيبهم لاصل النبوة ، و الافبعد تصحيح أصل التوحيد والرسالة لم يبق لانكار ما يخبر به المخبر الصادق مجال ،نعم ينبغى أن يزال ظاهره عن الاستحالة والامتناع وهو كذلك كما يظهر عند التأمل.

هذا ماسنح لهذا العبد ،وظنى أنه اولى مما ذكر فى الكشاف بعد ما جعل معنى «لقاء ربهم» الوصول الى العاقبة ، اى تلقى ملك الموت وماورائه ، وهوانه لماذكر كفرهم بالانشاء ، أضرب عنه الى ما هو أبلغ فى الكفر، وهو أنهم كافرون بجميع مايكون فى العاقبة لابالانشاء وحده ، ألاترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع

---

*فان تحى لا أملك حياتى وان تمت فما فى حياة بعد موتك طائل

فـآب مضلوه بعين جـلية وغودر بالجولان حزم ونائل

يريد بمضليه دافنيه حين مات ، و قوله «بعين جلية» اى بخبر صادق انه مات و«الجولان» موضع بالشام ، اى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء.

(لسان العرب ـ ضلل)

الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء .

حكمة قرآنية

اعلم ان علم المعاد من اعظم امهات الايمان واصوله واشرف الحكمة المتعالية وفصولها ، قل من الحكماء من لم يزل قدمه فى سلوك طريقه . وندر من العلماء من بلغ فهمه الى درك تحقيقه ، و خاض فى لجة بحر تعميقه ، الناس فى الاعتقاد بهذه المسألة بين مقلد محض وجاحد صرف ، كم من مجتهد فى سائر المسائل اذا وصل هيهنا حمل قلادة التقليد على عنقه طاعة للشرع المبين ،وكم من باحث يسلم سائر المقدمات الايمانية ويقبل بفهمه جل الاصول الاعتقادية متى استعرضت هذه المسئلة على طبعه الوقاد جحدوا انكروا نهج طريق الغواية ، وانحرف عن جادة الحق واليقين ولامر ما وقع التكرار والتكثار فى القرآن المجيد لبيانها ودفع الانكار والاستنكار عن الخصوم بطرق كثيرة لتبيانها ، والاهتمام لتحريرها وتقريرها ازيد من غيرها، وذكر جحود الجاحدين فيها اكثر من ذكر جحودهم فى غيرها .

وانى لم ار احداً من الفضلاء عنده خبر تحقيق فى هذا المرام ، الذى هو قرة عيون الكرام، و لا وجدت فى كلام احد من فحول علماء الاسلام من السابقين واللاحقين ما كان فيه شفاء لعليل هذا الداء العضال التى عيّت اطباء القلوب من الحكماء العظام، او يكون به رواء غليل فى حل هذا الاشكال التى عمت داهيته الخاص والعام، وقليل من فحول اساطين الحكماء الربانيين من حقق علم المعاد الجسمانى على النهج اليقينى و الطمأنينة البرهانية و السكون العرفانى ، لان المقدمات الحسية الدنياوية لا ينتج النتيجة الاخروية ، و القضايا الدائمة العقلية لا يستوجب المطلوب المثالى ، فكيف يجد الانسان الطريق الى مثل هذا المطلوب الذى هو أحد عمودى الاعتقاد ، وهما علم المبدء وعلم المعاد ؟

والحكماء كأبى على سينا ومن فى طبقته وان بلغوا فى تقديس المبدء وتنزيهه عما لا يجوز عليه من المثل والشبه والنظير الى ما بلغوا ، ووصلوا فى توحيده تعالى

عن شوب الاثنينية والتركيب العينى والذهنى والاعتبارى والتحليلى ، وعن وصمة القصور والامكان العقلى الى ماوصلوا ، لكنهم قد قصروا بأسرهم فى علم المعاد، وقد اعترفوا عن آخرهم بالعجز والقصور عن الاطلاع والعثور على أحوال الاخرة ونشأة القبور وحالة النشور . وكان هذا المقصود ممالايمكن الوصول اليه والاطلاع عليه الابنور متابعة أفضل الانبياء ﷺ ، و الاقتباس من مشكاة نبوته و الاستضائة بنور اوليائه وأتباعه والاقتداء بهداهم .

لمعة الهية لازاحة ظلمة شيطانية

ان ماحكى الله سبحانه عن الكفار بقوله : « ءاذا ضللنا فى الارض ءانا لفى خلق جديد» اشارة الى اعظم شبهة يتمسك بها الجاحدون للمعاد ، و اقوى ريبة يتشبث بها المنكرون للبعث يوم التناد ، وقوله :«بل هم بلقاء ربهم كافرون » اشارة الى اجل مايصلح للجواب واعلى مايتصور فى دفع الخطاب .

اماشرح تقرير الشبهة : فهو ان عمدة مايشوش الذهن ويتبلد الطبع فى باب المعاد ، انه يلزم من اعادة الانسان بعد موته امااعادة المعدوم ـ وان كان البدن المعاد هو بعينه البدن الذى كان فى الدنيا ـ وذلك امر مستحيل عند العقل ، واما ان يكون المثاب و المعاقب غير الشخص الذى فعل الطاعة اوالمعصية بحسب العدد ، فقوله «أاذا ضللنا فى الارض ـ الاية» اى عدمنا وصارت أجسامنا مستحيلة الى التراب وزالت هويتنا الشخصية ، فعند ذلك يتجدد لنا وجود آخر ، و الوجود يساوق التشخص ، فكما أن شخصاً واحداً لايكون له تعينان وهويتان ، فكذا لايكون له وجودان ، والا لزم أن يكون الواحد اثنين ، وهذا بعينه هو ماحكى الله تعالى عن قول من يجحد الاخرة بقوله : ﴿ويقول الانسان ءاذا مامت لسوف اخرج حيا﴾ [١٩/٦٦] .

واماتفسير الجواب وتوضيحه على وجه يندفع هذه الشبهة ونظائرها فهو مما يستدعى تمهيد مقدمة هى : ان جميع الموجودات العالمية سيما الانسان كائنة على وجه يتوجه نحو المبدء بحسب الجبلة والفطرة ، وهو الدين الالهى الفطرى التى لايخلو

عنه طبيعة ولا جسم ولا عقل ولا نفس ولا سماء، ولا أرض ولا بر ولا بحر ولا ملك ولا حيوان، الا من غلب عليه الوهم من شياطين الانس والجن، فجميع الموجودات متوجهة نحو المبدء جل شأنه طبعاً وارادة لقوله تعالى : ﴿فقال لها وللارض ائتيا طوعاً اوكرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [١١/٤١] الا ان الانسان الكامل ممن وصل فى سيره الحثيث الى المقصود الاصلى، والمحبوب الاول العلى ، وبلغ الى الغاية التى يتوجه اليها بحسب فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ورجع وعاد الى المبدء الذى فارقه و صدر عنه ، ﴿كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ [٧/٢٩-٣٠] ﴿ومن يهن الله فماله من مكرم﴾ [٢٢/ ١٨].

فاذا علمت هذا فاعلم أن هذه الحركة المعنوية الانسانية من لدن كونه منياً وجنيناً الى غاية كونه بالغا عاقلا ذكياً صبوراً شكوراً حكيماً ولياً ، وهلم الى ان يصل الى جوار الله وقربه ، لابد لها من موضوع باق من اول الحركة الى منتهاها ، والا لم يكن الشاب ما كان طفلا صغيراً بعينه ، ولا الذى سيكون شيخاً كبيراً، ومع ذلك فقد تبدل منه جميع ما كان له من مقداره وكيفه وأينه ووضعه ومتاه وانفعاله وفعله وجميع مايقال له فى عرف أهل النظر العوارض المشخصة .

فقد علم ان من ظن ان هذه الامور مفيدة للتشخص ، او هى باعيانها مساوقة للشخصية، فقد اخطأ خطاء فاحشا، بل امثال هذه الامور ماهى الأمارات لشخص واحد وآثار منسوبة اليه بوجه من الوجوه من غير علاقة لزومية بينها وبينه ، وانما الهوية هى نحو وجوده الذى هو نصيبه من فيض الربوبية، ولكل وجود من الوجودات الفائضة عنه تعالى شئونات مختلفة متفاوتة فى كثرة التطورات وقلته، بحسب سعة قوته وبسط نشأته

والوجود فى غير الانسان من موجودات هذا العالم ليس له الامجال ضيق من حد من النقص الى حد من الكمال بحسب الدنيا كالبذر الذى يصير ثمرة ، كان انتقاله من حد الجمادية الى حد النباتية ، او كنطفة الحيوان التى تصير حيواناً غير ناطق ، فان سعة سيره ومسافة سفره من حد الجسمية الى حد الحيوانية .

واماوجود نوع الانسان فهواوسع مجالاواكثر آثاراً وافعالا ، وارفع صعوداً الى جهةالعلو ، واعظم قوساً من النصف الصعودى من دائرة الوجود الذى وقع فيه السفر الى الله والتوجه الى جنابه للموجودات العالمية ، و ذلك لانه يرتحل فى سيره الحثيث من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية الدائمة ، وينتقل فى جوهره من نشأة الى نشأة ثانية .

وهذا الارتحال والانتقال امر عام فاش مشترك بين سائر أفراد الانسان ، يستوى فيه الشقى والسعيد، فان التوجه الفطرى الى الله تعالى لاينافى الشقاوة والكفر، لما ذكرنا ان الكل متوجهون اليه تعالى والى الدار الاخرة، لان النفس الانسانية منه تعالى بدؤها واليه رجعاها ﴿وان الى ربك الرجعى﴾[٨/٩٦] ومن الله شروقها وغروبها، فهبطت الى هذا القالب الفانى، وغربت فيه، وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها، وتعود الى بارئها وخالقها، الا ان نفوس السعداء شموس زاهرة مشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية ، وأن نفوس الاشقياء المردودين الى أسفل السافلين مظلمة منكسفة ناكسة رؤوسها عن جهة أعلى عليين، كمافى قوله :

﴿ ولوترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ﴾ [١٢/٣٢] فبين أن نفوس الاشقياء ايضاً راجعة الى ربهم متوجهة اليه فطرة كالسعداء فطرة وارادة ، الاانهم لكراهة لقاء ربهم منكوسون منحوسون ، قد انقلبت وجوههم الى أقفيتهم، وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق الى جهة أسفل ،وذلك لحكم الله وقضائه السابق فيمن حرمه توفيقه.

واما تمام هذا السفر الجبلى والتوجه الفطرى الى الغاية الحقيقية والمقصود الاصلى فانما يتأتى للكمّل والافراد والا قطاب والاوتاد، الذين لاجلهم خلق العباد، وبهم رزق الورى ولهم يمطر السماء، فهم الذين يرتقون بالمعراج المعنوى والميل الباطنى الجبلى من حد الهيولانية والجسمية والنطفية الى عالم البشرية والفلكية والملكية، مار أعلى كل نفس وعقل، حتى بلغوا الى الغاية القصوى والمقصد الاسنى، قاطعاً كلتى نصفى دائرة الوجود نزولاوصعوداً الى مجاورة الحق المعبود، مسافراً من هذا العالم

الفانى الهيولانى الذى وقع فى صف نعال مجلس الافاضة والخير والجود، منتهياً واصلابقدمى العلم والعمل الى كعبة المقصود، وفيجميع هذه المراتبوالدرجات هوشخص واحديتحفظ وحدته وشخصيته بفاعله وموجده ويبقى هويته العينية بنحو وجوده اللائق به ـ وانتطوربهذه الاطواروتشأن بهذه الشؤن .

* * *

فاذا تبين وتحقق لك هذا فاعلم ان قوله سجانه «بل هم بلقاء ربهم كافرون» اشارة الى ردشبهتهم وفك عقدتهم من وجوه :

الاول:التنبيه علىقصورهم عندركهذا التوجه الفطرىللعباد الىعالم الاخرة ولقاء ربهم فى المعاد .

الثانى : التنبيه على فساد قولهم « ان الشخص المعاد فى المعاد غير الذى كان فىالدنيا بحسب الشخصية والعدد مطلقا» بل هذا ذاك بحسب الباطن والحقيقة، كما ان زيد الشاب هوبعينه زيد الطفل، وان تبدلت جثته وجميع اعراضه وصفاته، وذلك لان تشخص الشيء بفاعله ومقومه ونحو وجوده الذى هو به هو ، لاببدنه و أعراضه المتبدلة ، واطلاق الشخص على الاعراض المكتنفة من باب تجوّز التسمية للشيء باسم سببه ، وزوال الاثر والعلامة لايستلزم زوال المؤثر المعلوم به ـ فتفطن ـ .

والثالث : الاشعار بأن انكارالمعاد والجهل بوجود عالمآخراليه رجعىالعباد وفيه حشرالاجسادللحساب والميزانانما نشأ للمغترينبعقولهمالقاصرة، المحجوبين بفطانتهم البتراء وبصيرتهم الحولاء ، لعدم اهتدائهم بأن وجود الانسان ووقوعه فى هذا العالم أمرعارض له بعد خروجه عن فطرته الاصلية التجردية . ونزوله عن جنة آدم أبيه بجناية صدرت منه ، وكل من خرج من موطن ومعدن لامر عارض لابد وأن يرجع اليه ولو بعد حين مادام بقائه على فطرته الاصلية ، وعدم مسخه وطمسه

بالكلية ، وكما ان معادن النفوس مختلفة لقوله ﷺ(١) : «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة** » فكذلك غايات قصودهم ومراكز حركاتهم ونهايات اسفارهم كما اشير اليه فى قوله تعالى : ﴿قد علم كل اناس مشربهم﴾ [٢/٦٠] .

فالنفوس التى لا يكون بينها وبين الحق الاول واسطة ينجذب الى جنابه طبعاً ،كما ينجذب ابرة من حديد الى مغناطيس غيرمتناهى القوة ، وهذه النفوس هى العارفة بالله وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر ، واما النفوس الصادرة عنه بواسطة الوسائط الفلكية أو النفسية أو العقلية أو البرازخ الجسمانية الجنانية أو الجهنمية ، فيقع لهم الانجذاب الى معادنهم الاصلية لحكمة قضائية وقدرية ، واليه أشارالشيخ عبدالله الانصارى فى قوله : «الهى تلطفت لاوليائك فعرفوك ، ولوتلطفت لاعدائك لما جحدوك » .

فالنفوس التى لم يكن بينها وبين الاول حجاب من عقل او نفس او دنيا او آخرة ، فهم الذين يكونون فى الصف الاول فى القرب والعرفان بالوحى او الالهام او المشاهدة ، لقوله تعالى : ﴿والسابقون السابقون اولئك المقربون﴾ [٥٦/١٠] واما النفوس التى بينها وبينه حجاب وواسطة ، فاما ان يعرفوها من وراء حجاب اوحجب كالرسالة والامامة ، لقوله تعالى : ﴿ماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا﴾ [٤٢/٥١] فكل من هؤلاء له مرتبة معينة من الجنان ، ودرجة خاصة من مثوباتهم عن الرحمان ، واما ان يجحدوا لقاء الله تعالى والدار الاخرة فلا محالة ليست درجتهم فوق أن يصلوا الى أدنى المنازل وأسفل السوافل ، وهى الجحيم التى هى حقيقة هذه الدنيا الفانية ، وصورة الطبيعة التى هى الحطمة الكبرى وستصير متطلعة على الافئدة ، لقوله تعالى : ﴿نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة﴾ [١٠٤/٧] وستظهر صورتها الحقيقية منكشفة على من خرج من غبار هذا العالم ، كصورة الجنان لمستأهليها ، لقوله : ﴿وازلفت الجنة للمتقين

---

(١) المسند : من حديث ابى هريرة ، ٢/٥٣٩ .

وبرزت الجحيم للغاوين﴾ [٩١/٢٦] .

فالنفوس الكافرة الجاحدة ليست لهم وزن بعوضة عند الله ، ولا لهم نصيب الا من جنس هذه الدار التى سيبرز لهم فى صورة جهنم للاشرار ، لقوله تعالى : ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ [٣٦/٧٩] فيصير معلومة لهم يوم القيامة بالشهود العيانى ، لقوله تعالى : ﴿كلا لوتعلمون علم اليقين * لترون الجحيم*ثم لترونها عين اليقين ﴾ [٢/١٠٢-٦] وذلك لكشف الغطاء عن عين بصيرتهم فصارت بصر بصيرتهم حديداً ، لقوله : ﴿ لقدكنت فىغفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾ [٢٢/٥٠] والا فهى موجودة معهم هيهنا وفى اهابهم ، لقوله تعالى : ﴿ذلك ماكنت منه تحيد﴾[١٩/٥٠] ، ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[٤٩/٩] .

تتمة تنبيهية

اعلم ان فى هذا المقام أبحاث قوية وتحقيقات شافية يتكفل لدفع شكوك ، وشبه اوردت على مسئلة المعاد الجسمانى وبعث الابدان ورد الارواح اليها، حسب مانطقت به الايات القرآنية وجائت به الشريعة النبوية علىالصادع بها وآله السلام والتحية ، واثبات وجود عالمآخرمقدارى غيرهذا العالم فى داخل حجبالسموات والارض، غائب عنشهود هذه الحواسالدنياوية ، فيه جنة السعداء وجحيمالاشقياء، ذكرناها فى كتابنا المسمى بالمبدء والمعاد ، لولا مخافة الخروج عن طور التفسير لاوردتها جملة ، فمن اراد فليراجع الى هناك ، لكن الواجب على المستبصر أن يعلم هنا هذا القدر الذى نذكره منها اجمالا . وهو ان عمدة شبه المنكرين للمعاد الجسمانى واشكالاتهم أمور :

احدها : هو الذى ذكره الله تعالى حكاية عنهم وأزاح فساده ووقى شره فى عدة مواضع من القرآن ، منها مامر فى هذه السورة سؤالا وجواباً .

ومنها ما ذكره فى سورة مريم بقوله : ﴿ ويقول الانسان أاذا مامت لسوف

اخرج حياً * أولايذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ [١٩/٦٦-٦٧].

ومنها ماذكره في سورة يس بقوله : ﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذى انشأها اول مرة﴾[٣٦/٧٨-٧٩]واسلوب ازالة الشبهة في الجميع واحد ،كما مر ذكره .

* * *

وثانيها : ان القيامة والبعث والحشروالجنة والناراذا وقعت وتحققت فهي في اى موضع تكون ؟ أهي في السماء أو في الارض أو فيما بينهما ؟ فان كانت واقعة في وجه الارض فكيف يسع وجه الارض لجميع الخلايق كلها ، وقد برهن على قدر مساحتها بحيث لايسع افراد الانسان التي حصلت في مدة ألف سنة اذا بقي التناسل وارتفع الموت ، فكيف من اجتماع الافراد الحاصلة في مدة متطاولة ودهور غير محصورة في عدد ؟ وان كانت في داخل أطباق السموات فكيف يوافق هذا قوله تعالى : ﴿ جنة عرضها السموات والارض ﴾ [٣/١٣٣] وان كانت فوق الافلاك كلها ، فيكون وجودها في لاجهة مع كونها ذات جهات .

والجواب عنه : ان الاخرة عالم تام برأسها ليست تنتظم مع هذا العالم في سلك واحد ، ولاهي واقعة في جهة من جهات هذا العالم ولافي حيّز من احيازها، لكونها نشأة ثانية غير هذه النشأة ، كما انمايراه الانسان في نومه من الامور العظيمة والافلاك والصحارى الواسعة ، ليست واقعة في حيّز من أحياز هذا العالم الحسى، فهذا جواب اشكالهم من جهة المكان .

* * *

وثالثها : وهو الاشكال الناشي من جهة الزمان والحركة ، وبيانه أن وجود القيامة لابد وان يكون في زمان مستقبل يتجدد عقيب هذا الزمان الذى نحن فيه ، فيلزم ان يتصل زمان الدنيا مع زمان الاخرة في امتداد واحد، واتصال الزمان يستلزم اتصال الحركة الحافظة له واستمرار الجسم المتحرك حركة سرمدية دورية غير

متناهية الاعـداد والادوار والاكوار ، وهذا يستلزم استمرار هذه الدار وبقاء الفلك الدوار ، وهو مما يصادم القوانين الدينية والقواعد الملية ، لقوله تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ [١٦/٤٠] وقد اشار تعالى الى تقرير هذه الشبهة المفصلة بقوله : ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ [٤٨/١٠] .

والجواب الحق مارقعت الاشارة اليه بقوله سبحانه : ﴿ماينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ [٤٩/٣٦] وتوضيحه على وزان ماعلمت من المذكور في دفع الشبهة الواردة من جهة المكان ، فان الزمان والمكان متوافقان في الاحكام ، و«اين» و«متى» متلازمان في نحو الوجود والقوام ، منسلكان في سلك واحد من الانتظام ، فكما ان مكان الاخرة خارج عن أمكنة هذا العالم ، فكذا زمانها خارج عـن ازمنة هذه الدار الفانية ، بل هما محيطتان بهذين ، نسبة كل منهما نسبة واحدة الى مابازائها من خصوصيات أمكنة هذا العالم وازمنته .

اولاترى انه قدعبرعن زمان الآخرة بغاية العلة، لقوله، ﴿وما امر الساعة الا كلمح البصر اوهو اقرب﴾ [٧٧/١٦] تنبيهاً على فعلية الاشياء هناك وكونها على غاية الكمال والتمام ، وأنت أذاقست مبادى الحركات المتفارتة قوة وضعفاً وسرعة وبطوء بعضها الى بعض ، كقوى الرامين سهاماً نحو المرمى في مسافة واحدة فوجدت كلما كان أقوى قوة وأسرع حركة فهو أقل زمان حركة ، حتى لوفرضت قوة مباشرة للتحريك في غاية الشدة كانت الحركة واقعة منها دفعة واحدة، فاذا اشير الى زمان الآخرة اشير الى أقل مايتصور من الازمنة ، واذا اشير الى مكان الآخرة اشير الى اوسع مايتصور من الامكنة ، كقوله : ﴿جنة عرضها السموات والارض﴾ [١٣٣/٣] وامر الاعادة كامر الابداع ﴿وماامرنا الاواحدة كلمح بالبصر﴾ [٥٠/٥٤] وشأن البداية كشأن النهاية حذو القذة بالقذة، وكل انسان يرجع في آخر أمره الى فطرته الاصلية التى خرج عنها، وردالى مبدئه الذى صدر منه مالم يتغير فطرته الاصلية بالمسخ اوالطمس ، نعوذبالله من الحور بعد الكور.

* * *

وقد اختلفوا فى أن البرزخ الذى سيصير الارواح اليها بعد المفارقة عن الدنيا، هو عين البرزخ الذى بين الارواح المجردة والاجسام الطبيعية أم غيره والاكثر على أن احدهما غير الاخر حقيقة، قائلين بأن تنزلات الوجود ومعارجه دورية، مستدلين بأن الصور التى تلحق الارواح فى البرازخ الاخير انما هى صور الاعمال ونتيجة الافعال السابقة فى النشأة الدنياوية، بخلاف صور البرزخ الاول، فلا يكون أحدهما عين الاخر، لكنهما مشتركان فى كونهما عالماً غير مادى وجوهراً غير طبيعى.

وأقول فيه بحث كشفى لايمكن عرضه لغير المكاشف على وجهه، الا أنه يجب أن يعلم كل سالك أن وحدة الجواهر العالية والمبادى المتعالية ليست من قبيل وحدة الاشخاص الطبيعية الواقعة فى عالم التضايق والتصادم والتضاد، ويعلم ايضاً ان وحدة الموضوع التى اعتبرها المنطقيون فى شرائط التناقض لابد أن يختص بما يتحقق فى الماديات، حتى يثبت التناقض بين الامرين المتناقضين، والا فكثيراً ما يجتمع المتناقضات فى موضوع غير طبيعى موجود فى غير هذا العالم، فان المتقابلات حاضرة عند المرتفعين عن حضيض هذا الادنى، وصدق الكلى الطبيعى على أفراده المتقابلة تنبهك على هذا، وكذلك الحكم عندما يتصور العقل وجوداً وعدماً وسواداً وبياضاً لشىء واحد.

ومما يدل على ماذكرنا قوله تعالى: ﴿هو الاول والاخر﴾[٣/٥٧] وكذا قول الحكماء ان الواجب تعالى مبدء الاشياء وغايتها، وقولهم: ان العقل الفعال ثمرة العقل المستفاد، كما انه مبدء فاعلى له، وكذا ماعليه المحققون من العرفاء، ان العقل الاول هو الحقيقة المحمدية عند انبعاثه ووصوله الى المقام المحمود المختص به.

وبالجملة ان العالم المتوسط البرزخى من جملة مبادى الانسان التى قد نزلت حقيقته وماهيته منها، وسيقع رجوع النفس اليها، والكلام فى وحدة ذلك العالم وتعدده صدوراً وروداً كالكلام فى سائر المبادى المحصلة لماهية الانسان اولا، والمكملة لوجودها أخيراً.

فافهم واغتنم ان كنت من اهله والافانت وشأنك .

* * *

والاشكال الرابع: انه اذا صار انسان معين غذاء لانسان آخر، فالاجزاء المأكولة اما أن يعاد فى بدن الآكل، اوفى بدن الماكول، وأيأ ماكان لايكون أحدهما بعينه معادا بتمامه .

وايضا اذاكان الآكل كافرا والمأكول مؤمنا يلزم تعذيب المطيع وتنعيم العاصي اويلزم ان يكون الاكل كافرأ معذبا والمأكول مؤمنا منعما مع كونهما جسماواحدا

واندفاعه بمامهدناه فى ان تشخص كل انسان انما هى بنفسه، واما بدنه من حيث هو بدنه فليس له تشخص الابالنفس، بل ليس له من هذه الحيثية حقيقة ولاذات حتى يكون له فى ذاته تعين بهذا الاعتبار وتوحّد الابحسب مايتصرف فيه نفسه ومن حيث اضافته الى نفسه ، وليس من شرط كون بدن زيد مثلا محشوراً ان يكون الجسم الذى منه صارمأكولا لسبع اوانسان من حيث هو جسم معين له حقيقة فى نفسه لحمية اوعظمية اوعصبية محشورا يوم القيامة ، اى بهذا الاعتبار، بل المحشور ليس الابدن زيد بماهو بدن زيد بعدما انحفظت شخصيته بنفسه التى يكون جهة وحدته وتشخصه، وان تبدلت بجميع اجزائه وصفاته فى نفسه ، لابانها أجزاء بدن زيد من حيث هى اجزاء بدن زيد بعينها ، فاعتبر ببقاء شخصية زيد تمام عمره مع تبدل اجزائه كلا اوبعضا .

فاعتقادنا فى حشر الابدان يوم الجزاء ، هوأن يبعث من القبور ابدان اذارأيت كل واحد منها لقلت هذا فلان ، وذاك فلان ـ اعتقاداً مطابقاً للواقع ـ لاأن يكون تلك الابدان مثلاواشباحاً للاشخاص الانسانية، وذلك لان المعلوم من الايات والمفهوم من الشرايع والديانات أن المعاد فى المعاد هومجموع النفس والبدن بعينهما دون مجرد النفس ـ كمارآه المشاون اومع بدن آخر عنصرى ـ كمارآه بعض ـ اومثالى كما ذهب اليه الاشراقيون، وهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للعقل والشرع ، الموافق

للملة والحكمة ، فمن صدق وآمن فى المعاد بهذا فقد آمن بيوم البعث والحساب والجزاء ، وقد اصبح مؤمنا حقا ، والنقصان عن هذا خذلان بل كفر وطغيان .

ولايلزم من هذا ان يعتقد أن مشوه الخلق يجب ان يبعث مشوه الخلق ، ولا الاقطع والاشل والاعمى والهرم يجب أن يبعثوا كذلك ، كيف وقد ورد فى الاحاديث خلاف ذلك ، فعود الشكل والهيئة والمقدار عينا أومثلا غير لازم ، كيف وقد ورد فى الحديث (١) **«ان ضرس الكافر مثل جبل احد»** **«وان اهل الجنة جردمرد»**(٢) بل اللازم شكل ما وهيئة ما ومقدارما مع انحفاظ التشخص .

وليس بواجب فى كل فردمن الانسان أن يحشرمع بدن من الابدان ، بل الكاملين فى العلوم انمايحشرون الى الله ، مفارقين عن الاجسام بالكلية ، منخرطين فى سلك الملائكة المقربين ، الذين طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس ، وهم الذين من خشية ربهم مشفقون .

قوله جل اسمه :

قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

«التوفى» و«الاستيفاء» بمعنى واحد ، فالمتوفى للنفوس والارواح هو المخرج لها كلها من الابدان ، بحيث لايترك منها شيئاً ، من قولك : « توفيت حقى من فلان «واستوفيته» اذا أخذته وافيأ كاملا من غير نقصان .

وفى الكشاف نقلا عن مجاهد : «حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء » وهذا تمثيل لتصرفه فى جذب الارواح الى الله تعالى

(١) المسند : ٣٢٨/٢ وجاء الحديث بالفاظ مختلفة راجع المعجم المفهرس: ٥٠٨/٣ .

(٢) المسند : ٢٩٥/٢ ترمذى : ٦٨٢/٤ كتاب صفة الجنة الباب :١٢ .

من اصول الاشباح ، كجذب الثمار بالقوة النامية من أسافل الشجر الى أعاليها ، وقريب منهماروى عن ابن عباس رضىالله عنهما ، قال : جعلتالدنيا بين يدىملك الموت مثل جام يأخذ منها ماشاءالله أذاقضى عليه الموت من غيرعناء ، خطوتهمابين المشرق والمغرب .

وقيل: ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ، ثم يأمر أعوانه بقبضها .

وعن قتادة: يتوفاهم ملك الموت ومعه أعوان كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

ووجه ذلك ان نزع الصورة الشريفة من مادة غير لائقة ، و قبض الروح من بدن الى عالم آخر اعلى رتبة منه رحمة بالقياس الى الصورة المنتقلة ، وعذاب بالقياس الى المادة المنتقلة هى عنها، فالملائكة النقالة والقوى الفعالة موكلة من عند الله لايصال الرحمة الى مستحقيها ، و الطبائع المنفعلة والقوى الحافظة لصورة المادة السفلية المفارقة عن الارواح العالية ، هى من سدنة العالم الادنى ، و هى المسماة بملائكة العذاب ، وان كانت فى فعلها رحمة ومصلحة بوجه آخر.

فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس كماذهب اليه جمع ، ويدل عليه قوله: ﴿توفته رسلنا﴾ [٦/٦١] ونسبة القبض والتوفى الى ملك الموت وأعوانه من قبيل نسبة الفعل الى الالة ، لئلا ينافى قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها ﴾ [٣٩ /٤٢] ويلائم ذلك قوله تعالى «الذى وكل بكم» اذالتوكيل تفويض الامرالى غيره للقيام به ، وليس هيهنا تفويض محض و لاجبر محض ، بل أمر بين أمرين ، اى وكل ملك الموت بقبض أرواحكم أجمعين اوواحداً واحداً حتى لايبقى أحد منكم .

ثم الى ربكم ترجعون بجذبة « ارجعى » وان كان الواصل الى حضرته هم النفوس المطمئنة فاختص هذاالخطاب بهم فى قوله تعالى : ﴿ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية﴾ [٨٩/٢٧] و الباقون يحشرون الى جزاء ربهم من الثواب والعقاب .

وروى عكرمة عن ابن عباس(١) قال قال رسول الله ﷺ : «الامراض والاوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت ، فاذا حان الاجل أتى ملك الموت بنفسه ، فقال : ياأيها العبد كم خبر بعد خبر ؟ وكم رسول بعد رسول ؟ وكم بريد بعد بريد ؟ أنا الخبر الذى ليس بعدى خبر ، وأنا الرسول .أجب ربك طائعا ومكرها .

فاذا قبض روحه وتصارخوا عليه ، قال : على من تصرخون وعلى من تبكون ؟ فوالله ماظلمت له اجلا ولا أكلت له رزقا ، بل دعاه ربه ، فليبك الباكى على نفسه ، فان لى فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحداً» .

وهذا الحديث قد دل على مابيناه من كون القابض للارواح انما نصب من الله لايصال كل احد الى جوار الله ورحمته ودعوة ربه ، لا للنقمة والعذاب ، الا ان النفوس الشقية الجاهلة بنعمة الله و رحمته مستوحشون عن الحق لالفهم بهذا العالم وأنسهم بالحشرات واعتيادهم باللذات الخسيسة ومقارنة الموذيات ، كما أشار اليه قوله ﷺ : «فليبك الباكى على نفسه».

رموز قرآنية ولوائح ربانية

منها أنه يستفاد للمتأمل فى هذه الاية ونظائرها أنك قاصد الى ربك منذ يوم خلقت نطفة فى الرحم وتعلقت بها نفسك ، فانك أبداً منتقل من حالة هى أدون الى حالة هى أعلى واشرف ومن مرتبة هى أنقص الى اخرى هى أتم وأكمل ، وهكذا الى أن تلقى ربك وتشاهده ويوفيك حسابك ، فان لم يتعلق بك أثقال واوزار من جنس هذه الدار الفانية فتبقى عنده مخلدة مسرورة دهر الداهرين مع النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، والا فكون من الخاسرين والمنكوسين والمترددين الى اسفل السافلين ، ومما ينبه على ذلك قوله سبحانه : ﴿ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ـ الى قوله ـ كان فى اهله مسروراً﴾ [٨٤/٦-١٣] .

(١) جاء مايقرب من هذا الحديث عن الصادق عليه السلام راجع البحار : ٦/١٦٦ .

ومنها ان هذه الاية وقعت جواباً تفصيلياً للشبهة المنقولة عن المنكرين للمعاد و حشر الاجساد بعد الجواب الاول الاجمالى على الوجه الذى اوضحناه بفضل الله والهامه ، اذ قد علمت ان توجه النفوس و الارواح الى عالم المعاد و قرب المبدء الجواد أمر فطرى فطرت عليه العباد ، لان الموت نوع من الاستكمال ، لانه بالقياس الى الروح العلوى وجود وحياة ، وبالقياس الى البدن العنصرى المركب والهيكل المحسوس عدم وموت ، ولكل استكمال بعد استكمال ، لابد من وسائط بين الله وبين الخلق هى المسماة بملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، وقد يختلفان بحسب الاضافات كما اشرنا اليه ، فملك الموت يقبض الارواح من عالم أدنى الى عالم أعلى ، ونفس هذا القبض اماتة فى هذا العالم واحياء فى عالم الاخرة ، ولهذا يسمى بأبى يحيى ، لابما ظن انه من باب تسمية الشىء باسم ضده كما هو من عادة العرب ، بل فى تسميته بهذا روعى كلا الوجهين بحسب النسبتين .

ووجه كون الاية بيانا وموضحاً لمسئلة الحشر الجسمانى ان اجناس العوالم مختلفة بعضها فوق بعض ، و قد ثبت فى الحكمة الالهية ان الطبيعة ما لم تستوف النوع الاخس لم يقصد النوع الاشرف ، و مالم تصل الى العالم الادنى لم يتخط الى العالم الاعلى ، أولاترى أن المنى فى الرحم يزداد كمالا بعد كمال على الولاء حتى يصير انساناً فيصير اولاً ذا نفس نباتية ثم حيوانية ثم بشرية ـ من غير ان يطفر مرتبة من المراتب ؟

والى هذا المعنى اشار تعالى فى كثير من الايات الفرقانية كقوله ﴿ افرأيتم النشأة الاولى فلولا تذكرون﴾ [٦٢/٥٦] و كقوله ﴿افرأيتم ماتمنون﴾ [٥٨/٥٦].

ثم لما كانت اجناس العوالم منحصرة فى اربعة : اثنان منها روحانيان وهما عالما العقول والنفوس، واثنان منها جسمانيان وهما عالما الغيب والشهادة ،فالارواح الانسانية لابد أن ترتحل من هذه الدار الى الدار الاخرة عند توجهها الجبلى الى الحق واستكمالها الفطرى بحسب النشئات والحالات ، فقوله ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾

برهان مبين وبيان متين لاثبات الحشر الجسمانى عندمن له توغل فى القواعد الحكمية والقوانين العقلية .

* * *

ومنها : انه يجب انيكون متحققاً عندك ان ملك الموت واعوانه لايعدمان، بل يفرق بينك وبين ماهو غير صفاتك وأجزاء ذاتك ، لان القواطع البرهانية والسواطع القرآنية والاشارات النبوية والكلمات الولوية قائمة على أن محل الايمان والمعرفة لاينعدم، كما ورد فى الحديث: «ان الارض لاتأكل محل الايمان» وورد ايضاً:«خلقتم للبقاء لاللفناء» (١) .

فاذا تيقّنت هذا فاعلم ان للانسان الكامل فى ايّام كونه الدنياوى اربع حياتات : النباتية و الحيوانية والنطقية والقدسية ، فالاوليان دنياويّتان و الاخريان عقباويتان .

مثال ذلك «الكلام» و«القول» فان له حيوة تنفسية كالنبات ، وحيوة صوتية كالحيوان ، وحيوة معنوية كالنفس المفكرة ، وحيوة حكمية كالنفس القدسية ، فاذا خرج الكلام من جوف المتكلم ودنياه دخل الى باطن السامع واخراه، فورد أولا فى جوفه ـ اى فى صدره ـ كما قيل : «صدور الاحرار قبور الاسرار» ثم الى قلبه الذى هو آخر منزله ومأواه ، فاذا ارتحل من عالم التكلم الى عالم السمع انقطع عنه الحياتان الاوليان ـ اى انقطع النفس وفنى الصوت .

ولايخلو حاله بعد هذا عن أحد أمرين ، لانه امّا أن يقع فى روضة من رياض الجنة ، وذلك اذا كان الجوف الذى دخل فيه صدراً منشرحاً بـانوار معرفة الله والهامات عالم ملكوته ، فيكون قرين ملائكة الله وعباده الصالحين الزائرين لهذا القبر ، واما أن يقع فى حفرة من حفر النيران، وذلك اذا كان صدراً منشرحاً بالشر

(١) راجع بحار الانوار : ٢٤٩/٦ وجاء فى علل الشرايع باب علة الخلق و اختلاف احوالهم عن الصادق عليه السلام ١١.

والفساد ومعدناًللشياطين والظلمات ومورداً للعنة الله ومقته أبداً مخلدا، لقوله تعالى: ﴿ن شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ [١٦/١٠٦] . فان من البواطن والصدور ما ينزل لزيارته فى كل يوم وليلة ألف ألف من الانبياء والاولياء عليهم السلام لغاية صفائه ونقائه وكونه مشحوناً بالمعارف الالهية والعلوم الربانية ، والعلم صورة المعلوم وحقيقته ، فهو روضة الجنان ، ومن الاجوف ما يقع فيه فى كل يوم وليلة ألف مجادلة ومخاصمة مع الناس ، ويكون معدن الكذب والظلم والوسواس ومنبع الوحشة والكدورة والغصة والعذاب الاليم واللعن المقيم، فهو بعينه كحفرة الجحيم .

فالقول والكلام اذاوقع الى الصدر المنشرح بنور الايمان والمعرفة يتجرد عن العوارض المادية وينقشر عن الغواشى الظلمانية ، فيصير لباً خالصاً معقولا لائقاً لان يتغذى به اولوالالباب فقد وقع فى دار الجنان . واذا هوى الى جوف الرجل الجاهل والمستجن فى صدره المنشرح بالكفروالخسران فقد وقع فى دارالجحيم، واحترق بنيرانات ملتهبة من الحسد والشر والطغيان .

فاذا علمت هـذا المثال فاعلم ان الانسان اذا مات وارتحل عن هذا العالم وانقطعت عنه حيوته النباتية والحيوانية فقد بقيت له حياتان اخرويتان ، فيكون قبره الحقيقى الذى يدخل فيه اما روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران، واطلاق القبرعلى ما يتعارفه الجمهورمن باب التجوزعلى ما يدل عليه ألسنة الشرائع الحقة، ويشير اليه الاحاديث الصحيحة الواردة فى احوال الموتى وعذاب القبور، لان قبر كل انسان يناسب صفاته وأعماله ولا يمكن مشاهدة القبر الحقيقى بهذه الحواس الدنياوية ، لانه منزل من منازل الاخرة ، وانما ينكشف أحوال القبور للمتجردين عن جلباب البشرية لغلبة سلطان الاخرة على بواطنهم ، وانما قلنا : « انقطعت عنه الحياتان الدنياويتان » موضع «انعدمت» لان الحقيق عندنا أن ما وجد من الاشياء فلايمكن انعدامه بالحقيقة ، والافيلزم ان يكون مما خرج وزال وغاب عن علم الله،

وقال تعالى: ﴿ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء﴾ [١٠/٦١].

* * *

فاذا تحقق هذا ظهر ان للجسد وجوداً كما للنفس، وللقالب تكوّناً كما للقلب، ولكل منهما قبراً حقيقياً .

فقبر الحيوة الجسدانية النباتية والحيوانية هو مقدار تكوّنها التدريجي ومدة حركتها الاستكمالية في دار الدنيا التي هي مقبرة ما في علم الله من صور الاكوان الحادثة الموجودة سابقاً ولاحقاً في علمه تعالى : اما الوجود الاول فقبل الورود في مقابر الدنيا بموتها الجسماني وهو مفاد قوله ﷺ : **خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام** (١) ، واما الوجود الثاني فبعد مدة مكثها الدنياوي كما قال : ﴿والى الله ترجع الامور﴾ [٣/١٠٩] .

واما قبر النفس والروح فالى مأوى النفوس ومرجع الارواح كل يرجع الى أصله : ﴿انا لله وانا اليه راجعون﴾ [٢/١٥٦] .

فالله سبحانه أبدع بقدرته الكاملة دائرة العرش وحقيقته العقلية والنفسية، وجعلها مأوى القلوب والارواح، وأنشأ بحكمته البالغة نقطة الفرش وجعلها مسكن القوالب والاجساد ، ثم أمـر بمقتضى حكمته الازلية وقضائه الحتمي الاجمالي وصوره الاسرافيلي لتلك الارواح والقلوب العرشية أن تعلقت بالقوالب والابدان الفرشية، وأمر بقدرته التفصيلي الاستعدادي ان تقبل قابلية هذه القوالب بحسب اعداد المواد واستعداد هذه الاجساد شطراً من الازمنة والامداد قلوب العباد وارواح اهل الحشر والمعاد واصحاب الرجوع الى الله الجواد .

فاذا بلغ اجل الله الذي هو آت وقرب موعد الممات للملاقات والحيوة ، رجعت الارواح الـى رب الارواح قائلين بلسان الحال والمقال : « انا لله وانا اليه

---

(١) جاء في معاني الاخبار عن الصادق عليه السلام : باب معنى الامانة التي عرضت . . . – ص ١٠٨ .

راجعون) [٢/١٥٦] وعادت الاشباح الى التراب الرميم ، ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ [٢٠/٥٥] واما الارواح المكدرة الظلمانية المنكوسة والنفوس الشقية التى كفرت بانعم الله وصرفها فى غير ماخلقت لاجله ، قصدت مع أثقالها واوزارها من حضيض الفرش الى ذروة العرش باجنحة مقصوصة وقلوب مقبوضة وأيدى مغلولة بحبائل التعلقات وأرجل مقيدة بقيود الشهوات و ﴿كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار﴾ [١٤/٢٦] فصاروا ملعونين منكوسين معلقين بين العرش والفرش لقوله تعالى ﴿ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم﴾ [٣٢/١٢] .

فظهر وتبين أن المقابر بعضها عرشية وبعضها فرشية ،فالاولى للسابقين المقربين واصحاب اليمين ، والثانية للاشقياء والمردودين الى أسفل سافلين ، فثبت ماادعيناه أن الموت وارد على الاوصاف لاعلى الذوات ، لانه تفريق وقطع ، لااعدام ورفع ﴿كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ [٧/٢٩-٣٠] ﴿ومن يهن الله فماله من مكرم﴾ [٢٢/١٨] .

فالعرش مقبرة الارواح العرشية : **«اول ماخلق الله جوهرة»** الحديث (١) والفرش مقبرة الاجساد الفرشية ، ونفوسها المنكوسة المتعلقة بها .

* * *

ولبعض الجهال المغترين بلامع سراب الاقوال ان يعترض هيهنا ، بأن ماذكرت من البيان يستلزم أن لايكون للاجساد حشر فى الاخرة ، وهو يخالف ما أحكمت بنيانه واوضحت تبيانه فيمامر مع حشر الاجساد، واعادة الرميم من العظام من ضروريات الشرع المبين لقوله تعالى : ﴿ من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة﴾ [٣٦/٧٩] .

فليعلم ـ ان كان جهله بسيطاً قابلا للاصلاح والتعليم ـ ان ماذكرناهيهنا ليس

(١) راجع بحار الانوار : ١٥/٢٩

مخالفاً لمابينا سابقا ولامبطلا حشر الاجساد ، بل تحققه وتصححه ، لكن لغموضه ودقته يحتاج دركه الى قلب سليم وفطرة صافية عن كدورة التعصب والتقليد ، وسمع خال عن غشاوة ما يتلقف من الاساتذة اويطالع من كتب المشايخ من غير بصيرة ولافهم جديد ، وقدبينا تفاوت هذا المطلب الشريف العالى والدرالثمين الغالى فى بعض كتبنا ورسائلنا وتفاسيرنا لبعض السور والايات القرآنية، وبرهنا على حقيقة المعاد الجسمانى فى كتاب المبدء والمعاد بمعنى اعادة الاشخاص الانسانية بعين هذه الابدان ، لابمجرد أشباحها وأمثالها برهانا صحيحاً سالماً عن النقوض ، وبياناً شافياً مبتنياً على مقدمات عقلية جازمة لايعتريها شك وطعن على ما هو دأب اهل الحكمة والمعرفة ، لامكتفياً فيه على مايقبله الجمهور ويستحسن فى المشهور ، وان لم يكن مطابقا للواقع كما هوعادة اصحاب الجدل فى صنعة الكلام، ولابد لطالب اليقين أن يراجع الى ذلك الكتاب فى مسئلة المعاد لضيق المجال هيهنا عن تكثير المقال .

واما القدر الذى يقع له التنبيه على هذا المطلب بوجه وجيه يقنع به العاقل النبيه: ان الجسم المعين المحسوس والبدن المشكل الملموس كالانسان مثلا أمرمركب من جواهر متعددة يتقوم بهاذاته ويظهرمن اجتماعها الابعاد الثلاثة مع اعراض لازمة او مفارقة . و العرض المفارق الزمانى لايبقى زمانين ﴿بل هم فى لبس من خلق جديد﴾ [١٥/٥٠] لاعلى وجه قرره المتكلمون ، بل على وجه قرره الحكماء فى الاعراض الانفعالية ، ثم اذا بطل التأليف رجع كل جوهرمن جواهره الى عالمه، والجوهريقوم بذاته او بمقومات ذاته ، و العرض قائم بغيره ، ولا يجوز له الانتقال والارتحال من موضوع الدنيا الى موضوع الاخرة .

لما عرفت أن العرض الزمانى المستجيل مما لايبقى زمانين ، والاعراض المحسوسة من الكميات والكيفيات الموجودة فى جواهر هذا العالم متغيرة ، لما ثبت أن الامور الطبيعية مستحيلة من حال الى حال ، متحركة فى المقادير بحسب النمو والذبول ، و فى الكيفيات المحسوسة والاستعدادية والمختصة بالكميات

بحسب تجدد الانفعالات و الاستعدادات من المواد المنفعلة عن آثار حركات السماويات المتأثرة عمايرد عليها من تجدد آثارالعلويات وتصرفها للسفليات ، كل ذلك طاعة لباريها وجاعلها بحسب الشؤون الواقعة منه بحسب : ﴿كل يوم هوفى شأن﴾ [٢٩/٥٥] التى يستدعيها افاضةالخيرات وبث نعمة الكمالات بمقتضى ﴿وان تعدوا نعمةالله لاتحصوها﴾ [٣٤/١٤] .

واما بواقى الاعراض السبعة النسبية فهى فى وجودها وبقائها تابعة لغيرها ، لكونها معانانتزاعية فتجدد ذلك الغيريوجبتجددها ، وكل ما يكون متغيراً متبدلا لايمكن بقاؤه فىدارالقرار وانتقاله بعينه من الدنيا الى عالم البقاء ، فالعرض الذى شأنه التجدد والتغيرشيئاً فشيئاً كالحركة وما يقع فيه من الزمان وما يطابقه ويوازيه الايجوزانيرتحل من هذا العالم الىعالمالثبات والدوام ، والا لكان للحركة حركة وللموت موت ، فيلزم أن يكون دار البقاء دار الفناء ، فينقلب الاخرة دنياً ، والقرارفراراً ، والحقيقة بطلانا والثبات زوالاوهدراً وهباء ، والكل مستحيل باطل.

فثبت أن عالم الاخرة غير هذا العالم بالحقيقة والماهية وهو عالم مستقل تام لاينتظم مع هـذا العالم فى سلك واحـد ، ولا واحد منهما مع الاخر فى سمت واحد وفى اتصال واحد زمانى او مكانى موجود او موهوم ولا أحدهما جزء مـن الاخر ولافى جهة من جهاته ، بأن احدهما فوق الاخر او تحته او قدامه اوخلفه او يمينه او شماله و الا لميكن كل منها عالماً تاماً له محدد واحد للجهات المكانية و الامتدادات الزمانية، بلكان أحدهما داخلا فىالاخرة مشمولا كلاهما لمحدد واحد لمكانه وزمانه وليس كذلك ، هذا خلف .

ومحصل القول ان الموت اذا فرق بين جواهر هذه الاجسام الدنياوية وتلاشى التركيب ، بقى الجواهرالمفردة واضمحلت الاعراض والهيآت ، ثم اذا جاء وقت العود بأمرالله تعالى ركب جسم من تلك الجواهرتركيباً محكما ونشأت نشأة ثانية باقية أبدالدهر ، لكون الجسم الاخروى حاصلامن محض جهاتالفاعلية،

كالامكان الذاتى وغيره ، لامن جهات القابلية كالامكان الاستعدادى وصلوح المادة وحصول المزاج لامتزاج العناصر ، فالاجسام مجرد الجواهر بلااعراض هذه الدنيا، ولم يكن لها صفات مستحيلة متغيرة حاصلة من انفعال المواد للاستعداد ، بل كل جوهر من جواهر الادميين يكون فى الاخرة عالماً تاما برأسه كجملة هذا العالم ، فيكون كل انسان هناك عالماً تاماً فى نفسه لاينتظم مع غيره فى عالم واحد ، مع ان كل انسان سعيد فى الاخرة يحضر عنده كل مايريد ويرغب فى صحبته بلحظة عين وفلتة خاطر وخطرة قلب ، وهذا عام فاش لكل واحد من السعداء ، وهو أقل مرتبة من مراتب أهل الجنان ، فالعوالم هناك عدد غير متناه ، كل منها كعرض السموات والارضين من غير تداخل ولامزاحمة ولامضايقة، كمايعرفه المكاشفون ويشاهده المقربون .

ومماينبه على هذا أن هذا العالم الدنياوى بجملة مافيه اذا اخذ مجموعاً واحدا لايحصل من الجواهر العقلية الا على سبيل الابداع بحسب جهات عقلية فاعلية ، لأنه قد حصل بتمامه من جهة استعداد قابل ، ولا ايضاً وجد فى مكان ولافى زمان، اذ لامكان للمكان ولازمان للزمان ، فليس لجملة الاجسام مع مامنها وفيها زمان ولا مكان ولاجهة من الجهات ولايمكن أن يقال حدث فى أى وقت وفى أى مكان وجهة

فهكذا ـ يجب أن يعلم ويتصور حال كل عالم من العوالم الاخروية المتعلقة بواحد واحد من أهل السعادة من الجواهر الانسانية ، فقد علم من هذا وجه كونه تعالى رب العالمين ـ بصيغة الجمع ـ المختص بذوى العقول لان كل عالم ربانى عالم تام لايعوزه شىء من الاشياء و لايفتقر الى امر خارج عنه وعن ملكه وعالمه وسلطانه ، فاذالم يكن شىء من الاشياء الا ويكون فى ذلك لعدم غيبة الكل عن الكل، فلايفوته شىء ﴿فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين﴾ [٤٣/٧١] فبعد حشر الاجساد لايمكن لاحد ان يقول: هذا الجسد غير ذلك ، وليس له ايضاً من كل وجه أن هذا ذاك فان هذا من الذهب وذاك من الرصاص . بل له ايضاً أن يقول: هذا كان ذلك فان الرصاص صار بالاكسير فى كورة سجن الدنيا اوجهنم الآخرة هذا ، فان كنت

تستنجزعن اصل الذهب وسنخ جوهره ، فقلت «هذاذاك» واذا استخبرت عن حقيقة الذهبية والصفاء واللطافة والنورية ، فقلت ليس هذاذاك فجوهرية هذا العبد وروحه واحدة فى الدنيا والآخرة ، لكنه كان فى الدنيا دنيا وفى الآخرة عليا ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [٨٤/١٧] .

ومنها بيان السرّ فى اختلاف نسبة التوفى تارة الى الله تعالى كما فى قوله : ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾ [٤٢/٣٩] وتارة الى رسله اى ملائكته ، كما فى قوله تعالى : ﴿حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون﴾ [٦١/٦] وتارة الى ملك الموت ، كما فى هذه الاية .

ووجه ذلك ان الانسان نشأة جامعة روحاً وبدناً وقد بنى الله وجود كل منهما من اصول أربعة ـ كما سبق القول فيه ـ وقد ارتكز فى عقول الجماهير أن القابض لاجزاء بدنه هو المتوفى له القابض لروحه والجاذب له الى الحق تعالى ، فان العلة المحدثة والمبقية شىء واحد فى التحقيق اذا كانت فاعلية ، والجامع لاجزاء المنى والحافظ أمر واحد بالنوع والماهية ، وان كانت متفاوت الظهور .

وتفصيل المقام ان الغاية الحقيقية فى بناء هذا المسجد الجامع الانسانى الذى اجتمعت فيه افراد الموجودات وأشخاص الكائنات ، من كل طائفة وقوم خطابة خطيب العقل على منبر دماغه بشهادة أن لااله الا الله ، ودلالته بوجوده الجمعى (الحقيقى ـ ن) المتوحد فى مرتبة ذاته وروحه البسيطة الاجمالية التى لها أحدية جمع الجمع يوم جمعة الحقايق على وحدانية الحق سبحانه ، وامتثال خلائق قواه الادراكية التركيبية والتحريكية أمره واستماعها فى ندائه اذا نفذ الى مسامعها صدائه ، ومشايعتها للروح وتركها لاستعمال البدن واغراضه ومعاملاته امتثالا لامر الله واجابة لداعى الحق فى قوله : ﴿ اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ [٩/٦٢] وقد مرت الاشارة الى أن الموت أمر طبيعى وسعى جبلى من القلب والقالب جميعاً .

ثم انه قد وردت الروايات في باب المتولي لهذه العمارة والاخذ لطينة وجود هذا المسجد الجامع متفاوتة ، ففي بعضها : ان الجامع لاجزاء بدنه وترابه هم الملائكة ، وفي بعضها : ان الآخذ لتراب قالبه هم رسل الله ، ليكون هم الرسالة الى عباده(١) ، وفي بعضهـا : ان ملك الموت قد أخذ قبضة من التراب(٢) ، وفي بعضها : ان الله تعالى قبض بيده قبضة من أديم الارض(٣) .

فهذه الروايات كلها صادقة الفحوى متوافقة المعنى عند الواقف على حقيقة ذات الانسان ، فان في ذاته وطينته اصولا أربعة ، ففيها الطينة النباتية لحياته النباتية من التغذية والتنمية والتوليد ، وفيها الطينة الحيوانية للاحساس والتحريك ، وفيها المادة النفسانيـة والعقل الهيولاني الذى هو محل الحيوة العقلية بمعرفة الحقائق ، وفيها الطينة القدسية التي هي محل معرفة الله ، وهي الفانية عن ذاتها والباقية ببقاء الله .

فاما الطينة النباتية فهي التي قبضها الملائكة الموكلة بعمارة هذا العالم العنصري، فاحياها الله بالماء ، كقوله ﴿من الماء كل شيء حي﴾ [٢١/٣٠] .

وأما طينته الحيوانية فهي التي جاء بها رسل الله بأمره ، ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [١٧/٨٥] اى حاصلة من عالم الامر .

واما حصة طينته التي ينشأ منها النفس النطقي فهي التي تكون حيوتها بنفخه تعالى روحه فيها ، لقوله : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [١٥/٢٩] .

وأما حصة طينة من كان عبداً مؤمناً عارفاً بالله فانياً عن ذاته باقياً ببقائه تعالى فهي التي قبضها الله تعالى وأحياها بروح القدس ، لقوله تعالى في حق عيسى - على نبينا وآله وعليه السلام - : ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ [٢/٢٥٣] .

---

(١) راجع علل الشرائع : ٢

(٢) بحار الانوار : باب فضل آدم وحواء وبعض احوالهما ١١/١٠٣ . الدر المنثور ١/٤٧ .

(١) بحار الانوار : الباب السابق ١١٦ .

ثم لما كان المتقرر عند ذوى البصائر والالباب ـ كما مر ـ ان القابض لطينة الانسان هو المتوفى له والقابض لروحه ، فتلك الطينة النباتية التى قبضت الملائكة ترابها ، وجعل الله حيوتها من الماء ، فتلك الملائكة تتوفاها وتقبض روحها الى الله لقوله تعالى ﴿ تتوفاهم الملائكة ﴾ [١٦/٣٢و٢٨] و أما الخلقة الحيوانية الماشية التى قبضها الرسل وأحياها الرب سبحانه بأمره ، فهم يأخذون روحها ويتوفونها لقوله تعالى ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ [٦/٦١] وأما السنخة الناطقة التى قبضها ملك الموت وأحياها الله تعالى بنفخة منه اسرافيلية ، فيتوفاها ملك الموت لقوله فى هذه الاية ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل بكم ﴾ [٣٢/١١] واما المادة القدسية والخميرة المقدسة الالهية التى قبضها الله تعالى وأحياها بروح القدس فهى التى يتوفاها ويرفعها اليه لقوله ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾[٣٩/٤٢] وقوله: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ [٥٨/١١] وقوله : ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ [٤٣/٣٢] فافهم واغتنم .

* * *

ومنها انه قد انكشف عند أهل الله ان العالم كله أعنى ماسوى الله حقيقة واحدة يشتمل على الخلق والامر ، لقوله تعالى : ﴿ألا له الخلق والامر﴾ [٧/٥٤] والامر كله هو قلب العالم وروحه ، لقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ [١٧/٨٥] لان نسبة احدهما الى الاخر كنسبة أحد جزئى الانسان الى الاخر ، اى روحه وبدنه ، بل هما روح الانسان وبدنه صارا بالنزول الانسان الجزئى ، كما أن الانسان الكامل يصير بالعروج عالما كبيراً ، وهذا من الامور المستبينة المستوضحة عند الراسخين فى المعرفة ، ثم التعانق بين هذا الامر وهذا الخلق والازدواج بين هذا العلوى وهذا السفلى هو حيوة العالم الكبير ، كما أن التعانق والازدواج بين روح الانسان وبدنه هو حيوة العالم الصغير ، فكذلك التفارق بينهما هو موت الانسان الكبير والقيامة الكبرى: ﴿لاأقسم بيوم القيامة﴾ [٧٥/١] كما أن الافتراق بين روح الانسان وبدنه

هو موت هذا العالم الصغير والقيامة الصغرى لقوله ﷺ : «**من مات فقد قامت قيامته**»(١) وسبب حيوة الجسد الانساني استكمال النفس وبلوغها الى غايتها وكمالها، ووصولها الى عالمها ومعدنها، وسبب جسمية العالم بلوغ روحها الى عالم الربوبية واختصاص ملكها لله الواحد القهـار ، والله سبحانه خالق الموت والحيـوة لقوله تعالى : ﴿خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم أحسن عملا﴾ [٦٧/٢] .

فاذا وقعت الواقعة وقامت القيامة يرجع الامر كله الى الله : ﴿ اليه يرجع الامر كله ﴾ [١١/١٢٣] ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [٦/٩٦] ويعود الخلق الى الخالق ، ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [٢٠/٥٥] هذا فى القيامة الصغرى، فالارواح كلها ترجع اليه تعالى: ﴿ألا الى الله تصير الامور﴾ [٤٢/٥٣] والاجساد كلها ترجع الى العدم والكمون والبطون ، لان مبادى حصولها جهات العدم والقوة والامكان .

ومن هيهنا يعلم سر شريف ، هو ان الموت لاخبر له عن أن الخلق والامر متى تفارق كل منهما عن صاحبه ، بل فى الانسان خلقة الحيوان والنبات مما قـد فنت وتلاشت وهى فى الذوبان والاضمحلال دائماً لقوله : ﴿ كل من عليها فان ﴾ [٥٥/٢٦] وبقيت حقيقة الانسانية والملكية ، أى حقيقة عقله وروحه ، لقوله ﷺ : « **خلقتم للبقاء ولم تخلقوا للفناء** » (٢) .

مثال ذلك الجوز، فله لبّان ـ لب ولب اللب ـ وقشران ـ قشر وقشر القشر ـ فاللبان أحدهما بمنزلة العقل والآخر بمنزلة الروح القدسى صالحان للاغتذاء والدواء، كما ان الحيوة الانسانية والملكية من أهل الجنان وخدمة الرحمان، والقشران بمنزلة النبات والحيوان ، خلقتا للفناء والاحتراق بنار الطبيعة .

---

(١) قال العراقى : اخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت . (ذيل احياء علوم الدين ٤/٤٩٥) .

(٢) مر الحديث آنفاً .

فظهر من جملة هذا أن النفوس الانسانية تصير في الاخرة قوالب اهل الجنة، مصورة بصورهم اللطيفة ، ويكون ارواحهم من العقول القادسة ، ويكون عقلهم من نور الانوار ، وهذا المعنى مما لاينكشف الا بالروح القدسي : ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [٢٤/٤٠] .

فهذه النفس الانسانية هي جسم لطيف وروحها القدسي جوهر مفارق من كل الوجوه ، وهذا النور الالهي أرفع من أن يتصور في فكر أوعقل ، لان العقل مأوى الصور الكلية والحقائق العقلية ، وهو المسمى بالعرش عند قوم ، واما القوة المفكرة فهي منتهى التصورات النفسانية والعقول التفصيلية ، ويقال لها الكرسي والصدر المعنوي عند طائفة .

* * *

وقد انتهى الكلام الى ماعجز عن دركه جمهور الانام ، اللهم اجعل هذه الكلمات محروسة عن ملاحظة الناقصين ، واسترها عن أعين المغرورين ، واجعل لاصحاب القلوب الصافية نصيباً وافراً من دركها ، ورغبة تامة في حفظها ، ثم في صونها عن الاغيار ليكون مستقرهذا المعاني صدور الاحرار التي هي قبور الأسرار، لتكون في روضة من رياض الجنان ، ولا تجعلها في بطون الاشرار كيلا يكون في حفرة من حفر النيران ، وهم الظاهريون الذين زينوا ظواهرهم بالنقوش المزخرفة والاقوال المزينة المليحة الحلوة ، كالاطعمة والحلاوات ، واهملوا بواطنهم ، بل احشوها بالنفاق والجهل والاستكبار عن الحق والحقائق، كبطون الفجار وقبور الكفار.

همچو گور كافران بيرون حلل واندرون قهر خدا عز وجل

اللهم اجعل قبرنا روضة من رياض الجنان ولاتجعلها حفرة من حفر النيران .

* * *

قوله سبحانه :

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

جزاء « لو » محذوف ، وهو مثل : « لرأيت امراً فظيعاً » ان كانت امتناعية كما عليه الاكثرون ، و الخطاب حينئذ اما للرسول ﷺ ، أو لكل أحد كما يقال : « فلان لئيم ان أكرمته أهانك » من غير ان يقصد مخاطب مخصوص .

« ولو » « واذ » وان كانتا للمضى الا انه ساغ وشاع استعمالها فى كلام الله للترقب ، لانه بمنزلة المتحقق الوقوع ، وفيه سر آخر. ويحتمل أن يراد به التمنى ، ونسبة التمنى هيهنا للرسول ﷺ كنسبة الترجى له فى قوله تعالى: ﴿لعلهم يهتدون﴾ [٣١/٢١] لتجرعه منهم كاسات الغصص لاجل تكذيبهم اياه وعداوتهم وضرارهم ، فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من انتكاس رؤسهم وحزنهم وغمهم وتأسفهم ، ليشمت بهم .

هذا ما فى الكشاف ، وفيه أن هذا لايلائم كونه ﷺ رحمة للعالمين ، وجلالة قدره أرفع من الشماتة والانتقام للتشفى لسورة الغضب ، لان هذا من انفعالات القوى الجرمانية المتعلقة بالمواد ، وله مقام العندية الى فوق كل غرض جزئى وجراحة قلبية ، سيما وسياق الاية تدل على كون المجرمين ممن لهم شائبة نورالايمان ، اذلو سقطوا بالكلية عن نورالفطرة واحتجبوا رأساً، وانطمست نفوسهم لغلبة الكفر، وزالت انوارهم العقلية بالرين ، وانغلقت ابواب المغفرة فى حقهم ، لم يقولوا « ابصرنا وسمعنا » ولم يتمنوا الرجوع لان يعملوا العمل الصالح ، ولم يكونوا موقنين ، فهؤلاء و ان احتجبوا عن لقاء الله بسبب شدة ميلهم الى الجهة السفلية ، وانتكاس رؤسهم الى الجرميات والظلمات ، لكنهم لبقاء الاعتماد بالمبدء

والمعاد ، و مرتبة الرسالة الحاصلة لخير العباد ، وتمنيهم الرجوع للعمل الصالح لايخلدون فيالعقاب ، كما توهمه المعتزلة كالزمخشري واترابه ، بل يعذبون حينا بحسب رسوخ الهيآت ثم يرجعون الى الفطرة ـ كما عليه اكثر الامة واصحابنا الامامية رضوان‌الله عليهم ـ و شأن النبي ﷺ وعادته بالقياس الى مثل هؤلاء و من هوأبعد منهم عن الحق ماأفصح‌الله عنه بقوله :﴿واما من استغنىفانت لهتصدى ﴾ [٨٠ / ٦] وقوله ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا﴾ [١٨/٦] .

اثر تبصرى

فانقلت:انهذا الانكشاف ربما يحصل للمجرمين بعد الموت عند مشاهدة الاحوال ومعاينة الاهوال، فيعلمون‌بصدق الوعد والوعيد، ويصدقون خبرالرسالة

قلت : هذا القدر من الايقان لايحصل‌للكفار المطموسة أبصارهم وأسماعهم بالكلية ، المحتجبة نفوسهم بالرين والظلمة الدائمة لقولهتعالى: ﴿من كان فيهذه اعمى فهوفيالآخرة اعمىواضل‌سبيلا﴾، [١٧/٧٢] فبحكم‌عكس النقيض: كل من كان فيالاخرة بصيراً سميعاً ، فله فيالدنيا شيء من نورالبصيرة الايمانية، وان كان فى غاية الضعف والقصور والافة والمرض والعمش والسبل ، لاالعمى والكمه .

سر افاضى

اعلم انالله تعالى لماذكرمبدء خلقة الانسان بحسب كل‌من أصليه الروحانى والجسمانى ، وبيّن كيفية معاده بأنه توجه معنوى لنفوسهم ، وسلوك طريق فى الباطن اليه تعالى اما بالوصول والرجوع اليه تعالى والى رضوانه ـ ان كانت من السعداء ، وذلك يتوفى ملك موكل على جذب الارواح اليه تعالى بطريق مستقيم ـ وامابالانحراف عن الصراط المستقيم والانكاس الى أسفل الجحيم، وذلك يتوفى

ملائكة العذاب ، فحسب اياها على ماذكر فأراد أن يبين أن استنياف هذه الحركة المعنوية للنفوس الغير البالغة حد الكمال ، هل هو متصور أملا ، فكشف قناع الابهام عن وجه هذه المسئلة على وجه ظهر استحالة رجوع النفس الى مبدء تكونها، كي ينقطع طمع بعض الناس فى تجويز العود الى الدنيا مرة اخرى كما ذهب اليه طائفة من التناسخية .

وهذه الاستحالة لايظهر حق الظهور الابنور الرسالة و ماينتهى اليه لان عقول العقلاء و اذهان جماهير الحكماء الغير المقتبسين أنوار حكمتهم من مشكاة النبوة والولاية قاصرة عنها، والدلائل على ابطال التناسخ غير قاطعة ، ولهذا وقع الخطاب للنبى ﷺ لاختصاصه بمشاهدة أحوالهم على وجه يمتنع لهم الرجوع الى الدنيا، لصيرورة نفوسهم مصورة بهيئات ردية خرجت بها عن أصل الفطرة والاستعداد، وبقيت فيها داعية الاستكمال مع بطلان الالة المعدة للكمال .

ومماينبهك على بطلان التناسخ واستحالة الرجوع الى الحالة الاولى ،مقايستك حال النفس فى تطوراتها وشئوناتها بحال البدن فى تدرجاته وترقياته من حد الطفولية بل من أول قرار المنى فى الرحم الى غاية الشيخوخة ، فكما أن للبدن بعدما خرج من القوة و الاستعداد اللذين كانا له حال كونه منياً و فى كل حالة من حالات الطفولية والصبوية و المراهقية والشباب و الكهولة و الشيخوخة طوراً اذا بلغ اليه يستحيل له بحسب الطبع أن يرجع الى حالة سابقة له ، فكذلك قياس النفس فى اوقات تكونها وبلوغها الى مرتبة من الفعلية بعد كونها أمراً ساذجاً ولوحاً صافياً وعقلا هيولانياً ، يكون بالقوة من كل الوجوه ، فاذاخرجت عن الهيولانية وصارت بالفعل بسبب اشتغالها بالبدن ، وبسبب استعمالها للحواس والمشاعر والالات ، سواء فيما خلقت لاجله ، حتى يكون شاكرة، أملا حتى يصير كفورة ، فلايمكن رجوعها الى حالتها التى كانت بحسبها بالقوة .

وبهذا الاصل دفعنا شبهة التناسخ باذن الله وتأييده ، فان من جوز انتقال النفس

بعد موتها الى جسدما يتكون فى الرحم من المنى ، يلزم عليه أن يكون شيء واحد بالقوة و بالفعل فى مرتبة واحدة ، فتمنى الرجوع الى اول الخلقة و حالة الترابية والهيولية للانسان كما وقع للكفار على ماحكى الله عنهم بقوله : ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ [٧٨/٤٠] تمنى أمر مستحيل الحصول

وفى قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى و كل بكم﴾ [٣٢/١١] اشارة لطيفة الى أن التوجه من هذه النشأة الى نشئات اخرى أمر منوط بالاسباب القاصية الفاعلية والعلل الذاتية السابقة القضائية ، فيكون التوجه الى عالم الموت والنشأة الثانية أمراً طبيعياً ، والحركات الطبيعية المنوطة بالاسباب العالية يستحيل عليها الرجوع كما فى حركات الافلاك .

ورأيت فى خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه ماترجمته هذا البيت الفارسى :

سوى مرگ است خلق را آهنگ   دم زدن گام وروز وشب فرسنگ

قوله سبحانه :

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

لما ظهر مما سبق ان رجعة النفوس الى فطرتها الاصلية بعد اكتسابها طريقة الخذلان والشقاوة والحرمان أمر مستحيل وقعت هيهنا للاذهان الوهمانية مظنة شبهة هى انه لماذا لم يخلق النفوس كلها من الله سعداء من أهل الهداية والرحمة ؟ حتى لايكونوا مجرمين محرومين عن درجات الجنان والسعادة والرضوان ؟

فأزال تعالى هذا الوهم وأزاح امكان وقوعه فى الخارج ، لان ماهو الواقع على أشرف الامكانات وترجيح الاخس على الاشرف مستحيل الوقوع من الواهب الحق ، والمحال لايكون مقدوراً عليه ، لانه لاشيء محض لا ماهية له ، وانما هو

أمر يخترعه الوهم الكاذب .

فقال : « ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها » بالتوفيق والايمان والالجاء اياها لسلوك سبيل الرحمة والرضوان ، ولكنه ينافى الحكمة والمصلحة الكلية المقتضية لحفظ النظام على أفضل مايمكن من الوجود والقوام ، اذ لو كان الامر كما توهم لبقيت النفوس كلها على طبقة واحدة ، وفات بقاء سائر الطبقات المتصورة فى حيز الامكان من غير ان يخرج من الكمون والبطون الى منصة البروز والظهور، والرحمة مقتضية لايصال كل مستحق الى مايليق به ، لئلا يخلو اكثر مراتب هذا العالم عن أربابها ، فيبقى فى العدم امور جمة غفيرة ، ولايتمشى الامور الخسيسة ، التى يحتاج اليها فى بقاء النفوس الشريفة ، كيف ولولم يكن الكناس والحجام فى العالم لاضطر الحكيم الى مباشرة الكنس والحجامة .

ولابد ايضاً فى ظهور بعض صفات الله الجلالية من وجود اهل الحجاب والذلة والقسوة والظلمة ، البعداء عن الرحمة والمحبة والنور، والا فلاينضبط نظام العالم ، ولايتم صلاح المهتدين لوجود الاحتياج الى سائر الطبقات، كما لوّحنا اليه من أن المظاهر لو كانت كلها انبياء واولياء واخياراً لاختل بقائهم بعدم النفوس الغلاظ والشياطين من الانس والجن القائمين بعمارة هذا العالم ، ألا ترى الى ما ورد من قوله تعالى : **انى جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم** .

فوجب فى الحكمة الحقة الالهية ، التفاوت فى الاستعدادات بالقوة والضعف، والصفاء والكدورة ، و ترتب الدرجات على حسبها ، والحكم بوجود كل طبقة من السعداء والاشقياء فى الفضائل والرذائل ، لتجلى الله سبحانه بجميع الصفات ، ويظهر منه جميع اسمائه الحسنى، فان الغفور، والعفوّ، والعدل، والمنتقم، والتواب، والمضل وامثالها اسماء لايتجلى الحق بها الا اذا جرى على العبد ذنب .

ولذلك وقع فى الحديث : « **لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون**» وعن النبى ﷺ : «**انين المذنبين احب الى من زجل المسبحين**».

واليه الاشارة بقوله : « ولكن حق القول منى » اى بحسب اقتضاء العناية الازلية والقضاء السابق ، وكثيراً ماطلق القول والكتابة من قبل الله سبحانه ، ويراد الفعل من جهة مايوجبه التقدير الازلى المنوط بالاسباب القصوى الالهيـة ، كقوله تعالى ﴿وحق عليهم القول﴾ [٢٥/٤١] وقوله: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ [١٢/٦].

« لاملان جهنم » اى جهنم الطبيعة السفلية التى ستطلع نيرانها ويبرز ايلام عذابها فى الاخرة ، فان حقيقة نار الجحيم انمانشأت من هذا العالم ، واما ظهورها على الافئدة ، فهو مختص بيوم الاخرة ، فكما ان الدنيا مملوة من الكفار والفجار، فكذا جهنم الاخرة مملوة من الجن والانس اجمعين ، وهم اكثر عمار هذا العالم من النفوس المكارة الوهمانية والارضية الجاسية الغليظة الطبايع لما مر ان النظام لاينصلح الا بأن لايكون هذا العالم مشحوناً بالجهلة والارذال والكفرة والمنافقين ، وان اهل الله لايكونون الاالاقلين ، مع انغيرهم من اشخاص المواليد ماخلقت الا لاجلهم ،لانهم اللب الاصفى من شجرة الطبيعة ، والباقى بمنزلة القشور على مراتبها، فحقت عليهم كلمة العذاب ، كما حقت على العـود والحطب الاحتراق بالنار ، لما صدر عنهم مايؤدى الى ذلك على وجه الاختيار المنبعث عن الاسباب الغائبة لاعلى وجه الالجاء والاضطرار، لانهم استحبوا العمى على الهدى ، فوقعوا باختيارهم فى المحنة والبلوى ، والقوا انفسهم بايديهم الى الهلكى .

* * *

فان قلت : اذا كان الكل بقضاء الله وقدره فلماذا يعاقب الله من ساقه القدر الى ارتكاب الجرائم والخطيآت ؟

قيل: هذا السؤال منك ناش من جهلك بحقيقة العقوبات الالهية ، فانك لاعتيادك بأفاعيل الناقصين من المختارين كانعامهم على الصديق وانتقامهم عن العدو، الناشين من اعتقاد النفع ودفع الم الغضب والغيظ ، تعتقد ان العقوبات الاخروية مـن باب الانتقام للتشفى الحاصل منه للمنتقم، فيتخلص به عن الم التهاب نار الغضب ، هيهات

انما العقاب امر يتعقب على فعل الخطيآت وهومن اللوازم والتبعات التى يتأدى اليه اقتراف السيئآت، وبالحقيقة النفوس العمالة فى الدنيا هى بعينها حمالة حطب نيرانها يوم الاخرة «رب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا» بل نفس الشهوة هيهنا يتصور بصورة النار المضرمة هناك .

وقد افصح الله تعالى عن هذا المعنى فى قوله: ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ [١٨٠/٧] وقوله: ﴿فاصابهم سيآت ماعملوا﴾ [٣٤/١٦] وقوله: ﴿انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها﴾ [٢٩/١٨] وقوله : **(انما هى اعمالكم ترداليكم)** (١) .

ولهذا عقب هذه الاية بقوله سبحانه:

فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ
وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان امر المعاد وقلة التأمل فيه و ترك الاستعداد لها .

«والنسيان» خلاف «التذكر» ونسبته اليه تعالى امامن باب صنعة المشاكلة ، كما فى قوله سبحانه ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [٤٠/٤٢] و المعنى أن انهماككم فى الشهوات أغفلكم وأنساكم عن معرفة الله وعلم المعاد ، فنسيناكم اى جازيناكم جزاء نسيانكم ، واما لان علمه تعالى بالممكنات لما كان ناشياً عن علمه تعالى بذاته الذى هو عين ايجاده لها ، ويكون علمه بها تذكراً لها لانه علمها اولا فى مرتبة ذاتها علماً كمالياً اجماليا . ثم علما فى مرتبة متأخرة ، هى عين وجوداتها علما ثانياً ، و عدم هذا العلم بشىء الذى هو النسيان ، عبارة عن عدم ايجاده اياها عدماً ناشياً عن عدم

(١) فى مسلم:١٣٣/٢٦ :انما هى اعمالكم احصيها لكم .

الاستعدادات وفقدان الأسباب الموجبة الى نحو كمالى من الوجود ، فان للوجود والحيوة والنورية مراتب متفاوتة ، ومقابل كل مرتبة منها مرتبة من العدم والموت والظلمة .

فحيوة اهل الايمـان مطلقا مرتبة لايكون لغيرهم لاختصـاصهم بقوله ﷺ: **المؤمن حى فى الدارين** .

وحيوة الشهداء مرتبة اخرى فوقها لقوله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [١٧٠/٣]

وحيوة الاولياء مرتبة فوق الجميع لقوله ﷺ : «ابيت عند ربـى يطعمنى ويسقينى» (١) وهم الذين قال تعالى فيهم: «**من قتلته فاناديته**» اى حيوته .

وفرق بين من يكون مرزوقا عند الرب تعالى ومن يكون يطعمه ويسقيه ربه وكذا فرق بين من يكون حياً عند الرب ومن يكون حيوته بالحق تعالى .

وبازاء كل من هذه الاقسام للحيوة قسم من الموت ، كما قال الله تعالى للكفار ﴿لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبورا كثيراً﴾ [١٤/٢٥].

فالمراد بنسيان المجرمين اياه تعالى هيهنا موت الجهل، لان معرفته ومعرفة اليوم الاخر يؤديان الى حيوة الاخرة بلقاء الله ، لان ذات الله تعالى مبدء الاشياء وغايتها والمعرفة هنا بذر المشاهدة هناك ، لان الدنيا مزرعة الاخرة ونسيانه تعالى اياهم لازم ، لانه عبارة عن عدم افاضة نور الحق عليهم لعدم خروجهم عن غلاف البشرية وحجب الشهوات والتعلقات بالاجرام الكثيفة الدنياوية حتى صاروا عين هذه الحجب وقيل: النسيان هنا بمعنى الترك اى تركتم ذكر العاقبة ، فتركناكم من الرحمة.

* * *

واعلم ان السعادة الانسانية منوطة بشيئين : بالعلم الذى هو عبارة عن الايمان

---

(١) البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : [١١٩/٩] وجاء الحديث ايضا فى بقية الصحاح راجع المعجم المفهرس : [٢٨١/٢] .

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر، وبالعمل الذى حاصله تصفية مرآة القلب عن شواغل الدنيا ومستلذاتها ، وترك الاول يوجب السقوط عن درجة أهل القرب والسعادة وانتكاس الرأس، وترك الثانى يوجب العذاب الاليم، فالله سبحانه قد راعى هذه الدقيقة ، فجعل كلا من الشقاوتين منوطة بما يوجبه ، والمعنى : فذوقوا ما أنتم فيه من نكس الرؤوس الى عالم الجحيم والخزى والحجاب الدائم بسبب نسيان اللقاء، وذوقوا العذاب الخلد الاليم فى دار جهنم ، بسبب ما عملتم من ترك النظر فى امر العاقبة وفعل المعاصى الموبقة والكبائر المهلكة ، والاخلاد الى ارض الطبيعة السفلية، فالموت العقلى والهلاك الاخروى من لوازم الكفر والجهل المركب ، والخلود فى عذاب الجحيم ونار الحميم من لوازم الاخلاد الى شهوات الدنيا وحلاواتها التى هى بعينها آلام مؤذية وسموم مهلكة .

قوله سبحانه :

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا
وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾

لما ظهر من الاية السابقة كون الشقاوة الابدية متسببة عن الكفر الذى هو ضرب من الجهل بالله وآياته واليوم الاخر، وعن النقصان الذى يحصل من فعل المعاصى وترك الطاعات، اراد ان يشير الى ان اى مرتبة من المعرفة يحصل منه السعادة العلمية وبتخلص به من الشقاوة التى بازائها ، واى مرتبة من العمل الصالح يوجب الفوز بنعيم الجنان ، والنجاة من عذاب النيران .

ولما كان الايمان اسماً جامعا لمجموع هذين المعنيين ذكر للمؤمن خواص ثلاثة علمية قلبية، وخواص ثلاثة عملية بدنية ، ليبين ان مجرد كلمة الشهادة من

غير معرفة برهانية او كشفية لايوجب الخلاص من الشقاوة الذاتية العلمية ، ومجرد الاعمال البدنية من غير تهذيب الباطن وتصفية القلب لايوجب النجاة من العذاب الاليم .

فالاولى من الصفات العلمية ، كون العبد بكثرة مزاولة المعارف الالهية بحيث اذا ذكر بآيات الله ، اى المعارف المذكورة فى القرآن ، اوافيد بالحقائق الايمانية او وعظ بتقوى الله والزهد الحقيقى ، تذكر بها واتعظ بمواعظها واعتبر بأمثالها ، وفهم دثور الدنيا وفنائها ، خاضعاً لايات الله ، للين قلبه وصفاء فطرته ساجداً فانياً فيها نازلاً مما كان قبل ذلك من نشأته الحيوانية وعمايعتقده من حوله وقوته وقدرته، وهذا اخص خواص المؤمن الذى لايوجد لغيره كما افصح الله عنه بقوله : ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذاتليت عليهم آياته زادتهم ايماناً﴾ [٢/٨] لان هذه خاصية علمية لاتوجد الافى العارفين بالله وآياته، وهى اساس الدين واصل سائر الحسنات .

والثانية منها : ان يكون العبد مسبحاً مقدساً ربه حامداً له ، وهو عبارة عن تجريد ذاته عن صفات الاجسام، واتصافه بصفات الملائكة، وتشبهه وتخلقه باخلاق الله، فذلك هوتسبيح المؤمنين حقاً، كما صرح به بعض ائمة العلم والعرفان، ووجه ذلك ان كثرة مزاولة الفعل والرسوخ فى الاتصاف بصفة على الكمال يؤدى بصاحبه الى صيرورته من حقيقة ذلك الفعل وجنس تلك الصفة ، او لاترى ان كثرة تسخّن الحديد بمجاورة النار بواسطة النفاخات تؤدى به الى أن يكتسى صورة النارية ويفعل فعلها ، فلاتتعجب من صيرورة المؤمن الحقيقى مفارقا محضاً كالملائكة المقربين الذين شأنهم التسبيح والتقديس ، لان دأب العرفاء والحكماء تجريد الحقائق عن الزوائد والمشخصات ، وتنقيح المقاصد عن الفضول و الحشويات ، والتفرقة بين الذاتى والعرضى فى كل باب ، كيف والتعقل ليس معناه فى مصطلح القوم الا هذا التجريد والتوحيد ، فبكثرة فعل التجريد والتوحيد الواقعتين منهم دائماً بلغوا الى

مرتبة التجرد عن الخلائق ، والتوحيد عن الغواشى البدنية ، حتى عرفوا وشاهدوا تنزيه البارى وتوحيده وحمدوه حق حمده .

والثالثة: انهم لايستكبرون عن سماع آياته، كما يستكبرعنه من يصرمستكبراً كان فى اذنيه وقراً ، لانه لايبلغ الى مقام الايمان الابسماع العلوم والايات ونحوه قوله تعالى : ﴿ ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ﴾ [١٠٧/١٧] ولا يتكبرون ايضاً على أحد بظهور صفات النفس والانانية ، وذلك لفنائهم ذاتاً وصفة واستغراقهم فى شهود ذاته تعالى وصفاته كيف والوجود مقصورعندهم على ذاته تعالى وصفاته وافعاله ، فعلى من يتكبرون؟

واما خواصهم الثلاثة العملية فهى التى ذكرها الله فى قوله سبحانه :

تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

« التجافى عن المضاجع » ظاهراً تنحى أبدانهم عن الفراش ومواضع النوم لصلوة الليل، لانهم المتهجدون بالليل القائمون عن مواضعهم للصلوة ـ عن الحسن ومجاهد وعطا ، وهو المروى (١) عن ابى جعفر وابى عبدالله عليهما السلام .

وباطناتنحى ارواحهم بحسب قواهم العملية عن الغواشى الطبيعية والشواغل الجسمية التى تلى الجنبة السافلة منها ، والقيام عن المضاجع البدنية والخروج عن عالم الاجسام بقطع التعلقات ومحو الاثار ، او عن عالم الامكان بمحوالصفات .

روى الواحدى (٢) باسناده عن معاذ بن جبل «قال : بينانحن مع رسول الله

---

(١) تفسير البرهان : ٢٨٣/٣ .

(٢) اسباب النزول : ٢٦٢ . وفيه فروق يسيرة .

صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك ، وقد أصابنا الحرفتفرق القوم ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وآلـه أقربهم مني ، فدنوت منه فقلت : يا رسول الله ! انبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار .

قال : سئلت عن عظيم ، وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلوة المكتوبة ، وتؤدى الزكوة المفروضة ، وتصوم رمضان .

قال : وان شئت أنبأتك بأبواب الجنة(١) ؟

قال : قلت : أجل يارسول الله .

قال : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله تعالى ـ ثم قرء هذه الاية ـ».

وقيل : نزلت في الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة .

وعن انس(٢) : نزلت فينا معاشر الانصار ، كنا نصلي المغرب فلانرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء الاخرة مع رسول الله ﷺ .

وقيل: هم الذين يصلون مابين المغرب والعشاء الاخرة ، وهي صلوة الاوابين.

واما دعائهم ربهم : فهو توجههم الى التوحيد ومقام العندية ، وعبادتهم بمقتضى العبودية خوفاً من سخط الله والتردي في مهوى الطرد والبعد ، او من جهة الاحتجاب بصفات النفس وطمعاً في بقاء ذاته ـ ان كان من المقربين ـ وفي رحمة الله وجنانه ، ان كان من اهل العمل .

وعن رسول الله ﷺ (٣) : «اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة ،

---

(١) المصدر : الخير .

(٢) المصدر السابق : ٢٦٢.

(٣) جاء مايقرب منه في الدر المنثور : ١٧٦/٥ .

جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم : سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم .

ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل .

ثم يرجع فينادى : ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء ، فيقومون وهم قليل ، فيسرحون جميعاً الى الجنة ، ثم يحاسب سائر الناس» .

واما انفاقهم مما رزقوا : فهو ايتاؤهم الزكوة من المال وتعليمهم المعارف والحقائق على اهل الاستعداد .

قوله سبحانه :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

اى لا تعلم نفس من النفوس ـ لاملك مقرب ولا نبى مرسل ـ ما ادخر الله لاولئك الموصوفين بالاوصاف المذكورة وأخفاه لهم من جميع خلائقه ، لايعلمه الا هو مما يقرّ به عيونهم من جمال الذات ولقاء نورالانوار ، فيجدون من اللذة والسرور مالايبلغ كنهه ولايمكن وصفه ،كما فى الحديث الربانى(١) : «**اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر**» جزاءاً بمـا كانوا يعلمون من الاعمال القلبية والتأملات القدسية ، المستلزمة للاعمال البدنية على وفق احكام التجليات وشروق الافاضات .

---

(١) ابن ماجة : كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ٢ر١٤٤٧ .

اشراق فرقانى

اعلم ان اسعد الخلق فى الاخرة اقواهم حباً لله وأشدهم شوقاً للقائه ، فان معنى الاخرة القدوم على الله ودرك سعادة لقائه ، وما اعظم نعيم المحب المستهتر اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير مزاحم ومكدر ومنغض ورقيب وخوف الانقطاع، الا ان هذا النعيم على قدر الحب واستيلائه وشدته ، وان لم ينفك عن اصل المحبة مؤمن، كما لاينفك عباده عن اصل المعرفة ، والا لم يكن المؤمن مؤمناً ـ هذا خلف ـ .

وانما يحصل ذلك بشيئين :

احدهما : قطع العلائق واخراج حب الدنيا وما فيها من القلب ، فبقدر ما يشغل القلب بغير الله ينقص منه حب الله ويفرغ اناء قلبه عن ذكر الله بقدر اشتغاله بغيره ، لان قلب كل احد واحد : ﴿ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ [٣٣/٤] والكفر عبارة عن امتلاء القلب بمحبة الباطل ، و كل ماسوى الله باطل دون وجهه الكريم ، والمحب التام المحبة لله من امتلاء قلبه من محبته ، واليه الاشارة بقوله: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ [٦/٩١] .ل هو معنى قول ﴿ لااله الا الله ﴾ على التحقيق ، اى لا معبود ولا محبوب سواه ، ولذلك قال ﴿ افرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ [٤٥/٢٣] وفى الحديث عنه ﷺ : **ابغض اله عبد فى الارض الهوى** (١) ، ولذلك قال النبى ﷺ: «من قال لااله الاالله مخلصاً وجبت له الجنة» ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله ، فلايبقى فيه شركة لغير لله ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه ، لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه ، وموته خلاصه من السجن وقدومه على محبوبه .

---

(١) فى الدر المنثور : ٥ر٧٣ : قال رسول الله ﷺ ماتحت ظل السماء من اله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع .

والسبب الثانى لقوة المحبة قوة المعرفة لله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهيره من الشواغل وهى بمنزلة وضع البذر فى الارض بعد تطهيرها من الحشيش ، فيتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة ، وهى الكلمة الطيبة التى ضرب الله لها مثلا فى قوله : ﴿الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾[٢٤/١٤] واليه الاشارة بقوله : ﴿اليه يصعد الكلم الطيب﴾[٣٥ر١٠] فهى المعرفة ، نعم والعمل الصالح يرفعه ويحركه ، ولذلك قال: ﴿جزاءاً بما كانوا يعملون﴾ [٣٢ر١٧] لان العمل الصالح كالحامل (كالخادم-ن) له ، وانما فائدة العمل كله فى تطهير القلب اولا من الدنيا ثم فى ادامة طهارته ،واصل الطهارة والصفاء لكونه امراً عدمياً لايراد لنفسه بل لهذه المعرفة ، وكذا العلم المتعلق بكيفية العمل يراد للعمل ، فالعلم هو الاول والاخر .

تتمة

الواصلون الى هذه النعمة العظيمة ينقسمون الى الاقوياء والضعفاء ،فالسابقون الاولون هم الذين درجتهم درجة العقول القادسة والملائكة المهيمة ، اول معرفتهم لله تعالى وبه يعرفون غيره ، واليه الاشارة بقوله تعالى :﴿اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾ [٤١ر٥٣] وبقوله : ﴿شهد الله انه لااله الا هو﴾ [٣ر١٨] .

ومنه نظر بعضهم حيث قيل له : بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربى بربى، ولولا ربى ماعرفت ربى .

واللاحقون التالون هم الذين درجتهم درجة النفوس الكلية والملائكة المدبرة، فيكون اول معرفتهم بالافعال ، ثم يترقون منه الى صفات الله ، ثم الى ذاته ، فالله سبحانه غاية افكارهم كما ان الله فاعل افكار الاولين ، والى هؤلاء الاشارة بقوله : ﴿سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق﴾ [٥٣/٤١] وبقوله: ﴿اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض﴾ [١٨٥/٧] وبقوله: ﴿قل

انظروا ماذا فی‌السموات والارض﴾[١٠/١٠١] وبقوله:﴿الذی‌خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴿ ثم ارجع البصر كرتين﴾ ـ الاية ـ [٦٧/٣-٤].

وهذا الطريق هوالاسهل على الاكثرين ، وهوالاوسع على‌السالكين، ولهذا وقعت دعوة القرآن اليه اكثر ، والامر بالتدبر والتفكر فى بدائع الفطرة والاعتبار والنظر فى آيات الافاق والانفس خارج عن الحصر، اذ النجاة من العذاب الدائم موقوف على حب الله تعالى ، وعدم الاشتراك فيه ، وهو متوقف على المعرفة ، فطلبه واجب لكونه مقدمة امر واجب هو الخلاص من العقاب الدائم ، وما لايتم واجب المطلق الا به فهو واجب ، فطلب المعرفة والعلم بالله فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ايضاح تفصيلى

لك أن تقول ان كلاالطريقين وعر وصعب ، فاوضح منهما مايستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة .

فاعلم ان الطريق الاعلى والمشرب الاصفى‌عن شوب الاشراك هو الاستشهاد بالحق على‌سائر الخلق كما هو الواقع، فان وجودالموجودات رشح وتبع لوجوده، فينبغي ان يكون المعلوم المشهود على وفق الواقع الموجود ، الا انه غامض دقيق، والكلام فيه خارج عن فهم اكثرالخلائق ، فلافائدة فى ايراده فی‌الكتاب والتعاليم .

واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غيرخارج عن‌حد الافهام ، وانما قصرت عنه افهام‌الاكثرين لاعراضهم عن‌التدبرفی‌الايات، واشتغالهابشهوات الدنيا وحظوظ النفس .

والمشتغلون بهذا الطريق الاسهل امااني‌كون نظرهم فی‌مايقبل الفساد والتغير والحركة والزمان ، وموضوع علمهم الاجسام الطبيعية والفلكية و العنصرية من

الحيثية المذكورة، وبحثهم عن معرفة انواعها وعوارضها الذاتي بالبرهان المستفاد من العلة القريبة كالمادة والصورة في الادراك التصديقي اوبالحد المستفاد من الجنس والفصل في الادراك التصوري ، فيسمى علمهم علما طبيعياً، وهم الحكماء الطبيعيون الذين يصلون الى معرفة الله تعالى والاعتقاد بوجود ذاته وصفاته وأعاله من طريق الحركة وعوارضها، وبهذا الطريق سالك الخليل عليه السلام على ماحكى الله عنه بقوله : ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى﴾ الاية [٦/٧٦] .

وان كان نظرهم في حقائق الممكنات مطلقا ومباديها وغاياتها الثابتة الخارجة عن الحركة والزمان ، وموضوع علمهم الموجود المفارق عن المادة ولواحقها في الوجود و التعقل جميعاً ، وبحثهم عن اثبات انواعه و عوارضه بالبرهان الضرورى الازلى الدائم ، المستفاد من فاعل الوجود وغايته ، وبالحد المستفاد منهما ايضاً ، اذ الصورة في المفارقات غير مفتقرة الى علّة مقارنة ، بل انما يتقوم ذاته وماهيته مما يتقوم به وجوده، لما تقرر هناك ان « لم هو » و« ما هو » في البسائط المفارقة شيء واحد ، فيكون معرفتهم هذه علما الهيا وهم الحكماء الالهيون ، لان غاية معرفتهم وحكمتهم هوالوصول الى الحق الاول ومجاوريه من الملكوت الاعلى.

بل غاية هذين العلمين جميعا وثمرتهما معرفة البارى جلت اسمائه الا ان في الادون منهما حصلت بتوسط معرفة النفس التى هى مرقاة معرفة الرب ، كما في الحديث المشهور (١) وفي الاعلى من غير توسطها .

* * *

واما الطريقة التى هى فوق تينك الطريقتين، فهى التوصل الى معرفة ذاته تعالى بذاته : وذلك بان ينظر اولا الى نورالوجود المنتشر في أهوية ماهيات الممكنات المنبسط على سطوح هياكل الممكنات ، ثم يعرف من حقيقته المطلقة التى هى اجلى من كل متصور واول كل تصور تقدمه على كل شيء له ماهية غير الوجود ، حتى

---

(١) من عرف نفسه فقد عرف ربه .

يتكشف له مانفس حقيقة الوجود المحض المجرد عن كل موضوع ومحل، والمستغنى عن كل سبب فاعلى اوغائى كالماهيات اومقـوم فصلى كالانواع، اومقسم كالاجناس اومشخـص كالكلى مطلقا، اوصورى كالمواد، اومادى كالصور والاعراض، اوالجميع كالاجسام، لان كلا من هذه الامور يسقط اوليته وتقدمه فيعلم انه بسيط الحقيقة من كل الوجوه، غنى عما سواه، مفتقر اليه ما سواه دفعا للدور والتسلسل، فيعلم من هذا ان صفاته الكمالية عين ذاته والجميع امر واحد فلاتكثر [فى] الواجب بالذات، فيكون البارى احدى" الذات والصفات جميعا، فيكون خالقيته بما هو ذاته ووجوده.

فاذا علم ذاته وصفاته على هذا الوجه وعلم أن ذاته وصفاته [واحد] يعلم أفعاله، وأنها نهج واحد مستمر لقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [٣٣-٦٢] فيعلم أن أول ما صدر يجب أن يكون جوهراً قدسياً ثم جوهراً آخر كذلك الى ماشاء الله من سلسلة الملائكة المقدسين، وبتوسط أولئك المقربين سلسلة أخرى من النفوس المجردة ضرباً من التجرد وضرباً من التعلق بالاجرام الدوارة شوقا وطربا الى لقاء الله لورود الاشراقات العقلية المتتالية على ذواتهم، لكل منها بواسطة علة مفارقة قريبة مختصة، وذلك لاختلاف الحركات والآثار الدالة على اختلاف الوسائل لئلا ينثلم وحدة البارى جل مجده، وبالجملة ينتقل من كل عال الى سافل ويعرف من خاصية كل فاعل كيفية فعله وأثره الى أن يستقصى الموجودات ويحيط بالعالم الموجود بنور مبدع الوجود، وهذه طريقة الصديقين الذين يعرفون بنور الحق ماسواه، ولايستدلون على نور الوجود بهذه الظلام، ولاعلى صباح الفطرة بليالى هذه الاجسام.

تتمة

ثم ان قوله تعالى «جزاء بما كانوا يعملون» قد حسم عرق أطماع المتمنين وقلع باب اغترارات المعطـلين القاعدين عن تحصيل العلم والعرفان، ظناً منهم ان مجرد دعوى الايمان اوالتشبث بأئمة هذا المذهب أوصورة الاعمال الظاهرة يؤدى الى نعيم الجنان، اورضوان من العزيز الرحمان، من غير معرفة السبب المجازى

ومن غير تحقق الوجه الذى يؤدى العمل به الى حصول الثمرة الاخروية التى بذرها المعرفة الثابتة فى القلب أولا ، وهذه الاعمال بمنزلة السقى لها .

اذ التحقيق ان وجود الاعتقادات الايمانية والمعارف الالهية اذا قوى فى الباطن واشتد رسوخها فى القلب يؤدى بصاحبها الى صورة النعيم الاخروى ، بل هذه سيصيرهى اذا رسخت فى الباطن ، كما أن الميل الى اللذات الحسية والاعتقاد بوجودها وركون النفس اليها والاخلاد الى عالمها، اذا تكررت ورسخت فى الباطن ينجر الى عذاب الجحيم كما أشرنا اليه سابقاً .

وفى القرآن آيات كثيرة دالة على ثبوت هذا الانجرار ، كقوله تعالى فى الاعراف : ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [٧ر٤٣] وكقوله تعالى فى يس : ﴿فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولاتجزون الاما كنتم تعملون﴾ [٣٦ر٥٤] وفى النجم ﴿وأن ليس للانسان الاماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى﴾ [٥٣ر-٣٩ر٤٢] وكما فى قوله تعالى: ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ [٦ر١٣٩] وقوله تعالى ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ [٣ر٣٠] وقوله : ﴿يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٢٩ر٥٤] وقوله فى سورة الشورى : ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم﴾ [٤٢ر٢٢] الى غير ذلك من الايات .

ومما يدل ايضاً على أن السعادة الاخروية والقرب عندالله والوصول الى الخير الحقيقى منوطة بالحكمة والمعرفة ، والله الهادى والموفق لهما ، وأن الصارف للانسان عن طلبها والباعث عن الاعراض عنها والرضاء بالجهل هو الشيطان اللعين الباعث لطلب الجاه و الدنيا والشهرة عند الناس والخوف عن زوال الثروة والعزة قوله سبحانه : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الااولوا الالباب﴾ [٢ر٢٦٩] .

وكما أن السعادة الاخروية منوطة بالحكمة ، فكذلك التوغل فى الدنيا

والتوسع فى لذاتها وشهواتها مرتبطة بنسيان الحكمة وترك التدبر فى الايات وفهم المعارف والبينات ، لقوله : ﴿فلمانسوا ماذكروابه فتحنا عليهم ابواب كل شيء﴾ [٦ر٤٤]الايةواما قولهتعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنايمسهم العذاب بما كانوايفسقون﴾ [٦ر٤٩] فهواشارة الى عاقبة هذهاللذات الدنياوية ، فالاعراض عن الحكمةوالمعرفة والتكذيب بالايات البينات ممايفتح على النفس أبواب التنعمات فىالدنيا، وحقيقة هذه الشهوات ليست فىالقيامة الاصورة الناروالحسرة والندامة ، والدنيا هيهنامتاع قليل ، وفىالاخرة عذاب شديد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الىعذاب النار﴾ [٢ر١٢٦] .

وقس على ذلك ايضاقوله : ﴿ومن اعرض عنذكرى فانله معيشة ضنكا﴾ [٢٠ر١٢٤] فان المراد من تلك المعيشة الضنكماهى بحسب النشأة الاخرة ، ولهذا عقبه بقوله : ﴿ونحشره يوم القيمة اعمى * قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك اتتك آياتنافنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [٢٠ر١٢٤ -١٢٦] والعاقل ينبغى أن يرجع الى ذاتهويتامل فى نفسه ، ويطردعن باطنه التعصبوالعناد والاستكبار، والسكر الحاصل له بجاه مستحقر واشتغال بعلوم جزئية فينحصر عنده الايات الدالة علىحقيقةالقرآن ووصفه، وماهية الرسول المنزل اليه كتابالله ونعته، بحسب ماهوالداخل فى قوام كل منهما غيرالاوصاف الخارجة عنملاك الامرفيهما، فيرى هليجد فيهادلالة علىفضلهما وشرفهما الامنجهة مزية علمية، وفضيلة حكمية لهما علىسائرالكتب وسائرالناس ، لاأظن عاقلا فىمرية من هذا .

وهى كقوله تعالى فى نعت القرآن : ﴿قدجائكم من الله نور وكتاب مبين* يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الىصراط مستقيم﴾ [٥/١٥-١٦] .

وكقوله فى نعت الرسول ﷺ : ﴿هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ [٦٢ر٢] .

وقال سبحانه في صفة اهل الايمان : ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم﴾ [١٢ر٥٧] .

و مما يدلّ على ان العلماء بالله ورسوله اهل الايمان خاصة قوله تعالى : ﴿ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد﴾ [٦ر٣٤] وقوله : ﴿ أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب ﴾ [١٩ر١٣] .

كذلك من تصفح كلام الله وحديث رسوله ﷺ و كلمات الائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، يعرف ان رأس الشقاوة كلها هو الكفر بالله وصفاته وافعاله واليوم الاخر ، وليس الكفر الا ضرب من الجهل المضاد للحكمة ، كقوله سبحانه : ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم﴾ [١٤٧ر٧] .

ومما يدل على ان الجهل والنسيان منشأ العذاب في الاخرة قوله تعالى : ﴿اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون * لاجرم انهم في الاخرة هم الخاسرون﴾ [١٠٩ر١٦] .

و كقوله تعالى في مذمة اهل الجحود : ﴿ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون * ان شر الدواب عندالله الصم البكم الذين لايعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [٨ر٢٠-٢٢] .

وقوله سبحانه في مذمة المعرضين عن الحكمة : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنّة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذاً أبداً﴾ [١٨ر٥٧] .

وقدجعل الله سبحانه الرجس على النفوس الجاهلة الغير العارفة بحقائق الايمان في قوله: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون﴾ [١٠ر١٠٠] والسر فيه ان من لم يبلغ الى درجة يصير نفسه عقلا بالفعل ولم يرد الا مايدركه الحواس، فهو متعلق الوجود بالاجساد الدنياوية وأرجاسها الشهوية والغضبية

مثل الكلب والخنزير، والدنيا دار النجاسة وطالبها الارجاس والانجاس لقوله عليه السلام: «الدنيا جيفة وطالبها كلاب» وفي الحديث(١) : «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها».

والايات الدالة على أن منشأ العذاب فى الاخرة هو الجهل والاعراض عن تعلم الحكمة والمعرفة كثيرة لاتحصى ، ان فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين .

قوله سبحانه :

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾

وكلمة «من» فى الموضعين مفرد لفظاً مجموع معنى، فبالاعتبار الاول اورد «كان مؤمناً » و« كان فاسقاً » محمولين على اللفظ ، واورد «لايستوون» حملا على المفهوم كما يدل عليه قوله : « اما الذين آمنوا » « واما الذين فسقوا » ومثله قوله تعالى : ﴿ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك﴾ [٤٧ر١٦] .

والمراد « بالفاسق » هنا الكافر لخروجه عن الايمان لما فى الاية التالية من ذكر عدم الخروج والتكذيب .

قال ابن ابى ليلى نزلت فى على بن ابيطالب عليه السلام ورجل من قريش ، وقال غيره نزلت هذه الاية الى قوله : «« لعلهم يرجعون »» فيه عليه السلام والوليد بن عقبة ، فالمؤمن على عليه السلام والفاسق الوليد ، وذلك انه قال لعلى عليه السلام : « انا أبسط منك لساناً واحدّ منك سناناً » فقال عليه السلام : « ليس كما تقول يافاسق » قال قتادة : « لاوالله ماستويا ، لافى الدنيا ولاعند الموت ولافى الاخرة » .

---

(١) بحار الانوار : ٧٧ر٨٠و٩٩ . الجامع الصغير: باب الدال ٢ر١٧ .

مكاشفة

انه لما علم مماسبق غاية خسة الكافر والفاسق بحيث ينزل درجتهم عن درجة الانعام والبهائم لقوله : «ذوقوا عذاب الخلد بماكنتم تعملون» وغاية درجة المؤمن بحيث يعلو ويفوق على كثير من خلقه تعالى ، حتى ضروب من ملائكة الله لقوله تعالى: ﴿فلاتعلم نفس مااخفى لهم من قرة اعين جزاءاً بما كانوا يعملون﴾ فيتوهم هيهنا النفوس الغير المتدربة فى العلوم الدقيقة والانظار اللطيفة العميقة ، ان افراد الانسان لماكانت متساوية الحقيقة فيمتنع أن يصير بعضهم أعلى عليين وبعضهم اسفل سافلين .

والجواب بأن هذه التفاوت انما يكون بالعوارض الغريبة التى لامدخلية لها فى تقوّم شىء من الافراد غيرمنجّح (صحيح - ن) ولايقبله الطبائع السليمة ، كيف والسبب الاتفاقى لايكون دائمياً ولا أكثريا ، فلابد أن يكون علة خلود المؤمن فى الجنة وعلة خلود الكافر فى النار أمراً داخلا فى تجوهر العبد وحقيقته وذاته ، بل الحق الحقيق بالتصديق ان الانسان بحسب النشأة الاخروية انواع مختلفة حسب اختلاف الاخلاق والملكات الراسخة فى باطنه ، وستظهر فى القيامة بصورها المناسبة لمعانيها المتخالفة الحقائق .

وممن تفطن بهذا المطلب المنكشف بنور القرآن واحد من الفلاسفة المعروف بفرفوريوس، القائل باتحاد العاقل والمعقول، لكن لم يبلغ نظره الى مرتبة البالغين من رجال هذا الدين المتين ، الذى هو صراط السالكين الى عالم الحق واليقين ، فالله سبحانه رفع نقاب الاختفاء وكشف غطاء الامتراء عن المحجة البيضاء ، وبين هيهنا نفى المماثلة بين المؤمن والكافر فى الذات والحقيقة ، وسلب المساواة بين العارف والمنكر فى درجة الماهية ، كما فى قوله تعالى : «« هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون »» [٣٩ر٩] .

وفي القرآن آيات كثيرة دالة على ان الانسان بحسب النشأة الثانية متخالف النوع متبائن الحقيقة والصورة، سيما التخالف بين المؤمن والكافر والعالم والجاهل، مثل قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم ايها المجرمون﴾ [٣٦ر٥٩] كقوله: ﴿ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾ [٩٨ر٦-٧] وقوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون﴾ [٦٨ر٣٥].

ومن الشواهد الدالة على هذا المطلب قوله سبحانه في حق المؤمنين ﴿يخرجهم من الظلمات الى النور اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [٢ر٢٥٧].

وفي حق الكافرين: ﴿يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [٢/٢٥٧] وكذا قوله في حق المؤمنين ﴿اصحاب الميمنة﴾ وفي حق الكافرين ﴿اصحاب المشئمة﴾ تنبيه بليغ على اثبات ما عيناه.

ومما يدل ايضاً في الحديث قوله ﷺ: «يحشر الناس على صور نياتهم» (١) وقوله ﷺ «يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير».

ولولا مخافة الاطناب لاوردت هيهنا برهاناً تفصيليا على هذا المطلب ممّا ألهمني الله به تبين منه كون الانسان متخالف الماهية في الباطن حسب مايخرج عقله الهيولاني من القوة الى الفعل، وان كان نوعاً واحداً في الظاهر بحسب مايخرج مادته الجسمانية من القوة الى الفعل ويتبيّن أن نفسه الناطقة صورة الصور في هذا العالم ومادة المواد في عالم آخر ـ ان هذا لبلاغاً لقوم عابدين.

---

(١) المسند: ٢/٣٩٢.

قوله سبانه :

أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ
مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

﴿جنات مأوى﴾ نوع من الجنان، كل منها غاية مايمكن لطائفة من الناس أن يبلغ اليها بقوالايمان والعمل الصالح ، لان صيغة الجمع تدل على انها مراتب متفاوتة ، قال جلعزه ﴿ ولقد رآه نزلة اخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ [١٥/٣] .

وقيل: سميبذلك لما روى عن ابن عباس، قال: تأوى اليها أرواح الشهداء، وقيل: هي عن يمين لعرش ، وقرء : « جنة المأوى » ـ على الافراد ـ .

و«النزل» عط النازل ، ثم عمم .

والمعنى : لمفارق الحق سبحانه في الاية السابقة بين المؤمن والكافر في الحقيقة والمرتبة ، ونف عنهما المساوات ، أراد أن ينبه على ذلك بتفصيل دواعي كل واحدة منهاتين الاثنتين عن الاخرى والفرق بين أعراضهما وغاية قصودهما ونهاية توجههما ، لان تبن المأوى الطبيعي يدل على تباين الطبيعة المقتضية ، فان لكل طبيعة حيزاً طبيعياً ولكل من الطيور مأوى خاصاً ، والتعبير عن مقام كل من القبيلتين بالمأوى تنبيه بليغ لمن وفق لادراك الاشارات القرآنية والايات الالهية على أن السعيد مفطور في أن عمل عمل أهل الجنة والشقي مفطور في أن يعمل أعمال أهل النار ، وهما طالبان بالاختيار لما قدر لهما في دار القرار .

واما قوله في حق الكفر: ﴿كلما ارادوا أن يخرجوا منها ـ من غم ـ اعيدوا

فيها﴾ فهونعى لهم وبيان لكيفية ترديهم الى عالم البوار، فان أحد الداعيين المقتضيين اذا كان جبلياً والاخر عرضياً اتفاقياً فلا محـالة يغلب الاول على الثانى بـالاخرة ، اولاترى ان عمال الدنيا وأهل الحرف والمتوغلين فى الشواغل الحسية كلما بلغوا الى صحبة الخائضين فى العلوم واستطابوا حالتهم واستنشقوا روائحهم وتهوسوا الوصول الى مرتبتهم والخروج من ظلمة الجهالة وضيق النقص وخسة الرذالة الى نور العلم وفسحة الكمال وشرف العرفان، غلبت عليهم شقوتهم وقويت فيهم جواذب الطبيعة السفلية ، وأهبطهم ثقل الاوزار والاثقال والتعلقات مثل السلاسل والاغلال حتى توصلهم الى اسفل درك الجحيم ، لاستيلاء الميل السفلى عليهم ، وقهر الملكوت الارضى بسبب رسوخ الهيئات الذميمة .

والايات الدالة على أن أهل الحجاب الكلى والمتوغلين فى الحسيات اضطروا الى التردى والتقلب فى النار كثيرة ، منها قوله تعالى: ﴿وماهم بخارجين من النار﴾ [١٦٧/٢] وقوله : ﴿ان الذين كفروا لو ان لهم مافى الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم﴾ [٣٦/٥] وقوله :﴿يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين﴾ [٣٧/٥] وقوله : ﴿اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم ﴾ [٤١/٥] وقوله : ﴿ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير﴾[١٢٦/٢].

والسبب العقلى فيه ان الجحيم الاخروى من جنس هذه الدار ، فكل من غلب عليه جهة الحس والمحسوسات ولم يصدق بوجود عالم آخر ضميراً واعتقاداً وان أقر به قولا و لساناً ، وليس له رتبة الوصول الى حقائق الايمان ، ولا العمل بمقتضاه والسلوك على وفق مؤداه ولا يخرج طير روحه أبداً من قفص هذا العالم ، فمآله الى الجحيم وله عذاب مقيم .

قوله سبحانه :

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

اختلف المفسرون في ماهو المراد من العذاب الادنى ، فقيل : هو المصائب والمحن في الانفس والاموال ـ عن ابي بن كعب وابن عباس وابي العالية والحسن ـ وقيل : هو الاسر والقتل يوم بدر ـ عن ابن مسعود وقتادة والسدي ـ وقيل : مامحنوا به من السنة والجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب ـ عن مقاتل ـ وقيل : هو الحدود ـ عن عكرمة وابن عباس ـ وقيل : هو عذاب القبر ـ عن مجاهد ـ وروى ايضاً عن ابي عبدالله عليه السلام(١) والاكثر في الرواية عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام (٢) : **ان العذاب الادنى الدابة والدجال .**

واما العذاب الاكبر فهو عذاب الاخرة بالاتفاق .

﴿لعلهم يرجعون﴾ اي ليرجعوا الى الحق ويتوبوا من الكفر ، وقيل : ليرجع الاخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم ، وقيل : لعلهم يرجعون أي يريدون الرجوع الى الدنيا ويطلبونه ، كقوله تعالى : ﴿فارجعنا نعمل صالحاً﴾ [١٢/٣٢] .

والظاهر ان هذا الوجه ناظر الى كلام من وجّه حمل العذاب الادنى بعذاب القبر ـ كما نقل عن مجاهد ـ وهو ليس بشيء ، لانه يلزم تعليل فعل الله تعالى بأمر عبث لافائدة فيه ، فان ارادة الرجوع منهم الى الدنيا بعد القيامة ارادة امر مستحيل الوقوع كما مر ، فلا يجوز أن يكون اذاقة العذاب اياهم من الله معللة بتلك الارادة الوهمية الجزافية ، اللهم الا ان يقال نفس تلك الارادة نوع من الالم والعذاب فيهم ـ وهو كما ترى ـ .

ولا يبعد أن يراد من العذاب الادنى نفس البقاء في الدنيا والبشرية ، فان

(١-٢) مجمع البيان : ٣٣٢/٤ .

البشرية كلها عذاب ، وهو منشأ عذاب القبر، بل القبر الحقيقى هو الكون فى حفرة هذا القالب الدنياوى وهو موت الروح وعذابه .

وسئل عن بعض الاكابر من العذاب فى القبر، فقال القبر كله عذاب ، الا انه قبر متحرك ،كما قيل : در حبس چرخ گور روانست اين تنم .

وفى الحديث عن رسول الله ﷺ : **من اراد ان ينظر الى ميت يمشى فلينظر الىّ** .

مشكوة فيها مصباح

ان مفهوم الترجى المستفاد من لفظ « لعلهم » هيهنا وفى مواضع كثيرة من القرآن مما استصعب القوم استناده الى الله تعالى،لكونه يستعمل فيما لاقطع لوجوده من الاحتمالات المرجوة الوقوع ، والله محيط بالاشياء من غير احتجاب وخفاء عليه ، وايضاً «لعل» من الله ارادة ، وارادة الله اذا تعلقت بشيء كان ثابتاً ولم يمتنع تحققه ، وتوبتهم مستحيلة الوقوع ، والا لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر ، و لم أجد فى كلام أحد من الناظرين فى الكلام والباحثين فى علم الكلام ، مابه يطمئن القلب ويسكن الروع ، وكنت منتظـراً حتى يأتى الله بأمر كان مفعولا [(١) اما المذكور فى اقوالهم فوجوه :

احدها : ان الترجى راجع الى العباد لاالى الله تعالى كقوله : ﴿لعله يتذكر او يخشى﴾ [٢٠/٤٤] اى اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما فى ايمانه ، ثم الله عالم بما يؤول اليه أمره .

وثانيها : ان من ديدن الملوك أن يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطّنون انفسهم لانجازها على أن يقولوا : « عسى ولعل » وحينئذ لايبقى لطالب ماعندهم شك فى الفوز والنجاح بالمطلوب .

---

(١) مابين المعقفتين غير موجودة فى المطبوعة .

وثالثها : انه جاء على طريق الاطماع دون التحقق ، لئلا يتكل العباد مثل : ﴿توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم﴾ [٨/٦٦] .

ورابعها : انه وقع « لعل » موقع المجاز لاالحقيقة ، لان الله عزوجل خلق عباده ليستعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلل فى اقدارهم وتمكنهم ، وهداهم النجدين، وأراد منهم انيتقوا ويتوبوا اليه ليرجّح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان ، كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وأن لايفعل، ونظيره قوله تعالى : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [٧/١١] وقيل : لعل بمعنى «كى» ووجّه بأنها للاطماع ، والاطماع من الكريم يجرى مجرى المختار.

وخامسها : ماقال القفّال وهو أن فى «لعل» معنى التكرير والتأكيد ، اذ اللام للابتداء ، نحو «لقد» ولقولهم « علك » اى تفعل كذا و« علّ » يفيد التكرير ، و منه العلّ بعد النهل ، فقول القائل : « افعل كذا لعلك تظفربحاجتك » معناه : افعل فان فعلك يؤكد طلبك ويقويك] .

* * *

واما ماألهمنى الله به وقذف فىقلبى من نوره ، وهوأن لعلم الله تعالىوارادته مراتب متفاوتة فى النزول ، فكما أن لعلمه مرتبة كمالية هى نفس ذاته بذاته ، اذ بذاته يعلم جميع الاشياء الكلية و الجزئية ، وهذا العلم ليس متكثراً بل علم واحد اجمالى ، هو واجب بالذات وهو مرآة كل الحقائق ومجلى جميع الرقائق ، وبعد ذلك مرتبة تفصيل المعقولات الكلية ، وهومرتبة القضاء الالهى وهى مفاتيح الغيب، لقوله : ﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو﴾ [٥٩/٦] وهى ايضا خزائنالرحمة لقوله تعالى : ﴿وان منشىء الا عندنا خزائنه﴾ [٢١/١٥] ثم بعده مرتبة الجزئيات والشخصيات المقدرة باوقاتها وازمنتها المثبتة بهيئاتها فى كتاب لايجليها لوقتها الا هو، وهذه المرتبة «عالم القدر» لقوله : ﴿وما ننزله الا بقدر معلوم﴾ [٢١/١٥] وهذا هو«كتاب المحووالاثبات» كما ان السابق «اللوح المحفوظ» لقوله : ﴿يمحو

الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾ [٣٩/١٣] .

وبعد ذلك مرتبة وجودات المعلومات فى موادها الخارجية الجزئية المكتوبة بمداد الهيولى التى تسمى «بالبحر المسجور» و«الكتاب المبين» كما اشير فى قوله: ﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربى ـ الاية﴾ [١٨ر١٠٩] وفى قوله ﴿لارطب ولا يابس الا فى كتاب مبين﴾ [٦ر٥٩] وهاتان المرتبتان قابلتان للتغير ، وبهاتين الاخيرتين يتضح (يسترجع ـ خ) عروض التغير فى علمه تعالى بالحوادث من حيث هو معلوم ، لابماهو علم، وان كانا أمراً واحداً بالذات ، وهذا ممالايعلمه الاالمحققون المحقوق ، المتحققون بالشهود .

فكذلك الحكم فى مراتب ارادته، فان علمه تعالى بالاشياء بعينه ارادته بمعنى مراديته لماثبت بالبرهان والكشف أن صفاته الكمالية كلهابعينه حقيقة وحدة، وبمعنى واحد بلا اختلاف حيثيات ولا تعدد جهات الا بمجرد التعبير .

فاذا علمت هذا اتضح لك حق الايضاح من مشكاة هذا المصباح كيفية نسبة هذه المفهومات التجددية والمعانى الامتحانية الاختيارية ، التى بازاء بعض الالفاظ الواردة فى القرآن ، المتكررة ذكرها كهذا اللفظ ، وكلفظ «الابتلاء» فى قوله ﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع﴾ وقوله ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين﴾ وقوله ﴿ونبلو اخباركم﴾ وكلفظ «الدعاء» و«التعجب» و«الاستهام» ، كقوله : ﴿قتل الانسان ما اكفره﴾ [٨٠ر١٧] وقوله ﴿قاتلهم الله انى يؤفكون﴾ [٩/ ٣٠] .

وامثال هذه ونظائرها كثيرة فى القرآن ، فافهم واغتنم وتثبت فيها ولاتكن من الخابطين ، ولا تتصرف فى كتاب الله باخراجها عن معانيها الاصلية من غير ضرورة داعية ، واحملها على الحقيقة ، ولا تنكر ما لم تسمعه من أحد ولم تبلغك بالنقول ولا وصل اليك من العقول ، ولا تنحصر العلوم فيما سمعته اوفهمته ، فان لله لطائف رحمة فى قلوب عباده، وكمال بدائع صنع فى اراضى بلاده ، فلا تتعجب من هبوب رياح رحمته ونزول أمطار عنايته ورأفته على من يشاء وهو رؤوف رحيم، واتل قوله : ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ [١٢ر٧٦] ،

قوله بحانه :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

اى لاأحد أظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله وبيناته التى توصله الى درجة الكمال وقرب المهيمن المتعال، ثم أعرض عنها جانباً ولم ينظر فيها، لان منشأ الاعراض الجحود والانكار والجهل والاستكبار، ولفظ «ثم» يستعمل فى هذا الموضع للاستبعاد، والمعنى ان هذا القسم من الاعراض مستبعد فى العقل ، كما تقول لصاحبك : « وقع بيدك مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها » استبعاداً لتركه ، والله ينتقم منهم بان يعاقبهم بما يستدعيه اعراضهم عن آيات الله من العذاب الدائم والعقاب الاليم الحاصل من الطرد والابعاد والسقوط عن مقتضى الفطرة .

ايضاح فرقانى

مفهوم الآية تدل على أن المراد من لفظ الموصول هم المنافقون المستعدون بحسب نفوسهم تذكر الايات، لاالنفوس الجرمانية الظلمانية الصم البكم العمى الذين لايعقلون ، وهم المختوم على قلوبهم رأساً ، فان الاعراض عن المعارف والحكم والايات عند ذكرها المستدعى لضرب من التذكر انما يتصور فيمن له نوع من الفطانة البتراء والاستبداد بالرأى الذى قل من ينفك عنه المشتغلون بالابحاث والعلوم الجزئية، وهؤلاء أشد عذاباً يوم القيامة من الذين لايستعدون بحسب الفطرة الارتقاء الى ذروة الكمال من هبوط النقص والوبال ومزابل الجهال .

ومما يدل على هذا ما سيذكره تعالى فى الاية اللاحقة بقوله : ﴿فلا تكن

فى مرية من لقائه﴾ [٣٢ر٢٣] فـان شأن هذه النفوس الامتراء والمراء والبحث والمجادلة وايراد الشبهة والشكوك ، وشأنه تعالـى تثبت عبده عند تزلزل الاقدام بالشكوك والاوهام وتأييده عند معارضة الجاحدين من الاقوام ، كقوله: ﴿ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا﴾ الاية [١٧ر٧٤] .

واكثر هذه الطائفة المعرضين عن حجج الله الناطقة والصامتة اما اغترّوا بفطانتهم لسماعهم وحفظهم بعض الاقوال من المشائخ والسابقين من غيرفهم ودراية، بل بمجرد قول ورواية ، وشكك اللاحق منهم السابق وطعن الاتى منهم الماضى ، يغتب بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا، ويغتاظ بعضهم من بعض بحرقة قلوبهم وألم نفوسهم ، وهم فـى العذاب مشتركون ، أولهم مع آخرهم كما ذكر الله تعلى : ﴿كلما دخلت امة لعنت اختها﴾ [٧ر٣٨] وهم الاشرار والمنافقون ، ﴿ولا يؤمن اكثر بالله الا وهم مشركون﴾ وهم أهل البدع والاهـواء شرهم كلهم على اهل الورع والدين ، وأضرهم على العلماء الربانيين ، وأشدهم عداوة للذين آمنوا، هذه الطائفة المجادلة والمخاصمة الذين يخوضون فى الفروع والخلافيات ويهملون الاصول واليقينيات ، ومع هذه البلية يدعون انهم بهذه العقول السخيفة ينصرون دين الله ويعرفون طريق الحق ، نعوذ بالله من شرورهم على الدين وافسادهم على المؤمنين.

قوله سبحانه :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)

قرء حمزه والكسائي ويونس عن يعقوب: لما صبروا - بكسر اللام - والباقون بفح اللام وتشديد الميم ، فعلى الاول «ما» مصدرية والجار متعلق «بجعلنا» اى : جعلنا منهم أئمة لصبرهم ، وعلى الثانى « لما » للمجازات ، وحذف الجزاء لاغناء الفعل المتقدم عنه . و«الكتاب» للجنس والضمير فى «لقائه» اما لموسى عليه السلام، اى من لقائك موسى ليلة الاسراء . او يوم القيامة . اوللكتاب ، اى : من لقاء موسى الكتاب ، يعنى : انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى ، فلا تكن فى شك من لقائك مثل لقائه كقوله : ﴿ فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾ [١٠ر٩٤] ومثل قوله «من لقائه» قوله ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ [٢٧ر٦] وقوله: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ [١٧ر١٣] .

وقيل : «من لقائه» معناه : من لقاء موسى اياك فى الأخرة ، وقيل : معناه فلاتكن - يا محمد صلى الله عليه وآله - فى مرية من لقاء موسى الكتاب ، اى : من تلقيه بالرضاء والقبول - عن الزجاج - وقيل معناه : فلاتكن فى شك من لقاء الاذى كمالقى موسى الاذى - عن الحسن .

والضمير فى «جعلناه» اما لموسى واما للكتاب لما فى التورات من الاحكام وبيان الحلال والحرام ، اى : وجعلنا موسى هادياً لبنى اسرائيل - عن قتادة - او

وجعلنا الكتاب هادياًلهم ـ عن الحسن ـ وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس ويدعونهم الى مافى التورات من دين الله وشرائعه لما صبروا عليه من مشاق التكليف وتثبتهم على اليقين ، كما نجعلن من امتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وتثبتوا عليه من اليقين ـ وعن الحسن : صبروا عن الدنيا .

ونقل فى الكشاف : انما جعل الله التوراة هدى لبنى اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسماعيل عليه السلام. وهذاالنقل ايضاً يدل على أن الغالب فيها الاحكام العملية التى يتطرق اليه النسخ والتغيير، دون المعارف والربوبيات المحفوظة عنها.

مكاشفات سرية ونفثات روعية

اعلم ان الفرق بين القرآن المجيد وسائر كتب الله المنزلة على الانبياء، بأن القرآن كلام الله و كتابه جميعاً وغيره كتاب فقط، و كلام الله اشرف من كتابه بوجوه:

اولها: ان كلامه تعالى قوله، و كتابه فعله، والقول أقرب من القائل من الكتاب الى الكاتب ، فكلام الله اشرف من كتابه .

وثانيها : ان الكلام والقول من عالم الامر : ﴿انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون﴾ [١٦ر٤٠] والكتاب من عالم الخلق، وعالم الامر كله علوم عقلية وحقائق معنوية بخلاف عالم الخلق، لان العلوم والمعانى زائدة فيه على صحائف مداركها وألواح مشاعرها .

وثالثها: ان كلام الله نزل على قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسره، و كتاب الله نزلت صورة ألفاظها على الواح وقراطيس .

ورابعها : ان تلقى الكلام وتعلمه بأن يتجلى حقيقته وتنور معناه على قلب من يشاء من عباده ، لقوله تعالى : ﴿ما كنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا﴾ [٤٢ر٥٢] ومن علّمه الله تعالى القرآن بهذاالتعليم كان عليه من الله فضلا عظيماً ، كما قال لحبيبه بعد تعليمه : ﴿وعلمك ما لم تكن

تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [١١٣ر٤] فتلقيه ﷺ بالقرآن من حيث هو قرآن بأن يتخلق به ، اذ كان القرآن خلقه، كما هو المروى عن بعض أزواجه حين سئلت عن خلقه ﷺ فان الله يقول: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ [٤ر٦٨] قالت : كان خلقه القرآن (١) وأما تلقى الكتاب وتعلمه فبالدراسة والقراءة والتلاوة ، فلانبياء عليهم السلام يتدارسون الكتب لقوله تعالى ﴿كتب يدرسونها﴾ [٣٤ر٤٤] .

وخامسها: ان تنزيل القرآن على قلب النبى ﷺ ومكاشفة أسراره منه وتجلى أنواره له أمر بينه وبين الله لايطلع عليه ملك مقرب ولانبى مرسل، وأما انزال الكتب على سائر الانبياء فهى مما يقرأها كل قار .

وسادسها : ان سائر الكتب يستوى فى هداها الانبياء والامم، لقوله فى هذه الاية: ﴿وجعلناه هدى لبنى اسرائيل﴾ [٣٢ر١٣] ,قوله ﴿هدى للناس﴾ [٢ر١٨٥] واما القرآن من حيث هو كلام فالرسول ﷺ مخصوص بالهداية به عند تجلى أنواره فى التنزيل على قلب الرسول ،كما قال ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا﴾ وقال : ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ اى خصصك بهداه وعلمه .

وسابعها : ان الكتب المنزلة عليهم كانت تصرف فيهم بأن يكون الكتاب مع أحدهم نوراً من الله يجيء به الى قومه ليكون هدى لهم ، كما قل : ﴿قل من أنزل الكتاب الذى جاء بـه موسى نوراً وهدى﴾ [٦ر٩١] واما تنزيل القرآن على قلب الخاتم ﷺ فكان تصرفه فيه بأن جعله نوراً مـن الله يجيء ذلك النور الـى الامة ومعه القرآن، كما قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور ـ وهو محمد ﷺ ـ وكتاب مبين﴾ [٥ر١٥] فشتان بين نبى يجيء ويكون هـو بذاته نوراً ومعه كتاب ، وبين نبى يجيء ومعه نور من الكتاب.

وثامنها : قد فرق الله بين ماشرف النبى الخاتم ﷺ بانزال الكلام على قلبه ، وبين ماشرفوا به من انزال الكتاب ، فقال تعالى تشريفاً لموسى (ع) : ﴿ وكتبنا له

(١) : المسند ٩١/٦و١٦٣ . عن عايشة .

فى الالواح من كل شىء موعظة﴾ [١٤٥/٧] وقال تعالى تشريفا لنبينا ﷺ : ﴿فأوحى الى عبده ماأوحى﴾ [١٠/٥٣] انظر وتدبر كيف قال : ﴿ اولئك كتب فى قلوبهم الايمان﴾ [٢٢/٥٨] فشتان بين نبى تشرف بكتابة الموعظة له فى الالواح وبين نبى تشرف امته بكتابة الايمان لهم فى قلوبهم .

وتاسعها : ان من خصائص انزال القرآن بما هو كلام الله انه متى نزل على قلب أحد صار خاشعاً متصدعاً من خشية الله لقوله سبحانه : ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ [٢١/٥٩] ولما نزل على قلب الرسول صار قلبه خاشعا خاضعاً من خشية الله ، حتى قال كما هو المروى عنه : «**انا اعلمكم بالله واخشاكم منه**»(١) وأما انزال الكتب فليس من لوازمه الخضوع والخشوع والتخلق بأخلاق الله ، ولذا قيل لو كانت التورات انزلت على قلب موسى عليه السلام لا فى الالواح ، لعله ماألقى الالواح فى حال الغضب ، وماا حتاج الى صحبة خضر عليه السلام ، لتعلمه العلم كما حكى الله تعالى عنه بقوله : ﴿هل اتبعك على ان تعلمن مماعلمت رشداً ❁ قال انك لن تستطيع معى صبراً﴾ [١٨/٦٦-٦٧] .

قوله سبحانه :

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

«الفصل» هو مايميز به الشىء عن غيره بحسب تجوهر ذاته وقوام حقيقته ، وكثيراً مايطلق الفصل على مبدئه القريب ، كالنفس الحيوانية للحساس ، والنفس الناطقة للناطق ، فانهما مبدآن قريبان لهذين الفصلين المنطقيين المحمولين بوجه ، وبوجه آخرهما عين هذين اذا أخذ كل منهما لابشرط شىء من التقييد والاطلاق ،

(١) فى البخارى : ٣١/٨ والمسند : ٤٥/٢ و١٨١ جاء بلفظ : لانا اعلمهم بالله عزوجل واشدهم له خشية .

وربما يطلق على المبدء العالى لحقيقة الشيء وتحصله وتميزه ، فان الصور النوعية عندطائفة هي الفصول المنوعات للحقائق الجرمانية ، وعند طائفة اخرى يطلق الصور على المفارقات النورية والجواهر العقلية الواقعة في عالم الصور المفارقة ، كما هو عند افلاطون الالهى والرواقيين وائمتهم الاقدمين كسقراط وفيثاغورس وانباذقلس واغاثاذيمون ، وعند طائفة اخرى هم أعلى مرتبة وأدق مسلكاً (وامتن) دليلا وأجل ذوقاً واوثق برهاناً وارفع نظراً ، وهم الحكماء الايمانيون والافاضل الربانيون كأبى يزيد البسطامى وسهل التسترى والجنيد البغدادى ومحى الدين الاعرابى وتابعيهم ، ان اسماء الله تعالى بعينها مبادى الفصول الذاتية للحقائق الامكانية ، وما يحاذيها من الصور المجردة فى عالم العقـول او الصور الحسية فى عالم الجسم مستهلكة التأثير و الاثر فى تحت سطوع الانوار الالهية والاسماء الربوبية ، استهلاك النور الضعيف فى النور الاقهر القوى ، واضمحلال وجود السافل تحت وجود العالى .

فاذا علمت هذا وتذكرت مادعيناه فيما سبق ، من ان الانسان بحسب الباطن والنشأة الاخروية انواع كثيرة حسب كثرة الاخلاق المتخالفة ، والصفات الغالبة الراسخة المتنوعة ، ايقنت معنى كون « يوم القيامة » «يوم القضاء» « ويوم الفصل بين الخلائق » فالله يقضى بينهم يوم القيامة بحسب ظهور مظاهر اسمائه ومجالى شؤونه ، ويفصل بينهم بالحق ويميز المحق عن المبطل فى مايختلف فيه من الاديان والمذاهب ، وقد مر منا نقل آيات دالة على ان انواع الانسان كثيرة بحسب النشأة الاخرة ، وظهور هذه الكثرة فى حقائق الانسان انما يتوقف على قيام الساعة لقوله تعالى :﴿وامتازوا اليوم ايها المجرمون﴾ [٣٦/٥٩] .

تذكـرة

الدنيا دار اشتباه ومغالطة ، متشابك فيها الحق والباطل ، ويتعانق فيها الخير والشروالنور والظلمة ، ويتقابل المتخاصمان ، والاخرة دارالفصل والتفريق، يتفرق المختلفان ، ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ [١٤/٣٠] ويتميز المتشابهان ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وينفصل الخصمان ، ويحق الحق ويبطل الباطـل ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة﴾ [٤٢/٨] ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ والاخرة دار جمع ايضاً ، ولا منافاة بين هذا الفصل وذاك الجمع ، بل هذا يوجب ذاك كما فيقوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين﴾[٣٨/٧٧]

و«الحشر»ايضاً بمعنى الجمع :﴿وحشرناهم فلم نغادرمنهم احداً﴾[٤٧/١٨] وحشر الخلائق على انحاء مختلفة حسب اعمالهم وملكاتهم ، فلقوم علىسبيل الوفد ﴿ يوم يحشر المتقين الى الرحمان وفداً ﴾ [٨٥/١٩] ولقوم على وجه التعذيب : ﴿ويوم يحشر اعداء الله الىالنار﴾ [١٩/٤١] وبالجملة يحشر كل أحد الى مايتوجه اليه باطنه ويعمل لاجله ظاهره ويحبه بقلبه ويشتاقه بجنانه : ﴿احشروا الذين ظلموا وازواجهم﴾ [٢٢/٣٧] ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾ [٦٨/١٩] وفي الخبر عنه ﷺ : **انه لو احب احدكم حجرا لحشر معه** (١) .

تذكرة اخرى

اعلم ان عجائب عالمالاخرة عظيمة واشخاصه وانواعه كثيرة ، وكل مايوجد في هذا العالم من الحيوانات يوجد نظيره في الاخرة مع انواع آخر لم يعهد في الدنيا ، وما سوى الانسان لاتنتقـل من هذه الدار الى تلك الدار ، وانما نشأت

---

(١) الامالي للصدوق (ره) : المجلس ٨٢ ص٢١٠ .

جميع الخلائق يوم القيامة من ماهية الانسان وعقله الهيولانى .

ووجه ذلك ان تكرر الافاعيل والانفعالات البدنية يوجب حدوث الاخلاق والملكات النفسانية ، وكل صفة وملكة تغلب على باطن الانسان يتصور فى الاخرة بصورة تناسبها ، ولاشك ان أفاعيل الاشقياء المدبرين بحسب هممهم القاصرة عن ارتقاء عالم الملكوت ، النازلين بحسب دواعيهم الخسيسة فى البرازخ الحيوانية بالاعمال الشهوية والغضبية والوهمية البهيمية والسبعية والشيطانية ، فلاجرم تكون تصوراتهم مقصورة على أغراض حيوانية أوشيطانية تغلب على نفوسهم ، ويحشرون على صور تلك الحيوانات والشياطين فى دار الاخرة ، كما فى قوله : ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ [٥/٨١] وقوله : ﴿لنحشرنهم والشياطين﴾ [٦٨/١٩] وقوله : ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطاناً فهوله قرين﴾ [٣٦/٤٣] وفى الحديث(١): **« يحشر الناس على نياتهم » « يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير»** وهكذا الناس يتصورون بصورهم الحقيقية الاخروية التى تقتضى ملكاتهم واخلاقهم على اهل الكشف واصحاب الشهود ، الذين غلب على باطنهم سلطان الاخرة ، ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون .

قوله سبحانه :

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

«الواو» للعطف على معطوف عليه أمر منوى من جنس المعطوف، والفاعل فى « يهد » مادل عليه « كم » اى كثرة اهلاكنا القرون ، لانفس « كم » لانها لاتقع فاعلة ، فلايقال : «جائنى كم رجل» ولان « كم» فى محل النصب على تقدير الاستفهام

(١) المسند : ٣٩٢/٢

الذى له صدر الكلام ، لانه مفعول أهلك و«يمشون» فى محل النصب على الحال ، ويحتمل ان يكون الفاعل نفس هذا الكلام بحسب المحكى عنه ، والمعنى كقولك : « يعصم لااله الا الله الدماء والاموال » أو ضمير يرجع الى الله بدليل قرائـة زيد « نهد » بصيغة المتكلم .

وقرء يمشون ـ بضم الياء وتشديد الشين ـ اى : اولم يبصرهم ويبيّن لهم كم اهلكنا من القرون الماضية لكفرهم وعتوهم وارتكابهم المعاصى فانتقمنا منهم يمشون هؤلاء القوم ـ يعنى كفار قريش ـ فى مساكنهم ويمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويرون آثارهم .

وقيل معناه : انااهلكناهم بغتة وهم مشغولون بصنايعهم ومشاؤن فى منازلهم، ان فى ذلك دلالات واضحات على حقارة الدنيا والحث على طلب الامور الباقية ، أفلا يسمع هؤلاء الكفار من أهل التواريخ والحكايات ما يوعظون به من المواعظ والمنبهات .

مكاشفة الهامية

« المشى فى المساكن » اشارة الى وقوف قوم على أوائل الانظار ومبادى الافكار، وعدم خروجهم عن عتبة باب المحسوسات والاوليات مع غاية سعيهم فيما لايعنى ونهاية جدهم فى طلب هذا الفانى ، وهم يمشون فى الحقيقة فى مساكنهـم ويجمعون تلفقات أقوام بلاروية جمعاً ، وهم ﴿الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً﴾[١٠٤/١٨] ومشاهدة هذا الحال فى أكثر الجهال المتشبهين بأرباب الكمال ، المتورطين فى مواقع الهلاك والوبال ، الهائمين فى اودية الشبه والضلال ، تنبيه بليغ وهداية واضحـة ودلالة كاشفة لاهل الاستبصار والسلوك الى عالم الملكوت وقرب الحق المهيمن المتعال ذى الجمال والجلال، فيتفطن اللبيب الذكى انهم فى واد واهل الاخرة فى واد آخر، ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون .

نصيحة

اهل الاستبصار لايستنكفون عن التعلم استبداداً بالرأى ، ولايجحدون الحق استتباعاً للنفس والهوى ، اوتقليداً وتعصباً للمذاهب والاباء ، ومما يؤيد هذا الوجه تعقيب هذه الاية بمثل وارد منه تعالى فى غاية الملائمة لما كنا بصدده بحسب المضرب كما سنوجهه .

قوله سبحانه :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

« السوق » الحث على السير « والجرز » الارض اليابسة التى جرز نباتها، اى قطع ، اما لعدم الماء اولامر آخر كالرعى وغيره ، ولايقال للتى لاتنبت كالسباخ: « جرز » كما دلّ عليه قوله : « فنخرج به زرعا » واشتقاق هذا اللفظ من قولهم : « سيف جراز » اى : قطّاع لايبقى شيئاً الاقطعه ، وفى « الجرز » اربع لغات : بضم الجيم والراء ، وبفتحهما ، وبضم الجيم واسكان الراء ، وبفتح الجيم واسكان الراء .

قد نبّه الله سبحانه الكفار بوجه آخر معطوف على الوجه السابق بقوله : أولم يروا انا - اى : اولم يعلموا انّا - نسوق الماء بالامطار والثلوج او الانهار والعيون الى الارض اليابسة التى لانبات فيها ، وقيل : نسوق الماء بالسيول اليها ، لانها مواضع عالية وهى قرى بين الشام واليمن - عن ابن عباس - وقيل: هى ابين(١).

(١) ابين : بفتح اوله ويكسر بوزن احمر ، ويقال : يبين ... وهو مخلاف باليمن منه عدن (معجم البلدان) .

فيخرج به زرعاً تأكل منه ـ اى : من ذلك الزرع ـ انعامهم من عصفه ، وانفسهم من حبه كما فى قوله تعالى: ﴿فاكهة وابًا * متاعاً لكم ولانعامكم﴾ [٨٠/٣١-٣٢] فلاتبصرون بدائع صنعه ولطائف رحمته فى حق انفسهم وفى حق انعامهم .

مكاشفة قرآنية

لما كانت الآية السابقة بحسب ماوجهناها واوّلنا اليه، اشارة الى الحثّ والترغيب للاهتداء بانوار كتاب الله تعالى ، والارتقاء على اعلام الحقائق القرآنية ، و الزجر والتهديد والنهى والوعيد للقاعدين عن سلوك هذه الدرجة العظيمة ، بحكاية اهلاك قرون ماضية كانوا يمشون فى مساكنهم السفلية ويترددون فى منازلهم الحسيّة البدنية، لطلب الاغراض الخسيسة والمقاصد الحيوانيـة ، ففى هذه الاية اشارة تمثيلية الى كون القرآن ماء يحيى به اراضى القلوب الميتة بموت الجهالة والنقص، كما يحيى الارض الجرز بوابل السماء .

وتمثيل القرآن بماء المطر شائع فى كتاب الله كما فى قوله : ﴿ والله انزل من السماء ماءاً فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون﴾ [١٦/٦٥] وكقوله يعنى اولم يروا انا نسوق ماء العلم القرآنى من سماء الملكوت العقلى وجوّ العالم الاعلى الى ارض النفوس الساذجة المنقطعة عن شواغل الدنيا وعوائق الهوى، فنخرج به زرع العلوم الكشفية الالهية والاداب و الاحكام العملية يتغذى ويتقوى بالاولى روح الانسان وباطنه تكميلا للقوة العقلية ، ويتروض ويتهذب بالثانية نفس الانسان وظاهره تكميلا للقوة العملية ، فان النفس بمنزلة المركب للروح العقلى، كما ان البدن بمنزلة المركب للنفس الحيوانية ، ولهذا استعير لفظ الرياضة الموضوعة لمن يروض الحيوان ـ اى : يمنعه عن العلف لتقبل التأديب والتعليم ـ لاجل النفس الحيوانية عند تسخير الروح العقلى اياها وضبطه لها عن اللذات ، لتشايع قواها الروح فى سلوكه طريق الحق وسيره الى الله .

فكما ان القرآن العظيم يوجد فيه علـوم الاخرة ومكاشفات الاسرار الالهية والايات الربوبية، فكذلك يوجد فيه احكام الحل والحرمة، وطريق المعاملات، وكيفية المعاشرة مع الخلق وعلم التمدن والسياسات ، والجروح والقصاص ، والاقضية والحكومات ، فتلك الاخرة، وهذه الدنيا على وجه يكون وسيلة للاخرة ، فافهم واغتنم .

افلا يبصرون: اى آثار الحيوة العقلية وشواهد الانوار الملكوتية فى القلوب المهتدية بآيات المعارف القرآنية ، والنفوس التى أنبت الله فيها بمياه الالطاف الروحانية (الرحمانيةـن) اشجارالكلمات الطيبات التى اصلهاثابت وفرعهافىالسماء تؤتى اكلهاكل حين باذن ربها ، وتلك الامثال نضربها للناس .

قوله سبحانه :

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾

قال الفراء: المراد بهفتح مكة ، وقال السدى: «الفتح» هوالقضاء بعذابهمفى الدنيا وهو يوم بدر ، وقال مجاهد: هو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة كان الكفار يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم ، فقالوالهم: متى هذا الفتح ، فامر الله نبيه ﷺ بأن يقول لهم وينبئهم على أن بعد الفتح لاينفع ايمان من كان كافرا من قبل ، كما فى قوله تعالى ﴿ يوم ياتى بعض آيات ربك لاينفع نفسأ ايمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ [٦/١٦٩] اى لايمهلون ولايؤخرعنهم العذاب .

هذا على تقدير أن تكون يوم الفتح القيامة ، وأما على أحدالوجهين الاخيرين ففيه اشكالان: أحدهما عدم مطابقة الجواب للسؤال فى الظاهر ، والثانى انه قدنفع الايمان الطلقاء يوم فتح مكة وناسأ يوم بدر .

والجواب عن الاول: أن مقصود السائلين عن وقت الفتح واستعجالهم به على وجه التكذيب والاستهزاء، فوقع الجواب على حسب غرضهم واسلوب استبعادهم له، فقيل لهم: لاتستعجلوا به ولاتستهزئوا (تستبعدوه ـ ن) فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم به، فلم ينفعكم ايمانكم يوم الحساب ولالكم الاستمهال عن حلول العقاب.

وعن الثانى: أن المقتولين منهم لاينفعهم ايمانهم فى حال القتل، كمالم ينفع ايمان فرعون حين الغرق.

كشف تنبيهى

«يوم الفتح» يطلق تارة على وقت الولادة المعنوية التى ينفتح مملكة البدن وعساكرقواها البهيمية والسبعية والشيطانية للروح، وتارة يطلق على القيامة الصغرى وهو الموت الطبيعى الذى يفتح باب حجاب البدن، وتارة يطلق على يوم القيامة الكبرى بظهور المهدى عليه السلام وغلبته على الدجّال والدجّالين، ولاينفع حينئذ ايمان المحجوبين، لانه لايكون ايمانهم بحسب الكشف والبرهان، بل بحسب حديث النفس واللسان والمجادلة والبحث والغلبة والطغيان، فلايغنى عن هؤلاء المحجوبين عذاب الطرد والبعد والحرمان.

قوله سبحانه:

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

وانتظر يا محمد بوعدى لك ولقومك المؤمنين بالنصر على أعدائكم الجاحدين والمكذبين، انهم منتظرون حوادث الزمان فيكم من موت او قتل او غلبة منهم عليكم، كما فى قوله تعالى: ﴿فتربّصوا انّا معكم متربّصون﴾ [٥٢/٩] وفى

قرائة ابن السميفع «منتظرون» ـ بفتح الظاء ـ وقيل في معناه : وانتظرهلاكهم فانهم احقّاء بأن ينتظر هلاكهم يعني : انّهم هالكون لامحالة .

اشارة

يحتمل أن يكون المراد : انتظر الفتح الحقيقي والخلاص من آلام الدنيا وعداوة أهلها و كيد الاعداء وملاقاة الاصدقاء ومشاهدة أرواح الانبياء وملائكة الله في السماء، فان الارواح والملائكة ينتظرون قدومك عندالارتقاء الى الملك الاعلى الذي بيده ملكوت الاشياء .

خاتمة

فى فضل السورة وعددآياتها وموقع نزولها

عن ابى بن كعب (١) عن النبى ﷺ ، قال : من قره « الم تنزيل » و«تبارك الذى بيده الملك» فكأنّما أحيى ليلة القدر .

وروى ليث (٢) عن جابر قال :كان رسول الله ﷺ لاينام حتى يقرء « الم تنزيل » و« تبارك الذى بيده الملك » ، قال : ليث فذكرت ذلك لطاووس ، قال : فضلتا على كل سورة فى القرآن، ومن قرأهما كتب له ستون حسنة ومحى عنه ستون سيئة ورفع له ستون درجة .

وروى الحسين بن أبى العلاء (٣) عن ابى عبدالله عليه السلام قال : من قرء سورة السجدة فى كل ليلة جمعة ، أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه ، وكان من رفقاء محمد وأهل بيته عليهم السلام .

وفى الكشاف (٤) انه قال: قال رسول الله ﷺ : من قرأ «ألم تنزيل» فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام .

* * *

وعدد آياتها تسع وعشرون آية بصرى وثلاثون عند الباقين ، والاختلاف فى الايتين : ألم ـ كوفى جديد حجازى شامىّ.

وهى مكية ماخلا ثلاث آيات منها فانها نزلت بالمدينة ، وهى : افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون ـ الى تمام الآيات .

تمت سورة ألم‌سجدة والحمد لله وحده

---

(١) مجمع البيان : ٣٢٢/٤ .

(٢) دارالمنثور : ١٧٠/٥ .

(٣) ثواب الاعمال : ١٣٦ .

(٤) الكشاف : ٥٢٧/٢ .

تفسیر
القرآن الکریم

سورة الحدید

تألیف

صدر المتألهین
محمد بن ابراهیم صدر الدین الشیرازی

تصحیح محمد خواجوی

انتشارات بیدار

قم

۲۰ رجب ۱۴۰۲

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبيه محمد خاتم النبيين، وعلى وصيه وخليفته خير الوصيين ، وعلى الائمة المعصومين ، لاسيما خاتمهم حجة الله في السموات والارضين صلوات الله عليهم اجمعين ، من الان الى قيام يوم الدين.

وبعد : لما طبع الجزء الاول من التفسير الكبير لاستاذ البشر ، ومن تقدم بقدم العقل والكشف على من يأتي واغبر، انسان العين وعين الانسان، امام السالكين المقربين ، وبرهان الحكماء الالهيين ، صدر الملة والحق والدين، محمد بن ابراهيم الشيرازي قدس الله سره الزكي وروح الله روحه العلي ، المشتهر بصدر المتألهين، كانت منيتي ان اشرع في طبع الجزء الثاني ، ولكن حوادث الزمان وطوارق الحدثان كانت تعوقني عن طبع هذا الاثر القيّم ، كما كتبت في مقدمة كتابه الشريف المسمى بأسرار الايات وانوار البينات الذى صححته وطبعه مجمع الفلسفة الاسلامية (انجمن حكمت وفلسفهٔ ايران) .

فحينئذ شرعت في بقية اجزاء التفسير، وتنقيحها الذى كتبه انامله الشريفة في الازمان الماضية وبقي الى الان في المكتبات والخزائن محفوظة ، وتم التصحيح بحمد الله و حسن توفيقه في مدة قليلة و ان كان بعد قد مضت عليها مدة من الزمان طويلة .

فلما اطلعت ان صديقي الفاضل المدير لمكتبة بيدار شرع فی طبع احد الأجزاء من تفسير القرآن لصاحبنا قدس سره من قصار السور الى الطوال ، وهی سورة الزلزلة والطارق والاعلى والجمعة والواقعة، سلمت اليه كلما صححته ونقحته وكتبته بيدی، كما قال في تصديره الذی طبع ونشر اخيراً، والان شرع فی طبع الجزء الثانی من التفسير ، وهو سورتا الم سجدة والحديد، وأمرنی ان اقدم لها مقدمة بالاختصار واشير الى النسخ التی كان عليها مدار التصحيح والمقابلة .

وكانت عندی نسخة مطبوعة طبعت فی سنة ۱۳۲۲ هجرية طبعة حجرية ، وصورة فتوغرافية لمكتبة ملی، ونسخة مصححة من مكتبة ملك، المشتملة على سورة الم سجدة والحديد وآيتی النور والكرسی، التی صححها وقابلها الاخوان الفاضلان الاخوند ميرزا محمد جعفر الكاشانی والاخوند ملا ابوالقاسم الكاشانی مع نسخة المؤلف قدس سره وكتب احدهما فی آخر النسخة : «تمت المقابلة بقدر الوسع والطاقة بانسخهٔ اصل مع اخوی جناب قدوسی ذات ملكوتی صفات ميرزا ابوالقاسم فی سنة ۱۲۹۷ هجرية» وبهذه النسخ قد تم تصحيح سورتی السجدة والحديد .

واما شرح حاله وشخصيته وآرائه الخاصة واساتذته وتلامذته مضبوط فی كتب السير ، لاسيما فی مقدمة الجزء الاول من التفسير الكبير التی طبع قبل سبع سنين .

وفی الخاتمة ارجو من الله الكريم ان يوفق الناشر فی طبع بقية الأجزاء من هذا التفسير النفيس باحسن وجه ، وعن القراء الكرام ذوی العز والاكرام ان ينظروا بعين العفو والاغماض، وانا احوج خلق الله الى رحمة ربی الباری محمد الخواجوی جعل الله تعالى آخرتی خيرا من دنيائی ، وكان الفراغ عن تحرير هذه المقدمة فی التاسع والعشرين من ربيع المولود سنة اثنتين واربع مأة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها آلاف الثناء والتحية

محمد خواجوی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أفاض على قلوب اوليائه لآلى جواهر القرآن ودلائل كنوزه، وأشرق على ضمائر أحبّائه لوامع أسرار التبيان و شواهد رموزه ، وأنار أرواحهم بمعرفته وأراهم بهدايته ملكوت السموات حينما جنّ عليهم ليالى حجب الاجسام ليكونوا من الموقنين ، وكشف عن أبصار بصائرهم برياح رحمته أغشية التعلقات المانعة عن شهود جلال رب العالمين ، وأيّد بنصره من يشاء من عباده لتقوية الدين ونصرة رجال المعرفة واليقين .

والصلوة على من أنزل عليه التنزيل بلسان جبرئيل، المنعوت اسمه في التوراة والانجيل ـ **محمد** ـ وأهل بيته المكرمين العالمين بتأويل الاحاديث العارفين بأسرار التأويل المطهرين عن أرجاس مذاهب الجاهلية للاباطيل ، المقدسين عن أدناس العقائد الباطلة من التشبيه والتعطيل .

أما بعد : فيقول أفقر خلق الله وأحوجهم المستغنى بتأييد مولاه عمّا عداه ، والمكتفى بنور هداه عمن سواه ـ **محمد الموسوم بصدر الدين القوامى** ـ قوّمه الله بلطفه الاعتصامى:

اوصيكم ـ أيها الاخوان الباحثين عن دقائق معرفة الله و ملكوته بقوة التفكر والانتقال المتحيرين أن تقصدوا جوّ الملكوت وتطيروا سماء قدس اللاهوت بجناحى

الوهم والخيال ـ عليكم بحبل القرآن ان أردتم أن ترتقوا فى الاسباب ، فان من لم يعتصم بحبله فهو جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب ، مخذول عند اولى البصائر والالباب فى جميع الطرائق والابواب وان من لم يحكم أولاقواعد ظواهرالتنزيل وأركان بداياته ، ولم يتمرن بالعمل بأحكامه وآدابه عند سماع آياته ـ حتى اللغة والقرائة والترتيل ـ فهوحرى بأن لايبلغ نهاياته، بلعليه أن يقف عندظواهر الشريعة موفيا حقوقها اذ لـم يرزق مـن لوامع انوار الطريقة شروقها وبروقها والا فيقطع الشيطان طريقه بدقائق كيده وجلائله ؛ ولا يبالى فى أى واد يهلكه اويصيده بشركه وحبائله.

ثم اقول لطائفة اخرى من اخوان الايمان الذين رزقهم الله فطنة يمكن لهم بهاالارتقاء الىمدارج العلموالعرفان اذا سلكواطريقالصدقفيالايقان: الى كم ترغبون عن لباب القرآن الذى هوشفاء ورحمة للقلوب والصدور الى التبن والقشورالذى فيه متاع لكم ولانعامكم وأجسامكم التى هىآلات القبور وتنسلون (يتسلّلون ـن) بالقرطاس المنقوش عن الرق المنشور ؟

حتّام تطوفون على سواحل ظواهر التنزيل وتعرضون عن غوص بواطن التأويل ؟

أما حان لكم أن تغبطوا لمن غاصفى عمق نيل التنزيل لنيل جواهرمااودعه الله على لسان جبرئيل؟ الى كم تقتصرون عن الوصول الىغررها وزواهرها بادمان النظروالفكرالى سواحلها وظواهرها؟ ﴿ألم يأن للذين آمنوا أنتخشعقلوبهملذكر الله﴾ وأن تصرفوا هممهم فى التقرب اليه والابتغاء لوجهه دون من سواه ؟

فهذه ـ أخلائى فى الكشف واليقين ـ بلّغكم الله الىأقصى مناكم فىمعرفة لبابالدين ـ طائفة من قواعد أسرارالقرآن المجيد وجملة منلطائف نكات ودلائل معجزات لايات بينات من الكتاب العزيزالذى ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيلمنحكيم حميد﴾ متعلقة بتفسيرسورة الحديد ـ ذكرت فيها لبالتفاسير

المذكورة في معانيها ولخّصت كلام المفسرين الناظرين في مبانيها، ثم أتبعتها بزوائد لطيفة يقتضيها الحال والمقام، واردفتها بفوائد شريفة يفيضها المفضل المنعام ونستعين به في أن يمهلني الزمان للاتمام ويساعدني الدوران في الاختتام.

﴿ فاتحة ﴾

ان هذه السورة مشتملة على المقصد الاقصى واللباب الاصفى من كيفية ارتقاء العباد من حضيض النقصان والخسران الى اوج الكمال والعرفان وبيان السفر الى الله تعالى طلبا للقائه والارتحال من أسفل السافلين وتحت الثرى في البعد، والحرمان عن مجاورة الرحمن الى اوج عوالي العليين وفوق السموات العلى من قرب رب الانس والجان وخالق النيران والجنان.

فان خلاصة دعوة العباد ونقاوة سياقهم الى الملك الجبار منحصرة في اقسام ستة: ثلاثة منها كالدعائم والاصول المهمة، وهي تعريف الحق المسوق اليه المصمود له، وبيان الصراط المستقيم الذي يجب سلوكه للوصول اليه، وبيان الحال عند الوصول:

فالاول هو معرفة المبدء، والاخر هو معرفة المعاد، والاوسط هو معرفة الطريق.

واما الثلاثة الاخيرة فهي كالمعينة المتممة التي كالنوافل، والقرب الحاصل بها للعبد من الحق هو قرب النوافل، كما ان القرب الحاصل بالثلاثة الاول هو قرب الفرائض المشار اليه في الحديث المشهور.(١)

فاحدها تعريف السالكين الى الحق تعالى المجيبين دعوة العزيز الوهّاب ولطائف تربية الرب لهم ودقائق صنعه فيهم لصفاء جواهرهم وطهارة أعيانهم عن الخبث والشين ونقاوة وجه مرآتهم عن الطبع والرين وتهيؤهم واستعدادهم لقبول

(١) لايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ...

صورة الحق، وتوصيف الناكبين عن الطريق الضالين وكيفية حلول غضب الله عليهم وكيفية تنكيله بهم لسوء استعداداتهم وخبث جواهرهم وذواتهم وتراكم الرين والطبع على مرآتهم، والمقصود فيه اما التشويق والترغيب ـ كما فى احوال المحبوبين ـ اوالاعتبار والترهيب ـ كما فى احوال المغضوب عليهم ـ.

وثانيها حكاية افتضاح حال الجاحدين وكشف عواقبهم وتسفيه عقولهم وتجهيلهم فى تحريهم طريق الهلاك والبطلان بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق، والمقصود فيه فى جنبة الباطل الافضاح للتحذير والتنفير، وفى جنبة الحق الايضاح للتثبيت والتقرير.

وثالثها تعليم عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية اخذ الزاد والاهبة والاستعداد، والمقصود فيه ان معاملة الانسان مع أعيان هذه الدنيا يجب ان يكون مثل معاملة المسافر مع أعيان مرحلة من مراحل سفره البعيد الذى يطلب به تجارة لن تبور.

فهذه هى المقاصد الستة المشتمل عليها المنحصر فيها سور القرآن وآياته، وهذه السورة الواحدة لغاية شرفها وفضلها عقلا ونقلا حيث روى عن النبى (١) ﷺ «ان فى المسبحات آية أفضل من ألف آية يشتمل عليها وينحصر فيها جميع القرآن».

* * *

ولنشرع فى استنباط هذه النفائس الشريفة عن هذا البحر الخضيم بقوة العزيز الحكيم، ولنسم كل واحد من المعارف الثلاثة القرآنية التى هى الاصول باسم يناسبه كما فعله بعض أكابر العلماء وقد وجدناه فى بعض مصطلحات العرفاء وذلك للدلالة على أن هذه المعارف فى درجات متفاوتة من الشرف والفضيلة مع اشتراك الجميع فى الخير والمنفعة، فأين معرفة ذات الحق وصفاته وأفعاله من معرفة علف الدابة وسقيها فى طريق السفر اليه.

فشرح المعارف الالهية المشتملة على معرفة ذات الحق الاول ومعرفة صفاته

---

(١) ابى داود : كتاب الادب، باب مايقال عند النوم ٣١٣/٤

ومعرفة افعاله هو المصطلح عليه بـ « **الكبريت الاحمر** » الحاصل من الخوض فى لجّة بحر القرآن وأبعاضه والغوص فى اعماقها .

وشرح طريق السلوك الى الله تعالى وتعريف التبتّل اليه والانقطاع عن الدنيا هو المسمى بـ «**العنبر الاشهب**» و«**العود الانفر**» الحاصلين من السياحة فى سواحل هذا البحر المحيط المتشعب عنه علوم الاواخر والاوائل ـ كما يتشعب من البحر الانهار والجداول ـ .

وشرح احوال المسافرين عند الوصول الى المهيمن المتعـال هو الملقّب بـ « **الترياق الاكبر** » و « **المسك الاذفر** » الحاصلين من التغلغل الى جزائره عند استدرارهما من حيواناته .

ولك ان تسمى الثلاثة الروادف واقسام كل قسم منها باسم يناسبه .

ولا يخفى على الزكى المتبصر مناسبة كل قسم بما وقعت التسمية به عليه ، واياك وان تحمل هذه الاسامى على الاستعارات الرسمية والتكلفات المجازية، فانها ممقوتة عند ذوى الجد من أبناء الحقيقة ، بل تحتها رموز واشارات الى معان خفية يعرفها من يعرف الموازنة والمماثلة بين عالمى الملك والملكوت والشهادة والغيب، ولو ذهبنا الى تحقيق الموازنة بين هذه الامثلة الحسية وحقائقها الغيبية لادّى الى الاطناب .

فلنعرض عنه الى الخوض فى الكتاب مستمداً من العزيز الوهاب .

* * *

قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾

لمّا لاح لك ان المعارف الالهية المشتملة عليها القسم الاول الذى يتوزع الى معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال هى «الكبريت الاحمر» فاعلم ان هذه الثلاثة ليست على رتبة واحدة ، فكما ان أخص فوائد الكبريت هو الياقوت الاحمر لانّه أجل قدراً و أعز وجودا ، لايقع الا يسير منه بيد الملوك والسلاطين ، وربما يظفر بما دونه بالكثير ، فكذلك معرفة الذات لكونها أجل قدرا ورتبة وأعظم رفعة لايظفر بشيء منها الا ملوك الاخرة وسلاطينها ـ مثل الاولياء والانبياء عليهم الصلوة والدعاء «جل جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد اويطلع عليه الا واحداً بعد واحد» .

ولكون معرفة الذات أضيق المعارف الالهية مسلكا ومجالا وأصعبها على الضمير اعتقادا ومقالا وأعصاها على الروية والفكر اذعانا وأنفرها عن التحفّظ والذكر ضبطا فلذلك لايشتمل القرآن منها الاعلى اشارات وتلويحات يرجع أكثرها الى

السلوب والتقاديس ، كقوله تعالى بعد ماختم سورة الواقعة بالامربالتسبيح .

سبح لله ـ اى : نزهه وقدسه عما لايليق بشأنه مما يوجب التكثر والتغيّر ، وبرّئه من كل نقص ـ ما فى السموات والارض .

وهو العزيز ـ فى ذاتـه ـ والحكيم ـ فى أفعاله لكونها على أحكم ترتيب وأتقن نظام .

والصيغة تدل هيهنا على أنماماسنداليه الفعل ذلك هجّيراه وديدنه ، ويؤكد ذلك مجيئه على صيغة المضارع ايضا فى بعض الفواتح وهذاالفعل يتعدى باللام تارة وبنفسه اخرى ، وأصله الثانى ، لانه المنقول من سبح اذا ذهب وبعد . فمعنى سبحته بعدته عن الشين . فاللام فيه اما أن يكون كاللام فى « نصحته » و «نصحت له» . اويكون معنى الكلام : احدث التسبيح ابتغاء لوجه الله خاصة مافيهما .

قال مقاتل : يعنى كل شىء من ذى الروح وغيره وكل خلق فيهما . ولعل الغرض ان العقلاء يسبحونه قولاواعتقاداًوماليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات فيسبحه بمافيه من الادلة الدالة على وحدانية مبدعه وصفاته التى تخصه ، فعبر سبحانه عن هذه الدلالة بالتسبيح كانها اقرار منهم بلسان الحال من جهة امكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته .

و يجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ و الدلالـة لاسناده الى مايتصورمنه ، وعليهما عند من جوّزاطلاق اللفظ على معنييه وجوز بعضهم أن يكون «ما»هيهنابمعنى«من» ويؤيده ماحكى أبوزيد ان الحجازيين كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا : «سبحان ما سبحت له» وقيل : المرادمنه كل مايتأتى منه التسبيح .

* * *

هذا تمام كلام الاعلام فى هذا المقام ، ولايخفى عدم ملائمة كل من التأويل والتخصيص المستفادمن كلامهم لكثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على تسبيح جميع الموجودات حقيقة ـ حتى المسمى بالجماد والنبات .

منها قوله تعالى : ﴿ ألم تر ان الله يسبّح له من فى السموات والارض والطير صافّات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ [٤١/٢٤] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ [١٨/٢٢].

وفى هاتين الايتين اشعار بأن هذا تسبيح فطرى وسجود ذاتى نشأ عن تجلى الحق لكل من خلق الله له وأنطقه الذى أنطق كل شيء ، فأحبّوه وتواضعوا له من غير تكليف ، بل اقتضاء ذاتى طباعى ، والذى يمنع من هذه العبادة الذاتية الافكار الوهمية والتخيلات الشيطانية التى يكون لاكثر الناس التى بها يستحق كثير منهم العقوبة والعذاب ، كقوله تعالى : ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ [١٨/٢٢].

والنكتة فى ان «ألم تر» اتى بها بصيغة خطاب المفرد ان غير النبى لم يشهد ذلك فهو له عيان ولنا ايمان .

ومنها قوله تعالى : ﴿أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ [٤٨/١٦] .

وكذا أمثالها ونظائرها من الايات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة على وجه يستلزم الشعور والادراك ، وكفاك فى هذا التعميم والشمول قوله تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [٤٤/١٧] .

وحكاية تسبيح الحصى فى كف النبى ﷺ وسماعه و اسماعه أمر مشهور وفى ألسنة الرواة مذكور ، وبالايمان والتصديق مقرون عند الجمهور .

ويعتضد ايضاً بما روى عن ابن مسعود انه قال : كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله حجر ولا شجر الا ويقول السلام عليك يا رسول الله(١) وأمثاله كثيرة فى الروايات فلا وجه للعدول عن الظاهر المنقول المتلقى بالقبول

---

(١) رواه الترمذى عن على ؑ : كتاب المناقب باب ٦ ، ٥/ ٥٩٣ .

عندأرباب الكشف والشهود وأصحاب الايمان والتسليم .

فان قلت : التسبيح بالمعنى الظاهر منتف عن الجماد لعدم الادراك فيه .

قلنا : لانسلم ذلك لعدم مايدل على نفى الشعور فيه مطلقا ، بل الدليل قائم فى العلوم العقلية على أن الطبائع النوعية لهاغايات طبيعية مترتبة على أفاعيلها، وفيها علل غائية وأسباب مستدعية لوقوع الفعل المخصوص منها ، الاان غير أهل الكشف والحال اذالم يقنعوا بمجرد التقليد فى العقائد والاقوال تأبّت عقولهم عن الايمان بهذا التسبيح وتعصّت عن دركه أفكارهم الى أن يأتى الله لهم بالفتح اوأمر من عنده .

مكاشفة

و اعلم ان اثبات الشعور و الادراك لجميع مافى العناصر والافلاك ممادلت عليه المباحث البرهانية وشهدت به العلوم الذوقية وأيّدته المقامات الكشفية كماأشرنا اليه ، وهومذهب جم غفير من الراسخين فى العلم واليقين ورأى طائفة عظيمة من المكاشفين ، منهم الشيخ العارف والمحقق المكاشف **محيى الدين** الاعرابى وأتباعه وتلاميذه .

قال ـ قدس سره ـ : ان المسمى بالجماد والنبات لهم أرواح بطنت عن ادراك غير أهل الكشف اياها فى العادة(١) فلايحس بها مثل مايحس به من الحيوان ، فالكل عند أهل الكشف حيوان بل ناطق ، غيران هذا المزاج الخاص يسمى انسانا لاغير ، ونحن زدنا مع الايمان بالاخبار الكشف ، فقد سمعنا الاحجار تذكر الله روية عين بلسان يسمعه آذاننا منه و تخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل

---

(١) وانما قيد بقوله فى العادة لامكان ظهورها والاحساس بها للمحجوبين ـ ايضاً ـ على العادة بواسطة نور النبوة كما فى اسماع تسبيح الحصى فى كفه ﷺ كل من كان حاضرا . (منه ـ ره) .

انسان . انتهى ـ .

* * *

وتحقيق هذاالتسبيح يستدعى بسطا فى الكلام لايسعه هذا المقام و ربمايؤدى ذلك الى شنعة الجهال و اللئام عند سماعهم شيئا يخالف مـاتلقفوه ممن اخذوا منه تعصبا وتقليدا ، والذى يليق ذكره هيهناهو انلكل نوع من الانواع الجسمانية ملكا موكلا عليه مدبرا لاحاده ومعتنيا بتربية أفراده ـ كما ذهب اليه افلاطن والحكماء المشرقيّون طباقا للشريعة الحقةمن تسمية بعض ملائكةالله المدبرين لانواع الاجسام بالاضافة الى نوع مايتعلق بهتعلق التدبير والتأثير باذن ربهالعليم الخبير ، كملكالجبال وملك البحار وملكالرياح وملكالامطار .

فهذه حزب من الملائكة موكلة بجنس الاجسام ونسبة كل منها الى أفراد مظهره الذى يقالله فىعرف بعضعرفاء الحكماء **الطلسم** اتم فىباب المعيةمن نسبة النفوس الى ابدانها ، بل نسبته اليها نسبة حقيقة الشىء وذاته المطلقة عن العوارض الخارجة الى **ذلك الشىء** .

فكما انالافعالالصادرة عنالانسان بالاختيار انمايصدرعن هويتهوذاتهالباطنة عنادراك الحس ـ وهونفسهالمدبرة له ـ والبدن فىذاته منحيثهوبدن لاشعورله بللاوجودله كما حققنا ذلك فىموضعه ـ فكذلك هذه الاجسام الطبيعية انما يصدر ماينسب اليها منالحركة والسكون والتغذية والتنمية والتوليد وغيرها من ملكوتها وبواطنها التىهى صورة حقيقتها ومقوم ذاتها ، لامنجسميتها ومادتها .

ثمانه قدثبت فىالمعارف الربوبية ان كلمايصدر عنالمبادى الذاتية فهوانما يصدرعنها تضرعا ورجوعا الى باريهاالعالى ، لاالتفاتا الى السافل ، وحقيقةالتسبيح ليست الامايستلزم الخضوع والتمجيد سواء كان باللسان اوبآلة اخرى ، فأشخاص العالم بأسرها فىهذه العبادة الذاتية وهذاالسجود الفطرى متدينة بهذا الدين الالهى الذىقامبهوواظبعليهالجميع ، الاكلمخلوقلهقوة التفكر والرويةوليس الاالنفوس

الناطقة الانسانية والحيوانية خاصة ـ من حيث أعيان نفوسهم لامن حيث هيا كلهم ، فـان هيا كلهم كسائر العالم فى التسبيح والسجود له ، ألاتراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيمة من الجلود والايدى والارجل والالسنة والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلى الكبير .

فان قلت : فماتقول فى الاستثناء الواقع فى قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون الاابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ [٢/٣٤] فان السجدة المأمور بها لادم فى الحقيقة سجدته لله تعالى وطاعة لامره ، فاباء ابليس من سجدة آدم عين ابائه من سجدة ربه ولهذا كان من الكافرين ، فينافى ذلك بحسب الظاهر عموم الايات المنقولة وكلية الحكم بعبادة كل موجود من حيث هو موجود عبادة جبليّة .

قلنا : ان اباء ابليس عن السجود واستكباره وعصيانه بحسب ظاهر الامر هو عين سجوده وطاعته وخدمته وتواضعه لربه باعتبار القضاء الازلى ، فان العزيز الجليل أقامه فـى حجاب العزة والجلال ذليلا محجوبا حتى يكون ابليس مطرودا ملعونا محترقا بنار البعد والضلال فى الدنيا ومعذبا بنار الجحيم والنكال فى الاخرى ـ حسب ما جرى عليه القضاء ـ فلم يكن له بدّ من موافقة علمه تعالى الذى هو عين ارادته ولذلك أقسم بعزته تبارك وتعالى للاغواء لان الاغواء من مقتضيات العزة ، والاحتجاب يجب الجلال .

ولعل فى قوله : « و هـو العزيز الحكيم » ـ فى هذه الاية ـ ايماء بأن طاعة الموجودات وتسبيحها للحق تعالى علـى النهج الطباعى الشمولى الذى جرى عليه القضاء الازلى ، ولايمكن لاحد التفصّى عنه والعدول الى غيره ، فعصيان العصاة وتمردهم نحو من الطاعة والامتثال لحكم الاسماء فأهل الحجاب او عباد الكثرات لايجيبون دعوة التوحيد ، ومـن كان فى مرتبة الجمع يطلع على مراتبهم ويعذر الكل فيما هم عليه ويعلم ان انكارهم عين الاقرار وفرارهم عين الاجابة لدعوة العزيز الجبار .

كما نقل عن سيد الاولياء أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود . (١)

* * *

قوله عزوجل :

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

المالك للشيء هو المتصرف فيه بأى وجه أراد من التصرف ، وهذا بالحقيقة لايكون الا لمن له ذات ذلك الشيء بحيث يحييه ويميته اذا أراد والا لكان تصرفه متوقفا على تأثير سبب مبائن، فلايكون له التصرف بأى وجه شاء ، بل ببعض وجوه التصرف . فالمالك بالحقيقة من له ذات كل شيء فعبّر عن الجميع بالاجسام العظام لانها الجليّة المكشوفة الواقعة في عالم الشهادة .

وفي قوله تعالى : « وهو على كل شيء قدير» اشعار لطيف بما ذكر وبرهان شريف عليه ، لان الموجودات مرتبطة بعضها ببعض، متوقفة بعضها على بعض كأعضاء بدن واحد ، فلو لم يكن البارى موجداً للكل لم يكن مالكا للبعض بالحقيقة .

مكاشفة

واعلم ان الموجود قد يكون وجوده لنفسه ، وقد يكون لشيء آخر كالاعراض والصور لان وجوداتها ليست الا نعوتا واوصافا لغيرها لالذاتها ، بخلاف الاعيان الجوهرية لان ماهياتها ليست نعوتا لغيرها .

والتحقيق ان وجود الموجودات في أنفسها ليس الا وجودها له تعالى ، لان

(١) نهج البلاغة : الخطبة رقم ٤٩

جميعها فعل الحق ، والفعل من حيث هو فعل لاقوام له فى نفسه الابالفاعل ، وماوجد من الافعال والاثار مستقلة دون ماتصدر عنها فليست هى بالحقيقة آثاراً لها بل يتعلق بها على نوع آخر من التعلق .

* * *

وموضع «يحيى» وماينعطف عليه اما مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أو منصوب على أنه حال من الضمير المجرور فى « له » . ويحتمل عدم تعلق هذه الجملة لشىء فلايكون لها موضع من الاعراب ، كقوله : « له ملك السموات » . او معناه : يحيى النطف والبيض فى الدنيا ، والموتى يوم القيمة ، ويميت الاحياء فى الاخرة .

وعن امير المؤمنين على عليه السلام : يحيى بالطاعة ويميت بالمعصية .

وعن ابى بكر الوراق : يحيى بالعلم ويميت بالجهل .

وعن ابن عباس : يحيى عند البعث ويميت فى الدنيا .

وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة فى المعنى ، فان حيوة العلم والطاعة من قبيل حيوة الارواح فى الاخرة ، وموت الجهل والمعصية من قبيل موت الاجسام فى الدنيا.

مكاشفة

ان نوع الاحياء مختلف فى النشأتين ، لان فى الاولى تدريجى وفى الاخرة دفعى ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وهو أهون عليه﴾ [٣٠/٢٧] مع كونه على كل شىء قدير بنسبة واحدة من قبله ، فلايتأبى قدرته عن شىء من المقدورات كما لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولافى السموات .

فان قلت : ماوجه صدور الاماتة منه تعالى مع كونه محض الرحمة ومنبع الخير والحيوة ؟

قلنا : فعل الاماتة منه تعالى لكونها مستلزمة للاحياء على وجه أبقى وأشرف حسن ، كما أن الامر بالقصاص لكونه يوجب الحيوة على وجه أكثر وأصح حسن . او نقول : موت البدن من ضروريات قوام الروح بذاتها حيّة موجودة بالفعل وان كانت من أرواح الاشقياء المردودين وممن يأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت .

ومما يؤيد ان الحيوة الاخرة نوع أقوى من الحيوة الدنيا قوله تعالى : ﴿فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾ [٥٠/٢٢] اذ حدة البصر والبصيرة تدل على قوة الحيوة والوجود .

قوله عزوجل :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

الواوات الثلاثة للجمعية ، لكن الاولى للدلالة على انه تعالى مجمع صفتي التقدم والتأخر ، والثالثة على انه مجمع الظهور والبطون ، والوسطى على انه الجامع بين ذينك المجموعين ـ مجموع الاولية والاخرية ومجموع الجلاء والخفاء ـ .

وعن عبدالعزيز : ان الواوات مقحمة والمعنى : هو الاوّل الاخر الظاهر الباطن . لان من كان منّا أولا لايكون آخراً ، ومن كان ظاهراً لايكون باطناً ، وهذا يلائم القول بأن أوّليته عين آخريّته ، وظاهريّته عين باطنيّته .

وعن ابن عباس : الاول قبل كل شيء بلا ابتداء ، والاخر بعد فناء كل شيء بلاانتهاء ، فهو الكائن لم يزل ، والباقي لايزال ، والظاهر الغالب العالى على كل شيء فكل شيء دونه . والباطن العالم بكل شيء فلاأحد أعلم منه .

وتوجيه هذا المنقول وان كان فيه عدول عن الظاهر المفهوم انه مأخوذ من بطن الشيء بمعنى علم باطنه ، ولهذا أردف بقوله : ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لان العالم بوجوه الشيء عالم بما سواه .

وعن الضحاك : هو الذى أوّل الاوائل وأخّر الاواخر، وأظهر الظاهر وأبطن الباطن .

وقال البلخى : هو كقول القائل «فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه» أى : عليه يدور الامر وبه يتم .

وقيل : هو المستمر الوجود فى جميع الازمنة الماضية والاتية ، الظاهر فى جميعها بالادلة والشواهد ، الباطن عن ادراك الحواس والمشاعر الجلية ، فيكون حجة على من جوّز رؤيته تعالى فى الآخرة بهذه الحاسة .

وقيل : ان الاول والاخر صفة الزمان بالذات ، والظاهر والباطن صفة المكان كذلك ، والحق تعالى وسع المكان ظاهراً وباطناً ووسع الزمان أولا وآخراً وهو منزّه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولامكان ولازمان .

مكاشفة

الاولية قد يكون بمعنى كون الشىء فاعلا، والاخرية بمعنى كونه غاية مترتبة على وجود الفعل فى العين ـ وان كانت الغاية بحسب وجوده فى العلم متقدمة ايضاً ـ فالله سبحانه **أول كل شىء** بمعنى أن وجوده حصل منه ، وبمعنى أن الغرض فى حصول ذلك الشىء منه هو علمه بالمصلحة و كونه تماماً فى الجود والرحمة ، فيّاضاً على الاشياء بلاعوض ، **وآخر كل شىء** بمعنى انه الغاية التى تطلبه الاشياء وتقصده طبعاً وارادة .

والعرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبة له والشوق اليه فى جميع المخلوقات ـ على تفاوت طبقاتهم ـ فالكائنات السفلية كالمبدعات العلوية على اقتراف شوق من هذا البحر الخضيم ، واعتراف شاهد مقر بوحدانية الحق العليم ﴿ولكل وجهة هو مولّيها﴾ [١٤٨/٢] فهو الحق الاول الذى منه ابتدأ أمر العالم ، وهو

الاخر الذى اليه ينساق وجود الاشياء سيّما بنى آدم ، اذ منه صدر الوجود ولاجله وقع الكون .

وهو الاخر أيضا بالاضافة الى سير المسافرين اليه ، فانهم لايزالون مترقين من رتبة الى رتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفنائهم عن ذاتهم وهويّتهم واندكاك جبل وجودهم وانيّتهم ، فهو أول فى الوجود وآخر فى المشاهدة ، والله ـ عزّ اسمه ـ حيث أنبأنا عن غاية وجود العالم قال : ﴿ وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ [٥١/٥٦] أى : ليعرفون : وقوله : **كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لاعرف** . فدلنا على أنه الغاية القصوى لوجود العالم معروفاً كما أنه الفاعل له موجوداً، ودلنا أيضاً على بعض الغايات المتوسطة الضرورية بقوله: **لولاك لما خلقت الافلاك** .

فالمبدأ والغاية لوجود العالم ولقاء الاخرة هو الله سبحانه ولذلك بنى العالم ولاجله نظّم النظام .

قال بعض الحكماء : ولوأن أحداً من الخلق عرف الكمال الذى هو الخير الاقصى، ثم كان ينظّم الامور التى صدرت منه على الوجه الذى صدرت هى عليه وعلى مثاله حتى كانت الامور على غاية من النظام والتمام لكان غرضه بالحقيقة هو ذات البارى ، فهو الاول والاخر بهذا المعنى أيضاً .

﴿ تتميـم ﴾

قد انكشف ان الموجودات العالمية كلها بحسب فطرتها التى فطرها الله عليها متوجهة نحو غايات حقة وأغراض صحيحة ، بل الغاية فى الجميع أمر واحد هو الخير الاقصى، الا انه هيهنا غايات وهميّة زيّنت لطوائف من المكلفين، فهم سالكون اليها فى لبس وعماية من غير بصيرة ودراية ، فهؤلاء الطوائف مع ولىّ الوجود ومنبع الرحمة والجود فى شقاق ، فهم ليسوا عباد الله فى الحقيقة ولا الله موليهم الحق، وحيث مايتولّونه فلهم لامحالة ولىّ، وهو شيطان من الطواغيت ، ولما كان

فعل الشيطان الوسوسة والاضلال ولا يطيعه الانسان الا بقوته الوهمية التى هى من جنود الشيطان ، فان شئت سمّهم عبدة الهوى وان شئت سمّهم عبدة الطاغوت فقد نزل لكل ذلك القرآن .

فمن تولى الله وأحب لقائه وجرى على ما أجرى عليه النظام فقد تولّيهم و ﴿ موليهم الحق﴾[٦٢/٦]﴿وهويتولى الصالحين﴾ [١٩٦/٧] من كان لله كان الله له ، و ﴿ من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت ﴾ [٥/٢٩] .

ومن تعدى ذلك وطغى وتولى الطواغيت واتبع الهوى فلكل نوع من الهوى طاغوت ، فشخص كل الى معبوده ووجه اليه كما فى قوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ [٢٣/٤٥] .

وانك لتعلم ان النظامات الوهمية والغايات الجزئية تضمحل وتبقى ، فكل من كان الهه هواه ووليّه الطاغوت- والطاغوت من جوهرة هذه النشأة الدنياوية التى هى دارالغرور وموطن الزور - كلما أمعنت هذه النشأة فى العدم ازداد الطاغوت اضمحلالا فيذهب به ممعناً فى وروده العدم ، متقلباً به فى الدركات حتى يحلّه دار البوار .

عصمنا الله واخواننا فى اليقين من متابعة الهوى والركون الى زخارف الدنيا وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتولاهم رحمته يوم الدين .

* * *

واما كونه ظاهراً : فلكونه نورالسموات والارض ، والنور حقيقته الظهور، لان ماليست حقيقته النور فانما يظهر بالنور ، والنور بنفسه ظاهر وبذاته متجلّ .

واما كونه باطناً - أى مختفياً - : فلشدة ظهوره وغاية وضوحه ولاجل ذلك يختفى على الضمائر والانظار ويحتجب عن العقول والابصار فذاته بذاته متجل للاشياء ولاجل قصوربعض الذات عن قبول تجلّيه يحتجب ، فبالحقيقة لاحجاب الا فى المحجوبين .

والحجاب هو القصور والضعف والنقص ، وليس تجلّيه الا حقيقة ذاته ،

اذ لامعنى له بذاته الا صريح ذاته ، لان صفاته ليست زائدة على ذاته كما أوضحه الربانيون .

أولاترى الشمس التى هى أشد الانوار الحسية وأقوى الاضواء البصرية كيف احتجبت لفرط ظهورها على الحاسة البصرية حتى لايمكن للبصر لاجل ضعف قوته ملاحظتها الا من وراء الحجاب كالمرآة أوالماء أوالسحاب الرقيق ، كما قال الشاعر :

كالشمس يمنعك اجتلاؤك وجهها ✻ فاذا اكتست برقيق غيم أمكنا

فكذلك الحق سبحانه ، فانه وان لم تحط بحقيقته العقول والافكار ولم يدرك ذاته البصائر والابصار الا انه ليس لوجهه نقاب الا النور ، ولا لذاته حجاب الا الظهور ، ولم يمنع القلوب من الاستنارة والاستجلاء بعد تزكيها عن كدورات الشهوات الا شدة الاشراق وضعف الاحداق .

فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق نوره واحتجب عن عقولهم لفرط الوضوح ظهوره ، وهو بكل شىء عليم ، لانه بنور ذاته يظهر جميع الاشياء على ذاته ، اذ العلم بالشىء ليس الا ظهوره عند شىء آخر ومثوله بين يديه والله خالق كل شىء فلايخفى عليه شىء فى الارض ولافى السماء اذ بيده ملكوت الاشياء ، ومنه ينشأ حقائق الانباء .

قوله عزوجل :

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

أصل الخلق : التقدير . والاستواء : الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج . والعرش : السرير ومنه : ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ [٢٣/٢٧] والعرش : الملك ، يقال : ثلّ عرشه . والعرش : السقف ، ومنه قوله تعالى : ﴿فهى خاوية على عروشها﴾ [٢٥٩/٢] .

والمعنى : انه لماذكر ان جميع الموجودات يمجدونه ويسبحونه ويعظمونه

ـ كل منها على قدر وعاء وجوده وحوصلة ادراكه وشعوره ـ لعظمته ومجده وجماله وجلاله، وبيّن ذلك بأن له التصرف في الجميع بالمالكية والافادة والاحياء والاماتة ، وانه أول كل شيء وآخره وظاهره وباطنه ، والمملوك لامحالة تكون خاضعاً ساجداً لربه ومطيعاً لخالقه ، فأراد أن يشعر بأن كونه بحيث يخضعه ويسجد له الجميع ليس أمراً جزافياً او اتفاقياً ، او حكماً اجبارياً من غير استحقاق ، بل هو أمر يليق بشأنه ، واقع في مقابلة لطفه واحسانه وكرمه وامتنانه ، حيث نظّم امور العالم على أبدع نظام وأفاد وجود كليات الجواهر وعظائم الاجرام على أشرف وضع وانتظام .

اذا أنشأ أعيان السموات وأبدعها لامن شيء يقتضيه ولا على مثال يحتذيه ، ثم أمسكها بلاعماد وأنشأ الارض وأوجدها بلااعتماد في ستة أيام ـ ولم يخلقها في لحظة واحدة وان كان مقدوراً له تعالى لان خلقها في هذه المدة أصلح وأليق بحال الكائنات وأنسب بنظام المخلوقات ـ .

ورتبها على أيام الاسبوع ، فابتدأ بالاحد وختم بالجمعة ، فاجتمع له الخلق يوم الجمعة ، فلذلك تسمى جمعة ـ عن مجاهد ـ .

وقيل: ان ايجاد الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على التدريج والترتيب أدلّ على كون فاعله عالماً مدبراً يصرّفه على اختياره كيف يشاء حريّاً بأن يعبده ويسجد له ويطيع أمره جميع عباده ومن كان في ملكه وملكوته .

وقوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ أي : استوى أمره الى ملكه لان الامور والتدابير تنزل منه .

وعن الحسن : يعني استقرملكه واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة .

وانما أخرج هذا على المتعارف في كلام العرب كقولهم : «استوى الملك على عرشه » - اذا انتظمت امور مملكته ـ واذا اختلّ أمرملكه قالوا : « ثلّ عرشه » . ولعل ذلك الملك لايكون له سرير أصلا ولايجلس على سريره أبداً ، قال الشاعر:

اذا مابنومروان ثلّت عروشهم وأودت كما أودت أياد وحمير

وقيل معناه : ثم قصد الى خلق العرش ـ عن الفراء وجماعة واختاره القاضى. ويلزم منه أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض، وليس بذاك مع بعده عن اللفظ .

وروى عن مالك بن أنس انه قال : الاستواء غير مجهول و كيفيته غير معلومة ، والسؤال عنه بدعة .

وعن أبى حنيفة انه قال : اقرؤه كما جاء . أى : لاتفسروه .

مكاشفة

اعلم انه خلق العالـم على ترتيب قويم وتدبير محكم ، فأبدع الافلاك ثم زيّنها بالكواكب مع نفوسها المجردة المحركة اياها بأمر باريها طاعة وخدمة لمبدعها وتشوقاً الى جاعلها، كما أشار اليه بقوله : ﴿فقضيهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ [١٢/٤١] .

وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسماً قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال وأشار اليه بقوله : خلق الارض ـ أى : مافى جهة السفل ـ فى يومين . ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانياً كماقال بعد قوله : « وخلق الارض فى يومين »ـ وجعل فيها رواسى من فوقها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام ـ أى مع اليومين الاولين ، لقوله فى سورة السجدة : ﴿الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام﴾ [٤/٣٢] .

ثم لماتم عالم الملك بأمره عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة ، فدبّر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب

وتمزيج القوى والكيفيات مما يلج فى الارض ومايخرج منها ، وامدادها بما ينزل من السماء ، وهدايتها بما يعرج فيها ، وهو أقرب الى كل شيء من هذه الوسائط لان له التأثير والايجاد ومنها التهيئة والاعداد ، فهو تعالى مع كل شيء أينما كان ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت .

مكاشفة

اعلم ان المكشوف عند ذوى البصائر ان الحق سبحانه خلق السموات والارض فى ستة أيام من الايام الالهية التى كل يوم منها ألف سنة مماتعدون ، وهى من زمان آدم الى زمان محمد ﷺ جميع دور خفاء الذات واحتجابها بالاسماء ، وظهور الاسماء فى مظاهر الاشياء كل يوم منها ميلاد واحد من الانبياء العظام من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - .

ثم استوى على عرش الذات وهو الروح الاعظم باسم الرحمن فى اليوم السابع وهو يوم الجمعة لحشر الخلائق فيه وجمعهم وحسابهم وميزانهم لقوله تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ [١١/١٠٣] .

وقد اشتهر فيما بين الناس فى جميع الأمصار ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة على عدد الكواكب السبعة ، فكل الف سنة يوم من أيام الله لقوله تعالى : ﴿ وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ [٢٢/٤٧] .

فالستة منها هى التى خلق الله فيها السموات والارض وما فيهما لان الخلق حجاب الحق . فمعنى خلق : اختفى بهما فأظهرهما وبطن ويوم السابع هو يوم الجمع ، وزمان الاستواء على العرش ، والظهور بالاسماء ، وهذا الظهور يبتدى فى السابع مع ظهور محمد ﷺ كما روى انه قال : « **بعثت انا والساعة كهاتين** - وجمع بين السبابة والوسطى - »(١).

(١) الترمذى: كتاب الفتن باب ماجاء فى قول النبى ﷺ :بعثت أنا.. ٤٩٧/٤

ويزداد الى تمام سبعة آلاف سنة من لدن آدم أول الانبياء الى زمان خاتم الاولياء ـ المهدى صاحب الزمان عليه السلام ـ وتنقضى الخفايا لظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيامة الكبرى ، وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب والميزان ويتميز أهل الجنة والنار ويرى عرش الله بارزاً ـ كما حكى بعض العرفاء عن شهوده ـ .

وتمام ظهور هذه الامور فى الاخرة ، وان كان العارفون يشاهدونها فى مرآة الدنيا، فابتداء يوم القيمة ـ الذى قد طلع فجره ـ ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، فالمحمديون لكونهم خير امّة أخرجت للناس أهل الجمعة ومحمد صلى الله عليه وآله صاحبها وخاتم النبيين.

واتفق أهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض فى اليوم السابع ، الا ان اليهود قالوا : انه السبت وابتداء الخلق من الاحد. وعلى ماذكر يكون هو الجمعة .

وان جعلنا الاحد أول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء وفى السادس ابتداء الظهور وازداد فى الخواص كما ذكر انه « يوم خلق آدم » ـ أى : الحقيقى ـ « ويوم الساعة » « ويوم المزيد » حتى ينتهى الى تمام الظهور وارتفاع الخفاء فى آخره عند خروج المهدى عليه السلام ، ويعم الظهور فى السابع الذى هو السبت .

* * *

ولزيادة توضيح هذا المقام نمهد مقدمة من الكلام ، **فنقول :**

ان ماأوجده الله تعالى بحكمته البالغة ونظمه بنظمه البديع لايخلوعن قسمين: اما امور طبيعية جسمانية ، واما امور الهية روحانية .

أما الامور الطبيعية الجسمانية فحدوثها وانشاؤها لايكون الا على سبيل التدريج وممر الدهور والازمان ، اذ المعنى بالطبيعى هومايصدر عن الطبيعة بقدرة الله تعالى، والطبيعة بما هى طبيعة ليست حقيقتها الا منشأ الحركة والسكون فى الجسم الطبيعى ـ وهما زمانيان كما حقق فى مظانه ـ والطبيعى اذن تدريجى لامحالة ، فوجود العالم

الجسماني ـ فلكياً كان أو عنصرياً ـ تدريجي ، لان حقيقتها متقومة بالتغيّر .

فكل عاقل لبيب اذا فكر في كيفية ايجاد الاجسام الطبيعية وعوارضها وصفاتها الطبيعية يعلم ويتحقق انها واقعة في مقدار من الزمان ، ويتيقن ان هيولى الكل قد أتى عليه دهر طويل وأمد مديد الى أن تمحض وتميز اللطيف منها من الكثيف ، والعالي منها من السافل ، والفلكي منها من العنصري ، والنيّر من المظلم ، وتقبل الكرات الفلكية والانوار الكوكبية وتحيط بعضها ببعض، والى أن استدارت الاجرام الكلية والكرات الكوكبية وركزت على مراكزها، والى أن تميزت الاركان الاربعة وترتبت مراتبها ومزّجت فنون تمزيجاتها لينتظم الكل كأنها شخص واحد متعاون بعضها ببعض ، منتفع بعضها من بعض كأبعاض بدن واحد انساني في مدة العمر . والدليل على ذلك قول الله سبحانه : ﴿ خلق السموات والارض في ستة أيام ﴾ ﴿ وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ [٢٢/٤٧] .

وأما الامور الربانية والاشعة الالهية فهي كأنها من مراتب علمه الازلي وعالم قضائه وأمره السرمدي وحجب ربوبيته وسرادقات عزته لايبلغ عقول البشر كنهها ، وقد يعبر عنها في لسان الشريعة بعبارات ورموز لايفهم مغزاهـا الا من أيّده الله بتوفيق خاص وهي المشار اليها في قوله تعالى : ﴿ وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ﴾ [٥٤/٥٠] تنبيهاً على عدم تجددها وتغيرها وارتفاعها عن عالم الزمان والتغيير.

* * *

وقد وقع في بعض شرايع السابقين وملل الاقدمين اشارة الى كيفية حدوث الافلاك ومافي جوفها من أمر الله سبحانه على سبيل الرمز (١):

انه قد أتى دهر طويل على **النفس الكلي** ـ أي الملك الاعظم الحامل للعرش الرئيس على جملة الحملة والمدبرات السماوية ـ قبل تعلقها بالجسم ذي الابعاد ،

(١) مقتبس من رسائل اخـوان الصفا : الرسالة التاسعـة من النفسانيات والعقليات :٣ر٣٥٣

وكانت فى عالمها الروحانى ومحلها النورانى مقبلة على مفيضها ومبدعها ومكملها يقبل عنه الفيض والفضائل الكثيرة وكانت منعمة ملتذة مستريحة فرحانة من تلك الفضائل والخيرات فأخذها شبيه المخاض ، وأقبلت تطلب ما تفيض عليه من تلك الخيرات وكان الجسم بحسب هيوليته فارغا قبل ذلك من الاشكال و الصور والنقوش، فأقبلت النفس على **الهيولى** ليميز الكثيف من اللطيف ويفيض عليه تلك الفضائل والخيرات .

فلمّا رأى البارى جل ذكره ذلك منها ومن الجسم تهيؤ لها فخلق من ذلك الجسم عالم الافلاك وأطباق السموات من لدن العرش الى قرار الارضين على أحسن نظام وترتيب ممّا هى عليه الآن، وهكذا يفيض تلك الفضائل والخيرات من الصور والكيفيّات متجددة متعاقبة فى أزمنة متطاولة و دهور كثيرة لاستحالة الجمع بين الصورتين فى زمان واحد .

فمهما استوفت افاضة الصور والكيفيات المقدرة فى قضاء الله وقدره على المواد الفلكية و العنصرية سكنت الافلاك عن الدوران ، والكواكب عن السير ، والاركان عن الاختلاط والمزاج ، وكلت القوى الجسمانية و الآلات ، وبلى الحيوان والمعادن والنبات، وخلع الصور والاشكال والنقوش، وانفطرت السموات وانشقت ، وهدمت الجبال وبست ، وتبقى فارغة كماكانت بديّا .

فرجعت النفس المدبرة الكلية الى عالمها الروحانى ومحلها النورانى وحالتها الاولى وأعرضت عن شغلها الذى كان وأقبلت نحو علتها المفيضة ولحقت بها. لان مثل النفس فى اقبالها على الجسم و اشتغالها بتدبيره واصلاحه ـ بعد ما كانت مقبلة على مبدعها مستفيدة منه الفيض ـ كمثل الرجل الخيّر العاقل المقبل أولا على استاده المحب لعلمه ، الحريص فى تعليمه للعلوم والحكم والمعارف ، المتخلق بأخلاقه الجميلة وآدابه الصحيحة برهة من الزمان حتى امتلاء من الخيرات والفضائل والعلوم والحكم أخذه عند ذلك شبه المخاض واشتهى وتمنى وطلب من يفيض عليه من تلك الخيرات والفضائل ويفيده اياها ، فاذا وجد تلميذا يعلم انّه

يقبل منه ويفهم عنه علمه وحكمته أقبل عليه بالفيض والارشاد والافـادة ـ طمعا فى اصلاحه وحرصا على تعليمه و تأديبه تشبها باستاذه الاول ـ فاذا فرغ مـن تعليمه وتأديبه أقبل عند ذلك على عبادة ربه وطلب الخلوات بمناجاة ربه وتمنى اللحوق بأسلافه وأقاربه والدخول فى زمرة الملائكة .

وهكذا كانت سيرة الانبياء عليهم السلام وكذلك كانت سيرة الحكماء المتقدمين الذين أخذوا الحكمة من مشكوة النبوة ، كل ذلك تشبها بالله فى اظهـار حكمته وفيض فضائله على بريته واعطاء نعمته على خليقته .

كلام من الحكماء شبه رمز (١)

ذكروا ان ملكا عظيم الشأن ، عزيز السلطان ، واسع المملكة ، كثيرالجنود والعبيد ولد له ولد ذكر كان أقرب الخلق به شبها والى والده (والديه ـ ن) طبعا وخلقا ، فلمّا تربا ونشأ و كمل ولاه أبوه بعض مملكته وأمرأجناده وعبيده بطاعته ، واوصاه بحسن سياستهم وأباحه جميع النعم ـ غيرانه نهاه عن مرتبته ـ .

فمكث ذلك الابن زمانا طويلا قدر نصف يوم متنعما متلذذا الا أنّه كـان ساهيا ، فحسده بعض عبيد الملك ممن كان متينا قبله ، فقال : « انـّك لست تعرف نعمة ، ولا تجد لذ ّة ، لانك ممنوع من أرفع نعمة ، منهى عن ألذشهوة » .

فاغتربقوله وطلب ماليس له أن يتناوله قبل حينه فسقطت مرتبته وانحطت درجته عند أبيه وبدت له سوئته وخسته واستبانت خطيئته ، فهرب خوفا من أبيه ذاهبا فى مملكته شبه المستتر، فأصابه العناء ولقيه البأساء والضراء والجهد والبلاء ، فتذكر يوما ما كان فيه من نعمة أبيه ، فحزن على ما فاته وبكى أسفا ، ثم نعس فنام ، فحمل الى أبيه . فقال : **«دعوه نائما الى يوم الجمعة»** .

ثم انـّه ولد فى اليوم الثانى ابن آخرأشبه الناس بأخيه ، فتربـّى ونشأو كمل

(١) اخوان الصفاء الرسالة السابعة من النفسانيات والعقليات : ٣/٣١٥ .

ونما وكان حكيماً وقوراً صبوراً شكوراً ، فولاه أبوه بعض مملكته وأمرهم بطاعته واوصاه بسياستهم . فدعاهم وأمرهم ونهاهم . فلم يسمعوا ولم يطيعوا له أمره لانه كان شبيه زحل ، بل آذوه فصبر زمانا ثم شكى الى أبيه ، فغضب عليهم و رمى أكثرهم في الماء .

فلمّا رأى ما أصابهم اغتم وحزن ونعس فنام وحمل الى أبيه ، فقال : **« اتركوه نائما الى يوم الجمعة » .**

ثم انه رزق في اليوم الثالث ابن آخر وكان أشبه بأخويه الذين تقدم ذكرهما، وكان خيّراً فاضلا نجحا ، فولاه أبوه مكان أخويه وأمرهم بطاعته واوصى اليه بما اوصى الى أخويه من قبل ، فدعاهم وأمرهم ونهاهم فلم يسمعوا ولم يطيعوا لانه كان يشبه المشترى وفزعوه بالنار ، فذهب الى أبيه و بنى له هيكلا ونذر له قرباناً وعلم مناسكاً . ونادى في الناس : «تعالوا لتروا مالم تروا ، وتسمعوا مالم تسمعوا».

ثم نام وحمل الى أبيه فقال : **« اتركوه نائما الى يوم الجمعة » .**

وبقي نداؤه في مسامع النفوس يتوارثونه من غير أن سمعوا ويذهبون الى هيكله فيرون ظاهره ـ ومرماه مما لايبصرون ـ ويفعلون شبه مناسكه ولكن أكثرهم **لايفهمون لانهم صم بكم عمي فهم لايعقلون .**

ثم انه رزق في اليوم الرابع ابن آخر ، فنشأ وكمل ونما وكان جلداً قويا مقداما ، فولاه أبوه مكان اخوته وأمرهم بطاعته ، فدعاهم وأمرهم ونهاهم ، فلم يسمعوا ولم يطيعوا ، لانه كان يشبه المريخ . وبارزوه وبارزهم ، وناوشوه وناوشهم ونازعهم ، وكان مؤيدا بقوة أبيه فغلبهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وشتت الفهم، ورمى بهم في البر والبحر، ثم بقي وحيداً كالغريب يدعوا فلايجاب ويأمر فلايهاب، فاغتم وحزن ونعس فنام وحمل الى أبيه ، فقال : « دعوه نائما الى يوم الجمعة » .

ثم انه رزق في اليوم الخامس ابن آخر أشبه الناس بأخيه الاول ، فتربى ونشأ وكمل ونما، وكان هادياً رشيداً طيباً رفيعاً ، فولاه أبوه مكان اخوته ، فدعاهم وأمرهم ونهاهم ، فلم يسمعوا له الاقليلا ولم يطيعوه الايسيراً لانه كان يشبه الزهرة،

ثم وثبوا عليه فأخذوا قميصه الذى ألبسته امه ، فذهب الى أبيه فاستقرعليهم بجنوده وأيدهم (١) بروح منه ، فسرى فى نفوسهم وتحكم فى لاهوتهم بدلا وقصاصا لما تحكموا فى ناسوته ، و أراد أن ينزل من الرأس ، فقال أبوه : « **اصبر الى يوم الجمعة** » .

ثم قال الملك فى يوم السادس للمنجمين : « اختاروا لابنى الذى يشبه عطارد يوماً لينزل الى عالم الكون والفساد فينبه اخوته النيام ، ويناديهم الى ربهم، فقد رضيت عنهم ، ويأمرهم بالاستعداد للصلوة فان غدا هو يوم العيد ـ يوم الجمعة فيبرز للقضاء ويحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون » .

فاجتمع سادة النجوم ورؤساء الكواكب فى بيت المريخ ، وتشاوروا بينهم فقال رئيس الكواكب وملكها: (٢) «أنا أختار له من قوتى وازوده من فضائلى : العظمة والجلالة ، والرئاسة والسلطان ، والعز والرفعة ، والبهجة والبهاء ، والمجد والثناء ، والبذل والعطاء » .

وقال شيخهم كيوان : « أنا اختار له من قوتى وازوده من فضائلى : الحلم والوقار ، والصبر والثبات ، وبعد الغور وعلو الهمّة ، والحفظ والامانة ، و الفكر والرويّة » .

وقال برجيس القاضى العادل : « أنا أختار له من فضائلى وازوده من قوتى: الدين والورع ، والخير والصلاح ، و العدل والانصاف ، والصدق و الصيانة والمروة » .

وقال بهرام صاحب الجيوش : « أنا أختارله من قوتى وازوده من فضائلى: العزم والصرامة ، والنجدة والشجاعة ، والهمة والنشاط ، والظفر والغلبة ، والبذل والسخاء ، والتيقظ والانفة » .

---

(١) اخوان الصفا : فاستنفرعليهم بجنوده وايده ....

(٢) اخوان الصفا : وملكها الشمس .

وقالت ناهيد اخت النجوم : « أنا اختار له من قوتي وازوده من فضائلي : الحسن والجمال والكمال، والرأفة والرحمة ، والزينة والنظافة ، والحب والمودة والسرور واللذة » .

وقال أخوهم الاصغر ـ وهو أخفاهم منظراً وأجلهم مخبراً الذى صنعته أظهر وعلومه أكثر وعجائبه أشهر ـ : « أنا اختارله من قوتي وازوده من فضائلي واؤيده من مناقبي : النطق والفصاحة ، والتميز والفطنة والقرائة ، والعلوم والحكمة » .

قالت امّ النجوم : «أنا ارضعه واربّيه ، واختارله من قوتي وازوّده من فضائلي : النور والبهاء ، و الزيادة والنماء ، والحركة في الاقطار ، والتنقّل في الاسفار ، وبلوغ الامال ، والسير والاختبار ، وعلوم مواقيت الاجال » .

* * *

ثم انه دارت الافلاك وتمخّضت قوى الروحانيات ـ أهل السموات ـ فنزل الى عالم الكون والفساد في ليلة القدر قبل طلوع الفجر صاحب النشور لينفخ في الصور ، فمكث هذا المولود في الرحم أربعين يوماً من ايام الشمس وعشرين يوما في الرضاع ، حتى تربّى ونشأ وكمل ونما ، وكان اشد الناس شبها بأخيه الثالث ، لانه كان يشبه العطارد الذى هو أخو المشترى .

فصار هذا المولود من بين اخوته أتمهم بنية وأكملهم صورة ، وكان أديباً عالما حكيما ملكاعزيزا رحيمااماما عادلا نبيا مرسلا، فولاه أبوه مملكة اخوته كلها، فظهروقهر من خالفه ، ورفع واعزّ من وافقه ، وحكم في مملكته نحوثلثين يوماً من أيام الشمس ، ثم أصابته العين فاعتلّ وبقي على الفراش نحو يوم من أيّام القمر مريض الجسم عليل النفس ، ثم تحول الى دار اخرى ونهض قليلا ومشى ونشط وانبسط ودخل الى كهف أبيه ونام مع اخوته .

فمكثوا زمانا ، فلما انقضى دور الرقاد وتقارب الميعاد ناداهم الملك : «ألم يأن لكم أن تنتبهوا من نومكم ، وتستيقظوا وتذكروا ما نسيتم من أمر مبدأكم ، وترجعوا معادكم من أسفاركم ، وتأوون الى دار مقامكم من غربتكم ؟ فقد تمّ

خلق السموات السبع فى ستة أيام وغداً الجمعة يستوى بكم على العرش ويحمله يومئذ ثمانية » .

فانتبهت لذلك الاخوة الذين قيل: ﴿انهم سبعة وثامنهم كلبهم﴾ بعدرقدتهم ثلثمأة وأربعة وخمسين من أيام الشمس بحساب القمر، يتذاكرون كم لبثتم فى كهفكم؟ فقال أبوهم لاخيهم : ﴿فلا تمار فيهم الا مراء ظاهراً ولاتستفت فيهم منهم أحداً﴾ [٢٢/١٨] .

فأخفى أمرهم وكتم أسرارهم لانه ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة﴾ [٥٨/٧] وهو يوم جمع الخلائق كلهم للجزاء .

* * *

وكما (١) ان للملك مدينة فيها جنوده ومماليكه ، ولاهل تلك المدينة عمال وصناع لهم اجرة وارزاق ، وفيها تجار وبياع يتعاملون بموازين ومكائيل ، و لهم مظالم وخصومات ولهم فيها قضاة وعدول ، ولهم فقه واحكام وفصول ، وان من سنة القضاة البروز والجلوس فى كل سبعة ايام يوم واحد : فهكذا يجرى حكم النفوس الكلية وملائكة الله تعالى العمالة باذنه فى الانفس الجزئية فى كل سبعة أيام ـ كل يوم ألف سنة ـ لعرض الخلائق لدى العزيز الجبار ، الواحد القهار ، لفصل القضاء بينها باستخدام الملائكة العمالة باذنه ﴿فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [٤٧/٢١] .

وروى عن النبى ﷺ : انه قال : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها ألفا (٢) .

وقال ﷺ : لانبى بعدى على هذه الامة .

---

(١) اخوان الصفا : الرسالة الثامنة من النفسانيات والعقليات : ٢١٩/٣ .

(٢) الجامع الصغير : باب الالف بعده الدال : ١٧/٢ : الدنيا سبعة آلاف سنة أنا فى آخرها ألفا .

يقوم القيامة وهو يوم العرض الثاني، كما ان يوم العرض الاول ما أشار تعالى اليه بقوله: ﴿واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين﴾ [١٧٢/٧] .

وبين اليومين مدة سبعة آلاف .

وكما ان فى المدينة لاهلها جنان وميادين وأنهار وبساطين ، وفيها مجالس ومضائق ومساجن ـ فالاولى لنزاهة النفوس وبهجتها وسرورها ولذتها ونعيمها ، والثانية لعقوبتها وعذابها على قدر جرائمها وذنوبها ـ فهكذا فى طبقات الوجود ومراتب الكون فسحة وسعة ـ أهلها فى جنات النعيم وروح وريحان ونعمة ورضوان ـ ومجالس ودركات ـ أهلها فى عذاب أليم وعقاب شديد وغصة عظيمة ـ كما ذكره الله فى التوراة والانجيل والفرقان فى مواضع كثيرة من نعت الجنان ولذاتها، ووصف النيران وآفاتها .

* * *

هذا تلخيص ما وجدنا من كلام الاكابر العظام فاوردناه توضيحا للمقام ، وليعذرنى بعض أعلام الانام من اولى الدراية والافهام فى الخروج عن طورهم لبعد المرام ـ والله ولى الهداية فى البداية والنهاية .

قوله عزوجل :

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

اى : يعلم مايدخل فى جوف الارض ويستترفيها من البذور وغيرها ومايبرز من الارض ومايتكون منها .

او يعلم ما يتربى فى الارض من المعادن والنبات والحيوان و ما يخرج منها

ويكون على ظهرها من هذا ، فيعلم أعيانها وأطوارها، وتقلباتها وأحوالها - من القوة والفعل ، والكمون والبروز - ومدة بقائها ووقت فنائها . ويعلم ما ينزل من السماء - من مطر وملك وغير ذلك حتى القوى والكيفيات ومباديها وفواعلها وأرزاق الخلق ، اذ الجميع مما ينزل من السماء لقوله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [٢٢/٥١] - وما يعرج فيها - اى يصعداليها - من الملائكة الحفظة وما يكتبون من اعمال الخلائق كلها .

وهو معكم - اى: عالم بكم أينما كنتم ، وفى أى أحوال من أحوالكم وصفاتكم التى أنتم عليها ، وأفعالكم وأقوالكم التى فعلتموها وقلتموها .

والله بما تعملون - من خير وشر - بصير - اى : شهيد فيجازيكم على وفق أعمالكم .

مكاشفة

يعلم ما يلج فى أرض العالم الجسمانى التى هى تحت عوالم الامر من الصور النوعية لانها من صور معلوماته ، و ما تخرج من الارواح التى تفارقها والصور التى تزائلها عند الفناء والفساد وهى بعينها هى التى تنزل من سماء عالم الغيب الى أرض عالم الشهادة و تعرج فيها بعد الاستكمال وتطير اليها بجناحى العلم والعمل . او ما ينزل من سماء الروح الكلى من العلوم الكلية والانوار العقلية الفائضة على القلب وينزل منه الى أرض النفس جزئية ، وما يعرج فيها من الكليات المنتزعة من الجزئيات المحسوسة وهيئات الاعمال المزكية .

والاول اشارة الى العلوم الموهبيّة التى تفيض أولا على القلب فتتمثل فى الخيال حكايتها وتنزل اليه مثالها .

والثانى اشارة الى العلوم الكسبية التى ترتقى الى العقل بعد أن يقع الاحساس

بالجزئيات الجسمانية ، وتنتزع منه الكليّات لاجل المشاركات بينها والمبائنات .

والاول طريق الابرار ، والثانى مسلك النظّار .

وهو معكم أينما كنتم ـ لان موجوديّة أعيانكم الثابتة بظهوره فى مظاهرها وتجلّيه فى مرائيها .

والله بما تعملون بصير ـ لكونه مشهوداً له حاضراً عنده منقوشاً فى الالواح العالية وملكوتها بحضرته .

﴿ لمعة الهية ﴾

ان معيّته تعالى للاشياء ليست كمعيّة جسم لجسم ، أو جسم لعرض ، أو عرض لعرض ، وبالجملة ليست تلك المعيّة معيّة فى الوضع والمكان ولافى الزمان والان ، ولافى المحلّ والحالّ ، ولافى الفعل والانفعال ، ولافى الحركة والانتقال : لتعاليه عن هذه الاوصاف والاشباه والامثال .

وليست أيضاً معيّة فى الوجود لكونه قبل كل موجود وقبليّته قبليّة لاينقلب الى المعيّة التى يقابلها . بل معيّته تعالى نحو آخر من المعيّة مجهولة الكنه .

وانما يعرف الراسخون فى العلم لمعة منها ويشمون رائحة من كيفياتها واذا أرادوا أن يفيضوا على غيرهم من المستعدّين شيئاً منها مثّلوا لهم مثال المرآة وقالوا : ان الله تعالى يتجلّى للاشياء كما تتجلّى صورة الشخص فى المرائى المتعددة المختلفة صغراً و كبراً ، واستقامة واعوجاجاً ، وصفاءاً و كدورة ، وغشّاً وخلاصاً ، وان التجلّى من قبله حاصلة دائماً لجميع الاشياء ـ لانه نور ، والنور من حقيقته التجلّى والظهور على المجالى والمظاهر ـ لكن عدم ظهور هذا التجلّى اما لضعف فيها وصغر فى مرآة ذاتها لاتطيق احتمال النور العظيم الباهر ـ كما لاتطيق نور الشمس أبصار الخفافيش وعيون العمشان الا ظلالا ضعيفاً منه ـ وهذا مثال الاجسام والنفوس الناقصة كالجماد والنبات ، وغير الناطق من الحيوان والناقص من الانسان .

واما لكدورة فى المرآة ـ كالابصار التى عليها غشاوة ـ وهذا مثال نفوس العصاة من الناس الذين على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة . أى على عقولهم وعلى أبصارهم التى بها يحصل معرفة الله وملكوته غشاوة المعاصى والشهوات التى بها يقع الحجاب من شهود معرفته تعالى .

واما لاعوجاج وانكسار فى المرآة تقع الصورة فيها على خلاف ماهو الواقع ـ كما فى الحول وغيرها من الامراض العينيّة التى يقع بسببها الغلط فى رؤية مايتنوّر بنور الشمس من حقائق الاجسام ـ وهذا مثال نفوس الجاحدين للحق ، المتعصبين لمذاهب تقليديّة رسخت فى نفوسهم من أول الامر بحيث لايمكن زوالها أصلا، فتظهر لبصيرتهم الحولاء وفطنتهم العوجاء صور الحقائق المستنيرة بنور الله تعالى على خلاف ماهى عليها ، والا فالحق متجلّ على كل شىء .

كقوله ـ وهو أصدق القائلين ـ : ﴿ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾ [١٦/٥٠] .

وفى الحديث النبوى ﷺ : انه تعالى فوق كل شىء وتحت كل شىء وقد ملاء كل شىء عظمته فلم يخل منه أرض ولاسماء ولابحر ولابرّ ولاهواء، هو الاول لم يكن قبله شىء ،وهو الآخر ليس بعده شىء ، وهو الظاهر ليس فوقه شىء ، وهو الباطن ليس دونه شىء فلو دلّى على الارض السفلى لهبط على الله .(١)

وفى طريق أهل البيت عليهم السلام أحاديث كثيرة متقاربة المعنى قريبة من معنى هذا وكذا حديث قرب النوافل .

وقد روى عن موسى ـ على نبينا وآله وعليه السلام ـ : أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فانّى أحسّ حسن صوتك ولاأريك فأين أنت ؟

فقال الله : أنا خلفك وأمامك ، وعن يمينك وشمالك ، أنا جليس عند من

---

(١) جاء مايقرب منه فى الدر المنثور : ١٧٠/٦ والترمذى : كتاب التفسير ، سورة الحديد ٤٠٣/٥

يذكرني ، وأنا معه اذا دعاني .(١)

فما عليك ــ أيّها المتقي عن المعاصي البدنية والقلبية الا أن تنفي عن عين عقلك كدورته بالتخلّي عن الرذائل وتقوّي حدقته بكحل الطاعات والعبادات والقيام في الليالي والاوقات مع استقامة الفهم والتدبّر في المعاني العقلية والايات ، فاذا هو فيه ، اذ ليس هناك ماينافيه ، فاذا غافصك تجلّيه ولم تثبت هناك فبادرت وقلت انه فيه ــ كما نقل عن المحجوبين بالحق عن مراتب مظاهر الالهية ولوازم الاسماء ماقالوا ــ الا أن يثبّتك الله بالقول الثابت فتقول : ان الصورة ليست في المرآة ، ولا المعيّة بينهما كمعيّة الحال للمحلّ ، ولاالمتمكن للمكان ، ولا غيره من أنحاء المعيّة ، بل تجلّت لها وظهرت فيها ، ولو حلّت لما تصوّر أن تحلّ صورة واحدة لمرائي كثيرة مختلفة في حالة واحدة، بل كانت اذا حلّت في واحدة ارتحلت عن الاخرى ، وهيهات فانه يتجلّى لجملة من العارفين دفعة واحدة .

نعم ، يتجلّى في بعض المرائي أصح وأظهر وأقوم وأوضح ، وفي بعضها أخفى وأميل الى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرائي وصقالتها وصحة استدارتها واستقامة بسيط وجهها .

وكما يتجلّى حقيقة الحق لجملة من العارفين من الملائكة المقرّبين وعباد الله الصالحين كذلك يتجلّى بوجه ظلّي للاشياء جميعها ــ على تفاوت درجاتهم في الضعف والقصور ــ .

ولهذا المعنى قال واحد من الحكماء المتقدّمين : « ان المحسوسات كلّها يتشبّه بالحقّ ، الا أنها لكثرة قشورها وقلّة نورها لاتقدر على حكاية الحقّ من وصفها » .

---

(١) جاء مايقرب من هذا الحديث في الكافي : كتاب الدعاء ، باب مايجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس: ٤٩٦/٢. والتوحيد : باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى : ١٨٢.

وبالجملة : لايخلوذرّة من ذرات الكائنات من نور الحق وتجلّيه وظهوره فيه ، لكن تحصيل هذه المعرفـة والوصول الى مشاهدة هذا التجلّى هو الاكسير الاحمر المستفاد من بحرعميق من بحار القرآن .

قوله عزوجل :

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾

أى : يتصرف فيهما كيف يشاء ، الا ان مشيّته تعالى تعلقت بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتسكين الارض فى وسط الكل لقبولها الاثار النازلة عليها من السماء ـ من الانوار والامطار ـ ليتولّد منها المركبات ويتكون منهـا الكائنات ـ من المواليد الثلاثة وغيرها ـ الحاصلة من الاسباب الفعلية والانفعاليه السماوية والارضية ، ثم يرجع اليه الامور يوم القيمة لتجزى كل واحد بما عمل .

وقيل : جميع من ملكه شيئاً فى الدنيا يزول ملكه ويتفرد هوسبحانه بالملك ـ كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق ـ .

مكاشفة

اعلم ان كل مايصدر عن فاعل فهو فى آخر الامر يرجع اليه كما ينكشف لنا من تتبع الامثلة الجزئية فان من بنى بيتاً ليسكن فيه فالداعى له فى بنائه هو الراحة التى يتصورها عند تمام البيت ، فهومع هذا التصوّر فاعل لفعله الذى يصل صورة منه ثانياً اليه ، فكل من فعل شيئاً فانما يفعل لنفسه .

فلما أفادنا النظرفى خلق السموات والارض ومافيهما اثبات فاعل لها، موجد له ملكها ، كذلك أفادنا اثبات غاية يرجع اليه الجميع ، ويجب أن يكون تلك

الغاية هي بعينها ماهو الفاعل لوجودها،لانا لوجعلنا الغاية أمراً معلوماً لكان لوجودها غاية غيرها ـ كما أن لها فاعلا ـ فيتسلسل أو يدور .

وايضا : لايكون مافرض غاية غاية ، اذ الكلام فى الغاية القصوى ، ولكان البارى يحتاج فى فعله الى داع يستولى عليه ويجبره فى فعله .

وايضا : يلزم أن يكون ناقصاً فى فاعليته مستكملا بغيره مما فرض غاية والتوالى بأسرها باطلة ، فكذا المقدم .

ثم انا لو وصفنا كلا من الفاعل والغاية بالمباثنة الكلية يقتضى ذلك تعدد البارى ، ويقتضى ايضاً سلب الماهية عنهما ويستحيل وجود شيئين كل منهما لاماهية له ، فالله هو الاول الذى يبتدى منه الامور والاخر الذى يرجع اليه الامور ، فمنه يحصل الاشياء فى الابتداء ، واليه ينساق الموجودات فى الانتهاء وهو الفاعل للوجود والغاية له فى الشهود .

فان قلت : كيف يكون ماهو العلة الفاعلية علة غائية ؟ والفاعل قبل الشيء لينبعث منه الشيء ، والغاية بعد الشيء ليستتبعها الشيء ؟

قلنا : ان العلة الغائية ـ ان تأملت ـ فهى بالحقيقة هى العلة الفاعلية دائماً ـ لافى هذه المادة خاصة ـ فان الجائع اذا أكل ليشبع فانما أكل لانه تخيل الشبع فحاول أن يستكمل له وجود الشبع فيصير من حد التخيل ـ وهو وجود ضعيف ـ الى حد العين ـ وهو وجود قوى ـ فهو من حيث انه شبعان تخيلا هو الذى يأكل ليصير شبعان وجوداً ، فالشبعان تخيلا هو العلة الفاعلية ، والشبعان وجوداً هو العلة الغائية فالاكل صادر من الشبع ومصدر للشبع ، فالشبع هو الذى كان علة فاعلية للاكل وعلة غائية له ، ولكن باعتبارين : فهو باعتبار الوجود العلمى فاعل وعلة غائيه ، وباعتبار الوجود العينى غاية .

لكن يجب للعارف البصير أن يفرق بين الفاعل الناقص الواقع تحت الكون وبين الفاعل التام المرتفع عن الكون المقدس عن الاثنينية والتركيب لافى الذات ولافى الاعتبار ، لان فاعليته تامة ليست له غاية زائدة على ذاته ، وعلمه بالاشياء

كباقي صفاته عين ذاته ، فافاضة الخيرات منه على الماهيات انما هى لكونه بذاته جواداً ، وبعلمه بوجه الخير فى النظام ينشأ من الاشياء على أحسن الانحاء وأفضلها فى التمام .

قوله عزوجل :

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

أى : يدخل مانقص من كل منهمـا فى الاخر حسب مادبـّره فيه من مصالح العباد والبلاد ـ كما نقل عن عكرمة وابراهيم ـ

وهوعليم بمكمونات أسرارخلقه وخفيـّات ضمائرعباده كمايعلم وجوه الخير فى نظام العالم ، كيف ولو لم يكن عليماً بخفيـّات الاسرار لم يصدرعنه المخلوقات على أفضل ترتيب وأحسن نظام ، فانظر أيها المتفكر فى حكمة البارى وجوده انه لولم يخلق الاجرام النيـّرات على الوضع الذى يقع بها التفاوت بين الليالى والأيام والتفاضل بين النور والظلام بأن تلج احديهما فى الاخر بأمره تارة وبالعكس تارة اخرى كذلك على نسق مضبوط ونظام محكم من غير اختلال ولاقصور لما انصلح حال الخلايق والانام على هذه الكيفية والتمام .

ألم تر كيف خلق الله النيـّرات العلوية على هيئات واوضاع ينتفع منها الكائنات السفلية من أنها لوثبتت أنوارها اولازمت دائرة الوجود لاثرت بافراط فيما حاذاها وتفريط فيما وراء ذلك ولولم يكن لها حركة سريعة لفعلت مايفعله السكون واللزوم ، ولولم يكن الانوار الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة واخرى بطيئة مختصة ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة وسموتها مائلة عن سمت الحركة لما مالت تلك الانوار الى النواحى شمالا وجنوباً فلم تنتشرمنافعها على بقاع الارض،

ولولا أن حركة الشمس على هذا المنوال من تخالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التى يتم بها الكون والفساد ويصلح منها أمزجة البقاع والبلاد .

قوله عزوجل :

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾

خاطب سبحانه كافة ذوى العقول من الادميين دون الملائكة لكونهم مفطورين على العلم بالله ورسوله ، مقدّسين عن مزاولة الخبائث لتحتاجوا الى التزكيـة بالانفاق دون سائر الحيوانات وماهو أدون منها من الجماد والنبات لانحطاط درجتها عن استماع هذا الخطاب ، فقال : معاشر العقلاء المكلفين ـ آمنوا بالله ـ أى : اعتقدوا بوجود الحق الاول وكونه اله الخلق؛ وأقرّوا بوحدانيته وتنزيهه وتمجيده ـ ورسوله ـ أى : بكونه مرسلا اياه ، اوصدّقوا رسوله واعترفوا برسالته لاتصافه بخصائص الانبياء من خوارق العادات والعلم بالمغيبات ـ وانفقوا ـ تقرّباً الى طاعته وتخلصا مما يلهيكم عن معرفته ويبعدكم عن جواره ـ مما جعلكم مستخلفين فيه ـ أى : من مال الله وغيره الذى خلقه لمصالح عباده وانما ولّيكم اياه لتكونوا خلفاء من قبل الله فى صرفه لوجوه المنافع والمحاويج ، وخوّلكم الاستمتاع والانتفاع .

فليست الاموال بالحقيقة الا لمن خلقها ، لا لمن كان متصرفاً فيها بنقلها من موضع الى موضع اومضافة هى اليه ، فان مجرد الاضافة الى شىء لايوجب التسلط لانها نحو ضعيف من التعلق ، وانما يكون التعلق القوىّ والتسلط التام على شىء بالقدرة على ايجاده واعدامه ، والقادر على مايشاء انما كان هو الله تعالى دون غيره فالاموال كلها عارية فى يد المتولّين بها الا أنه جعلهم الله برهة من الزمان بمنزلة

وكلاء مستخلفين فيها .

وانما أوضح الله سبحانه كون المال عاريـة بيد صاحبه ليهان على الناس الانفاق منه كمايهون عليهم النفقة من مال غيرهم اذا كانوا مأذونين فيه مأمورين به .

وعن الحسن : أنفقوا من المال الذى استخلفكم الله فيه بوراثتكم اياه عمن قبلكم . وفى هذا تنبيه على أن المال حيث انتقل وصار اليكم ممن قبلكم وسيصير منكم الى من خلفكم ينبغى أن تعتبروا بحال من سبقكم وعدم انتفاعه به نفسه ، وأن تنفعوا أنفسكم بالانفاق منها وأن يستوفوا حظوظكم البدنية والعقلية الدنيوية والدينية منها قبل أن يخرج الامر من يدكم وينتقل المال الى غيركم .

مكاشفة

واعلم ان هذا الحكم كما يشمل النعم الخارجية كذلك يشمل النعم الداخلية من الاعضاء والحواس والقوى التى أنعمها الله ايانا وخوّلنا الاستمتاع بها فى الدنيا للانتفاع بها لاجل الاخرة ، بأن نصرفها فى عبادة الرب ومعرفته وسيزول ويتخلف عنّا عن قريب ، بل النعم الداخلية البدنية كالنعم المالية الخارجية فى كونها مباينة لارواحنا ، خارجة عن ذواتنا ، عارية فى تصرفنا ، الا أن بعضها نعمة طبيعية متصلة بالبدن موجودة له ، وبعضها نعمة خارجة عن البدن مباينة له كما للروح ، وسيهلك البدن ويفنى كل ماعليه وفيـه من القوى والالات والمشاعر ، ويبقى الروح وحيداً منفرداً عنها عائداً الى ربه اما شاكراً واما كفوراً .

قوله عزوجل : ﴿ فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير ﴾ أى : جزاء عظيم وثواب جسيم لايكدره آفة ولاينقصه زوال ، وانما يكون كذلك لان كمال الانسان منوط بالعلـم والعمل ليتزيّـن ذاته العقلية بالمعارف الحقة والالهيات ، ويتخلص نفسه العملية عن التعلق بالشهوات الموذيات باقتناء الفضائل والاجتناب عن

الرذائل ، ولاشك أن أفضل المعارف معرفة الحق الاول وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الاخر وهى المعنى بالايمان ، وأفضل الاعمال المزكية للقلب هو الانفاق بالمال الذى هو الوسيلة الى جميع اللذات الحيوانية والشهوات البهيمية .

ويمكن أن يكون الايمان كناية عن العلوم الحقة(الحقيقية) طلقاً والانفاق عن الزهد فى الدنيا مطلقاً ، اذ بهذين الامرين يطير القلب بجناحيه الى حظائرالقدس ، ولعل فى قوله تعالى : لهم أجر كبير ايماء الى ان أجر الاخرة جزاء لازم وثمرة ضرورية مترتبة على اقتناء الملكات العلمية والعملية بحيث لايحتاج حصوله الى جعل مستأنف وتأثير جديد ، كمااشير اليه بقوله : ﴿ان الدين لواقع﴾ [٦/٥١] يعنى ان الجزاء لازم كما ان الالام والعقوبات الاخروية لواحق ضرورية لفعل المعاصى والشهوات ، الموجبة لردائة الاخلاق والملكات ، كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ [١٣٩/٦] ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٤٩/٩] .

قوله عزوجل :

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا

بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

قرء ابوعمرو « اخذ » بضم الهمزة و « ميثاقكم » بالرفع ، والباقون بصيغة المعلوم ، ونصب « ميثاقكم » على المفعولية ، والضمير يعود الى الله تعالى وجملة : « لاتؤمنون » حال من معنى الفعل فى « مالكم » .

حاصله : وما تصنعون كفّاراً بالله ـ مع وضوح البراهين على وحدانيته ـ والحال ان الرسول يدعوكم للايمان بقواطع الحجج والبينات ويتلو عليكم الكتاب الناطق والايات المبينات ؟ ففى الكلام حالان متداخلان .

وقرء : ومالكم لاتؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم . أى : وأى عذر

لكم فى تركـكم الاعتقاد بوحدانية المعبود وماأتى به النبى ﷺ وقد اقيمت البراهين على ماتؤمرون به سمعاً وعقلا ؟

اما الاول: فلان الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم، والعقل السليم عن الامراض والافات النفسانية مجبول على الاعتقـاد بصدق قوله بما أظهره الله على يـده من المعجزات التى هى خارجة عن طوق البشر .

و اما الثانى : فلنهوض البراهين القاطعة الدالة على الايمان بالله والرسول ، وكون الغريزة الانسانية مرتكزة فيها التصديق بحقائق الايمان مفطورة عليها، كما أشار اليه بقوله تعالى : وقد أخذ ميثاقكم .

و الحاصل أنه : أى عذر لكم فى ترك الايمان بعد ما ازيحت عنكم العلل ، واوضحت لكم السبل ، بماركب فيكم من غرائز العقول ، ونصب لكم من دعوة الرسول المؤيدة بالدلائل والايات التى ينبه لكم بها على الايمان بمن هو ربكم ، دون من هو مربوب مثلكم ؟ ان كنتم مؤمنين ـ اى : ممن يهمكم التصديق بمايقوم البرهان الواضح على صحته ، فقد قام ذلك عقلا وسمعاً وهما فطرة العقول ودعوة الرسول .

هذا اذا جعل خطابا للمشركين ، فان جعل خطابا للمؤمنين فمعناه : أى سبب يزيلكم عن الايمان والرسول بين أظهركم يدعوكم الى الثبات عليه وقد أخذ هو عليه ميثاقكم ان كنتم مؤمنين موقنين بشرائط الايمان ؟ وهو كقوله : ﴿ ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ۞ و كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ [٣/١٠٠] وعلى التأويل الاول اخذ الميثاق من الله على عباده هو ميثاق الخلقة ، وقيل هو اخذ ميثاق الذرية .

مكاشفة

يحتمل أن يكون معنى قوله تعالى : ان كنتم مؤمنين : ان كنتم ممن يتمشى منه المعرفة و الا يقان ، لامن الذين انحطت درجتهم عن هذا و قيل فيهم : اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا ، ولامن الذين طبع على قلوبهم فهم لايفقهون،فالبراهين والدلائل العقلية والسمعية ليست نافعة فى حق الاشقياء الناقصين بحسب الفطرة لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم رأساً ، ولالاهل الجحود والانكار لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية لفساد اعتقادهم ، فهم أهل الخلود فى النار الاماشاءالله .

فالخطاب فى هذه الاية اما لاهل الفضل و الثواب سواء كانوا من المقربين والسابقين اومن أصحاب اليمين على تفاوت طبقاتهم او كانوا من أهل الرحمة الباقين على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوئين درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم ، او كانوا من أهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئاً سواء كان العفو عنهم لقوة اعتقادهم و عدم رسوخ سيئاتهم اولمكان توبتهم عنها وانابتهم الى الله ــ فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .

اولاجل نجاتهم من الجحيم بعد أن زال عنهم درن ماكسبوا من السيئات، كالسبيكة من الذهب التى تخرج عن النار خالصة ، وهم اهل العدل والعقاب ، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئات ماكسبوا لكن الرحمة الالهية تتداركهم وتنالهم بالاخرة.

* * *

قوله عزوجل :

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾

وقرء : «لرؤف» .

لماحث سبحانه المكلفين على المعرفة بالله وملكوته من جهةمار كـّب فيهم من فطرة العقول و قرع اسماعهم من دعوة الرسول اخبر بأنهلزمت دعوته و قبولكم اياها لما ايدهالله بهمن المعجزات البينة التى أظهرها على يديه ، او الايات الفرقانية خاصـّة ليخرجكم اللهسبحانه بواسطة تلك الايات من ظلمات الكفروالجهل الىنور الايمان والمعرفة .

اوليخرجكم الرسول بدعوته ، اوليخرجكم المنزل بمافيهمن الحجج المنيرة والبراهين الواضحة .

وانالله بكم لرؤف رحيم ـ حيث بعث الرسول ونصب الادلة ، وهذا يدل على كمال الرأفة والرحمة ، و للاشعار به اقترن الكلام بوجوه من التأكيد : منها الجمع بين لفظين مترادفين ، و قيل : « الرأفة » على المضرور و « الرحمة » على المحتاج .

قيل : فيهذه الاية دلالة على بطلانقول المجبرة ، فانهبيـّن انالغرض فيانزال القرآن الايمان .

اقول : تحقيق هذاالمقام يحتاج الىطور آخر منافتناص المعارف غيرماأكب عليه علماء الكلام ، لكن يجب على كل عاقل متفكر أن يفرق بين الغاية الاخيرة والمتوسطة ، وكذا بين الغاية بمعنى الداعى ومايسمى بالضرورى الذىيلزم الفعل من غير أن يكون داعياً عليه ، كقوله تعالى : ﴿فالتقطة آل فرعون ليكونلهمعدواً

وحزنا﴾ [٨/٢٨].

مكاشفة

اعلم ان الله تعالى كما ينزل على أشرف رسله محمد ﷺ آيات بينات ليخرج الناس من ظلمة الغباوة والغواية الى نور الدراية و الهداية، فما من عبد من عباده المهتدين الا و يأتيه من قبله تعالى اشارات وتنبيهات وينزل منه على قلبه انوار متتاليات ليخرج بها من ظلمة الحجب الدنياوية الى نور المعارف الاخروية، و لكن الناس اكثرهم غافلون عنها لاشتغالهم بما يلهيهم عن ذكر الله وينسيهم امر الاخرة، فلا يبعد أن يكون هذه الاية بيانا لاخذ الميثاق المذكور فى الاية المتقدمة، فان الله سبحانه خلق عباده على فطرة التجرد والنقا عن علائق الاجرام، والتقدس والصفا عن كدورات الاثام، والتهيؤ لقبول دعوة الحق والالهام واستعداد الترقى بواسطة العلم والعمل الى ارفع المنازل فى دار السلام، ثم اذا أنشأهم فى هذه الحيوة الدنيا رباهم و اكملهم واعطيهم العقل والتميز وبعث اليهم الرسول مؤيدا بالمعجزات، فلا يزال ينزل على قلوبهم آيات بينات من انوار معرفته و يفتح عليهم أبوابا من فنون رحمته و هدايته ليهديهم الى صراط مستقيم ويخرجهم من ظلمات الجحيم الى أنوار النعيم.

وانما ينسى الناس ذكر مواثيقهم الجبلية مع الحق وعهودهم الذاتية مع سكان ملكوته و سائر ما كانوا مفطورين عليه بطهارة ذواتهم المخمرة بيد القدرة اربعين صباحاً ـ واستعدادهم للمعرفه واليقين تعلقاتهم بمشاغل الكون لضرورة حياتهم الدنيوية ويشغلهم عما يرد على قلوبهم من أنوار المعارف باطنا وظاهراً ويلهيهم عن ألطاف الحق الواصلة اليهم داخلا وخارجا ارتكابهم الخطيئات واقترافهم السيئات المبعدة لهم عن جوار الله و قربه، لان المعاصى تعمى أبصارهم وتصم أسماعهم عن ادراك أنوار الحق و الهاماته، فأعرضوا بها عن ذكر الله و سماع آياته البينات و اشتغلوا بما يلهيهم به الشيطان عما يلهمم به الرحمان، لقوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر

الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ (٤٣/٣٦) .

* * *

وتمام التحقيق فى هذا المرام : ان قلب الانسان ذو وجهين :

وجه الى عالم الملكوت - وهو عالم المعرفة، وعالم الاخرة ، وعالم الالهام - و وجه الى عالم الحس - وهو عالم الجهل وعالم الدنيا وعالم الوسواس - ثم ان الخواطر التى ترد على قلبه وتبعثه على الأفعال والحركات اما أن تنبعث من الجنبة العالية وتدعوه الى الخير - كالعبادة و المعرفة - او تنبعث من الجنبة السافلة وتدعوه الى الشر - كالمعصية و الغفلة - فهما خاطران مختلفان ، فافتقر الى اسمين مختلفين - ايضاً - و هما حادثان فاحتاجا الى سببين مختلفين ، لان اختلاف المعاليل الحادثة يدل على اختلاف عللها القريبة وان كان المؤثر فى فيضان الوجود مطلقا هو الله لبرائته عن شوائب الامكان والدثور .

فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى فى عرف الشريعة « ملكا » و ذلك الخاطر «الهاما» وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى «شيطانا» والخاطر «وسوسة» . والله تعالى خالق كل شىء ، فخلق الملائكة لصفة رحمته و لطفه ، وخلق الشياطين لصفة قهره و غضبه ، وكما أن الجنة أثر من آثار رحمته ونور من انوار لطفه ورافته فكذلك النار اثر من آثار غضبه و شعلة من شعل قهره ، فالانسان متى اشتغل بعبادة ربه و معرفة خالقه انخرط فى سلك رحمته ودخل فى زمـرة الملكوتيين ، و مهما اشتغل بالمعاصى و الشهوات و متابعة الهوى و الشيطان استعد لمقته و غضبه وعد من جملة الشياطين فالالهامات من جانب الحق بواسطة الملك لعباده الصالحين فى مقابلة الوساوس من جانب الشيطان .

وانما يسلط الشيطان على قلب ابن آدم بواسطة «الخذلان» الحاصل له من مخالفته الحق والعصيان ، والافليس له فى ذاته هذا التسلط على الانسان و انما يدفع كيده عنه بواسطة «التوفيق» الذى يجلبه الانسان بفعل الطاعة و العبادة ، فاذا زال كيده ودفع وسواسه عن القلب استعد لقبول الالهامات الداعية الى الخير والنور ، الصارفة له

عن الشرور والظلمات ، فأهل الرحمة مآلهم الى الجنة والنعيم ، وأهل السخط مآلهم الى النار والجحيم ، وكل جنس يحنّ الى جنسه ، وكل طائر يطير الى عشّه الاصلى ومعدنه الفطرى ، امامن جهة التوفيق والهداية ، اومن جهة السخط والخذلان، والكل بمشية الله وقدرته .

وقوله سبحانه : هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ـ يمكن أن يكون اشارة الى الواردات التى يرد من جانب الرحمن على قلوب السالكين من عباده بواسطة ملائكة الرحمة من الالهامات والمعارف الحقة الواضحة لديهم انها من جانب الحق.

وقوله : ليخرجكم من الظلمات الى النور ـ اشارة الى ثمرة هذه الالطاف والانعام فى حقهم وفى حق غيرهم ، اذ بها ينتقل النفوس الانسانية من القوة الهيولانية الظلمانية الى العقل بالفعل المتنور بانوار المعرفة والايمان بالله وآياته واليوم الاخر اومن ظلمات الصفات الشيطانية الى انوار الاخلاق الملكية ، اوالجمع بينهما ليكون بها للعبد الخروج من القوة الى الفعل بحسب كلتا قوتيه ـ العلميّة والعملية ـ.

وكما أن الانسان بالتأمل فى اسرار معرفة الله وسماع آيات ملكوته والتفكر فى امر الاخرة يخرج من ظلمات الجهل والنقصان الى نور المعرفة والكمال ، فكذلك فى ارتكاب شهوات الدنيا ومتابعة الهوى والشيطان يخرج من نور الادراكات الحسية الى ظلمات العمى والحرمان عن مشتهيات الدنيا لفقد (لفتور ـ ن) الالات عند الفساد والبطلان ، ويدل عليه قوله تعالى . ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ [٢/٢٥٧] والله أعلم بأسرار كلامه .

* * *

قوله عزوجل :

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)

قرءالقراءسوى ابن عامر : «وكلاوعدالله »بالنصب على المفعولية لانه بمنزلة « زيداً وعدت خيراً »وقرءابن عامر : وكل وعدالله . بالرفع محتجا بأن الفعل اذاتقدم عليه مفعوله لم يقوعمله فيه قوته اذاتأخر والدليل أن من قال : « زيد ضربت » وزيد بحسب المعنى مفعول ضربت،فاذا تأخر المفعول فوقع بعدالفاعل يتغير اعرابه نصباً، فكذلك قوله تعالى : «كلا وعدالله الحسنى» يكون على ارادة «الهاء» وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات .

واما معناه : فقدحث سبحانه على الانفاق الذى هومن الاعمال الحسنة الجامعة لتكميل الشخص وتهذيبه من ذمائم الاخلاق المنوطة لمحبة الامر الفانى مع مصلحة النوع ، اذبالانفاق تنتشر مابه ينتفع الناس ويصرف فى وجوه المصالح كاهبة المجاهدين و غيرها ليستحفظ به الشريعة ، فقال : ومالكم الاتنفقوا ـ اى : فى أن لاتنفقوا فى سبيل الله ـ اى : أى شىء لكم فى ترك الانفاق فى طريق الحق و الجهاد فى سبيله مع كونه خيراً نافعاً لكم و لغيركم و الحال أن المال فى معرض الزوال عمن بيده عن قريب ، اما بهلاك أحدهما ، او كليهما فى نفسه عـن الاخر ـ و لله ميراث كل موجود فى السموات والارض ـ اذالكل يفنى وهو يبقى فالله يرث كل شىء فيهما

من مال وغيره ، فما أقبح للعاقل أن يبخل بمال يكون عارية بيده من غيره وسينتقل اليه وهو يأمره بالانفاق الذى فيه صلاح له ولغيره، فالاية من أعظم الحث وأبلغ البعث على الانفاق فى سبيله .

ثم بين سبحانه مراتب المنفقين فى الفضيلة والاجر وتفاوت درجاتهم بحسب الانفاق فى سبيله فقال : لايستوى منكم من أنفق ـ من قبل فتح مكة وشوكة الاسلام وكثرة أهله وقوتهم وقلة الحاجة الى القتال ونفقة المقاتلين ، ومن أنفق من بعد الفتح. وحذف لوضوح دلالة الكلام عليه ، وقرء : «قبل الفتح ».

اولئك ـ اى : السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين أنفقوا قبل الفتح وجاهدوا فى سبيل الله ـ أعظم درجة ـ عنده ـ من الذين انفقوا ـ بعد الفتح، ثم سوى بين الجميع فى الوعد ومطلق الخير والمثوبة الحسنى ـ وهى الجنة ـ مع التفاضل فى الرتب والدرجات .

والله سبحانه ـ لكونه عالما لايخفى عليه شىء من الدقيق والجليل، خبير بما تعملون من انفاقكم وجهادكم ، بصير بموازين الافعال والاعمال ومراتب فضلها بحسب الصعوبة والمشقة ، ودرجات شرفها بحسب النية والبصيرة والاخلاص والسريرة .

مكاشفة

و اعلم انه كما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب اعمالهم البدنية و افعالهم الظاهرية قبل انتشار نور الاسلام وظهور عزه وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجاً و بعده ، كذلك يتفاوت درجـات أهل الله و اولياء معرفته بحسب سلوكهم الباطنى وسفرهم الى شهود معرفة الله ومهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء لوجه الله ومجاهدتهم مع أعداء الله واولياء الطاغوت تقرباً الى الحق بحسب معارفهم و علومهم الاعتقادية الحاصلة قبل المكاشفة ، فان من كانت اعتقاداته حقة مطابقة لنفس الامر

وعمل بموجباتها من الانفاق والزهد و الجهاد فى سبيل الله قبل كشف الغطاء ومعاينة الحقائق الدينية بالموت الارادى فهو أعظم جلالة وأجل مرتبة من الذين زهدوا فى الدنيا وجاهدوا مع النفس والهوى بعدذلك .

اذالانسان لو لم يكن مؤيدا من قبل الله تعالى بتأييدقدسي ومدد سماوى لما كان حاله فى ترك المشتهيات و مقاومة القوى النفسانية ومجاهدة الوساوس الشيطانية قبل كشف الغطاء وفتح مملكة البدن من يدى القوى الامارة كحاله بعدذلك اذالزهدالحقيقى والورع عن محارم الله صعب على الانسان وقت الاحتجاب ، واماعندظهور الحقائق معاينة فليس كذلك .

ويحتمل أن يكون فى الاية اشارة الى تفاوت درجات القوى التى للانسان و تفاضل بعضها عـن بعض بحسب الصفاء و الكدورة و القرب من عالم القدس و البعد عنه ، فان فى العالم الصغير الانسانى خلائق مختلفة و قوى متعددة بعضها ملكية شبيهة بضرب من الملائكة ، و بعضها شيطانية شبيهة بضرب من الشياطين وبعضها شهوية كالبهائم ، وبعضها غضبية كالسباع . والجميع خلقت لتكون مطيعة لامر الله ، مسخرة للقوة العاقلة ، و هى مكلفة بالمجاهدة مع هذه القوى الجسمية الشهوية ، والغضبية، والوهمية الفاسقة والظالمة والكافرة ، ودفع معارضتها ومنازعتها مع القوة العقلية التى هى من اولياء الله اذا كملت بالعلم والعمل ، وانما انبعثت من جانب الله لتسخير قواها وارجاعها من متابعة الطاغوت الى متابعة الحق وعودها بالمجاهدة من عالم الغرور الى عالم النور ، ومن معدن الكذب الى مقعد الصدق.

والقوة العقلية التى ارسلت وجائت من عالم الملكوت مبعوثة على عالم البدن وجنوده وقواه مأمور من قبل الله تعالى بمعاداة الشيطان ومطاردة حزبه وجنوده ، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحيوة الدنيا و لايغرنكم بالله الغرور * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انمايدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [٣٥/٥ -٦] .

فالانسان بالقوة العقلية مأمور باتخاذ الشيطان وحزبه عدواًله وبالمناقضة معها

والمغالبة عليها ، ولايمكن الغلبة عليها الا بتسخير القوى ، ومالايتم الواجب المطلق الابه فهو واجب ، وكل واجب مأمور به ولو تبعاً .

فالقوة العقلية مأمورة من قبل الله بتسخير القوى البدنية وفتح هذه البلدة المحرمة التى هى فيها بجنود لم تروها ـ من الاخلاق السليمة و الصفات الملكية الحاصلة بتأييده سبحانه وامداده فى بعض الادميين وبجنود منقادة لها من عالم الجسم والبدن ، وهى التى ليست مزاحمة للقوة العقلية بعناية الله ولطفه ليتسلط على المملكة والجنود ، فتصير القوى فى جميع أوامرها وزواجرها طائعات ، و لسلوك سبيل الله مستتبعات بعدما كانت عائقات ـ وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الذكاء ، وسرعة التفكر ، والجود ، والكرم ، والعزم ، و الصبر الجميل ، و التوكل وغيرها مما يتفاوت ويتفاضل فى الشرف بحسب انواعها المختلفة بالحقيقة واشخاصها المختلفة بالمحل ، وفى المطاوعة والمتابعة لرئيسها وخليفة الله عليها فى ارض البدن ، فلايزال المطاردة والمقاتلة بين جنود الملائكة وجنود الشياطين قائمة فى معركة النفس الانسانية الى أن تنفتح المملكة الادمية لأحدهما فيستوطن فيها ويطرد الاخرى ويخرجها عن البلدة بحيث لايكون لها الدخول فيها الا اجتيازاً .

واكثر النفوس مماقدفتح مملكتها البدنية وسخرها جنود الشيطان وملكوها ، فامتلاءت بالوسواس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ، وقليل منها قداستولت فيها القوة العاقلة على القوى الشيطانية وسخرها ، فأسلمت وأطاعت كلمة الله واوامرها ، واجابت دعوة الحق وانخرطت مع ساير القوى المسلمة المطيعة طاعة رئيسها المطلق ومخدومها بأمر الحق .

والنفس الانسانية لصفائها ولطافتها صالحة بحسب اصل الفطرة لقبول آثار الملكية والشيطانية لتقلبها فى النشئات وتطورها بالاطوار وتلوّنها بالالوان المختلفة كالاناء الزجاجى اللطيف الذى يتلون بلون مافيه .

كيف ، ولو لم يكن لها من اللطافة وقبول الاثر مايقبل كل صورة ويتنقش بكل نقش لم تقبل آثار الملكية ، ولم تنتقش فيها صور الحقائق الالهية فهى فى اول الفطرة

تصلح للاثار الحقة والباطلة - صلوحاً متساوية - و انما يترجح احد الجانبين على الاخر باتباع الهوى والشهوات ، والاعراض عنها .

فان اتبع الانسان مقتضى شهوته وغضبه ظهر تسليط الشيطان بواسطة اتباع الهوى و الشهوات بالاوهام و الخيالات الفاسدة الكاذبة ، فصار المملكة اقطاع [اقطار - ن]الشيطان ، وصار القلب عشّهومسكنه ، والهوى مرتعة ومرعاه لمناسبة مابينهما .

وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه ، وقابل بصفوف جنود الملائكة صفوف جنود الشياطين ، فتقابل الصفان ، وتقاتل الجندان ، وتدافع الحزبان فدفع كل من حزب الله مايقابله من حزب الشيطان ، فبقوة البرهان اليقينى بوجود النشأة الباقية عارض الاوهام الكاذبة و الظنون الباطلة الداعية الى الشهوات و الركون الى زخارف الدنيا و الاخلاد الى ارض البدن و الاقتصار على هذه النشأة الزائلة وبقوة الصبر عارض الهوى ، وبقوة الخوف عن سوء العاقبة عارض الامن من مكر الله ، وبقوة الرجاء عارض القنوط من رحمة الله ، وبالعزيمة طرد الكسل .

وهكذا يدفع بكل جند من جنود الرحمن جنداً يقابله من جنود الشيطان حتى ينفتح للقوة العاقلة اول بيت وضع للناس للذى ببكة الصدر ، و اول معبد ومسجد وضع للقلب الحقيقى بمكة الصدر المعنوى الذى هومزدحم القوى المتوجهة اليه، وهذا هو المسجد الحرام دخوله على القوى المشركة الطبيعية الدهرية لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا - خطاباً للقوة الدراكة - انما المشركون - من القوى الطبيعية- نجس - لمباشرتها الارجاس البدنية والقاذورات بالاحالة والهضم و النقل من موضع الى موضع - فلاتقربوا المسجد الحرام - وهو معبد (مسجد) القلب المتنور بنور المعرفة والاخلاص - بعد عامهم هذا - اى : عام الفتح وزمانه - وان خفتم - من منعها عن الدخول - فيه عيلة من عدم الفعل الغاذية و غيرها - فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء - بان يحصل لكم التقوت بالمعرفة والاستغراق فى شهوده بحيث لم يبق لكم

كثير حاجة الى فعل هذه القوى كمايحصل لاهل الله (١) .

ولقوله تعالى : ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ـ لكونهم جسمانية والتجرد شرط الايمان والمعرفة ـ اولئك حبطت أعمالهم و فى النار هم خالدون * انما يعمر مساجد الله ـ بالمعرفة و العبودية ـ من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلوة ـ اى ذكر الله ـ وآتى الزكوة ـ اى من الاجساد التى فى تصرفه فتزكيها بتحليلها بالرياضات والعبادات فى سبيل المعرفة ـ ولم يخش الا الله ـ لكونه عالماً به وانما يخشى الله من عباده العلماء ـ فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ـ الى طريق الاخرة وعالم القدس ـ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ـ اللتان هما فعل الغاذية والنامية ، اذالقوى الطائفة بكعبة البيت الحرام فى مسجد الصدر انما تتقوت من فعل الغاذية وجسمية هذا المسجد انما يتعمر بفعل النامية كمن آمن بالله واليوم الاخر ـ وهى القوة العقلية ـ وجاهد فى سبيل الله ـ بمعارضتها ومصادمتها للواهمة ووساوسها الشيطانية ـ لايستوون عندالله و الله لايهدى القوم الظالمين *

الذين آمنوا وهاجروا ـ من موطن الجسمية الى عالم التجرد والملكوت ـ وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ـ من المواد البدنية والقوى المحمولة لها أعظم درجة عندالله و اولئك هم الفائزون * يبشّرهم ربهم برحمة منه و رضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجرعظيم(٢) .

وكما انه قد يستعين المجاهدون فى مجاهدة طائفة من الكفار بطائفة اخرى منهم كذلك فى مجاهدة النفس يقع نظيره ، كما يدفع الانسان ثورة (سورة) الشهوة بالغضب ، فان بالغضب ينكسر الشهوة كماينهزم الخنزير من النمر ، فالحكيم تارة يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ومرة يدفع ضراوة هذا الكلب بتسليط الخنزير عليه ،ليجعل الكل مقهوراً تحت سياسته ،منخرطا فى سلك عباد الله المسلمين،ويظهر

---

(١) الاية من سورة التوبة :٩/٢٨ .

(٢) الاية من سورة التوبة : ٩/١٧-٢١ .

العدل فى مملكة البدن ويجرى الكل على الصراط المستقيم .

اذا تحقق ماذكرناه فنقول : ان القوة العاقلة ـ التى هى خليفة الله فى مملكة البدن اذا غلبت بجنودها التى هى من حزب الله ـ كالمعرفة والتقوى والذكاء والصبر وغيرها ـ على القوة الوهمية وجنودها وخوادمها التى هى من جنود الشيطان فى أول الامر وزمان الجاهلية الاولى وصارت مسلمة بيدها مقهورة تحتها اذا جاء نصرالله والفتح اياها ، ودخلت سائرالقوى فى دين الله الذى هوطريق معرفة الحق والعمل بمقتضاها ـ أفواجا ـ عندهذا الفتح المعنوى الذىهوعبارة عن مشاهدة حقائق هذه الاشياء كماهى ، فبعض هذه القوى منذ صحبت القوة العاقلة قبل حصول الكشف والشهود كانت مطيعة لامر الله ، خادمة للقوة العاقلة ، مؤتمرة بأوامرها ، منتهية بنواهيها ، منفقة لمادتها البدنية ومحللة لرطوباتها الدماغية الحاملة لها فى طريق التفكر فى آيات الله وسبيل ملكوته والمجاهدة مع كفرة الاوهام الكاذبة الفاسدة . وبعضها كانت عاصية اياها بعد ، متمردة من أوامرها ونواهيها .

فكل قوة أسلمت وأطاعت أمر الله وأنفقت فى طريق المعرفة مايحملها من المواد الجسمية ، وجاهدت فى سبيل الله ، وعارضت مع الكفرة والظلمة والفسقة تقرباً الى طاعة الحق قبل الولادة المعنوية والولادة الحقيقية فهى أعظم أجراً وأجل رتبة من سائر القوى وأقربها الى افق المجردات النورية ، وكل من هذه الجنود والقوى لها استحقاق الحسنى من عند الله والمثوبة اذا أسلمت وصارت مسخّرة للقوةالعاقلة ، ثابتة فى طاعتها لامرالله ومشايعتها اياهافى السلوك اليه تعالى واستنارتها بنور المعرفة واهتدائها بهداها .

فان قلت : هذه القوى الجسمانية قائمة بهذه المادة العنصرية ، فهى دائرة هالكة غيرباقية بعد خراب البدن ، فأنّى تكون لها المثوبة والسعادة ؟

قلت : هذه القوى البدنية الدائرة ـ ادراكية كانت الحواس ، اوتحريكية ـ كالشهوة والغضب كلهاآثار وظلال للقوى والمشاعرالتى هى فى ذات القوةالعاقلة ، فان لها فى ذاتها بصراً وسمعاً وذوقاً وشمّاً ولمساً ـ من دون الحاجة الى البدن ـ

وكذا لها فى ذاتها محبة وقهراً وقبضاً وبسطاً ويداً معنوية وجارحة روحانية ، وهذه بمنزلة المعلومات والاثار لتلك ، وكما ان الحواس البدنية كلها ترجع الى حاسة واحدة ـ هى الحس المشترك ـ فجميع حواس النفس ترجع الى قوة واحدة ـ هى قوتها النظرية التى تشاهد بها المعقولات وتتصرف فيها وتحضرها عند العقل بقدرتها التى لها فى ذاتها من دون البدن ـ

ألا ترى ان الانسان التى فى حالة النوم ـ التى هى شبيهة حالة الموت فى تعطل الحواس البدنيـة ـ يبصر ويسمع ويذوق ويلمس ويتحرك مع أن حواسه الظاهرة وكثيراً من قواها العلمية معطلة عن الادراك والافاعيل ؟

فللنفس الانسانية قوى وخوادم فى ذاتها وجنود معنوية وآلات روحانية باقية معها فى النشأة الاخروية .

وكما ان لها فى الدنيا صور وأشكال وهيئات يناسبها فكذلك يحشر يوم القيامة ويظهر بصور وهيآت مناسبة لصفاتها وأعمالها حين يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

قوله عزوجل :

مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

قرء : فيضعفه . وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام ، وبالرفع عطفاً على « يقرض » او على الخبرية ، أى : فهو يضاعفه .

قد شبّه تعالى الانفاق فى سبيله بالقرض الحسن ، فأطلق هذا اللفظ عليـه مجازاً لعلاقة المشابهة من اعطاء شىء وأخذ شىء لغرض الاحسان .

فيضاعفه له ـ أى : يعطيه الله أجره على انفاقه مضاعفاً بأضعاف من رحمته وجوده وله أجر كريم فى نفسه وقد ضم اليه الاضعاف .

مكاشفة

القرض الحسن عند اهل الله والعرفاء أن ينفق الانسان فى طريق معرفة الله وسبيل ملكوته والتفكر فى آيات جبروته مواده الدماغيّة وأرواحه النفسانيه وقواه الطبيعية التى هى أعز نقود هذه البلدة وأجناسها ، ليعوّض عنها ويحصل فى قلبه من نفائس الاثمار المعنوية وشرائف نقود المعارف الالهية التى بها يصير الانسان من أكابر الاخرة وأغنيائها ، فائقاً على الاشباه والاقران ، متخلصا من سجن الحسرة والحرمان ، وفاقة الجهل والنقصان .

فالله تعالى حيث هيّأ أسباب المعرفة والعبادة للناس سيّما ذوى البصائر والاكياس فكأنه أرادمنهم هذا القرض الحسن ووعد اياهم بتضعيف أجرهم ، وأخبر أن هذا الاجر كريم فى نفسه ، لان المعارف الربانية جليلة عظيمة ، لان شرف العلم وكرامته بنسبة شرف المعلوم وكرامته ، وليس فى الوجود ماهو أكرم وأشرف من ذات المعبود وصفاته وأسمائه وأفعاله ، فالسعى فى طريقة وصوله والانفاق فى ابتغاء وجهه يكون شريفاً كريماً ايضاً لان وسيلة الشىء يناسب له .

قوله عزوجل :

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

الظرف متعلق بقوله: وله أجر كريم . اومنصوب بتقدير «اذكر» تعظيماً لذلك اليوم . فعلى الاول معناه : يصل هذا الاجر الكريم اليهم يوم القيمة ــ وهويوم يسعى

للمؤمنين نورهم بين أيديهم وبأيمانهم الى الجنة ، فان الطريق الى جنّة المقربين انما يكون على الوجه الاول ـ لانها عقلية واقعة فى سلسلة الاسباب المؤدية الى وجود الانسان يسلكها العالم الربانى مرتقياً اليها بأنوار المعارف العقلية ـ والى جنّة السعداء على الوجه الثانى ـ لانها جسمانية واقعة فى السلسلة العرضية المعلولية ، فيتوجه اليها أهل النسك والصلاح وأصحاب اليمين ، منعطفاً اليها بنور العبادة وقوة الاعمال الحسنة ، ولهذا المعنى قيل : اليمين طريق الجنة ـ .

وقد صرح بعض أهل الكشف والعرفان بأن البرزخ الذى يكون الارواح فيها بعد المفارقة من النشأة الدنياويـة هو غير البرزخ الذى بين الارواح المجردة والاجسام ، لان تنزلات الوجود ومعارجه دورية ،لكنهما يشتركان فى كونهما عالماً نورانياً وموطناً ملكوتياً ـ فالسعداء مطلقاً يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم .

وقوله : بشريكم اليوم ـ بمنزلة الحال ، أى : يسعى نورهم حين يقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم « بشريكم اليوم » ، و هذه الملائكة المبشرين بالجنات مختلفة الدرجات فى القرب اليه تعالى حسب تفاوت منازل أهل الجنان فى التقديس والخلوص ، مع اتفاقها فى حصول الحقائق وصورها الحسان ، فالجميع ـ جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ـ أى : الخلاص عن كل مرهوب ، والظفر بكل محبوب ، فان كل واحد من أهل الجنان له مايشتهيـه ويصل اليه همّته الا ان الهمم متفاوتة حسب تفاوت الاحوال .

قال ابن عباس رضى الله عنه : « هذا النور يكون على الصراط » . وقيل : « فى عرصة القيامة » . ولانور هنالك الا نور الايمان والطاعة وكل يعطى نوراً على قدر علمه (عمله) .

مكاشفة

هذا النور المشار اليه فى هذه الاية هو نور المعرفة واليقين ، فان النفس الانسانية من عالم النور والمعرفة لكنها بسبب التعلق بعالم الاجسام الكثيفة صارت ظلمانية محجوبة عن الادراكات ، فاذا ارتاضت ذاتها بالرياضات الدينية و الاعمال الشرعية من الافكار والاذكار والعبادات ، وخرجت من مرتبة القوى الهيولانية الى مرتبة الفعلية حصل لها العقل المستفاد ، وهو نوريستضىء ويضىء فى المعاد ، فصار نوراً على نور. وهذا النور العارض انما يقذف فى قلب المؤمن من عالم الملكوت بسبب اكتساب العقليات واليقينيات الصرفة عند تصوره الخير الحقيقى ، اوبسبب اكتساب الاعتقادات المحمودة والظنون الحسنة عند تصوّره الخير المظنون .

فالاول نور عقلى يختص بالمقربين يسعى بين أيديهم ويصعد بهم الى جوار الله وجنّات المعارف العقلية التى قيل فى وصفها : « مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر» .

والنورالاخر نوريختص بغيرهم من السعداء يسعى بأيمانهم ويذهب بهم الى جنات جسمانية منورة غاية مايتصورفيهالهم وفى حقهم من الصفاء والنورية والضياء. واشراق نور كل أحد بقدر قوة معرفته وايمانه ، ولهذا وقع فى الاخبار : ان أنوار الاخيار والابرار مختلفة فى الاضائة والاثار .

قال قتادة : « ان المؤمن يضىء له نوره كما بين عدن الى صنعاء ودون ذلك، حتى أن من المؤمنين من لايضىء له نوره الا موضع قدميه » .

وقال عبدالله بن مسعود : « ويؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من نوره مثل الجبل وأدناهم نوراً نوره على قدرابهام قدميه فيضىء مرّة ويطفىء اخرى فاذا أضاء قدمه مشى واذا طفى قام » .

ولما كانت الحركة والادراك متلازمين لقوله تعالى : ﴿كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [٢١/٥٠] فالاول اشارة الى قوة التحريك والثانى اشارة الى قوة الادراك. ثم لكل ادراك حركة تناسبه ، فمرورهم على الصراط على قدر نور ايمانهم ، ومن كان نوره كالشمس كان مروره كطرف العين ، ومن كان نوره دون ذلك كان مروره على قدره ، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم كالسحاب، ومنهم كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كشدّ الفرس ، والذى اعطى نوراً على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجرّ يداً ويعلّق اخرى، ويجرّ رجلا ويعلّق اخرى، وتصيب جوانبه النار ، فلايزال كذلك حتى يخلص ، وبهذا يقاس تفارق الناس فى المعارف .

ولذلك جاء فى الخبر : « انه تعالى يخرج يوم القيامة من النار من فى قلبه مثقال ذرّة من الايمان ، ونصف مثقال وربع مثقال ، وشعيرة وذرّة »(١) . كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان بحسب قوة اليقين واشراقه ، وسرعة التفطن والتحدس بحقائقه وأسراره وأن هذه المقادير من الايمان لايمنع دخول لنار.

وقال بعض العلماء فى مفهوم هذا الخبر: « ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لايدخل النار اذ لودخل لامر باخراجه أولا ، وان من فى قلبه مثقال ذرّة لايستحق الخلود فى النار وان دخلها » .

وقوله تعالى : ﴿وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين﴾ [١٣٩/٣] تفضيل للمؤمن العارف على المسلم وهو المقلد مع سلامة قلبه عن النفاق .

وأما قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾ [١١/٥٨] فأراد هيهنا « بالذين آمنوا » الذين صدقوا تقليداً من غير علم برهانى او كشفى ، وميزهم عن الذين اوتوا العلم . ويدلّ ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد ـ وان لم يكن تصديقه على بصيرة وكشف ـ .

وفسّر ابن عباس قوله تعالى : ﴿ والذين اوتوا العلم درجات ﴾[١١/٥٨]

---

(١) جاء مايقرب منه فى سنن ابن ماجة : المقدمة (باب فى الايمان) ٢٣/١

قال: يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمأة درجةبين كل درجتهامابين السماء والارض .

وقال ﷺ : أكثر أهل الجنة البله .(١) وعليون لذوى الالباب .

وقال ﷺ : فضل العالم على العابد كفضلى على رجل من أصحابى(٢)

و فى كتاب الكافى عن أبـى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر .(٣)

فهذه الشواهد يتضح بها تفاوت درجات أهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم فى الاشراق والكدورة .

* * *

وملخص القول : ان اكتساب العلوم الحقة وفعل الحسنات فى الدنيا ينتج تقرر الاخلاق والملكات ورسوخ المعارف والاعتقادات ، والمعرفة اذاشتدت صارت مشاهدة عند رفع الحجب بالموت ، فمشاهدة كل أحد بقدر معرفته ، وهى المراد من النور الا ان المعارف اليقينية الدائمة(العقلية) البرهانية(الربانية) تورث المشاهدات والمكاشفات العقلية فى جنّة الكاملين فى العلم ، والمعارف الظنية الخيالية تورث المشاهدات الجسمانية فى جنّة أصحاب اليميـن ، والصور الحسان التى فيها انما هى بمنزلة تمثالات وعلامات لمافى تلك الجنات العلى لان العوالم متطابقة والنشآت متوافقة مع تفاضلها فى الشرف والرتبة ، لقوله تعالى : ﴿ وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ [٢١/١٧] .

---

(١) الجامع الصغير: ٥٣/١

(٢) فى الترمذى : كتاب العلم ، باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة : كفضلى على ادناكم - ٥٠/٥

(٣) الكافى : كتاب العلم ، باب ثواب العالم والمتعلم ٣٤/١

قوله عزوجل :

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ
مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ
لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قرء حمزة «انظرونا» بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء من «النظرة» وهي: الامهـال . اطلق على الايطاد والتبطى فى المشى الى ان يدرك المتأخر المتقدم . وقرء الباقون : «انظرونا» بهمزة الوصلة المضمومة اى انتظرونا ، لانهم كالبروق الخاطفة مسروع بهم على ركاب تذف وهؤلاء مشاة حفاة بطيئة السير ، اوانظروا الينا لنستقبلكم بوجوهكم فنستضيء بكم ، لان النور قدامهم فيحصل الاقتباس من نورهم عند المواجهة .

وقرأ أبوجعفر وابن عامرويعقوب : « لاتؤخذ منكم » بالتاء لتأنيث الفاعل ، وقرأ الباقون بالياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولان التأنيث غيرحقيقى .

وقرأ : «الغرور» بضم الغين ، معناه الاغترار ـ بتقدير المضاف ، اى وغرتكم بالله سلامة الاغترار ، اى سلامة حالكم مع اغترار كم .

وقال الزجاج : الغرور كل ما غرّ من متاع الدنيا .

وقوله : «يقول» بدل من «يوم ترى» يعنى : ذلك اليوم يوم يقول أهل النفاق للذين آمنوا ظاهرا وباطنا : «انظرونا نستضىء بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه الظلمات » لان المنافقين اذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيمشون فى نورهم، فيسرع المؤمنون بقوة ايمانهم فيتباعد المنافقون عنهم بالتخلف فيقطع أثر نورهم عنهم .

قيل ارجعوا وراءكم: القائل اما المؤمنون، او الملائكة الهادين لهم .ارجعوا الى الموقف خلفكم فالتمسوا هنالك النور حيث اعطيناه ، فمن ثم يقتبس ويحمل، فيرجعون فلايجدون نورا لظنهم أنهم أخذوا النور من موضع هناك ، ولايعلمون أن هذا النور يكتسب فى الدنيا بتحصيل سببه ـ وهو الايمان ـ بل هذا النور هو نفس الايمان والمعرفة ليظهر اشراقه عند القيامة . وقولهم : «ارجعوا» توبيخ فى صورة الامر لاستحالة هذا الرجوع او التناسخ . اوأمر بمعنى: تنحوا عنا خائبين. فالتمسوا نوراً آخر فلاسبيل لكم الى هذا النور. وهو اقناط وتخييب لهم لانهم يعلمون أن لانور ورائهم ويحتمل أن يكون للمنافقين مرتبة ضعيفة من النور غير كافية للمشى الى الجنة وهم تدعون الزيادة ، فوقع المنع لهم من المؤمنين ان ليس لكم الا ما اكتسبتم من خلفكم ـ اى الدنيا فارجعوا من هذا الاطلاع على ماورائكم فالتمسوا نوراً من عملكم واكتفوا به ضرورة ـ فيكون امرا تحقيقا .

فضرب بينهم ـ اى بين الفريقين بسور ـ والباء مزيدة ـ اى حجاب حائل بين شق الجنة وشق النار. وقيل : هو حائط بين الجنة والنار. وقيل : هو الاعراف .

له باب ـ اى : لذلك السور باب ، وقيل : اى طريق لاهل الجنة يدخلون اليها . باطن السور او الباب الذى يلى الجنة فيه الرحمة ، وظاهره الذى يظهر لاهل النار ـ من قبله ـ اى من عنده ومن جهته العذاب ، وهو الظلمة والنار.

ينادونهم ـ أى : ينادى المنافقون المؤمنين ـ ألم نكن معكم فى الدنيا والمنازل والمساجد نصلّى كما تصلّون ونصوم كما تصومون ـ بناء على أنهم

وافقوا المؤمنين في الاعمال الظاهرة من الصلوة والصيام وغير ذلك ـ قالوا بلى كنتم معنا في ظواهر الاعمال دون بواطن النيّات والمعارف ـ ولكنكم فتنتم أنفسكم ـ أي محنتموها بالنفاق وأهلكتموها . وقيل أثمتم . وتربّصتم ـ أي : انتظرتم بالمؤمنين الدوائر ، او بالنبي ﷺ كما قالوا : ﴿ نتربص به ريب المنون ﴾ [٣٠/٥٢] وقيل : دافعتم الاوقات بالايمان بالله ورسوله على الاخلاص . وقيل : أخرتم التوبة ـ وارتبتم ـ أي : شككتم في حقيقة الاسلام . او في البعث ـ وغرتكم الاماني ـ الكاذبة والامال الطويلة ـ حتى جاء أمر الله ـ وهو الموت ومابعده. ـ وغرّكم بالله الغرور ـ أي : الشيطان بأن الله لايعذّبكم لانه غفور كريم ، ولم يفقهوا أن منشأ العذاب خسّة جوهرهم وقبح سريرتهم ، او الاغترار والطمع في الدرجات الاخروية من غير سبق عمل ، كما حكى الله عن بعضهم : ﴿ ولئن رددت الى ربي لاجدنّ خيراً منها منقلباً ﴾ [٣٦/١٨] .

فاليوم لايؤخذ منكم فدية ـ أي : مايفتدى به ـ ولامن المعلنين بالكفر ـ هي موليكم ـ أي : هي اولى بكم كما في قول لبيد :

فغدت كلا الفرجين تحسب انه ❊ مولى المخافة خلفها وأمامها(١)

او : هي ناصركم ، أي : لاناصر لكم سواها . والمراد نفي الناصر على القطع . ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ [٢٩/١٨] ونحو قول العلماء : الحق تعالى موجود لذاته بذاته في ذاته . أي : لالغيره ولابغيره ولا في غيره .

وقيل : تتولاكم كما تولّيتم في الدنيا أعمال أهل النار .

---

(١) يريد انه اولى موضع ان تكون فيه الحرب ، وقوله : « فغدت » ثم الكلام . كأنه قال : فغدت هذه البقرة . وقطع الكلام ، ثم ابتدأ كأنه قال: تحسب ان كلا الفرجين مولى المخافة . (اللسان ـ ولي)

مكاشفة

اعلم ان الدرجات الاخروية ودركاتها يتوزع على الحسنات والسيئات فان مبادى أحوال الاخرة أحوال الدنيا ، لان الدنيا عبارة عن حالتك قبل الموت والاخرة عبارة عن حالتك بعدالموت وقدومك الى الله ، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك، يسمى الدانى منها « دنيأ » والمتأخر« آخرة » وهما من جنس المضاف يعرف مفهوم كل منهما مع الاخر، والانتقال من الاولى الى الاخرى كالانتقال من المحسوس الى المعلوم ، ولهذا المعنى قيل : « من فقد حساً فقد علماً » .

فالاخرة نشأة علميّة وكما أن فى هذا اليوم المعلـوم غائب ، والمحسوس حاضر، ففى يوم الاخرة علىعكس ذلك ، يتجلـّى الغائب ويخفى الظاهرلانها «يوم تبلى السرائر » ونحن الان نتكلم فى هذه النشأة الدنيا الحسية من النشأة الاخرى العلمية ، ولا يتصور شرح النشأة العلمية لمن هو فى عالم المحسوس – من حيث هو فى عالم المحسوس -- الا بمثال ، فان من تفطـّن بالعقليات فهو انما يعقلها من حيث كونه فى عالم المعقول ، كما قال الله تعالى : ﴿وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون﴾ [٢٩/٤٣] .

وهذا لان هذا العالم نوم بالاضافة الى ذلك العالم كما قالﷺ : الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا .

وما سيكون فى اليقظة لايتبيـّن فى النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير، وكذا ماسيكون فى يقظة الاخرة لايتبيـّن فى نوم الدنيا الا فى كسوة الامثال على طرز مايثبت فى علم التعبير، فان التعبيرمن أوله الى آخره أمثلة فيعرفك ممارسة ذلك العلم طريق ضرب الامثال .

وليس للانبياءعليهم السلام أن يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال ، لانهم كلـّفوا

أن يكلموا الناس على قدر عقولهـم لانهم فى النوم ، والنائم لايكشف له شيء الا بمثل ، فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق .

وانما يعنى بالمثل أداء المعنى فى صورة ان نظرالى معناه وجد صادقاً ، وان نظر الى صورته وجد كاذباً .

* * *

فاذا تقررهذا فنقول : هذه الاية مثال يوضح به سوء عاقبة حال أهل النفاق ووخامة مآل المغرورين من الجهـّال المتشبـّهين بأصحاب الكمال، فانهم باشتغالهم بظواهر الاعمال الحسنة الممدوحة عند الجمهور ـ كمدارسة العلوم وفعل الطاعات ـ ظنـّوا أنفسهم علماء أخياراً وهم مع ذلك من الحمقى الاشرار ، وهم عند أنفسهم من المقربين ، وفى نفس الامر من الفجـّار المنافقين ، والله يشهد انهم لكاذبون .

وذلك لانهم لم يراقبوا قلوبهم ، ولم يهذ ّبوا أعمالهم من الاغراض الدنياوية والشهوانية فاذا انكشف الغطاء وارتفع الاشتباه والمغالطة ظهر أن قلوبهم من أنوار المعرفة خلا ، وأيديهم من آثار الهداية صفر وهم فى ظلمة الجهل والاغترار مغروقون ، وفى مضائق عالم الجهل محبوسون ، لاينكشف لهم من طريق الحق موضع قدم لفقد نور البصيرة عنهم أصلا ، ولافى باطنهم قوة السلوك اليه رأساً .

و ذلـك لعدم قصد منهم وتوجـّه لهم شطر الحق خالصاً : أمـا الادراك : فلم يدركوا الاعتقادات موروثة تعصبية متبنـّية على اغراض نفسانية ، فرسخت فى قلوبهم وصارت مسامير مؤكدة ، لان طبائعهم كانت أليفه اليها فى مبادى النشؤ أنيسة بها ، وقد أخذوها من معلـّميهم بحسن الظن فى أول التعاليم ، فصارت حجاباً لهم عن ادراك الحقائق الحقة ، فبقوا فى ظلمة شديدة لااوحش منها .

وأما العمل فانه فرع العلم فمتى لـم يكن المعبود فى التصو ّر معبوداً حقاً لم يكن العبادة له عبادة للحق ، فلم ينتج ذهاباً اليه وقرباناً منه .

فنقول قوله سبحانـه : انظرونا نقتبس من نـوركم ـ مثـال لحال بعض المشبهين بالعلماء من أهل الظاهر حيث انتبه قليلا فى آخر أمره عند خمود حرارة

الشهوات والاغراض الدنياوية وانطفاء أنوار الحواس وفتور القوى على فقدان نور المعرفة وبرد اليقين فى قلبه ، ومع ذلك مغرور من جهة أنه يظن انه بأدنى اشتغال الى التعلم وطلب استفاضة أنوار المعارف من حامليها من المعلّمين على الحقيقة يصير ذا علم ومعرفة ونور عقليّ ، فيتوجه نحو المؤمنين حقيقة والعلماء حقّاً فيخاطبهم ويأمرهم بالتوجه اليه والالتفات نحوه قائلا: انظرونا نقتبس من نوركم ـ ظناً منه أن ذلك منّة عليهم لانه من جملة المعتبرين عند نفسه وعند بعض الحمقى الجاهلين .

فالعلماء حقاً لحسن ارشادهم وغاية اشفاقهم على أمثاله من الناقصين يهدونهم طريق السلوك الى الحق ، ويرشدونهم الى كيفية استفاضة المعارف قائلين : ان لكل مسئلة من المسائل الالهية والاسرار الناموسية مبادى ومقدمات لايمكن التفطن الى تلك المسئلة الا بعد التفطن بها ، سواء كان بحدس وحركة سريعة ـ كما هو طريقة الانبياء والاولياء وذوى الابصار ـ او بفكر وحركة بطيئة ـ كما هو طريقة العلماء والنظّار واولى الاعتبار ـ وقبل الخوض فى العقليات واستحصالها يجب الاشتغال بعلم اللغة ، والنحو ، والصرف ، وعلم الاخلاق ، وعلم الحلال والحرام ، ومن لم يحصّل شيئاً منها على وجهه مع نيّة صادقة واخلاص فى العمل لايمكنه الدخول فى فقه الاسرار وعلم الانوار، لقوله تعالى: ﴿واتوا البيوت من أبوابها﴾[١٨٩/٢] فقوله تعالى : قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً ـ اشارة الى هذا الحال .

ومن هذا القبيل ماحكاه الله سبحانه عن حال الجاهلين المغرورين من أصحاب النار وامتناع استفاضتهم المعارف من المعلمين والرؤساء الذين هم من أصحاب الجنة بقوله سبحانه : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ﴾ أى من ماء المعارف الالهية التى تكون بها الحيوة الأخروية العقلية اوشىء من سائر العلوم العقلية التى رزقها الله للعلماء مزيداً لكمالهم وحالهم ﴿ قالوا ان الله حرّمهما على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ [٥١/٧] .

ومثال هذه الحكاية أن رجلاشيخاً من الجهّال الذى كان بليداً فى أصل الفطرة فاشتغل فى أيام عمره بشىء من العلوم التى لاتسمن ولا تغنى ، ثم تصدىّ للامور الدنياوية كالقضاء وتولية الاوقاف وغيره من الاعمال التى يتقلده المشبهين بأهل العلم فى أكثر الازمان ـ من غير استيهال ـ وهذا الشيخ الجاهل البليد لم يتعلم أيضاً من المقدمات شيئاً يعول عليه فى اكتساب العلوم اليقينية ، ولم يمارس المقاصد الالهية أصلا ، فيقول لعالم ربانى ارتاضت نفسه بفنون من العلوم العقلية وغيرها : « أفض على قلبى من دقائق علومك الالهية » . فيقول : « ان الله حرمه على الجاهلين » .

معناه : ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء أصلى وممارسة طويلة ، بعد تعلّم مايتوقف عليه من العلوم الادبيـة وغيرها مع اخلاص فى النيّات وتنزّه عن الفحشاء والمنكر والبغى ـ من الاغراض الشهوية والغضبية والشيطانية ـ واذا بطل الاستعداد وفاتت المناسبة الاصلية فاستحالت الاستفاضة وحرّمت كما يستحيل افاضة العلوم العقلية على أجسام البهائم والسباع التى لاشغل لها سوى طاعة الشهوة والغضب التى أمر بها نفوسهـا ، لان الناطقة التى خدمت القوة الشهوية منزلتها منزلة أبدان البهائم المطيعة لنفوسها بل أنزل منها رتبة ـ كما بينّاه فى تفسير قوله تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم أضل﴾ [١٧٩/٧] .

* * *

وأما قوله تعالى : فضرب بينهم بسور له باب ـ الى آخره ـ فهو مثال لصورة الشريعة الحقة التى ظاهرها حصن يحرس الناس عن المقاصد والاعمال القبيحـة والعقائد الباطلة ومن تطرق اغواء المضلّين والشياطين من أهل البدع والمذاهب الجاهلية . وباطنها أسرار حقة وأنوار محضة بها يصل العبد الى رحمة الله ورضوانه ، فالشريعة سوط الله بها يسوق عباده الى رضوانه ، فمن نظر الى صورة السوط التى لاجل تأديب المستعدين لم ير منه الا عذاب أليم ، ومن نظر الى الغرض المكمون فى باطنه يعلم انه محض الشفقة .

كذا من اغترّ بظواهر الشريعة من غير تدبّر فى أسرارها وبواطنها لم ير فيها

الا تعب الجوارح ورياضة الجسد الموجب لظلمة الاعياء ، لاسير الفكر الموجب لزيادة النور في قلوب العقلاء ، فيثقل عليه حملها والعمل بها لعدم اطلاعه على المقصود منها .

أو لاترى الى الصلوة ﴿وانها لكبيرة الا على الخاشعين﴾[٢/٤٥] فانها قرّة عيونهم كما قال رسول الله ﷺ : « قرّة عيني في الصلوة » .(١)

ظاهرش برتن لئيمان بند　　*　　باطنش بردل حكيمان پند

وأما قوله تعالى : ﴿ ألم نكن معكم ﴾ : حكاية لحال المنافقين المغترّين بأعمالهم التي يوافق أعمال المستبصرين في الصورة ، الا أنها كانت مشحونة بأنواع الاغراض الشيطانية والشرك الخفي، من طلب الجاه والمنزلة عند الناس، والتفوّق على أهل الله بسبب التقرب الى الظلمة والامراء ، وتعجّبهم من تخلّفهم عن مراتب الرجال ، وسلوكهم طريق الضلال مع توافقهم مع هؤلاء في الافعال والاعمال .

وقوله تعالى : ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ ـ الى آخر الاية ـ كشف فضائحهم وايضاح أحوالهم وهتك أستارهم لان الاخرة يوم الحساب ويوم تبلى السرائر. أي: جعلتم أنفسكم بسبب مباشرة تلك الاعمال ممتحنة بفنون الاغراض الدنيوية والمحن الشديدة حالا او مآلا ، كل ذلك طلباً للجاه الوهمي وتهالكاً على الترأس الخيالي والتبسط في البلاد ، والشهرة عند العباد ، وتربصتم الفساد والهلاك ـ ولوضميراً ـ لمن خالفكم ولم يصدقكم في آرائكم الباطلة ، ولم يمكّنكم في طلب الترفّع وان كانوا على الحق وأضمرتم النفاق والفساد لاهل الحكمة والمعرفة ـ وهم المؤمنون حقّاً ـ وشككتم في دينكم منذ كنتم لتصادم الشكوك وتعارض الادلّة التي لايخلص منه الا المخلصون ـ وهم على خطر عظيم وخوف ووجل شديد ـ وغرّتكم الآمال التي منشأها ظواهر الاعمال ، وغرّكم بالله الشيطان ـ وشركه وحبائله وخدعه وغروره أكثرها يعترى المنتسبين الى العلوم الدينية من

---

(١) الجامع الصغير : حرف الحاء (حبب الى من ...) ١٤٦/١

غير تهذيب الباطن ـ عصمنا الله واخواننا الصالحين حيث ماكانوا ـ .

وعلى ماذكر يكون شديد المناسبة اليه قوله عزوجل :

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾

قرء نافع « وما نزل » خفيفة الزاى . والباقون بالتشديد . فعلى الاول يكون المرفوع ضميراً عائداً الى الموصول ، وعلى الثانى هوعائد الى الله ، والعائد الى الموصول ضمير منصوب محذوف من الصلة .

وقرء رويس : « ولاتكونوا » بالتاء على الالتفات ، او على النهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب . والباقون بالياء عطفاً على « تخشع » .

ألم يأن ـ من « أنى الامر يأنى » : اذا جاء اناه ، أى وقته . و «الخشوع» : لين القلب والانقياد للحق ومثله « الخضوع » . و « القسوة » : غلظ القلب بالجفا عن قبول الحق. و« الحق » : مادعا اليه العقل السليم من الامراض النفسانية، وهو الذى من عمل به نجا ، ومن عمل بخلافه هلك .

وهذه الاية قيل : انها نزلت فى المنافقين بعد الهجرة لسنة . وقيل : انها نزلت فى المؤمنين .

قال ابن‌مسعود : ماكان بين اسلامنا وبين أن‌عوتبنا بهذه الاية الا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً .

وعن ابن عباس: ان‌الله استبطأ قلوب‌المؤمنين فعاتبهم على‌رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن بهذه الاية .

وعن الحسن : أما والله لقد استبطاهم الله وهم يقرؤن من القرآن أقل ّ ممّا تقرؤن ، فانظروا فى طول ماقرأتم منه وماظهرفيكم من الفسق .

وقيل : كانت الصحابة بمكة مجدبين ، فلمّا هاجروا أصابوا الرزق والنعمة سنين ، فتغيّروا عما كانوا عليه وينبغى للمؤمن أن يزداد يقيناً واخلاصاً فى طول صحبة الكتاب .

والمعنى : أما حان للمؤمنين ـ أى المنتسبين الى الايمان ـ أن تخشع قلوبهم وترق لذكر الله ـ مما يذكرهم الله وصفاته وأفعاله وكيفية كونه مبدءاً للعباد ومعاداً لهم يوم الميعاد ومانزل من الحق من الايات والنذر القرآنية ؟ والمراد من الخشوع لها خشية القلوب عند ذكرالله وتقوى ايمانهم عند تلاوة آياته ، كقوله : ﴿ اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ﴾ [٢/٨] .

ومن شدّد فالمراد مانزله الله من المعارف الحقّة .

ولا يكونوا ـ كأهل الكتاب الذين كانوا فى العهد الاول فطال عليهم الامد ، أى : الزمان بينهم وبين نبيّهم ، او الامد للجزاء ـ أى : لم يعاجلوا بالعقوبة او مجيء القيامة . وقرء : « أمدّ » أى الوقت الاطول فاغترّوا بذلك فقست قلوبهم ـ أى : غلظت وجافت ـ وكثير منهم فاسقون ـ خارجون عن دينهم ، متمرّنون على المعاصى ، معتادون بها ، فكانوا بحيث لاينفعهم نصح الانبياء ولاينجع لهم وعظ الواعظين ، ومن لاينفعه فى الدنيا نصح الناصحين لاتنفعه فى الأخرة شفاعة الشافعين، فلاتكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ماحكم فيهم .

* * *

مكاشفة

ينبغي أن يكون هذا الخطاب متوجها الى جماعة مخصوصين من أهل الايمان ومعالم الدين لم يوجد منهم خشوع فحثوا على الرقّة كما يدلّ عليه قوله تعالى : ألم يأن . اى أما حان وقت الخشوع منهم فكيف فعله ؟ ففى الاية تنبيه عظيم واشعار بليغ على قبح سير اولئك المخصوصين وفساد بواطنهم وقسوة قلوبهم ، حيث نهوا عن مماثلة اليهود والنصارى التى كانت أغلظ الناس قلباً ، وأسوئهم ضميراً وأظلمهم باطناً فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا ، وذلك لما نقل ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم و مشتهياتهم ، واذا سمعوا التورية و الانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم ، فلما طال عليهم الزمان غلب عليهم الجفا والقسوة فاختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف و غيره .

وأكثر من وردت التشديدات العظيمة فى حقهم فى القرآن والحديث هم العلماء السوء الذين قصدهم من الاطلاع على معالم الدين وتعلم مناهج الشرع المبين التنعم بالدنيا والتوسل الى الجاه و المنزلة عند ذريها وبنيها ، فدلت الاخبار والآثار من المصطفين الاخيار وشهدت بصائر أصحاب الاستبصار وأنوار ضمائر أرباب الفكر والمتفكرين فى مراتب الصنع والايجاد الفائضة عن الله القهار على أن أشد الاشرار عذاباً فى النارهم العلماء السوء الذين ظواهرهم ظواهر الاخيار وبواطنهم بواطن الكفّار .

و قال النبى ﷺ : « ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (١) .

(١) الجامع الصغير : ١/٤٢ .

والسرّ في ذلك أنهم يريدون أن يتوسّلوا بأشرف الاشياء و هو العلم بالله وأحكامه الى أخس الاشياء ، وهو الجاه والمنزلة في الدنيا والتفاخر بمافيها والركون الى زخارفها و الاخلاد الى الارض . و هذه امور وهمية باطلة كما قال الله تعالى : ﴿وماهذه الحيوة الدنيا الالهوولعب ان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [٦٤/٢٩] .

و قال : ﴿ انما الحيوة الدنيا لعب و لهو وزينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الاموال و الاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الاخرة عذاب شديد ﴾ [٢٠/٥٧] فقد مثل الله تعالى الدنيا وشهواتها في كثيرمن آيات القرآن بامور وهمية باطلة يغتربها نفوس الجاهلين والناقصين ، كما في قوله تعالى : ﴿والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جائه لم يجده شيئا ﴾ [٢٤/ ٣٩] فويل لمن يعدنفسه من العلماء وهو في الحقيقة من الحمقى الجاهلين المغترين بلوامع السراب الذين اتخذوا دينهم لهواًولعباوغرتهم الحيوة الدنيا . فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

و مثل الله تعالى في القرآن بلعم بن باعورا ـ و كان عالماً فاجراً أخلد الى الشهوات ـ بالكلب حيث قال سبحانه ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ حتى قال : ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾ [١٧٦/٧] في الاخلاد الى الشهوات سواء اوتي الحكمة اولم يوت فهومصر فيها ، مخلداليها .

وقيل : مثل علماء السوء مثل قناة الحشّ ظاهرها خضر وباطنها نتن ،ومثل قبور الكفرة والظلمة ظاهرها عامرة وباطنها اللعنة والعذاب .

همچو گور كافران بيرون حلل　　　وز درون قهر خـدا عزوجل

و قد قيل : أقلّ درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا و خستها و كدورتها وزوالها و انصرامها ، وعظم أمر الاخرة و دوائها و صفاء نعيمها و جلالة ملكها ، ويعلم انهما متضادّان متفاسدان ، مهما صلحت احديهما فسدت الاخرى ، و انهما كالضرّتين مهما ارتضيت احديهما أسخطت الاخرى ، فان من لم يعلم حقارة الدنيا

و كدورتها و انصرام مايصفونها بحسب الوهم فهو فاسد العقل ، فكيف يعد من لاعقل له من العلماء ؟ ومن لايعلم عظم أمر الاخرة ودوامهافهو كافرمسلوب الايمان ، فكيف يكون من لاايمان له من العلماء ؟ ومن لايعلم مضادة الدنيا للاخرة وأن الجمع بينهما مستحيل فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ بل كافر بالقرآن من أوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم يؤثر الدنيا على الاخرة فهو جاهل أسير شيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد من أحزاب العلماء من هذه درجته فى الخسة ؟

فهذا دليل واضح على أن من آثر الدنيا على الاخرة فهو مغرور وقد ركب فيه جهل الجهال وفتنة الدجال .

و كتب رجل الى أخ له : «انك قد اوتيت علما فلا تطفين نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم» .

وقال عيسى عليه السلام : « كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه » !

وقال صالح بن كيسان البصرى : «أدركت الشيوخ و هم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة » .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : اوحى الله الى بعض الانبياء : « قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلّمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة، ويلبسون للناس مشوك الكباش ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر : اياى يخادعون، و بى يستهزؤن، لافتحن لهم فتنة تذر الحكيم حيراناً»(١).

واليه أشار قوله تعالى : ﴿ يخادعون الله و الذين آمنوا و مايخدعون الا أنفسهم ومايشعرون * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ [٢/١٠] .

---

١ ـ قال العراقى : (ذيل احياء علوم الدين : ٦٢/١) « اخرجه ابن عبدالبر باسناد ضعيف» . وجاء مايقرب من هذا الحديث فى الترمذى : ٦٠٤/٤ .

وقوله تعالى : ﴿الله يستهزى بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ۞ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾[٢/١٦] .

وفى طريق أهل البيت عليهم السلام أحاديث كثيرة فى ذم علماء الدنيا المعرضين عن الاخرة .

منها مارواه الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكلينى فى كتاب الكافى عن سليم بن قيس ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : منهومان لايشبعان ـ طالب دنيا وطالب علم ـ فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلّ الله له سلم ، ومن تناولها من غير حلّها هلك ، الا ان يتوب اويراجع ، ومن اخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجى ، ومن اراد به الدنيا فهى حظه(١) .

وعن ابى عبدالله (ع) : من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فى الاخرة نصيب (١) .

وعنه (ع) قال : اذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم ، فان كل محب لشيىء يحوط مااحب .

و قال صلى الله عليه وآله : اوحى الله الى داود (ع) : لاتجعل بينى و بينك عالما مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتى ، فان اولئك قطاع طريق عبادى المريدين ، ان ادنى مااصانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم (٢) .

وعن ابى جعفر (ع) قال : من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء اويصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء مقعده من النار اذ الرئاسة لاتصلح الالاهلها(٣)

وعن على بن ابراهيم ـ رفعه الى ابى عبدالله (ع) قال : طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ،

---

(١) الكافى : كتاب العلم ، باب المستأكل بعلمه : ١/٤٦ .
(٢) الكافى : الباب السابق ١/٤٦ وفيه فروق يسيرة.
(٣) الكافى : الباب السابق ، ١/٤٧ .

وصنف يطلبه للفقه والعقل .

فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرّض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم ، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع ، فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه .

وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق ، يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه ، فهو لحلوائهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره ، وقطع من آثار العلماء اثره .

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنّك في برنسه وقام الليل في حندسه ، يعمل و يخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه ، مستوحشا من اوثق اخوانه ، فشدّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه(١) .

وعن الحسين الصيقل ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول لايقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل ، فمن عرف دلته المعرفة على العمل ، ومن لم يعمل ، فلا معرفة له الأن الايمان بعضه مثل بعض (٢) :

وعن أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبي صلى الله عليه وآله : ـ انه قال في كلام له ـ العلماء رجلان : عالم آخذ بعلمه ، فهذا ناج . وعالم تارك لعلمه ، فهذا هالك . وان أهل النار يتأذون عن ريح العالم التارك لعلمه ، و ان أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله تبارك وتعالى فاستجاب له وقبل منه ، فاطاع الله فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي الى النار بترك علمه واتباع الهوى وطول الامل . أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وطول الامل ينسي الاخرة (٣) .

* * *

(١) الكافي : باب النوادر من كتاب العلم ، ٤٩/١ .

(٢) الكافي : كتاب فضل العلم ، باب من عمل بغير علم : ٤٤/١ وفيه: بعضه من بعض .

(٣) الكافي : الصفحة السابقة وفيه فروق يسيرة .

فهذه الاخبار تبيّن انّ العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخسّ حالا و أشدّ عذاباً يوم القيمة من الجاهل ، **و ان علماء الاخرة هم الفائزون** المقربون ولهم علامات :

منها : مامرّ ذكرها من اعراضهم عن الدنيا وزخارفها وزهدهم في شهواتها، واقبالهم الى الاخرة ، ورغبتهم في درجاتها ومعارفها وحقائقها .

ومنها : أن يكون أكثر اهتمامهم بالمعارف الباطنية ، ومعرفة عالم الملكوت والروحانيّات ، وأسرار المبدء والمعاد ، ومعرفة النفس الانسانية ، و كيفيّة ارتقائها الى الكمال ، وخلاصها من النقص ، و طريقها الى الاخرة ، حتى تصير نفسه عالماً معقولا موازياً للعالم المحسوس مشاهداً لصورة (كمال) الكلّ آخذاً هيئة الوجود من المبدء الاوّل ـ الى الترتيب الصدورى النزولى منه ، و العروجى اليه ـ و كيفية استكشاف هذه الامور بالمجاهدة و المراقبة و مباشرة العبادات والاعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة ، والانقطاع الى الله عما سواه ، فذلك مفتاح الالهام و منبع الكشف ، فلايكون مزاولتهم للعلوم الشرعية الظاهرة أكثر من مواظبتهم للمعارف الالهيّة ، بل مالم يحيطوا بحظ وافر منها لم يشتغلوا باستقصاء مسائل الحلال والحرام الاماهو الواجب العينى بقدر مالابدّ منه ـ دون الواجب الكفائى الذى يقوم كل أحد فيه مقام الاخر ـ وذلك لوجوب الاشتغال أولا بالاهم ـ والاهم : هو العلم بالله وملكوته وصفاته وأفعاله و كتبه ورسله واليوم الاخر ، دون العلم بأوامره ونواهيه .

* * *

كماقال الشيخ الفاضل والفقيه الكامل زين المجتهدين رحمه الله ـ ناقلا فى بعض مولفاته عن بعض المحققين ـ : (١) العلماء ثلاثة :

عالم بالله غير عالم بأمر الله ، فهو عبد استولت المعرفـة الالهـيّة على قلبه

---

(١) منية المريد : ص٣٠ .

فصار مستغرقاً لمشاهدة نور الجلال و الكبرياء فلا يتفرغ لتعلّم علم الاحكام الا مالابد منه .

و عالم بأمر الله غير عالم بالله ، و هو الذى يعرف الحلال و الحرام ودقائق الاحكام ، لكنه لايعرف أسرار جلال الله .

وعالم بالله وبأمر الله ، فهو جالس على الحدّ المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات ، فهو تارة مع الله بالحبّ له ، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فاذا رجع من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنه لايعرف الله ، و اذا خلا بربه ، مشتغلا بذكره وخدمته ، فكأنه لايعرف الخلق .

فهذا سبيل المرسلين والصديقين ، وهو المراد بقوله ﷺ : سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس الكبراء .

والمراد بقوله : «سائل العلماء» العلماء بأمر الله غير العالمين بالله فأمر بمسائلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء وأما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لايعلمون أوامر الله ، فأمر بمخالطتهم. وأما الكبراء فهم العالمون بهما ، فأمر بمجالستهم ،لان فى مجالستهم خير الدنيا والآخرة .

ثم قال : ولكل واحد من الثلاثة ثلاث علامات : فللعالم بأمر الله : الذكر باللسان دون القلب ، والخوف من الخلق دون الربّ والاستحياء من الناس فى الظاهر ولايستحى من الله فى السرّ .

والعالم بالله :ذاكر ، خائف ، مستحى . أما الذكر : فذكر القلب لااللسان ، والخوف : خوف الرجاء لاخوف المعصية ، و الحياء : حياء مايخطر على القلب لاحياء الظاهر .

و أما العالم بالله وأمره له ستّة أشياء : الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلاثة اخرى : كونه جالساً على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه معلما للمسلمين ، وكونه بحيث يحتاج الفريقان الاولان اليه وهو مستغن عنهما فمثل العالم بالله و بأمر الله كمثل الشمس لاتزيد ولاتنقص ، ومثل العالم بالله فقط كمثل

القمر يكمل تارة و ينقص اخرى ، و مثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره - انتهى كلامه-

* * *

ومنها : أن لايكون متسرّعا الى الفتوى مشتاقاً اليه ، بل يكون متوقفاً متحرزاً ماوجد الى الخلاص سبيلا ، فان سئل عمّا يعلمه تحقيقاً بنصّ كتاب او نصّ حديث او اجماع او مشاهدة باطنية جلية أفتى ، وان سئل عما شك فيه قال : لاأدرى، وهذا لفظ كأن علماء هذا الزمان حرّموا على أنفسهم التلفظ به عند الاستفتاء عنهم .

وفي الخبر : ان العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولاأدرى .

وقيل : «من سكت حيث لايدرى لله فليس أقل أجراً ممن نطق» لان الاعتراف بالنقص أسد على النفس ، فثوابه أزيد وهكذا كانت عادة السابقين ، وكان بعضهم يقول حين سئل عن الفتوى : أتريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون علينا الى جهنم.

قال ابن مسعود : «الذى يفتى للناس لمجنون»

* * *

ومنها أن يكون أكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثيب الشرور ، وذلك للتوقى عنه والاحتراز من الشر لا للمرايا والممارات كما أن وضع علم المغالطات فى المنطق انما هو لان يحترز الانسان عن الغلط ، لا لان يوقع غيره فى الغلط .

وأمّا علماء الدنيا فأكثر اهتمامهم بتتبع غرائب التفريعات فى الاقضية والحكومات والتعب فى استنباط الصور الدقيقة والاحتمالات البعيدة التى تنقضى الدهور ولايقع مثلها ، وان وقع كان لغيرهم لالهم ، ومع ذلك لايخلو الارض عمن يقوم باستنباطه والشعف بتحصيله طلباً للجاه والشهرة حسبما قدره الله واودع فى غريزة كل أحد ماينا سبه وينتظم به امور غيره فى عالمه - وماأبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثاراً لخدمة الخلق و قبولهم على القرب من الله و حضوره عنده وتهالكاً على أن يسميه البطالون فاضلا عالماً بالدقائق ،وجزاؤه من الله تعالى ماذكره

بقوله: ﴿ اولئك لاخلاق لهم فی الاخرة و لایكلـّمهم الله ولاینظر الیهم یوم القیمة و لایزكیهم ﴾ [٣/٧٧]

* * *

ومن علامات علماء الاخرة واولیاء الله ومجامع نعوتهم انهم منبعثون من موت الجهالة منتبهین من رقدة الغفلة، عارفین بحقائق الاشیاء مشاهدین حساب یوم الدین، قوم تستوی عندهم الاماكن والازمان وتغایر الامور وتصاریف الاحوال، فقد صارت الایام كلها [عندهم] عیداً واحداً، وجمعة واحدة، وصارت الاماكن كلها مسجداً واحداً، والجهات كلها محراباً واحداً ـ وذلك لخروجهم بعقولهم الصافیة وأذهانهم العالیة عن مطمورة عالم الزمان والمكان ـ وتوجهت قلوبهم شطر الحق وتولـّت ذواتهم وجه الله، فصارت حركاتهم كلها عبادة لله وسكناتهم كلها طاعة له، واستوی عندهم مدح المادحین وذم الذامّین، لایأخذهم فی الله لومة لائم، قیاماً لله بالقسط، شهداء لله بالحق وهم علی صلواتهم دائمون تحققوا بقوله تعالی: ﴿ أینما تولـّوا فثمّ وجه الله ﴾ [٢/١١٥] ﴿ لكیلا تأسوا علی مافاتكم ولاتفرحوا بما آتیكم ﴾ [٥٧/٢٣].

وصار دعاؤهم مستجاباً لانهم لایسئلون الا مایكون، ولا یكون الا ماقد كان فی سابق العلم، فقلوبهم فی راحة من التعلق بالاسباب، وأرواحهم فارغة من التكلف بمالایعنی، ونفوسهم ساكنة عن الوسواس، وأبدانهم فی راحة من أنفسهم، والناس منهم فی راحة وأمان، لایریدون لاحد سوء ولایضمرون لاحد شراً ـ عدواً كان او صدیقاً ـ وذلك لعلمهم بحقارة الدنیا وخسة شركائها ودثور أهلها، وارتفاعهم عن الالتفات الی هذا المنزل الادنی.

كما قال امیر المؤمنین عليه السلام: «والله لدنیاكم عندی أهون من عراق خنزیر فی ید مجذوم».(١)

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم: ٢٣٦

وقال ايضاً : « والله مادنياكم هذه الا كعفطة عنز » .(١)

* * *

ان أردت ياحبيبى أن لايشتبه عليك الفرق بين علماء الدنيا المغترّين بلامع السراب ﴿الذين ضلّ سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً﴾ [١٨/١٠٤] وبين علماء الاخرة الناجين من عذاب يوم الحساب ، الفائزين بشهود رب العالمين ، فتأمل فيما وصفناه ، وتذكر ماذكرناه من خواص أهل الله لتعرف منه خواص أضدادهم وأضداد خواصهم ، وان شئت زيادة التميز بين هاتين الطائفتين فتأمل فى حكاية وقعت بين رجلين أحدهما من أولياء الله وعباده الصالحين الذين أنجاهم من عذاب جهنم وأعتقهم من أسرها ، وأخلص نفوسهم من عداوة أهلها ، وأراح قلوبهم من آلام المعذبين فيها . والاخر من الهالكين المعذبين فيها بألوان (بأنواع) العذاب ، المحترقة قلوبهم بحرارة عداوة أهلها ، المتألمة نفوسهم بعقوباتها :(٢)

* * *

قال الناجى للهالك : كيف أصبحت يافلان ؟

قال : أصبحت فى نعمة من الله طالباً لزيادة راغباً فيها ، حريصاً على جمعها، ناصراً لدين الله ، معادياً لاعدائه ، محارباً لهم .

فقال الناجى له : من أعداء الله ؟

قال : كل من خالفنى فى مذهبى واعتقادى

قال : ان ظفرت بهم ماذا تفعل ؟

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة الشقشقية : ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندى من عفطة عنز .

(٢) المحاورة الاتى وشطر ممامضى مقتبسة من رسائل اخوان الصفا الرسالة السابعة من النفسانيات والعقليات : ٣١٢/٣

قال : أدعوهم الى مذهبى ورأيى واعتقادى

قال : فان لم يقبلوا منك ؟

قال : اقاتلهم وأسفك دمائهم واسبى ذراريهم .

قال : فان لم تقدر عليهم ؟

قال : أدعو عليهم ليلا ونهاراً ، وألعنهم فى صلوتى . كل ذلك قرباناً الى الله تعالى .

قال الناجى : فهل تعلم انك اذا دعوت عليهم ولعنتهم أيصيبهم شيء ؟

قال : لاأدرى ، ولكن اذا فعلت ماوصفت لك وجدت لقلبى راحة ولنفسى لذة ، ولغليل صدرى شفاء .

قال له الناجى : أتدرى لم ذلك ؟

قال : لا . ولكن قل أنت

قال : لانك مريض النفس ، معذب القلب معاقب الروح . لان اللذة انما هى الخروج من الالم وليس فى هذا الذى ذكرته من أحوالك تصلّب فى الدين من شيء ، ولاتقوية للشرع المبين ، وانما هى خدمة لقوّتك الغضبية التى تسلطت عليك ، وجعلت قلبك مسخراً اياها فى دواعيها ، رهينا لمآربها السبعيّة . وقد استهزأ بك الشيطان حيث غرّك بأن هذا ترويج للدين ، وخدمة للشرع المبين وبه تمنّ على سيد المرسلين ـ عليه وآله الصلوة والسلام ـ شبه ماحكاه الله سبحانه عن بعض المنافقين بقوله : ﴿يمنّون عليك أن أسلموا قل لاتمنّوا علىّ اسلامكم﴾ [١٧/٤٩] .

واعلم بأنك محبوس فى طبقة من طبقات جهنم ـ وهى : ﴿الحطمة * نارالله الموقدة التى تطّلع على الافئدة﴾ [٧/١٠٤] وانما تشاهد عذابها يوم القيامة عياناً ، الا أن تتقى منها بالفكر الصحيح والعقل السليم ، وتتخلّص بنفسك من عذابها وتنجو بقلبك من عقابها انشاء الله كما وعد بقوله : ﴿ثم ننجّى الذين اتّقوا ـ بمفازتهم ـ ونذر الظالمين فيها جثيّاً﴾ [٧٢/١٩] .

ثم قال الهالك للناجى : فأخبرنى أنت عن رأيك ومذهبك وحال نفسك .

قال : نعم ، أمّا أنا ، فانّي قد أصبحت في نعم الله واحسان لايحصى عددها ولا يؤدى شكرها ، راضياً بما قسم لي رقـ"ـز ، صابراً لاحكامه ، لااريد لاحد من الخلق سوء ، ولا أضمر له دغلا ، ولا أنوى لهم شراً . نفسى في راحة ، وقلبى في فسحة، والخلق من جهتى في أمان . أسلمت لربى، مذهبى ودينى دين أبى ابراهيم عليه السلام أقول كما قال : ﴿فمن تبعنى فانه منّى ومن عصانى فانك غفور رحيم﴾ [٣٦/١٤] ﴿ ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ [١١٨/٥] .

* * *

واعلم أيّها السالك الى جوار الله ان أمثال هذه الآراء والاعتقادات كثيرة ، وأكثر هذه الجدليّات مؤلمة لنفوس معتقديها ومعذبة لقلوبهم ، وهو جزاء لنفوسهم وعقوبة لهم في الدنيا الى وقت معلوم وأجل معدود وفي الاخرة أشد وأدهى ، وهى اذا اشتدت في الاخرة بحسب الظهور والتحقق صارت نيرانات ملتهبة نزّاعـة للشوى وحرقات مشتعلة فظّاعة قطّاعة للقلوب كما أشار اليه بقوله : ﴿فاذا جاءت الطامّة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ماسعى * وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ [٣٦/٧٩] وقوله : ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقيـن * لتروّن الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين ﴾ [٧/١٠٢] .

واعلم انه لايصل الانسان الى معرفة الله على الحقيقة الا بعد جوازه على بعض هذه الاراء الفاسدة ــ اما في أيـام صباه او بعد ذلك ــ ثم ان الله يهدى من يتّقى الشرك به وينجيه منها كما وعد وقال : ﴿ ان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضيّاً * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً ﴾ [٧٢/١٩] .

* * *

قوله عزوجل :

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

قيل : يحييها بالنبات بعد يبسها وجدوبتها ، فكذلك يحيى قلب الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالضلال والكفر . وقيل : هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب ، وانه يحييها كما يحيى الغيث الارض . وقيل : معناه ان الله يلين القلوب بعد قسوتها بالالطاف والتوفيقات .

قد بيّنا لكم الايات ـ من شواهد العقل والنقل كالحجج الواضحات والدلائل الباهرات ـ لعلكم تعقلون ـ فتعلمون بمقتضاها وترجعون الى العبودية التامة .

مكاشفة

اعلم ان مرجع هذه الاقوال الثلاثة الى شيء واحد فى المثال والممثل له جميعاً ، فان الارض مثال للنفس الناطقة الانسانية ، المعبر عنها بالقلب الحقيقى ، لتقلبها بالاحوال ، لاالجسم الصنوبرى الموجود فى الحمير والبغال ، وموتها مثال لكونها هيولانية ليس فيها شيء من المعارف والعلوم الحقّة التى بها يستتم حقيقة الانسان او بتوسطها واعدادها يستعد للحيوة العقلية .

والايات المبيّنة له اشارة الى المقدمات اليقينيّة التى يتوسل بها فى تحصيل الكمال العقلى ، وهو صيرورته عقلا وعاقلا بالفعل بتأييد من الحق الاول بواسطة بعض ملائكة العلامة الفعّالة للحقائق باذنه تعالى .

وهذه الحيوة العقلية هى التى وقعت الاشارة اليها بقوله : ﴿ ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [١٥٤/٢] ﴿ عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ﴾ [١٦٩/٣] وظاهر أن المراد من الحيوة التى يكون عند الله هى الحيوة المعنوية دون الجسمية (الحسية) .

والمراد من رزق الله أن يكون عنده رزق المعارف والعلوم التى بها يتغذّى ويتقوّى الارواح المقدسة ، لاالاغذية الجسمية التى تنمو بها الاجسام المحسوسة ، كما فى قوله : ﴿ ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [١٣١/٢٠] .

وان أردت حقيقة المقال فى بيـان النفس الانسانية ومراتبها فى الاستكمال وبلوغها الى حد الكمال فعليك بمطالعة مابيّناه فى معرفة النفس فى كتاب « **المبدء والمعاد** » فانهـا من الغوامض التى قلما يصل اليها ـ الا من أيّده الله تعالى بنور الكشف والشهود ـ ولايذكر من علم النفس فى كتب الحكماء الا قدر يسير ومرتبة نازلة منه مناسبة لمباحث الطبيعة وأحوال البدن ، وذلك القدر اليسير ايضا قرّة عين السالكين وقد غفل عنه الجمهور كغفلتهـم عن سائر المعارف الضرورية فى سلوك سبيل الحق .

ومما يجب لاأقلّ على كل عارف(عاقل ـ ن) أن يعرف من أحوال نفسه التى هى مرقاة الى معرفة الله سبحانه انها جوهر ملكوتى من شأنها أن تعرف ربها ويتقرّب الى الله تعالى، ويعلم ان من الله مبدأها والى الله منتهاها اذا سلكت طريق الحق واكتسبت المعارف الحقيقية والعلوم ويعلم انها غير البدن الذى أوّله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينها حامل العذرة ، ويعلم ايضا ان جهلها موتها وهلاكها فى الاخرة ـ كماذهب اليه كثير من الحكماء والعرفاء ـ وان حيوتها الاخروية عبارة عن وجود نور مستفاد هو مبدأ للتعقلات ومنشأ لفعل الخيرات ، كما ان حيوتها الدنيوية البدنية عبارة عن كونها منشأ الاحساس والتحريك ، وهو نور يقذف من الحق الاول فيها فينفعل منه كما ينفعل من نور الشمس وجه الارض، فأشرقت بها كما أشرقت الارض بنور ربها ، فعند ذلك يظهر بها الحقائق والماهيات التى ليست معقولة بذاتها كما

يظهر بضوء النهار الاجسام الارضية المظلمة الذوات المستنيرة بنور الشمس، وحينئذ يستعد للاتصال بالملاء الاعلى وعالم القدس .

ولما كان كل مايخرج من القوة الى الفعل ، ومن الموت الى الحيوة ، ومن الظلمات الى النور يخرج بسبب متوسط بينه وبين الله لكونه تعالى فى غاية الوحدة والاشراق والعظمة لايحتمل شدة نوريّته النافذة فى العالم ضعفاء البصائر والابصار الا بمتوسط عقلانى وعالم ربانى، ورسول من الحق الى الخلق ـ كالملائكة للانبياء، والانبياء للخلائق ـ فيجب أن يخرج هذه القوة الميّتة الهيولانية بشىء يكون كاملا بالذات ، فعّالا للمعقولات ، والانوار العقلية كالشمس الفعالة للانوار المحسوسة ، وليست فيه شائبة نقص وآفة وقوة الا الامكان الذاتى الذى هو اعتبار مافى الذهن وقد صار مخفياً تحت سطوع النور الاول الحق بحيث يمتنع ظهوره من كتم الخفاء لتحقق هذا الجوهر العقلى بالوجود الحقانى واتصافه بالوجوب الارتباطى ولكونه تعالى قهّاراً للعدم بالوجود والتحصيل ، جبّاراً لما بالقوة بالفعل والتكميل ، فما يفيض منه سبحانه على سنّة الابداع هى أوائل الموجودات والمهيّمات فى ملاحظة جماله وجلاله ، لاالتفات لهم الى ذواتهم النورية المنورة بنور الاول تعالى فضلا عن غيرهم من عالم الاجسام والظلمات .

فتلك الطبقة العليا من الجواهر المفارقة أنوار عقلية لاظلام فى عالمها وصباحات ضوائية لاليالى لها ، وانما توجد من الطبقة التالية العرضية التى هى فى صف آخر من صفوف العقول والملائكة القادسة ، وهم الادنون فى أسافل العالم الجسمانى ليال عشر من غير التفات منها الى مادونها ، بل عند التفاتهم الى ذواتهم المستنيرة بنور الحق الاول المشاهدة له سبحانه وقعت منهم ظلال الاجسام الكلية وليالى الهيوليات العشر ـ تسع للافلاك وواحدة للعناصر ومايتركب منها ـ وكما يفيض مما يلينا منهم والاقرب بالقياس الينا هيولى هذا العالم السفلى ، فكذلك يفيض منه على القوابل والاراضى العقلية والحسية بما فيه من آثار رحمة الله الصور والنفوس والهيئات والنقوش من كمالاتها الثانوية كما فى قوله : ﴿ فانظر الى آثار رحمة الله

كيف يحيي الارض بعد موتها ﴾ [٣٠/٥٠] ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ [٣٠/١٩] .

فمن هناك يفيض على أرواحنا العلوم الحقة والمعارف اليقينيّة الحاصلة فيها من ذلك العالم ، اذ من المتحقق أن صور جميع ماأوجده الله تعالى حاصلة في عالم الجبروت على وجه مقدس لايشاهد بهذه العيـن الدائرة ، **فذلك الفياض** للعلوم والمعارف ، المكمل للارواح والنفوس وهو المسمى بـ «روح القدس» وهو المعلم الشديد القوى والمؤيد بالقاء الوحي والالهام للانبياء والأولياء الذى كتب فى قلوبنا الايمان والمعارف اذاتوجهنا شطر كعبة الحق والجنبة العالية، واذا أعرضنا عنه بالتوجه الى مشاغل الجنبة السافلة انمحت تلك النقوش عن النفوس ، كمرآة صقيلـة اذا أقبلت الى النيّـر تشعشعت ، واذا أعرضت عنه تخلـّتـ من غير تغيّـر في النيّـر الاعظم بل في أحوال المرآة ـ .

فاذا تحقق هذا المجمل الذى قد فصـّل فى مقامه علم علماً يقينياً : ان الله تعالى يحيي أراضي النفوس القابلة والعقول الهيولانية بعد موتها ـ أى تعلقها بالبدن وغمودها فى النشأة الحسية التى هى منبع الجهل والغفلة والموت بتبييـن الايات العقلية وافاضة المعارف اليقينية التى بها يتنوّر نفس الانسان ويحيي بروح المعارف ويخلص من موت الجهالة ، ويستيقظ من نوم الغفلة ، ويتنبـّه من رقدة الطبيعية ، **ويصير معقولا وعاقلا بذاته** ، فاعلا للصور المعقولة ، واليه أشار بقوله : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ .

* * *

قوله عزوجل :

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

قرء ابن كثير وأبوبكر بتخفيف الصاد فى اللفظين ، والباقون بتشديدهما .

فمن خفف كان الكلام عنده بمنزلة قوله تعالى : ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [٢٧٧/٢] لان المصدقين -بالتخفيف- مأخوذ من « صدق » بمعنى « آمن » ، فهم الذين آمنوا واقرضوا - أى : عملوا الصالحات - اما لان القرض الحسن من جملة الاعمال الصالحة ، لان معناه أن يتصدق من المال الطيّب عن طيبة النفس وصحة النيّة على من استحق للصدقة ، او لان المراد منه مطلق الفعل الحسن والعمل الصالح التى له أجر كريم ، سواء كان بايتاء أمر عينىّ او غيره ، كما أن التصديق حينئذ يتضمن الصدقة .

ومن شدّد كان الوجه عنده أن قوله : اقرضوا الله قرضاً حسناً - اعتراض بين الخبر والمخبرعنه ، فهوللصدقة أشدّ ملائمة منه للتصديق، ولاحد أن يمنع كونه اعتراضيا ألبتّة ، لاحتمال أن يكون معطوفاً على معنى الفعل فى المصدّقين ، لان اللام فيه بمعنى الذين ، واسم الفاعل بمعنى اصدقوا او صدقوا .

وقرء « يضعّف » بالتشديد و« يضاعف » بكسر العين، أى : يضاعف الله لهم من الجزاء أمثال ماأنفقوا فى وجوه الخير- ولهم أجر كريم - لانه يترتب لذاته على فعل الخير، وكلما يترتب على فعل الخيريكون أجراً كريماً ، لان امور الاخرة تكون شديدة قوية فى الالذاذ - ان كانت لذيذة - وفى الايلام - ان كانت أليمة - لعدم الغشاوات والموانع عن الادراك هناك ، وكون المدرك قوياً ، والمدرك مكشوفا وليست اللذة الا ادراك الملائم ، ولاالالم الا ادراك المنافى .

فالمدرك للملائم والمنافي اذا كان في غاية القوة والحدّة ﴿ فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾ [٢٢/٥٠] - والمدرك منهما اذا كان كنه حقيقة الشيء ولبّه وباطنه وسريرته ﴿يوم تبلى السرائر﴾ [٩/٨٦] والادراك ايضا في غاية التحقيق واليقين حيث ينتهي الى مشاهدة العين ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم * ثم لترونّها عين اليقين * ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ [٨/١٠٢] - يكون الالذاذ والا يلام في غاية القوة والشدة ، وهذا هو البيان في كون امور الآخرة في بابها عظيماً شديداً .

مكاشفة

النكتة في ان فعل الحسنة يكون أجره مضاعفاً وفعل السيئة يكون أجره مثله - كما في قوله تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها﴾ [١٦٠/٦] - وجهان : أحدهما من جهة القابل ، والآخر من جهة الفاعل .

اما الوجه الاول : فهو أن حقيقة النفس الانسانية من عالم الامر وعالم الآخرة وسنخ الروحانيات النوريّة ، فوقعت في هذا العالم الجسماني الظلماني لجناية صدرت من أبيه آدم الاول ، وهبطت من الجنة الى الارض غريباً وحيداً أسيراً في أيدي الظلمات ، ملسوعاً بلسع حيّات الشهوات وموذيات اللذات ، مسحوراً بسحر الطبيعة ووساوس الشياطين ، كما في قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ [٥/٩٥] .

ثم ان كل عمل وفعل صدر من الانسان في هذا العالم يحصل منه أثر في قلبه لارتباط شديد بين النفس والبدن ، فيحصل من تكرر الافاعيل في النفس أخلاق وملكات هي مواريث المعاملات ، فاذا تكررت الافاعيل الحسنة - من الصيام ، والقيام ، والاطعام ، والصدقات بحسن النيات وصدق الطويّات - ظهرت من دوام

تكررها هيئات حسنة راسخة فى النفس، فيتنور عندها بنور الصفات الملكية ويسهل معها صدور الفضائل والخيرات ، كما قال الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى ﴾ [٩٢/٥-٧] .

وكذلك اذا تكررت الافعال الذميمة والسيئات ـ من البخل ، والاستكبار، والكذب ، وغيرها ـ حصلت من دوام تكررها صفات ذميمة راسخة فى النفس ، فتنكدر عندها بكدورة المعاصى ، فيسهل معها صدور القبائح منها مما لم يكن يصدر قبل ذلك بتلك السهولة ، كما قال سبحانه : ﴿وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ [٩٢/٨-١٠] ولو لم يكن تكرر الافاعيل مورثاً لحصول الملكات فى النفس لم يحصل للانسان الصناعات العلمية والعملية .

ثم لما كانت الافعال الحسنة مناسبة لعالم القدس وموطن النفس مقرّبة لها من عالمها ، مذكّرة لها عهدها القديم مع أقاربها والافها . والافعال القبيحة ، مناسبة لعالم الجحيم ، مبعدة لها عن عالمها ـ والمناسب للشىء يكون أسرع تأثيراً من المخالف الغريب فى اخراج ذلك الشىء عما يقتضى طبعه ـ فالافعال الحسنة والخيرات أقوى تأثيراً فى سعادة النفس وكمالها وتذكرها وقربها اليه تعالى من الافعال القبيحة والشرور فى شقاوتها ونقصها ونسيانها وبعدها عنه تعالى .

* * *

وثانيهما ان رحمته تعالى فائقة على غضبه ، سابقة عليه ، كما قال : **« سبقت رحمتى غضبى »**.(١) حتى أن عين الغضب وماهيته انما وجدت منه تعالى برحمته التى وسعت كل شىء . كيف والوجود الفائض منه على كل شىء هو عين الرحمة عليه ، فوجود الغضب انما هو من رحمة الله على عين الغضب فسبقت نسبة الرحمة اليه تعالى على نسبة الغضب ، وذلك لان الرحمة ذاتية للحق وعين الغضب ناشية من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق والرحمة التامة ، واليه الاشارة فى قوله

(١) البخارى : كتاب التوحيد ، ١٦٥/٩

سبحانه : ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[٧٩/٤] اى من سوء استعدادك وان كان الكل من عندالله اذ لااستقلال لغيره فى الايجاد .

وفى الحديث النبوى ﷺ : ان الخير كلّه بيديك والشر ليس اليك .

ومن أمعن النظر فى لوازم الغضب ـ من الامراض والآلام والفقر والجهل والموت وغير ذلك ـ يجدها كلها اموراً عدميّة ، فالرحمة ذاتيّة للحق ، والغضب عارضة ناشية من أسباب عرضية .

فاذا كان كذلك كان باعث الرحمة أسهل وجوداً وأقلّ أسباباً وأيسر تحققاً ، اذ يكفيه امكان القبول لها . وباعث الغضب بخلافه ، اذلايكفى مجرد امكان المحل، بل لايتحصل الا من وجود المنافى للرحمة ، المانع اياها ، فقابل الرحمة وداعيها لايحتاج الى تعمّل كثير، غيرصفاء الذات ، وخلوص الفطرة ، وصقالة وجه القلب عن الكدورات ، بخلاف داعية الغضب ، فانها لوجود المعاصى والقبائح الغريبة من الفطرة الاصلية التى فطر الناس عليها ، ولهذه الدقيقة عبر عن باعث الرحمة « **بالكسب** » ، وعن باعث الغضب « **بالاكتساب** » لما فى مفهومه من التعمّل الزائد على مافى الطبع فى قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾[٢٨٦/٢].

* * *

فان قلت: ما الوجه لخصوصية ذكر العشرة فى التضعيف لاغيرها من الاعداد؟

قلنا : وجه ذلك كون الانسان معوقاً فى الدنيا عن فعله الخاص به ـ الذى هو ذكر الله ومعرفة ملائكته ورسله والدار الاخرة ـ لانغمار نفسه فى الحسيات واشتغاله بالجسمانيات، وهذا بخلاف فعل المعاصى والشهوات ، فانها ممايلائم البدن وقواه، فلايزاحمنا بل يعين عليها القوى البدنية . ولما كان المبدأ الادراكى للافاعيل العقلية والطاعات قوة واحدة ـ هى الناطقة ـ والمبدأ الادراكى للافاعيل الحسيّة والمعاصى قوى عشرة ـ أى الحواس الخمس الظاهرة ، والخمس الباطنة ـ فكل حسنة تصدر عن القوة العاقلة لابد فيها ـ لكونها على خلاف طبائع القوى ـ من مجاهدة وقعت من العاقلة مع كل واحدة من تلك العشرة ، وكل مجاهدة لها أجر

واحد ، فكل حسنة تستلزم عشر حسنات مستدعية لعشرة أمثال أجر احديها ، واليه الاشارة فى قوله تعالى : ﴿ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين وان يكن منكم مأة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ﴾ [٨/٦٥] .

قوله عزوجل :

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ

الصدّيق : الكثير الصدق المبالغ فيه . وهو اسم مدح وتعظيم .

قال الزمخشرى : « أى : هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء ، وهم الذين سبقوا الى التصديق ، واستشهدوا فى سبيل الله ـ لهم أجرهم ونورهم ـ أى مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم » .

ثم استشكل بعض المفسرين فى هذه المماثلة بينهم فى الاجر والجزاء مع تفاوت قدرهم . فأجاب عنه بعضهم باعطاء الله تعالى أجر المؤمنين مضاعفاً بفضله ورحمته ، حتى يساوى أجرهم مع المضاعفة أجر اولئك .

وفيه نظر بعد ، لان باب الرحمة والتضعيف كما انفتحت لهؤلاء ، انفتحت لاولئك ، لان الله تعالى واحد لاتغيّر فيه فيّاض على الجميع ، ولو كان المراد أن أجر هؤلاء مع التضعيف مثل أجرهم ـ لامعه ـ يفوت مدح المؤمنين ـ والمقام مما يقتضيه ـ .

والاولى أن يراد من الايمان بالله والرسول مرتبة كاملة من المعرفة التى لايتحقق الا فى العلماء ، أو يراد منه الايمان الحقيقى الباطنى الكشفى ، وهو الذى يكون للاولياء والعرفاء خاصة ، فانهم هم الصدّيقون والشهداء لغاية تصديقهم الحاصل بالكشف ، وفنائهم عن ذاتهم الحاصل بسبب المجاهدة الباطنية مع النفس وقواها الامّارة .

قال مجاهد : كل من آمن بالله ورسله فهو صدّيق شهيد ـ وقرء هذه الاية .

لهم أجرهم ونورهم : أى لهم ثواب طاعتهم ونور ايمانهم وهو النورالذى يهتدون به الى طريق الجنة ، وهذا قول عبدالله بن مسعود ورواه البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ.(١)

وروى العياشى بالاسناد عن منهال بن قصاب ، قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : ادع الله أن يرزقنى الشهادة .

فقال عليه السلام : المؤمن شهيد ـ وقرء هذه الاية ـ

وعن حارث بن المغيرة ، قال : كنا عند أبى جعفر عليه السلام فقال : العارف منكم هذا الامر ، المنتظر له ، المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمّد بسيفه .

ثم قال بل : والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه .

ثم قال الثالثة : بلى والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ فى فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله ـ وقرء هذه الاية ثم قال : ـ صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم(٢)

وقيل : ان «الشهداء» منفصل عمّا قبله مستأنف ، والمراد بالشهداء :الانبياء الذين يشهدون للامم و عليهم ـ وهو قول ابن عباس ومسروق و مقاتل بن حيان ، واختاره الفراء والزجاج .

وقيل : هم الذين استشهدوا فى سبيل الله ـ عن مقاتل بن سليمان وابن جرير .

* * *

(١) مجمع البيان : فى تفسير الاية .

(٢) مجمع البيان فى تفسير الاية .

مكاشفة

اعلم ـ أيها السالك ـ ان لفظ « الايمان بالله و الرسول » يطلق بالاشتراك والمجاز العرفى بين مراتب متفاوتة فى المعرفة :

احديها : ماتلقفه العامى تقليداً اوتسليماً من غير بصيرة كشفية ولامعرفة كسبية سواء كانت برهانية اوجدلية ـ وهو الايمان باللسان ، وفائدته : العصمة لصاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان .

و ثانيتها : مايستفاد من صناعة الجدل و طريق المتكلمين ، وفائدتها : حراسة العقيدة عن الجاهدين والمفسدين وقطّاع طريق الحق للسالكين ، وليس فيه انشراح وانفتاح ، ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الاخرة خالداً ـ ان كان مع شرائطه ـ

والثالثة: مايستفاد من البرهان اليقينى ـ كما فى طريقة الحكماء ، وفائدتها: حصول المعرفة الحقيقية للمبدء القيّوم وصفاته وأفعاله .

و الرابعة : ما يستفاد من الرياضات و المجاهدات و تـرك التعلقات والزهد الحقيقى عن الدنيا وطيباتها ، وفائدتها : الوصول الى جناب الحق ومشاهدة صفاته وأسمائه وأفعاله من حيث هى أفعاله.

فالايمان ينقسم الى قشر ، وقشر القشر ، ولبّ ، ولبّ اللبّ ، كالجوز مثلا فان له قشرين ولبّين :

فالمرتبة الاولى أن يقول : «لااله الاالله» وربما كان مع الغفلة او مع الانكار الانكار القلبى كما فى المنافقين.

والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ ضميراً ، كمايصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد بوجه له مناسبة الى ماهو الحقيقة بخلاف الاول فانه تقليد محض.

و الثالثة : أن يشاهد ذلك بالنظر الى طبيعة العالم و امكانها و افتقارها الى

مايرجّح وجودها على عدمها ، ثم بمايلزم الوجوب الذاتی من الرحمة والجود ، وهداية الحق بارسال الرسل و انزال الكتب ، و الجزاء لهم يوم المعاد و الثواب للمحسن والعقاب للمسیء اوالعفو عنه ، الأن يكون فيه ماينافيه من الكفر و الاصرار والجهل والاستكبار .

الرابعة : أن يشاهد ذلك مشاهدة الموجود الحقيقی وصفاته وآثاره، ولايری للافعال والاثار وجوداً استقلالياً ، فلاينظر الی شیء الاويری الحق فيه مع تفاوت المرائی صفاء و كدورة ، وتفاوت ظهور الحق فيهاجلاء وخفاء.

و هذا عبد قد استولت عليه الانوار الاحدية ، و ظهرت له سواطع العظمة الالهية ، فجعله هباءمنثوراً ويندك عنده جبل انيته ، فيخرّ له خروراً ، وفی هذاالمقام يستهلك فی نظره الاغيار ، ويحترق بنوره الحجب والاستار ، فينادی الحق : لمن الملك اليوم ؟ و يجيب بنفسه لنفسه : لله الواحـدالقهار . و المؤمن بهذه المرتبة يقال له :« الولی »و« الصديق » و« الشهيد »

اما كونه ولياً ، فلانه لايحب الله أحداً غيره وهولايحب غيرالله ، أماالاول: فلان غيره لايعرف الله ، و المحبة تتبع المعرفة بل عينها ـ لانها ادراك الملائم من حيث هوملائم ، والملائم لكل أحد لوسلم مذاقه عن الامراض النفسانية ولم يخدر طبعه بالمعاصی الجسمانية ، هوالمعبود الحق الذی به وجود كل شیء وكماله ـ وأماالثانی : فلان غيرالله لاوجود له عندالولی ، والمحبة تتبع الوجود للشیء عند المحب .

واما كونه صديقا : فلكون كمال رتبة الصديق يكون بكمال رتبة المعرفة ، وأكمل مراتب المعرفة هو المشاهدة ، فمن شاهدالوجودالحقيقی ومرتبته فی الكمال وشمول الافاضة وعموم الرحمة منه على كل شیء بحيث لامشارك له ـ لافی الوجود ولافی الايجاد ـ فهوالصديق الاعظم لاغيره ممّن لايعرف الحق وفيضه الابالدليل او التقليد من غير بصيرة و كشف.

واما كونه شهيدا : فلشهادة نفسه فی طريق الحق وعدم التفاته الی هذه الحيوة

الدنيا ، اذ الشهادة عبارة عن قبض الروح فى حالة لم يبق فى القلب سوى حب الله ، و خرج حب جميع الملاذ و الشهوات عن القلب ، لان من يهجم على صف القتال فهو يوطن نفسه على الموت حبا لله ، و طلبا لرضاه ، وبائعا دنياه بآخرته ، راضيا بالبيع الذى بايعه الله ، اذ قال الله تعالى : ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [١١١/٩] و البائع راغب عن المبيع لامحالة ، ومثل هذه الحالة تحصل للقلب فى بعض الاحوال فى غير العرفاء ، ولكن لايتّفق زهوق الروح فيها، فالوقوع فى صف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحال ، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة والصيت بالشجاعة ، فان من هذا حاله - وان قتل فى المعركة - فهو ليس بشهيد ، لبعده عن مثل هذه الرتبة ، كما دلت عليه الاخبار .

فقد علم ان رتبة الشهداء انما يحصل لاجل أنهم جردوا أنفسهم عن التعلق بالحيوة الجسمانى ابتغاء لوجه الله ونصرة لاوليائه فى نيّة اظهار شريعته وخرجوا عن الدنيا عند تكلف هذه الحالة ، ففازوا بالنعيم الابدى .

وأما العرفاء فقد خرجوا عن التعلقات بماسوى الله تعالى ، وقصروا النظر على وجه الله ، من غير التفات الى ذواتهم فضلا عن غيرها وحصل لهم الموت الارادى عن هذه النشأة الدنياوية ، و هذه الحالة هجّيراهم من غير تعمّل و كلفة ، فهم الشهداء بالحقيقة قبل حصول الموت الطبيعى او القتل لهم ، لانهم قبل انقضاء هذه الحيوة الدنياوية و انهدام بناء هـذه الجثة الطبيعية - أحياء عند ربهم حيوة طيبة عقليّة ، يرزقون بالارزاق المعنوية والاغذية العلميّة فرحين بما آتيهم الله من فضله فحينئذ يستقيم معنى الاية من غير تمحّل .

* * *

قوله عزوجل :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

الكفر : هو عدم الايمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً ، والايمان ـ كما علمت ـ هو المعرفة بالله و كتبه ورسله واليوم الاخر ، فالكفر هو الجهل بهذه المعارف، سواء كان مع الجحود والاستكبار و تكذيب الرسول وما أتى به ، أم لا و الاول يستلزم الخلود فى النار قطعاً ، والثانى يحتمل النجاة و لو بعد المكث طويلا او قصيراً ، ويدل على خلود الكفّار المكذبين فى النار التعبير عنهم و الحكم عليهم بأصحاب الجحيم .

مكاشفة

كما ان مجامع سعادات الانسان ترجع الى تحلية قوته العلميّة بالعلوم الحقيقية وحقائق الايمان بالله و اليوم الاخر ، وتخلية قوته العملية من ذمائم الاخلاق ورذائل الملكات ، كذلك جوامع الشقاوات ترجع الى انتقاش النفس بنقائض المعارف الحقة واتصافها بنقائص الصفات الذميمة .

وانما صار الجهل الراسخ ـ المعبّر عنه بالكفر ـ والخلق الكريه ـ المؤدى الى تكذيب الرسول المؤيد بالمعجزات ـ موجباً للخلود فى النار لان الجنسية علة للضم ، و المرء يحشر مع محبوبه ، و الجحيم انما هى من حقيقة هذه الدار لكن ظهورها فى هذه الدنيا بصورة الشهوات و اللذات ، و فى الاخرة بصورة النيران والجحيم والزقوم ، فاذا رسخت محبة الدنيا فى النفس ونسيت عن ذكر الله ، صارت فى الاخرة محجوبة عن لقاء الله و لقاء اوليائه الصالحين ، وبقيت فى كرب السعير

و عذاب الجحيم ، لرسوخ محبتها اياها فى هذه النشأة و ارتكان [ارتكاز ـ ن] تعلقها بها .

وانما لم يتألم النفس بعذاب الشهوات ، و لم يتأذ بلسع حيّات ملاذ الدنيا وعقاربها قبل الموت مع كونها متصلة محيطة بها غير مفارقة عنها ـ لقوله تعالى : ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٤٩/٩] لخدر الطبيعة و سكرها الحاصل بسبب قلة المعرفة ، وكثرة الاشتغال باكتساب أسباب الدنيا وجمع حطامها .

وربمايوجد من الناس من يجد الالم عين الراحة والراحة عين الالم، فيأكل الحميم والزقوم فى هذه الحيوة الفانية مشتهياً لذيذاً عند ادراكه ، ويعوق عن ادراك العقائد الحقة التى هى العسل المصفى ، واللبن الذى لم يتغير طعمه، لكونه محجوباً عن ادراك كل من القبيلين بصورته الظاهرة ، فالشهوات لذيذة حلوة عنده، والموعظة الحسنة والكلمات الحقة كريهة مرة لديه .

وهذا لاجل مرضه الواقع بسوء العادات ، كمايلتذّ بعض الناس بأكل الطين، و كما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ، و يستحلى الاشياء المرة ، كمن به مرض «بوليموس» حيث يأوف حسه لغلبة الخلط السوداوى ، ويخدر ذائقته عن ادراك الطعوم على وجهها ، فيجد المرحلواً والحلومراً ، كماقيل شعراً :

فمن يك ذافم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

والافالقلب السليم والعقل الصحيح لايلتذ الا بذكر الله و معرفته ولقائه ، لان ذلك كماله وغذاؤه وقوته ، لاالامور المحسوسة الدنياوية من المال والبنين وغيرهما من الامور التى خلقت لاجل الانتفاع بهافى طلب الاخرة و السلوك الى الله تعالى ، لاللالتذاذ و التعشق ، ولما كان الكمال الحقيقى والخير المحض هو معرفة الحق الاول وملكوته التى ستقلب فى الاخرة مشاهدة له ، وهوانما يتأتى بالقلب السليم من مرض العادات السيّئة من مؤانسة المحسوسات ، قال سبحانه : ﴿يوم لاينفع مال ولابنون الامن أتى الله بقلب سليم﴾ [٢٦/٨٩].

* * *

قوله عزوجل :

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ
فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
مَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

زهدالله سبحانه الناس عن الركون الى الحيوة الدنيا ورهّبهم عن التورط في مشتهياتها بأبلغ وجه و آكده حيث بيّن ان محقرات مشتهياتها و مختصرات لذاتهاليست في الواقع وعند اولياءالله الذين نظرهم على حقائق الامور و بواطنها الاموراً وهمية باطلة زائلة ، وهى اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر ، لاانها كذلك من باب التجوز والتشبيه لعلاقةالاشتراك بينهما فيعدم البقاء ـ كما وقعفي بعض التفاسير ـ فان ذلك بحسب النظر الجليل و ادراك أهـل الحجاب . ولا انها كذلك بحسب المبالغة والتخييل كماهو عادة الشعراء وأهل القصص ـ أعوذ بالله أنأكون منالجاهلين ـ بلهي بحسب التحقيق ليست الاهذه المذكورات وليست الامتاع الغرور ، كما مثلالله تعالى : ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مـاء حتى اذاجائه لميجده شيئا﴾ [٢٤ /٣٩] وكما انامورالدنيا ليست الااوهاممحضةوخيالات صرفة فامورالاخرة بعكس ذلك ، اذليست الاموراً عظيمة ثابتة الهيّة . لانهابواطن الاشياء وحقائقها التى لاتبيد ولاتنقص .

وقيل : « اللعب » مارغب في الدنيا ، و«اللهو» ماالهى عن الاخرة و«الزينة» مايتزينون بها فيالدنيا ويتحلون في أعين أهلها ثميتلاشى .

و منشأ التفاخر بين الناس هـو القوة الغضبيّة والهيئة السبعيّة التى لاتزال توجب التفوق على الاقران والترفع على الاشباه ، ومنشأ التكاثر هو القوة الشهويّة والصفة البهيميّة التى لاتزال تطلب تزايد المشتهيات .

ثم انه تعالى مثّل حال الدنيا وسرعة انقضائها وفنائها مع قلّة جدويها بنبات انبته المطر فاستوى و استكمل و أعجب الكفّار نباته ـ دون غيرهـم ـ لانهم هم المفترون بالامور الباطلة الواهية الباطلة ، بسبب مـا يخيل ويروق لهم من ظواهر زينتها بما ينكرون الاخرة و لايعرفونها ، فهم بها أعلق ، و هى لها أروق وألمع ، لالاهل الله والمؤمنين حقاً .

وليس المراد منه المبالغة فى وصف النبات وبيان حسنه بأنه يعجب الكفّار مع جحودهم لنعمة الله فيما رزقهم ـ كما قيل ـ بل اعجاب الكافر بيان للواقع فى الحكاية التى مثل بها الحيوة الدنيا ويجوز أن يكون اشارة الى القصة المذكورة فى القرآن لصاحب الجنّة والجنتين .

و قيل : الكفار : الزراع ثم بعث عليه الافة فهاج ـ اى ييس و اصفر وصار حطاماً ، اى : ماينحطم و ينكسر بعد يبسه عقوبة لهم على جحودهم و كفرانهم ـ وفى الاخرة عذاب شديد ـ أى : لمن رغب فى الدنيا فيشغله عن ذلك الاخرة ـ ومغفرة من الله ورضوان ـ اى : لمن تزود منها للاخرة .

وما الحيوة الدنيا ـ لمن ركن اليها وتطمئن بها ـ الامتاع الغرور ـ كلامع السراب للظمآن حيث يتخيّل له لغاية ظمائه ان لـه حقيقة . كذلـك حكم الدنيا للناقصين وضعفاء العقل يتخيّل لهم مافيها لذة و كمالا فيغترون بها .

* * *

اعلم (١) ان ما يوجب عقوبة أهـل الجحيم فى الاخرة و تعذيبهم بالعذاب

---

(١) من هنا الى قول المصنف : «فان قلت كيف حكم الله» ص٢٣٩ س٥ جاء فى نسخة بين قوله « بقلب سليم » و«اعلموا انما الحيوة .. » ص٢٣٥

الاليم هو بعينه موجود معهم فى الدنيا يعذب باطنهم بنيرانه ، وذلك هو الاعتقادات الفاسدة و الاخلاق الردية التى كلها نيرانات ملتهبة و حرقات مشتعلة يوذى صاحبها ويوجب العداوة والبغضاء لهمع أبناء الدنيا الذين سيصيرون من أصحاب الجحيم، والخصومة معهم فى مقاصدهم ومآربهم الخسيسة الدنياوية ، وهذه الجهالات وذمائم الملكات كمايوجب التعذب بها لصاحبها فى الاولى ، فهى بعينها التى توجب التعذب بها لهم فى الاخرى على وجه أشد و أبقى ، لقوله تعالى : ﴿ ولعذاب الاخرة أشد وأبقى ﴾ [١٢٧/٢٠] فان امور البدن و أشغال الدنيا هيهنا يلهى ويغفل الروح عن دركها كماهى ، بخلاف النشاة الثانية ، فان البدن الاخروى لايلهى الروح عن ادراك الالام ان كانت شقيّة - كما لايلهيها عن ادراك اللذات الاخروية ان كانت سعيدة .

فأهل النار اذا دخلوها تسلط النار على ظواهرهم وبواطنهم لان ظواهرهم عين بواطنهم - كما حققناه فى بعض كتبنا عند اثباتنا المعاد الجسمانى بالاستبصار العقلى ايضاً ، كما هو ثابت عند الجمهور من المليين والحكماء الاسلاميين بالنص النقلى - وليس لحقيقة العذاب تسلط هيهنا على ظواهر الاشقياء ، لكن ظواهرهم مباثنة لبواطنهم - الانحواً ضعيفاً لم يتنبهوا عليه لخدر الطبيعة وسكر البدن وجهل المادة.

فاذا تسلط عذاب النار على ظاهرهم و باطنهم و أحاط بهم سرادقهم ملكهم الجزع والاضطراب ، فيكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً، متخاصمين متقاولين، كمانطق به كلام الله فى مواضع متعددة مثل قوله تعالى : ﴿ كلما دخلت امة لعنت اختها﴾ [٣٨/٧] وقوله تعالى : ﴿ان ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [٦٤/٣٨] .

و كما ان هيآت امراض الجهل وغيره من الصفات اذا كانت راسخة مقرونة مع العناد والاستكبار لايمكن أن يزول أصلا ، فكذلك الاشقياء المردودون من الكفرة والمتجبرين لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ، فكلما طلبوا أن يخفف عنهم العذاب وأن يقضى عليهم واستغاثوا أن يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم ، كما حكى الله تعالى عن اقتراحهم و استغاثتهم بقوله تعالى : ﴿ يامالك ليقض علينا ربك﴾ و عن عدم اجابتهم بل منعهم عن السؤال وطردهم عن الاقتراح بمثل قوله

تعالى : ﴿انكم ماكثون﴾ [٧٧/٤٣] ﴿اخسئوا فيها ولاتكلمون﴾ [٢٣ر١٠٨]

فلمايئسوا وطئوا انفسهم على العذاب والمكث على ممر السنين والاحقاب ، وتعللوا بالاعذار ، ومالوا الى الاصطبار وقالوا : ﴿ سواء علينا أجزعنا أمصبرنا مالنا من محيص ﴾ [١٤ر٢١] .

* * *

فان قلت : كيف حكم‌الله على الحيوة الدنيا بأنها لهو ولعب - اى باطل موهوم لاحقيقة لهامع أنها ثابته فى‌الواقع والثابت فى‌الواقع لايكون باطلاموهوماً؟

قلنا : يمكن الجواب من هذا بحسب جليل النظر انه ليس المراد مماذكره سبحانه ان‌الحيوة الدنيا التى هى‌القوة على الحس و الحركة أمر موهوم ، اذلاشك فى‌انها أمرثابت فى بعض‌الاوقات - وان‌لم‌يكن‌دائمياً - بل‌الغرض‌منه‌ان‌هذه‌الحيوة ليست حقيقية‌يمكن ثبوتها فى‌حق الانسان بما هو انسان - اى ذوجوهر روحانى هو محل معرفة‌الله - لان حيوته‌حيوةعلمية نطقية اخراوية - و الحيوة الحسية الدنياوية هى‌حيوة تتصف بهاالحيوانات بماهى حيوان - اى ذوجوهرحساس - واذااتصف بهاالانسان فى‌بعض‌الاوقات فانمايكون بماهوبه حيوان ، لابماهو به انسان .

فاتصاف الانسان بتلك‌الحيوة الحسية باعتبارأن‌له‌قلباً حقيقياً هومحل‌معرفة‌الله أمروهمى ، اذلاوجود لها للانسان الامجازاً لعلاقةالارتباط بين‌حقيقة الانسان-الذى هوروحه‌المشار اليها ب‍« أنا » - والجسد الحيوانى الواقع تحت جنس‌الحيوان‌عند أخذه لابشرط شىء اى بالاعتبارالذى به‌حيوان - لابماهو به بنية ومادة - وقدتبيّن الفرق بينهما فى‌علم الميزان .

ويمكن أن يقال بحسب دقيق النظر: ان‌المراد من‌الحيوة الدنيا نفس الادراك الحسى للامور الدنياوية - تسمية للشىء باسم ماينبعث عنه ويتم به - فان الحيوة الحيوانية انمايتم بالحس والحركة . وغاية‌الحركة ايضا هوالحس فى‌غيرالانسان. والاحساس بالشىء لايتم الا بالتوهم والتخيل ، والموهوم اوالمتخيل بماهوموهوم اومتخيل لاوجود له فى الخارج - بل فى الذهن- وكل مالاوجود له فى الخارج

فهو لهو ولعب اى باطل .

ولو تفطن متفطن لعلم أن كل من يلتذ بأمر من الامور الدنياوية او يتألم به فانما يتلذ ويتألم بما هو حاضر فى ذهنه - مع قطع النظر عن الخارج حتى لو جزم انسان بوجود أمر ملائم له لكانت لذته بذلك الملائم متحققا وان عدم فى الواقع. وذلك كمن عشق واحداً واعتقده فى غاية الحسن والجمال، اذ ربما كان التذاذه بوجوده وتشوقه بجماله ثابت مدة مديدة يظن أنه موجود فى موضع كذا من داره - وهو قدمات منذاول تلك المدة- فعلم ان وجوده الخارجى ليس موضوع هذه المحبوبية لفقده، فقس عليه حال جميع المحبوبات والمعاشيق الدنياوية فى أنها أوهام محضة لاوجود لها فى الخارج ، والحيوة الدنيا ليست الا حالتك قبل الموت بالقياس الى هذه المحسوسات .

ومماينبغى لك أن تعلم انه ليس حصول التعقلات الكلية، وادراك المعارف الالهية ، ونيل الحقائق الكونية على النحو الذى هى عليه للانسان من جملة الحيوة الدنيا الحسية أصلا، بل انما هى له لاجل مابه من النشأة الاخروية والحيوة الادراكية العقلية

وقد علم مماذكران هيهنا حكمين: احدهما كون الامور الدنياوية من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فى أنفسها وبحسب جواهرها وذواتها اموراً وهمية . وثانيهما : ان وجود هذه الاشياء للانسان وهمى . وكلا الحكمين حق وصواب .

أما الثانى : فلما أشرنا اليه من أن وجود الذهب فى نفسه ليس ملذاً للانسان بل الاعتقاد بوجوده له مما يلتذ به .

وأما الاول : فلما حققناه فى موضعه موافقا لما عليه المحققون من العلماء فضلا عن الاولياء والعرفاء من أن المركبات المحسوسة الجزئية لاوجود لها منفرداً عن الحقائق البسيطة المعقولة التى يتقوم بها تلك الجزئيات، وقد صرحوا بان مناط وجود الجزئيات المادية محسوسيتها ومناط المحسوسية وجود الشىء للجوهر الحاس وقد علمت أن الاحساس لايتم الا بالتوهم، اى الوجود للقوة الوهمية التى

هى من جنود الشيطان .

* * *

واعلم ان لذات الحيوة الدنيا انما هى لعب ولهو لانها من فعل الشيطان ، والا فليست امور الدنيا بماهى هى - اى بالحيثية التى بها ثابتة وحق - لذيذة ، لان لكل شىء حقيةّ، وحقية امور الدنيا، تجددها وزوالها وانصرامها وفنائها، لانها أكوان ناقصة واقعة فى جهة السلوك الى الله تعالى والارتقاء اليه . والسالك بما هو سالك ليس له فى حدود سلوكه كمال ، فان الحركة هى نفس الخروج من القوة الى الفعل ، فهى مابين صرافة القوة والفاقة ومحوضة الفعل ، والوجود واللذة الحقة من توابع الوجود الحق الذى يتوجه اليه الموجودات ، والتوجه الى الحق انما هو بقطع الحجب الظلمانية الساترة للحق لاجل الوجود الموهوم ينسب اليها بحسب القوة الوهمية ، فعالم الكون كله خيال فى خيال **كما يقال :**

كل مافى الكون وهم اوخيال اوعكوس فى المرايا اوظلال

فحقيةّ العكس اوالخيال اوالظل اذا اخذ من حيث كونه عكسا اوخيالا اوظلا واما اذا اخذ العكس اصلا والخيال عينا و الظل شخصا فيكون كل منها باطلا ، كما فى **قول لبيد :**

ألا كل شىء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

لان ماخلا الحق تعالى معلول ممكن ، والمعلول اذا اخذ منسوباً الى الحق كان حقا بحقيةّ الحق وواجبا بوجوبه ، واذا اخذ غير منسوب اليه - بل منفرداً عنه - كان باطلا ، فالعالم بماهو عالم وسوى الحق باطل ، لكنه موهوم الوجود ، كما ان الظل موهوم الوجود ، والوهم من فعل الشيطان ، والواهمة من جنوده ، وكذا كل متوهم من حيث هو متوهم - اى مذعن لاحكام الوهم - من جنود الشيطان .

كما ان العقل من جنود الحق ، وكذا كل عاقل - أى مذعن لاحكام العقل - وقد علمت ان التطارد بينهما فى معركة القلب الانسانى قائم كما مرّ ، والمعقولات جنةّ العقل وجنوده، يلتذّ بها ويتبوء فيها حيث يشاء، كما ان الموهومات جنةّ الوهم

وجنوده يستلذّ بها وينسرح فيها حيث يشاء .

* * *

قال بعض العلماء : ان ابليس لماتمّت حيلته على آدم ، ووصل بالاذية اليه ، ونال بغيته وبلغ امنيته ، وسأل ربه الانظار الى يوم يبعثون فاجيب الى يوم الوقت المعلوم ، اتخذ لنفسه جنّة غرس فيها أشجاراً وأجرى فيها أنهاراً ليشاكل بها الجنّة التى أسكنها آدم ، وقاس عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحلة لابقاء لها وجعل مسكن أهله وولده وذريته وهى كمثل السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جائه لم يجده شيئاً، وذلك انه من الجن ، وقد قيل : ان للجن التخيّل والتمثل لما لاحقيقة له ، كذلك فعل ابليس وجنوده انما هو تمويه وتزويق ومخاريق لاحقيقة لها ولاحق عندها ليصد بها الناس عن الطريق القويم والصراط المستقيم ، وبذلك وعد ذريّة آدم اذ قال : ﴿لاتينّهم من بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين﴾ [١٧/٧] .

والجنة التى غرسها ابليس لذريّته ليصدوا بها ذريّة آدم عن الجنة التى كان فيها هى الامور الدنياوية والشهوات الدنيّة الوهمية وفعل الخطايا والمآثم، وارتكاب المحارم ، وحب القنية الفانية ، والخروج عن طاعة الله ومتابعة الذين أخلدوا الى الارض ورغبوا فى الدنيا وعاجلها ، ودعوا الاخرة وآجلها ، التى هى دار القرار ومحل الاخيار ومقام الابرار وجميع هذه الامور لعب ولهو كما وصفها الله تعالى به ، فالعاقل هو الذى وفّق للخروج من جنّة ابليس فيرجع الى جنّة أبيه وذريّته الطاهرين ويتخلص من أدناس ذرية ابليس أجمعين وأتباعهم ، وهم المعتكفون على الامور الدنياوية المكبّون على اللذات والشهوات الدنية التى ستنقلب بعينها فى الدار الاخرة الى ألوان العقوبات وأنواع الالام والمحن الشديدة كما أشار سبحانه بقوله فى هذه الاية: ﴿وفى الاخرة عذاب شديد﴾ فهم فى العذاب مشتركون وبذلك وعد ربهم اذ قال لابليس : ﴿ لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ [٨٥/٣٨] .

قوله عزوجل :

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾

الاعداد : التهيئة . اى : وضع الشيء لما يوجد في المستقبل على مايقتضيه او يناسبه . و « الفضل » و « الافضال » و« التفضّل » واحد وهو : النفع . وهواما المعنى الحدثي المصدري او الامر الحاصل به ، والثاني هو المراد هيهنا .

ومعنى الاية : انه تعالى بعدمابيّن انالحيوة أمرلاحقيقة لها سوى كونها خيالا موهوماً ـ بالوجه الذي مرّ بيانه ـ ومثّلها بمثال ينبه العاقل على دثورها وزوالها ، وأشارالى أن الحيوة الاخرة أمرمحقق ثابت في نفس الامر، لكنها اما عذاب شديد، واما غفران ورضوان ، أحدهما للسعداء والاخر للاشقياء ، ثم كرر الاشارة الى أنها لمن لم يعمل لاخرته هي متاع الغرور، فرغّب سبحانه في المسابقة الى طلب أحد الامرين الاخرويين ـ المشاراليهما فيالاية السابقة ـ وهوالذي يترتب على استعمال الحيوة الدنيا فيطلب التوصل الى لقاء الله واليوم الاخرقائلا: سابقوا ـ اىسارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم ونظرائهم في المضمار واردعوا العوارض القاطعة عن السلوك الى البغيـة بالاعمال الصالحة العلمية والعملية مقبليـن الى مايوجب الفوز بمغفرة من ربكم .

قال الكلبي : الى التوبة . وقيل: الى الصف الاول للصلوة. وقيل: الى النبي . وفي معناه : الى كل هاد ودليل من الائمة وبعدهم من المشايخ والمعلمين ، والى ـ جنّة عرضها كعرض السماء والارض ، اى : وسابقوا الى استحقاق ثواب جنّة

هذه سعتها وعظمتها . وفى ارتكاب حذف المضاف او مافى حكمه فى الموضعين نظر كشفى لايسع المقام .

قال السدى : كعرض سبع السموات وسبع العرضين .

وفى ذكر العرض دون الطول وجوه :

أحدها : ان كل ماله امتدادان مختلفان فان عرضه يكون أقل من طوله ، فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد .

وثانيها : ان الطول قد يكون بلاعرض ، بخلاف العكس .

وثالثها : الاشعار بأن طولها لايمكن أن يقاس الى شىء من هذا العالم .

ورابعها : ان المراد منه مطلق البسطة ، كقوله تعالى : ﴿فذودعاء عريض﴾ [٤١/٥١] وقوله ﷺ فى غزوة احد : « ياعثمان ذهبت عريضاً » .

قال الحسن : ان الله يفنى الجنّة ويعيدها على ماوصفه ، فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والارض .

وقال بعضهم : ان الله قال: «عرضها كعرض السماء والارض» والجنة المخلوقة فى فوق السماء السابعة فلاتنافى .

وقوله : اعدت للذين آمنوا ـ اى : ادخرت للمؤمنين بالله ورسله ، وفيه مالايخفى من التمحـّل ، وذلك ـ أى الفوز بالمغفرة والجنة ـ من فضل الله ـ لكونه موجوداً كاملا تاماً فوق التمام ، فيفضل منه الوجود وكمال الوجود على غيره ممن يشاء ـ والله ذوالفضل العظيم ـ لان العالم ومافيه من فضل وجوده وفيضه ، فلااستبعاد فى أن يجزى الدائم الباقى على العمل القليل الفانى ، ولو اقتصر على قدر مايستحق بالاعمال كان عدلا ، لكنه تفضـّل بالزيادة . كما انه لو أمسك عن افاضة الوجود على العالم كان تاماً فى واجبيـّته ومملكته وسلطانه ، لكنه تفضـّل بوجود العالم نافلة من غير ضرورة زائدة على ذاته ، وداعية مستولية عليه ، وأن أحداً لاينال خيراً فى الدنيا والاخرة الا بفضل الله ، فانه لو لم يدعنا الى الطاعة ، ولم يبيـّن لنا الطريق ، ولم يوفقنا

للعمل الصالح لما اهتدينا اليه ، فذلك كله من فضل الله .

وقال ابوالقاسم البلخي : ان الله سبحانه لو اقتصر لعباده في طاعتهم على مجرد احسانه السابقة اليهم لكان عدلا ، فلهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلا .

قيل : وفي هذه الاية أعظم رجاء لاهل الايمان ، لانه ذكر ان الجنة معدّة للمؤمنين ، ولم يذكرمع الايمان شيئاً آخر ، **وانت علمت مما سبق** ان الايمان بالله والرسول وماجاء هو به أجلّ مراتب الكماليـة للانسان ، وبه يستحق للسعادة العظمى ، والغرض من الاعمال الصالحـة هو خلاص النفس عن العلائق الدنيّة ، المكدرة لمرآة القلب ، المانعة عن ادراك الحقائق والمعارف الايمانية ، فالعقيدة الحقة الالهية لايتيسر الا بقطع الاغراض الدنياوية بالاعمال الصالحة المقربة للقدس، ولايتيسر الاخلاص في العمل الا بالعقيدة الايمانية ، فالايمان هو المبدء والغاية في كل خير وكمال على وجه لايدور على نفسه دوراً مستحيلا، ويحتاج بيانه الى كلام مشبع لايناسب المقام .

مكاشفة

في ان الجنة والنار حق

اعلم ان قوله تعالى : ﴿ اعدت للذين آمنوا ﴾ وكذا قوله : ﴿ اعدت للمتقين﴾ دليل واضح على أن الجنة مخلوقة الان ، موجودة للمؤمنين والمتقين ، لانها نتيجة اعمالهم (وان فيها جزاء لهم ونتائج لاعمالهم ـ ن) وأفعالهم .

ومن جملة الآراء السخيفة رأى من زعم ان الجنة والنار لم توجدا بعد ، ولاتوجدان الا بعد بوار العالم وتهافت السموات الارضين ، واشير الى فساد هذا الرأى في قوله : ﴿ انهم يرونه بعيداً ونريه قريباً ﴾ [٧٠/٦] وفي قوله ﴿ اولئك

ينادون من مكان بعيد﴾ [٤٤/٤١] .

ومن الاراء السخيفة ايضا اعتقاد أكثر الناس ان أجسام أهل الجنة أجساد لحمية كثيفة ، مركبة من أخلاط أربعة قابلة للاستحالات معرضة للافات . واذا تأمل أحد فيما وصف الله تعالى من صفات أهل الجنة ظهر له فساد هذا الرأى ، وذلك قوله سبحانه : ﴿لايمسهم فيها نصب﴾ [٤٨/١٥] و : ﴿ لايذوقون فيها الموت ﴾ [٥٦/٤٤] وانهم﴿فيها خالدون﴾ [٢٥/٢] و : ﴿لاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ [٦٢/٢] .

ومن علامات حقية الاعتقادات أن لايقع فيها تناقض وتخالف، وهرج ومرج، وأكثر آراء المجادلين والمتشبهين بالعلماء ـ كأكثر الكلاميين ـ يكون بحيث اذا أعرض صاحبه على عقله أنكره ضميراً ـ وان أقرّ به لساناً ـ ويجده مناقضاً لسائر اعتقاداته واصوله ، فيقع عند ذلك فى شك وحيرة وسوء ظن بربه ، كما قال الله تعالى : ﴿ ذلكم ظنّكم الذى ظننتم بربكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ [٢٣/٤١] .

* * *

ولابد لكل أحد ان يعلم ان **الجنة والنار الجسمانيتين** غير معلومتى الكنه الا للمكاشفين ، الذين اكتحلت عيونهم بنورالله وغلب عليهم ظهورسلطان الاخرة، فصاروا بحيث يكون أبدانهم فى الدنيا ساكنة ، وأرواحهم فى الاخرة سائرة ، فهم من اهل الاطلاع على حقائق الامور الاخروية ، ولابد للمحجوبين ومن لم يقف على أسرارهم ولم يصل بعد الى مقامهم ان يعتقدوا ايماناً بالغيب ان الجنة التى عرضها السموات والارض موجودة فى عالم الغيب ، بحيث لايمكن مشاهدتها بهذه العين ، وليست اجسام الاخرة من هذه الاجسام حتى يقع بينهما تزاحم وتضائق ، بل التزاحم والتضائق من خواص هذه الاجساد التى يشاهد بهذه الحواس الداثرة المستحيلة ، وتلك الاجساد لاتشاهد الا بالبصيرة الباطنية .

ولابد ايضا أن يعلم كل من آمن باليوم الاخر ان للاعمال والأفعال الدنيوية

-باعتبار تأثيرها في عادات النفس وملكاتها - علاقة طبيعية مع أعيان الامور الاخروية. فكما ان الامر المسمى « بالمعصية » في الدنيا يؤدي لصاحبها في الاخرة الى الاحتراق بالنار، والتعذيب بالحميم والزقوم ، والتصلية للجحيم ، فكذا المسمى « بالطاعة » يظهر في الاخرة بصورة الجنة والرضوان ، والتنعم بالفواكه والحور والغلمان ، والولدان، فهذه الافعال المحمودة التي هي الطاعات انما يراد لاجل اكتساب الاخلاق الحسنة ، وكذا الافعال المذمومة انما يترك لاجل انها ستنجر الى الاخلاق السيئة .

فالغرض من الاوامر الشرعية - أفعالا كانت او تروكاً - انما هو تحسين العادات ،وتقويم الملكات، وتبديل السيئات منها الى الحسنات بتوفيق من الله وتأييد منه ، كما قال سبحانه في حق المخلصين من عباده : ﴿ اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ [٢٥/٧٠] .

وكما ان في الدنيا كل صفة تغلب على باطن الانسان وتستولي على نفسه بحيث تصير ملكة لها يوجب صدور أفعال منه مناسبة لها بسهولة ويصعب عليه صدور أضدادها غاية الصعوبة ، وربما يبلغ ضرب من الاولى حد اللزوم ، وضرب من الثانية حد الامتناع . فهكذا حال الملكات والاخلاق في الاخرة ، اذ كل صفة بقيت في النفس ورسخت فيها وانتقلت معها الى تلك الدار صارت كأنها لزمتها ولزمت لها الاثار والافعال الناشية منها بصور تناسبها ، وليست الافعال والاثار الدنياوية في لزومها لمصادرها التي هي الملكات بتلك المثابة - اذ الدنيا دار اكتساب ، وللعلل الاتفاقية فيها تداول وجولان، وللدواعي والصوارف الخارجية تسلط ودوران ، فالشقيّ ربما يصير بالاكتساب سعيداً وبالعكس - بخلاف الدار الاخرة - فان باب الاكتساب والتحصيل فيها مسدود ، ولكل نفس فيها حد محدود ،كما اشير اليه في قوله تعالى: ﴿ لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً ﴾[٦/١٥٨] ولان الدنيا دار تعارض الاضداد وتفاسد المتمانعات بخلاف الاخرة ، لكونها دار الجمع والاتفاق من غير تزاحم ولاتضاد، فالاسباب هناك لايكون الاعللا ذاتية كالفواعل الحقيقية والغايات الذاتية دون العرضية، فكل مايصلح أثراً لصفة نفسانية لايتخلّف

عنه هناك ـ كما يتخلف عنها هيهنا ـ فلاسلطنة هناك للعلل العرضية والاسباب الاتفاقية، بل الملك لله الواحد القهار كما فى قوله : ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له﴾ [٣٤ر٢٣] اى لاتأثير هناك للعلل الاتفاقية ، بل للذاتيه . وكذا فى قوله : ﴿ من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ﴾ [٢ر٢٥٥] وقوله : ﴿ فماتنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [٧٤ر٤٨] اى العلل الاتفاقية دون المأذونين فى الشفاعة كالرسول ﷺ لاجل حصول الاستعداد والمناسبة الحاصلة من دعوته لامته التى كانت خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

* * *

وهذا القدر من المعرفة اقل مايكفى المستبصر لان يؤمن بجميع ما وعده الله ورسوله اوتوعدا عليه بلسان الشرع من الصور الاخروية المترتبة على الاعتقادات والاخلاق المستتبعة للذات والالام ان لم يكن من أهل المكاشفة الباطنية والمشاهدة الاخروية .

واما معرفة التفاصيل فى نتيجة كل صفة وعمل وعد فيه اوتوعّد عليه الشرع الانور بحكومة أخروية فيتوقف على كشف تام ومعرفة كاملة واتصال قوى بعالم الغيب ، وتجرد بالغ عن علائق هذا العالم ، فكل من له تحدث فى العلوم يجب عليه أن يتأمل فى الصفات النفسانية والاخلاق الباطنية ، وكيفية منشأيتها للاثار والافعال الظاهرة منها ، ليجعل ذلك ذريعة لان يفهم كيفية استتباع الاخلاق المكتسبة فى الدنيا من تكرر الافاعيل للاثار المخصوصة فى الاخرة ، تحقيقا لقوله ﷺ : **«الدنيا مزرعة الاخرة»** .

فكما ان شدة الغضب والغيظ فى رجل غضبان يوجب ثوران دمه ، واحمرار وجهه ، وحرارة جسده، واحتراق مواده الرطبة ـ التى أرطب من الحطب اليابس ـ على ان الغضب صفة نفسانية موجودة فى عالم الروح الانسانى وملكوته ، والحركة والحمرة والحرارة والاحتراق من صفات الاجسام، وقد صارت هذه الصفة الواحدة النفسانية مصورة بهذه الهيئات والعوارض الجسمانية فى هذا العالم ، فلاعجب من

أن يكـون رسوخ هـذه الصفة المذمومة مايلزمها في النشأة الآخرة نارجهنم التي تطلع على الافئدة فيحرق صاحبها .

وكمايعرض ايضا له بسببها هيهنا امورمستنكرة وأفعال مستكرهة اذالم يكن له صارف عقلي- من ضربان العروق واضطراب الاعضاء وقبح المنظر، وربمايؤدى بصاحبها الى الضرب الشديد والقتل لغيره - بل لنفسه - وربمايموت غيظاً ، فكذا القياس فيمايعرض هناك على وجه أشد وأبقى .

وبهذه الموازنة بين النشأتين يشعرقوله تعالى : ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى فلولاتذكرون﴾ [٦٢/٥٦] فاذا تأمل احد في استتباع هذه الصفة المذمومة الواحدة لتلك الاثاروللوازم الذميمة فيمكن له ان يقيس عليها باقي الصفات الموذيات ، والاعتقادات المهلكات ،وكيفيةانبعاث نتائجها ولوازمها منهايوم الاخرة من النيران وغيرها ،كمافي قوله تعالى : ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ [١٣٩/٦] .

وكذا حال أضدادها من حسنات الاخلاق وحقائق الاعتقادات، وكيفيةاستتباعها للنتائج والثمرات - من الجنان والرضوان ، والوجوه الحسان -فعلى هذا يثبت القول بوجود الجنة والنار بالحقيقة، ولايحتاج الى تجوزفي قوله: ﴿اعدت للمتقين﴾ [١٢٣/٣] وقوله : ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٤٩/٩] .

قوله تعالى :

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

«المصيبة في الارض» نحو الجدب ، وقلة النبات ، وآفاق الزروع ونقص الثمار، وتلف الحيوانات ، وموت الانسان . « والمصيبة في الانفس » نحو الادواء والامراض والاوجاع والثكل بالاولادوالموت وغيرها من الشرورو الافات الخارجية

والداخلية ، وربماكان بعض أنواع الوجودات والخيرات لطائفة من الناس - هى بعينها - مصائب وآفات لجماعة اخرى منهم بالاستجرار .

الا فى كتاب - يعنى : الا وهومثبت مذكورفى لوح محفوظ من الالواح العالية المحفوظة عن التحريف والفساد والبطلان .

من قبل أن نبرأها - يعنى : المصائب اوالارض اوالانفس .

ان ذلك - اى : اثبات ذلك على كثرته وتفصيله هيّن على الله سهل يسير ، وان كان عسيراً على غيره ،

مكاشفة

اعلم ان حقائق الاشياء مسطورة اولا فى العالم المسمى باللوح المحفوظ ، بل فى قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ الله وتبقيته وحراسته اياهم عن الخلل والنقصان والنسيان ، وكما أن المهندس يسطر صورة أبنية الدار فى نسخة ، بل فى خياله اولا ، ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة المسطورةاولا فى الخيال - سطراً لايشاهد بهذهالعين- فكذلك فاطرالسموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره فى العالم الاعلى العقلى ، ثم النفسى ، ثم الخيالى ، ثم أخرجه على وفق تلك النسخة الى الوجود الحسى المدرك باحدى الحواس .

فعلمه تعالى بالاشياء الكائنة على هذاالترتيب بالوجه العقلى ، بخلاف علمنا الانفعالى بها ، الذى يحصل منها على عكس هذا الترتيب ، فان العالم الموجود الذى خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس، ثم الى الخيال ثم الى النفس ، ثم الى العقل المنفعل المتحد بالعقل الفعال. **فترتيب الصعود العودى** على عكس ترتيب النزول البدوى ، فالحاصل فى العقل الانسانى موافق للعالم ، الموجود قبله على التعاكس فى أنحاء الحصول .

وتوضيح ذلك : ان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره ، يرى صورة السماء والارض فى خياله كأنه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض فى أنفسهما كأنه يشاهدها او ينظر اليها ، ثم يتأدى من خياله اثر الى العقل ، فيحصل فيه حقائق الاشياء التى دخلت فى الحس والخيال ، فالعالم الموجود فى ذهن الانسان موافق للموجود فى الكون، وهومطابق للنسخة الموجودة فى اللوح العقلى، وهوسابق على وجوده فى القدروالصور المثالية، وهو سابق على وجوده الجسمانى، ويتبعه وجوده الخارجى الكونى ، ويتبع وجوده الخارجى وجوده الخيالى ، ويتبع وجوده الخيالى وجوده العقلى ـ أعنى وجوده فى القوة العاقلة الانسانية المتحدة بالعقل الفعال ـ وكما أن تلك الصور ومحالها نازلة من الله تعالى فى سلسلة البدوفكذلك صاعدة الى الله تعالى فى سلسلة العود فالله تعالى منه البدو واليه الرجعى .

ثم لمّا كانت بعض هذه الموجودات روحانية عقلية ، وبعضها مثالية ، وبعضها حسّية ، فكان الموجود الصادرمن الحق عقلا، ثم نفساً ، ثم حسّاً ، فدار على نفسه فصارحسّانياً ، ثم نفسانياً ، ثم عقلانيا .

* * *

وان اشتهيت زيادة الاطلاع على حكمة الله تعالى فى خلق العالم وعجائب صنعه فى الموجودات حيث أبرز مكنونات المكونات بقدرته وارادته أولا فى قضائه وقدره ، ثم أظهرمستورات الحقائق وخفيات المخلوقات ثانياً بتوسط القلم الاعلى واللوح الاعظم على منصّات الاكوان فى عالم الزمان والمكان ، فاستمع لشرحه اليسيرالذى يتيسرسماعه للمحقق البصير:

فنقول : ان البارى تعالى لمّاشرع فى الافاضة والجود فأول ما أفاد وجوده هو **العالم العقلى** المشتمل على صور روحانية هى جواهر مجردة عن الاجسام والمواد ، منزهة عن العوائق الخارجية والفساد ، مدركة لذواتها ولماعداها بذواتها ـ على مابيّن بالبرهان ، ونص عليه فى الحديث والقرآن ، وصرح به

فى كتب أهل العرفان ـ وهى من عالم الامر كما قال : ﴿يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾ [١٧/٨٥] .

وروى عن النبى (ص) : «ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتى سبقت غضبى . فهى مكتوب عنده فوق العرش» . (١)

وهذا العالم عالم الملائكة الموكلين بعالم السموات والارضين على وجه الافاضة والتأثير ، وأعلى منهم **الكروبيون** ، وهم العاكفون فى حظيرة القدس لاالتفات لهم الى الاجسام ، بل لاالتفات لهم الى غيرالله لاستغراقهم بشهود جمال الحضرة الربوبية وجلالها ، ولايستبعد أن يكون فى عباد الله من يشغله جلال الحق عن الالتفات الى غيره .

وقد وقع فى الحديث عن رسول‌الله (ص): «ان لله أرضاً بيضاءاً مشحونة خلقاً لايعلمون أن الله يعصى فى الارض، ولايعلمون أن‌الله خلق‌آدم‌وابليس» . (٢) رواه ابن عباس .

وهذا الصنف من المفارقات التى ليست واقعة فى سلسلة علل الاجسام وليست فيها جهة نقص يكون بازائها قصورفى معلولاتها القريبة الجسمانية فعبرعن تلك الجهة بعدم‌علمها بعصيان العصاةلان علومها فعلية ـ **فتدبر**.

* * *

وبالجملة الجميع أنوار محضة عقليـة ، الا انها بعضهم المهيّمون ـ وهم الاعلون ـ وبعضهم الادنين فى الصف الاخير ، وهم أنوار قاهرة فيما تحتها من النفوس والاجرام بتأثيرالله تعالى، وقاهريتها صورة صفةقاهريةالله تعالى وجباريته،

---

(١) البخارى كتاب التوحيد ٩ /١٦٥ (لماقضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى) .

(٢) جاء مايقرب من هذا الحديث عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام راجـع بصائر الدرجات : ٤٩٠ .

كما أن نوريتها من سبحات وجهه وجماله تعالى ، وبهذه الاعتباريسمى **«الملائكة المقربين»** وعالمها عالم القدر ة ، وعالم الجبروت ، اذ يفيض فيها صور الاشياء وحقائقها بافاضة الحق سبحانه وكذا يفيض عنها صفاتها وكمالاتها التى بها يجبر نقصاناتها ، فعلم أن جميع الحقائق بأعيانها وكمالاتها منتقشة فيها ، وبهذا الاعتبار **يسمى «عقولا»** .

وذلك الانتقاش هوصورة القضاء الالهى ، **فالقضاء** عبارة عن ثبوت صور جميع الاشياء فى العالم العقلى على الوجه الكلى ، ومحله عالم الجبروت لتقدسه تعالى عن شوب الكثرة ، وهوالمسمى **«بام الكتاب»** الذى أشار اليه قوله تعالى : ﴿يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [١٣/٣٩] .

وكل مايفيض علينا من العلوم الحقة موسومة بالعلوم اللدنية يفيض عنه كما قال تعالى: ﴿اقرأ وربك الاكرم﴾ الذى علّم بالقلم﴾ [٩٦/٣-٤] وتلك الجواهر خزائن غيبه كماقال : ﴿ وان من شيء الاعندنا خزائنه ومانتزله الا بقدر معلوم ﴾ [١٥/٢١] .

وكما أن العالم الروحانى بجوهره المجرد محل القضاء ، فالعالم النفسانى بجرمه السماوى محل القدر، اذ الصور العقلية الكلية فى عالم القضاء فى غايةالصفاء والوحدة لايترائى ولايتمثل لغيرها لشدةنوريتها كمرآة مضيئة تردالبصر عن ادراك مافيها من الصور بشعاعها ، فينتسخ تلك الصور منه فى النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم ،كما ينتسخ بالقلم فى اللوح صوراً معلومة مضبوطة منوطة بعللها وأسبابها على وجه كلى ،كما يظهر فى قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية كالصور النوعية ـ مثلا ـ وكبريات القياس عند الطلب للرأى الجزئى المنبعث عنه العزم على الفعل، وهو**«اللوح المحفوظ»** ومحل القضاء لانضباط تلك الصور فيها وانحفاظها عن التغيروالزوال .

ثم ينتقش منه فىالنفوس الحيوانية الجزئية السماوية، التى هى قوىنفوسها الناطقة ، منبعثة منها ، منطبعة فى أجرامها نقوشاً جزئية مشخصة بأشكال وهيئات

معينة ، مقارنة لاوقات معينة مقدرة لمقادير واوضاع معينة من لواحق المادة ـ على مايظهر فى الخارج ـ كما ينتقش فى قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كالصور الشخصية وصغريات القيـاس مثلا ، ليحصل بانضمـامها الى تلك الكبريات رأى جزئى ينبعث عنه القصد الجازم الى الفعل المعين ، فيجب عنه ذلك الفعل بعينه ، وذلك العالم هو « **لوح القدر** » .

«فالقدر» عبارة عن حصول جميع الموجودات فى العالم النفسى على الوجه الجزئى ، مطابقة لما فى المواد الخارجية ، مستندة الى أسبابها ، واجبة بها ، لازمة لاوقاتها . وعالمه : «عالم المثال» ، لانه خيال العالم وسماء الدنيا التى تنزل اليها الكائنات أولا من غيب الغيوب، ثم يظهر فى عالم الشهادة ـ كما ورد فى الحديث ـ

وتلك النفوس من قوى نفوسه الناطقة بمثابة قوانا الخيالية من نفوسنـا ، و كل منها «**كتاب مبين**» كما أشير اليه بقوله تعالى : ﴿ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس الا فى كتاب مبين﴾ [٦/٥٩] . وقوله : ﴿مامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾ [١١/٦] .

وحصول تلك الصور المعينة المقيدة بوقتها المعين هو «**قدر الشيء**» المعيّن الخارجى كما قال : ﴿ومانتزله الا بقدر معلوم﴾ [١٥/٢١] ومحل هذا القدر هو الهيولى الاولى ، التى هى بعينها «لوح ذلك القدر» الذى محله الملكوت العمّالة باذن الله ، كما أن محل القدر ولوح القضاء هو « العالم النفسى » ومحل القضاء هو «عالم الجبروت» .

وهذه التى ذكرناها جملة يحتاج الى التفصيل والتدقيق فى غير هذا الموقف، وقد فصّلناها وبسطنا القول فيها وفى نظائرها من المقاصد الربوبيات فى كتابنا الكبير المسمى بـ «**الاسفار الاربعة**» .

* * *

ومن عجائب صنع الله سبحانه أنه أبدع نظائر جملة هذه الحقائق المتعلقة بذاته المقدسة من القلم ، واللوح ، والقضـاء ، والقدر ، وعالمى الخلق والامر ،

والشهادة والغيب، والدنيا والاخرة. وأودع من كل واحد من تلك المعانى انموذجا ومثالا فى فطرة الادمى وروحه ليصير صورة الانسان مثالا له ذاتاً وصفاتاً وأفعالا، وان لم يكن مثلا له لتعاليه عن الشبه والمثل .

فكما أن لافعال الانسان عند ارادة صدورها منه وبروزها من مكامن غيبها الى مظاهر شهادتها **اربعة مراتب** : لكونها أولا فى مكمن روحه العقلى الذى هو غيب غيوبه فى غاية الخفاء كأنها غير مشعور بها، ثم ينزل الى حيّز قلبه الحقيقى ونفسه الناطقة عند استحضارها واخطارها بالبال كلية ، ثم ينزل الى مخزن خياله ونفسه الحيوانية مشخصة جزئية ، ثم يتحرك اعضاؤه عند ارادة اظهاره فيظهر فى الخارج فكذلك الحال فيما يحدث فى العالم بعناية الله تعالى وارادته من الحوادث ، اذ الاول بمثابة القضاء، ومحله بمثابة القلم ، والثانية بمثابة نقش اللوح المحفوظ ، ومحله اللوح المحفوظ من الفساد لانه جوهر روحانى ناطق لايفسد بفساد البدن .

والثالثة بمثابة الصورة فى السماء الدنيا ونقش لوح القدر على مانراه ، ومحله اللوح المقدر والجسم الصيقل البخارى الدخانى المشابه للسماء وهى دخان ، والرابعة بمثابة الصور الحادثة فى المواد العنصرية .

ولاشك أن النزول الاول لايكون الا بارادة كلية ، والنزول الثانى بارادة جزئية خفيّة ينظم الى الارادة الاولى الكلية فيتخصص بها وتصير جزئية ، فينبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها رأى جزئى يستلزم ارادة جازمة داعية الى اظهاره، فيتحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل ، فحركة الاعضاء بمثابة حركة السماء ، وظهور الفعل هو القدر على المذهب الثانى .

وكما أن سلطان الروح الذى هو التعقل والادراك فى البدن لايظهر الا فى الدماغ - لمكان الروح الدماغى النفسانى - فكذلك سلطان الروح الكلى - الذى هو روح العالم - لايكون الا فى العرش لمكان القوة المحركة السارية فيه ، فهو من العالم بمنزلة الدماغ من الانسان .

وكما ان مظهر الاول فينا هو «القلب» الذى هو منبع الحيوة ، فكذلك مظهره

الاول فيه هو «**الفلك الرابع**» الذى هوفلك الشمس ، ووسط العالم ، ومنبع حيوة العالم ، ومنشأ تدبير الكائنات ومنورها بالنور الحسى المظهر لكل شيء من الاجرام، والمعطى لها حقها من الحيوة الحيوانية الحسية ، كما أن البارى تعالى منبع الحيوة العقلية للذوات العقلية النورية، والمنور لذواتها ، والمكمل لها بافاضة العشق والنور والوجود على ذواتها التى أبدعت على كمالها الاتم وعشقها وتألهها منذ أول الفطرة، من الله مبدأها واليه منتهاها .

فالشمس مثال الله الاعظم ، وخليفته فى عالم الاجسام بروحها وقوتها الساريتين فى كل جسم من العالم ، وكذلك **القلب** مثاله وخليفته فى عالم البدن الانسانى بروحه الحيوانى وقوتها الساريتين فى كل عضو من الانسان .

فروح الفلك بمثابة الروح الحيوانى الذى فى القلب ، اذ به يحيى جميع الاعضاء . وهو «**البيت المعمور**» المشهور فى الشريعة انه فى السماء الرابعة ، المقسم به فى التنزيل حيث قال : ﴿والطور* وكتاب مسطور* فى رق منشور* والبيت المعمور* والسقف المرفوع* والبحر المسجور﴾ [٥٢/٦] ولهذا جعلت مقام عيسى روح الله - على نبينّا وآله وعليه السلام - و « الكتاب المسطور » هو نقش القضاء الاول الثابت فى الروح الاول العقلى ، و ذلك الروح هو « الرق المنشور » ، « والسقف المرفوع » هو السماء الدنيا المذكورة وقريب بالبيت المعمور لنزول الصورة منها ونفخ الروح منه فيتم بهما خلق الحيوان ، و« البحر المسجور» هو بحر الهيولى السيّالة المملوة بالصور ، وهى الهاوية والجحيم عند ظهور القيامة والله أعلم - .

قوله عزوجل :

لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)

وقرء ابوعمرو : «بمااتيكم» ـ بالقصر ـ ويكون الفاعل الضمير الراجع الى الموصول . والاخرون بالمد ليكون هو الضمير العائد الى اسم الله ، و«الهاء» محذوفة من الصلة ، تقديره : بمااتيكموه .

لماذكر سبحانه ان جميع مااوجده الله تعالى مثبت فى كتاب سابق ، أراد أن يعلل ذلك ويبين حكمته فيه ، فقال : لكيلا تأسوا ولاتفرحوا . اى : فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على مايفوتكم من نعم الدنيا ، ولاتفرحوا بماأعطاكم الله منها ، والذى يوجب نفى الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان كلماحكم عليه فى القضاء السابق الازلى ليس الا من مقتضيات ذوات الاشياء التى لايمكن التفصى عنها ، يحصل لها الاطمينان الكلى والراحة الكلية على أن كل كمـال يقتضيه حقيقته وكل رزق صورى اومعنوى يطلبه عينه لابد أن يصل اليه .

كماقال ﷺ : «ان روح القدس ينفث فى روعى : ان نفساً لن تموت حتى يستكمل رزقها . ألا فاجملوا فى الطلب» . (١)

فيستريح عن تعب الطلب، وان طلب أجمل ولايخاف من الفوات ولاينتظر، لعلمه بأن الله سبحانه فى كل حين يعطيه من خزائنه مايناسب وقته واستعداده ، فهو واجد دائماً من مقصوده شيئاً فشيئاً ، ومالايقدر له لايراه من الغير، فلايبقى له حزن

(١) جاء مايقرب منه فى سنن ابن ماجه : كتاب التجارات ، باب الاقتصاد فى طلب المعيشة : ٧٢٥/٢ .

على فوات شيء وكذلك من علم أن بعض الخيرواصل اليه وأن وصوله لايفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله .

فان قلت : بعض الانسان ربما كان مقتضى ذاته اموراً لايلائم نفسه كالفقر، وسوء المزاج ، وقلة الاستعداد ـ ولايرى سبباً للخلاص، اذ مقتضى الذات لايزول، فيحصل له غاية الاساء من هذا الوجه ، ولذلك قيل : « **العلم بسر القدر يعطى النقيضين** : الراحة الكلية والعذاب الدائم » فكيف يستقيم الحكم بعدم الاسى والحزن على فوات الامور؟

قلنا : ليس المراد نفس الاسى والفرح الصادرين عن الشخص بحسب الطبع ، بل المراد نفى صدورهما من العاقل على سبيل الاختيار المنبعث عن تصور الفائدة والنفع ، وليس للحزن فائدة فيماذكر.

ويمكن أن يقال : ان العالم بسر القدرلايكون شقياً ، والشقى لايكون عالماً به فمن قال : «ان العلم بسر القدريعطى النقيضين» فلاوجه له ظاهراً .

واما ماقيل فى بيان عدم الاساء والفرح : ان الانسان اذا علم أن مافات منها ضمن الله تعالى العوض عليه فى الاخرة فلاينبغى أن يحزن لذلك ، واذا علم أن مانا له منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فلاينبغى أن يفرح لذلك فكلام حسن محمود فى المواعظ .

فان قلت : اذا كان عدم الحزن والفرح عند المضرة والمنفعة الواصلتين للانسان ليس مقدوراً له ـ اذ لايملك أحد نفسه عند ورود أحدهما عن أحدهما ، فكيف يلائم ويحسن هذا التعليل ؟ والعلة الغائية اوالغاية الذاتية للشيء ينبغى أن يكون بينها وبينه علاقة سببية ، اوأن يكون الغاية بحيث مترتبة على الفعل .

قلنا : المراد به نفى الاثرالمذهل صاحبه عن الصبر ، المانع له عن التسليم لامرالله ، والفرح المطغى الملهى عن الشكر، الموجب للبطروالاختيال، فأماالحزن الذى لايكاد أحد يخلومنه مع الاستسلام لحكم الله والسروربنعمة الله مع اعطاء حقه ـ من الشكر ـ والتفطن لمايلزمه من الانتقال والدثور والعمل بموجبه فلابأس بهما.

وللاشعار بأن المراد من الفرح المذكور هو الذى يوجب البطر والخيلاء عقّبه بقوله : والله لايحب كل مختال فخور ـ اى : معجب بما اوتى ، متكبر على الناس بالدنيا ، فان الفرق بين «الخيلاء» «والفخر» كالفرق بين « العجب »«والتكبر» فى أن أحدهما بحسب نفس الموصوف به ، والاخر له بالقياس الى غيره دون مقابله، لان النكتة فى ذكر شقاوة الموصوف بأحد المتقابلين دون الاخر أن هذا أشقى منه ، ولان الاتصاف بأحد هذين الوصفين يستلزم الاتصاف بالاخر اذ قلّ من يكون له الفرح المطغى عند حظ دنياوى ولايضطرب عند المصيبة ، بل الغالب أن لايثبت نفسه حالة الضراء ، كما لايثبت نفسه حالة السرّاء ، فكل مختال فخور يكون جزوعاً غير صبور ، وكلا الامرين نقص وخسة ، والله لايحب كل ناقص خسيس .

ففى هذه الاية اشارة الى أربعة أشياء :

أحدها : حسن الخلق . لان من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لايحسد ، ولا يعادى ، ولا يشاح ، لان جميعها من أسباب سوء الخلق ، وهى من نتائج النقص والخسّة .

وثانيها : استحقار الدنيا وأهلها اذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن بعدمها ، **واليه اشار** ـ عليه وآله السلام ـ بقوله : « لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس أمثال الاباعر » .(١) يعنى لايحفل بوجودهم ولا يغيره ذلك كما لايغير بوجود بعير عنده ـ وتمام الخبر: « ثم هو يرجع الى نفسه فيكون أعظم حاقرلها » .

وثالثها : تعظيم الاخرة لما سئل الله فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب ، لانه لما يئس من وجدان اللذة والنعيم فى الدنيا ، توجه الى طلبهما فى الاخرة ، وأهل الدنيا بعكس ذلك ، لانهم لما يئسوا من الاخرة ولذاتها ونعيمها انكبّوا الى الدنيا واطمأنّوا بها ويئسوا من الاخرة « كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

(١) بحار الانوار . باب مواعظ النبى ﷺ من كتاب الروضة : ٨٣/٧٧

ورابعها : الافتخار بالحق والتشبث به دون أسباب الدنيا ، **ويروى ان على ابن الحسين** عليه السلام جاء رجل عنده فقال : ماالزهد ؟

قال : الزهد عشرة أجزاء ، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا ، وان الزهد كله في آية واحدة من كتاب الله ﴿لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم﴾(١

وقيل لبزرجمهر : مالك أيها الحكيم لاتأسف على مافات ولا تفرح بما هو آت ؟ فقال : لان الفائت لايتلافى بالعبرة ، والاتي لايستدام بالجبرة .

مكاشفة

قد وضح من هذه الاية ان كل ماوقع أو سيقع في هذا العالم مقدّر بهيئته وزمانه ، مكتوب بوصفه وخصوصيته في عالم آخر قبل وجوده ، فان اشتبه عليك الحال في الافعال المنسوبة الى الاختيار وتخيّل اليك انها على هذا التقدير يلزم أن يكون بالاضطرار، فما بالنا نجد الفرق بين المضطر والمختار؟ ولماذا نتصرف فيها بالتدبير والتغيير ونصرّفها بالتقديم والتأخير؟

ثم اذا كان الكل بالقضاء والقدر فلماذا يؤاخذ بها ويعاقب عليها او يوجر ويثاب بقصدها ؟ ومالفرق بين سهونا وعمدنا ؟ فكيف يتجّه المدح والذم لنا؟ واى فائدة للتكليف بالطاعات والعبادات ودعوة الانبياء بالايات والمعجزات؟ واى تأثير للسعي والجهد؟ واى توجيه للوعيد والوعد ؟ ومامعنى الابتلاء في قوله تعالى :﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [٦٧/٢] ومالايحصى من الايات الدالة على أن مدار التكليف هو الاختيار وبناء الامر في الاختبار على الاختيار ؟

(١) مجمع البيان : ٢٤١/٩ وجاء الحديث من دون الاشارة الى الاية في الكافي : ١٢/٢ .

فتأمل جريان الامر والنهى فى مجارى القضاء والقدر، وتفكر فى سلسلة الاسباب والعلل ، وتدبر فى مبانى الامور حق التدبر ومعانى الايات بقوة التفكر ـ ان كنت من أهله وخلقت لاجله ـ عسى الله أن يأتى بالفتح او أمر من عنده ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، وينكشف لك ماينكشف لاهل اليقين والراسخين فى العلم ، وتتخلص عن الشرك الخفى ، فبادر عند التفطن بما يتفطن به العرفاء الكاملون الى الاعتذار والتوبة والاستغفار .

* * *

واعلم ان القضاء والقدر انما يوجبان مايوجبان بتوسط أسباب وعلل مترتبة منتظمة ، بعضها فاعلات مقتضيات كالمبادى العالية من الجواهر العقلية ، وبعضها مدبرات ومعدات كالنفوس السماوية والحركات والاوضاع الفلكية والسور واللواحق والامور الجارية مجرى الاشياء الاتفاقية ـ التى هى لزومية من وجه ـ وغيرها من الادراكات والارادات الانسانية والحركات والسكنات الحيوانية ، وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية او عارضية اياها تختص بسببها بحال دون حال وصورة دون صورة ـ ترتيباً وانتظاماً متقناً معلوماً فى القضاء السابق ـ فاجتماع تلك الامور من الاسباب والشرائط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عند وجودها ذلك الامر المدبر والمقضىّ المقدر ، وعند تخلف واحد منها او حصول مانع بقى وجوده فى حيّز الامتناع . ومع قطع النظر عن وجود جميع الاسباب وعدمه بقى فى حيّز الامكان .

فاذا كان من جملة الاسباب ـ وخصوصاً القريبة منها ـ وجود هذا الشخص المكلف الانسانى وادراكه وعلمه وارادته وقبوله التكليف بتفكره وتخيّله الذين يختار بهما أحد طرفى الفعل والترك كان ذلك الفعل اختيارياً واجباً وقوعه بجميع تلك الامور المسمّاة علة تامة ممكناً بالنسبة الى بعض منها ، فوجوبه لاينافى امكانه ، ومجبوريته لاينافى كونه بالاختيار، كيف وانه ماوجب الا بعد كونه ممكناً وماجبر عليه الا بعد كونه مختاراً .

فمن نظر الى بعض الاسباب قاصراً نظره الى القريبة منها ، ورآها مؤثرة

بالاستقلال قال بالقدر والتفويض - اى بكونها واقعة بقدرتنا الاستقلالية مفوضة الينا . ولهذا قال ﷺ : « **القدرية مجوس هذه الامة** »(١) لانها تثبت مبدأين قادرين مستقلّين كالمجوس القائلين بيزدان وأهرمن ، وان أحدهما فاعل الخير ، والاخر فاعل الشربالاستقلال .

ومن نظر الى السبب الاول وكون تلك الاسباب والوسائط مستندة بأسرها على الترتيب المعلوم فى سلسلة العلل والمعلولات الى الله تعالى استناداً واجباً وترتيباً معلوماً على وفق القضاء والقدر ، وقطع النظر عن الاسباب القريبة او نفى التأثير مطلقاً فى العلل والمعلولات وأبطل حكمة الله فى نظم الاسباب وتقدمها على المسببات قال **بالجبر وخلق الافعال** ، ولم يفرق بين أفعال الاحياء وأفعال الجمادات .

وكلاهما أعور دجّال لايبصر باحدى عينيه . أما القدرى فبالعين اليمنى - اى النظر الاقوى - الذى به يدرك الحقائق . وأما الجبرى فباليسرى - اى الاضعف - الذى به يدرك الظواهر .

وأما من نظر حق النظر فأصاب فقلبه ذوعينين ، يبصر الحق باليمنى فيضيف الافعال اليه - خيرها بالذات وشرها بالعرض - ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تأثيرهم فى الافعال به سبحانه لابالاستقلال ، وبالاعداد لابالايجاد ، ويتحقق بمعنى قول الصادق عليه السلام : « **لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين** »(٢) فيتذهب به ، وذلك هو الفضل الكبير .

وأما من أضاف الافعال الى الله تعالى بنظر التوحيد واسقاط الاضافات ومحو الاسباب والمسببات - لابمعنى خلق الافعال فينا اوخلق قدرة وارادة جديدتين متبائنتين

---

(١) الحديث معروف عن النبى ﷺ وجاء فى التوحيد : باب القضاء والقدر، ٣٨٢ عن الصادق عليه السلام ايضاً .

(٢) التوحيد : باب نفى الجبر والتفويض ٣٦٢ . الكافى : باب الجبر والقدر ١٦٠/١ .

لقدرته وارادته عند صدور الفعل عنا ، فهو الذى طوى بساط الكون ، وخلص عن مضيق البون ، وخرج من البين والاين وفنى فى العين ، لكنه بقى فى المحو ولم يجىء الى الصحو ، مازاغ بصرهُ عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وجلاله ، فاضمحلت الكثرة فى شهوده واحتجب التفصيل عن وجوده وذلك هو الفوز العظيم .

فاذا رجع الى الصحو بعد المحو ، ونظر الى التفصيل فى عين الجمع ، غير محتجب برؤية الحق عن الخلق ، ولا بالخلق عن الحق ولا مشتغل بوجوه الصفات عن الذات ، ولا بالذات عن الصفات ، فهو الولى المحق الصدّيق ، صاحب التمكين والتحقيق ، ينسب الافعال الى الله تعالى بالايجاد ، ولا يسلب عن العباد بالاعداد ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [١٧/٨] .

﴿ تكميل وتوضيح ﴾

فعلم ممّا ذكر ان الدعوة والتكليف والارشاد والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد والتهديد امور جعلها الله تعالى مهيّجات الاشواق ، ودواعى الى خيرات وطاعات ، واكتساب فضائل وكمالات ، ومحرضات على أعمال حسنة وعادات محمودة وأخلاق جميلة وملكات فاضلة مرضية نافعة فى معاشنا ومعادنا ، يحسن بها حالنا فى دنيانا ، ويحصل لنا سعادة عقبانا ، اومحذرات عن أضدادها من الشرور والقبائح ، والذنوب والرذائل ، مما يضرنا فى العاجل ، ويشقى بنا فى الاجل ، لم يحصل لنا شىء من الطرفين الا بتلك الاسباب ونقائضها ، وكانت تلك الوسائط ايضاً مقدرة لنا واجبة باختيارنا كما قال ـ عليه وآله السلام ـ لمن سأله : **هل يغنى الدواء والرقية من قدر الله ؟**

قال : « الدواء والرقية ايضاً من قدر الله .. »(١)

ولما قال ﷺ : « **جف القلم بما هو كائن** » قيل : « ففيم العمل ؟ »

(١) الترمذى : كتاب القدر ، الباب ١٢ . ابن ماجة : كتاب الطب ١١٣٧/٢

فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لماخلق له » (١)

ولما سئل : « أنحن فى أمر فرغ منه او أمر مستأنف ؟ »

قال : « فى أمر فرغ منه ، **وفى أمرمستأنف** . »(٢)

ومن هذا علم ان كل مايصدرعنا من الحركات والارادات والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة علينا ، واجب صدوره عنّا ، مع كونه باختيارنا ، كما قال تعالى : ﴿ وكل شيء فعلوه فى الزبر * وكل صغير وكبير مستطر ﴾ [٥٣/٥۴] .

وقال : ﴿ ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى امام مبين ﴾ [١٢/٣۶] فهى معرفات لسعادتنا وشقاوتنا فى العقبى، وليست بموجبات لهما، وكذلك مايصل الينا من الرغائب والمكاره ، **كما قال النبى** ﷺ : « اعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفّت الصحف » .(٣)

وقال اميرالمؤمنين على عليه السلام : « اعلموا علماً يقينياً ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته وقويت مكيدته واشتدت طلبه أكثر ممّا سمّى له فى الذكر الحكيم» (۴) ـ اى اللوح المحفوظ ـ والشواهد فى هذا الباب أكثر من أن تحصى.

* * *

واما الابتلاء : فهو اظهار ما كتب علينا فى القدر وابراز مااودع فينا وغرز

(١) جاء الحديث بالفاظ مختلفة ، الترمذى : المقدمة ، باب ١٠ : ٣٥/١ وراجع المعجم المفهرس : ٣٥٠/١

(٢) جاء الحديث بالفاظ مختلفة ولكن ماوجدنا قوله ﷺ «وفى أمرمستأنف» راجع المعجم المفهرس ١٢٢/٥

(٣) ترمذى : كتاب صفة القيامة ، الباب ٥٩ ج۴ ص ۶۶٧.

(۴) الكافى : كتاب المعيشة ، باب الاجمال فى الطلب ج٥ ص ٨١

فى طباعنا بالقوة ، بمايظهره من الشواهد، ويخرجه الى الفعل من الوقائع والحوادث والتكاليف الشاقّة ، بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب ، فانهـا ثمرات ولوازم وتبعات وعوارض لامورموجودة فينا بالقوة ، فاذا لم يصدر عنا مباديها فى الدنيا لم تخرج هى الى الفعل فى العقبى ، فكما ان المثوبات الاخروية ليست بقصد وارادة جزافيه واقعـة من الحق المقدس من النقص والشين ، والتفات حاصل من العالى بالقياس الى السافل ، بل من باب الاستجرار ونظم الاسباب وترتيب المسببات عليها بحكمة المدبر العليم ، وارادة الصانع الحكيم ، الذى له الملك والملكوت ، وبذاته التامة الفاعلية يفيض الاشيـاء ويخلق مايشاء من غير مصلحة زائدة وارادة متجددة ، فكذلك العقوبات الالهية والتعذيـات الاخروية ليست من باب الانتقـام من فاعل يحدث فيه انفعال غضبى ينتقم لاجل التشفّى والتخلّص من حرقه الغضب وشدة اللهب ، بل النفس الشقية العاصية انما هى حمّالة حطب نيرانها لسوء أفعالها وردائة أخلاقها ،كمن به مرض أدّت نهمته السابقة الى المحن الشديدة والاوجاع والآلام على سبيل اللزوم والانجرار ، لالمنتقم خارجى، فكيف يحصل الاسباب والمقدمات لشىء ولا يحصل ثمراتها وتبعاتها التى هى عوارضها ولوازمها ، والجميع معلومة لله تعالى قبل وجودها ومعه وبعده من غير تغيّر فى ذاته ولافى صفاته ، بل باعتبار تجدد الاشياء وتعاقبها فى مرتبة حضورها وشهودهـا التجدى ، الذى هو أخيرة مراتب علمه بالاشياء ، التى هى عين الاشياء .

فقوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [٤٧/٣١] وأمثالها معناه : نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يترتب عليها الجزاء ، وأماقبل ذلك الابتلاء فانه علمهم مستعدين للمجاهدة والصبر، صائرين اليها بعد حين .

* * *

فان رجعت وقلت اذا كانت الاسباب والمقدمات ـ وبالجملة الفضائل والرذائل ، والطاعات والمعاصى ، والخيرات والشرور ـ كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا ، معجونة فينا مربوطة باوقاتها ، فما بالنـا لانتساوى فى الفضيلة

والنقص ؟ ولا نتعادل في الخيرات والشرور ؟ ولم لانتشاكل في الطاعات والمعاصي ولانتماثل؟ وكيف نحترز عما يجب الاحتراز عنها فننجو من وبالها وتبعاتها ؟ وبأى شيء يتفضل السعيد على الشقي وقد تساويا فيما قدّر لهما ؟ وأين عدل الله فينا وقد قال تعالى : ﴿وماأنا بظلام للعبيد﴾ [٢٩/٥٠] ﴿وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [١١٨/١٦] ؟

فنجيبك ياأخا الجدل بمثل ماقال الشاعر :

هوّن على بصرى ماشق منظره فانما يقظات العين أحلام

فاصبر واستمع مايشفيك من غيضك ويكفيك في ازالة ريبك، واعلم ان الاعيان والماهيات متنوعة، والصفات والاستعدادات متفنّنة ،والارواح الانسية بحسب الفطرة الاولى مختلفة في الصفاء والكدورة ، والضعف والقوة، مرتبة في درجات القرب والبعد من الله ، والمواد السفلية بازائها بحسب الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة ،ومزاجاتها متباينة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي ، فقابليتها لما يتعلق بها من الارواح متفاوتة ، وقد قدّر بازاء كل روح مايناسبه من المواد بحسب الفيض الاقدس، فحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والاخلاق والصفات والكمالات موافق لبعض الاعمال والصناعات دون بعض على ماقدّر لها في العناية الاولى والقضاء السابق كما قال ﷺ : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .(١)

وتفاوت العقول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبائع والغرائز فيسرع بعضهم بطبعه الى ماينفرعنه الاخر، ويستحسن أحدهم بهواه مايستقبحه الثاني ، والعناية الالهية يقتضي نظام الوجود على أحسن مايمكن ويتصور .

على أن الموجودات مظاهر لصفاته العليا ، ومجالي لاسمائه الحسنى ، وهي متخالفة في المفهوم ، متباعدة في المعنى مع أحدية ذاته الحقة وبساطة حقيقته المقدسة، فكل واحد من الممكنات مبدأه ومعاده الى اسم من الاسماء الالهية ، محكوم بحكمه ،

(١) المسند : من حديث أبي هريرة ، ج٢ ص٥٣٩

ملائم لمايتوجه اليه ، مناسب لما يبتدأ منه « **وكل ميسر لما خلق له** » ، ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴾ .

كيف ـ ولو تساوت الاشياء في الاستعدادات لفات الحسن في ترتيب النظام وارتفع الصلاح عن العالم ، ولبقوا كلهم في طبقة واحدة ، على حالة واحدة ، في مرتبة واحدة ، ولا يتمشى امورهم ، ولبقيت في كتم العدم المراتب الباقية ـ مع امكان وجودها ـ فكان حيفاً عليها وجوراً ، لاعدلا وقسطاً وبقي الاحتياج اليها في العالم مع فقدها ، **فالعدل** هو تسوية المواد والاشباح بحسب الصور والارواح ، وتعديل الامزجة بحسب الانواع وتوزيعها على الاصناف والاشخاص ، وتوجيه الافراد من الاجناس الى مايناسبها من الامور والاشغال .

فمن أساء عمله وأخطأ في اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وكثافة طبعه وقصور استعداده ، وكان أهلا للشقاوة في معاده ، ينادى على لسان المالك : مهلا « فيداك او كتاوفوك نفخ »(١) ﴿ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنّة والناس أجمعين ﴾ [١١/١١٩] واختلاف الغرائز والشمائل كاختلاف الاشكال والطبائع .

واما انه كيف السبيل الى الاحتراز عما يجب الاحتراز عنه : فان شريف النفس بحسب الجوهر طيّب الاصل قلّما يهم بشيء خسيس مما ليس في فطرته و لم يقدر له من الفواحش والرذائل لعدم المناسبة ، واذا همّ نادراً لغلبة صفة من صفات نفسه وقواه ، واستيلاء هواه ، وهيجان شهوة او غضب فيه بأمر قبيح ينزجر بأقلّ زاجر من عقله وهداه ، وربما يعود قبل صدور الفعل وامضاء الهمّ النفساني الى

(١) مثل يضرب لمن يجنى على نفسه الحين . نقل الميداني : « أصله ان رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر ، فأراد أن يعبر على زق نفخ فيه فلم يحسن احكامه ، حتى اذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق، فلما غشيه الموت استغاث برجل، فقال له :«يداك اوكتاوفوك نفخ » (مجمع الامثال : ٢/٤١٤) .

عقله وتقواه من غير عزم على الفعل ، كما قال تعالى فى يوسف : ﴿ ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ [١٢/٢٤](١) .

واذا كان دون ذلك فى صفاء الفطرة والاستعداد ، فلاينزجر بزاجر من الشرع والسياسة والناصح والاديب لخسّة نفسه وخبث جوهره ودنائة طبعه ، وكل يشتاق الى مايفعله بطبعه ويحبه ويستحسن ، وان كان الاخر يعلم أن ضدّه أجود وأحسن ، كمحبة الزنجى ولده مع قبحه ، دون الغلام الترك مع علمه بحسنه .

ولكل من القسمين مرتبة خالصة عن الاخر ، وطبقات متفاوتة متفاضلة يكون فى كل منها نصيب من الاخر المقابل له ، ويكون النجاة ومقابلها بحسب الغلبة لصفات الخير على صفات الشر او بالعكس .

وبالجملة ـ فأعظم السعادات مطلقاً لاجود الاستعدادات ، وأكمل الكمالات لاشرف الارواح الذى هو القطب الحقيقـى ، والحقيقة المحمّدية ـ وهو القطب المطلق ـ لا القطب الاضافى بحسب كل وقت وزمان ـ كسائر الانبياء سابقا وسائر الاولياء لاحقاً ، سيّما أولاده المعصومين ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ كما قال الله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـ الى قوله ـ ورفع بعضهـم درجات ﴾ [٢/٢٥٣] وقوله : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [٣/٣٤] فله المرتبة العظمى فى الاستعداد ، والسعادة الكبرى فى المعاد ، المعبر عنها « **بأعلى عليين** » ، وكلما قصر الاستعداد نقصت السعادة وقصر العرض بينها وبين الشقاوة القصوى المعبر عنها « **بأسفل سافلين** » فلكل صفو كدر ، ولكل صاف عكر ، وتقابل كل نور ظلمة ، وبازاء كل حسن قبح .

والسعادة قسمان : دنيوية واخروية :

---

(١) فان الهم المنسوب الى يوسف الصدّيق ـ على تقدير الوقف على « وهمّ بها » والانفصال عن « لولا أن رأى » ـ ليس بمعنى العزم ـ بل بمجرد الميل النفسانى من غير طلب واستدعاء ـ كما فهمه بعض الناقصين وذهبوا اليه لذهولهم عن مقام الانبياء والصدّيقين (منه ـ ره) .

والدنيوية قسمان : بدنية كالصحة والسلامة ووفور القوة والشهامة . وخارجية كترتب أسباب المعاش وحصول مايحتاج اليه من المال .

والاخروية ايضاً قسمان : علمية كالمعارف والحقائق . وعملية كالطاعات . والاولى جنّة المقربين . والثانية جنّة أصحاب اليمين ، وكما ان الحسن والجمال من عوارض القسم الاول من الدنيوية ، فالفضائل والاخلاق الجميلة من عوارض القسم الاول من الاخروية .

ويتعدد **أقسام الشقاوة** بازائها .

قيل لامير المؤمنين عليه السلام : « صف العالم » ؟ فوصفه .

فقيل : « صف الجاهل » ؟ فقال : قد فعلت » .

فالسعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيان أزلا وأبداً ، مخلدتان دائماً وسرمداً . وبحسب الاعمال الحسنة والسيئة تترتب عليهما المكافات والمجازات وتتقدر بحسبهما المثوبات والعقوبات ، كقوله تعالى ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [٨٢/٩] ، ولايكون هذه الشقاوة مخلّدة الا ماشاء الله ، وقد يتركب بعضها مع بعض وينفرد ، الا ان أكثر السيئات وأكبرها يتبع الجهل ، وأغلب الحسنات وأعظمها يتبع العلم .

* * *

اللهم اجعلنا من السعداء المقبولين ، ولاتجعلنا من الاشقياء المردودين .

ولقد أشبعنا فى الكلام ، ونقلنا شطراً من كتب الكرام لكثرة تحيّر الناس فى هذا المقام ، وقد بقي بعد خبايا من الخفايا بهايتم المرام ، تركناها فى سنبله مخافة شنعة اللئام ، الذين أرادوا أن يعرجوا الى كنه المعارف ، بعلم الكلام ، الموضوع لحراسة عقائد العوام من افساد المجالدين الخصام ، وقطّاع طريق النجاة فى الاسلام ، وقد فرّقنا كثيراً من المكاشفات المتكررة المتعلقة بهذا المقصد فى كتبنا ورسائلنا سيّما مايتعلق بتعذيب الجاحدين والكافرين مؤبداً وبقائهم فى الجحيم مخلداً .

وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسّر له ، ولاينجع أكثرمنه لمن تعسرعليه ، فليرجع من أراد الوقوف والاطلاع اليه ـ وبالله العياذ من التقصير، وبه يتيسر كل عسير.

قوله عزوجل :

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ

وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

قرء نافع وابن عامر: « ان الله الغنى » وهو فى مصاحف أهل المدينة والشام كذلك ، والباقون باثبات « هو » لوجوده فى مصاحفهم . والضميرينبغى أن يكون فصلا ، لامبتدأ ، لان حذف الفصل أسهل ـ اذ لاموضع له من الاعراب ـ بخلاف المبتدأ ، ألاترى انه قد يحذف فلايخل بالمعنى . وقرء : « بالبخل » .

وقوله : « الذين » بدل من قوله : «كل مختـال فخور» كأنه قال : لايحب الذين يبخلون . وفيه دلالة على أن ذا الفرح المغطى متكبر بما اوتى ، فخورعلى الناس . واذا رزق هو وأشباهه مالا وحظاً من الدنيا فلابتهاجهم به والتذاذهم منه وعزتهلديهم، وعظمته فى أعينهم ـ لاجل قصورعقلهم ونقص فطرتهم وخلل جوهرهم ـ يزوونه عن حقوق الله ويبخلـون به ، ولا يكفيهم ذلك حتى يأمروا الناس بالبخل ويحملونهم عليه ، ويرغبونهم بالامساك ويزيّنونه لهم ، وذلك كله من نتائج فرحهم به وبطرهـم عند اصابته ، والفرح بالمحقرات الدنيّة الدنياويّة من لوازم قصور الذات وخسّة الجوهروقلة العقل، حيث لم يتنبّه بدثورها وفنائها، ولماكان الابتهاج بمتاع الحيوة الدنيا والبخل عن أداء الحقوق الواجبة وغيرذلك من ذمائم الاخلاق ناشية عن التوجه الى الجنبة السافلة المستلزم للاعراض عن الحق والتولى عن قبول أوامره ـ كالانفاق ـ ونواهيه ـ كالبخل ـ أشار الى أنه غنىّ عن العباد وانفاقهم ، محمود فى ذاته ، لايقدح فى كمال ذاته ووجوب وجوده الاعراض عن شكره .

مكاشفة

ان فى قوله : « هو الغنى الحميد » من التهديد مالايخفى، للاشعار بأن الامر بالانفاق لمصلحة يعود الى المنفق ، فاذا فات عنه ماهو المصلح لذاته ، المذكى له عن ذمائم الاخلاق ـ كالبخل وحب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة ـ كانت عاقبة السوء .

وليس فى بخل العبد وامساكه ضرر على الله تعالى ، بل الامر بالانفاق والتأكيد فيه انما وقع من الله تعالى لغاية رحمته على عباده ، حيث هداهم طريق التخلص عن عذاب الاخلاق الذميمة فى الدنيا والاخرة مع كونه غنياً عن العالمين، فكيف عن العبد وانفاقه .

وقد بالغ فى الحث على الانفاق حتى طلب الصدقات عنهم بقوله : ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً﴾[٢/٢٤٥] وقال: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ [٩/١٠٤].

وقد سلك طائفة من المخذولين طريق الاباحة وقالوا : ان الله غنى عن انفاقنا ، وغنى عن ان يستقرض منا ، فأى معنى لقوله تعالى : ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً﴾؟ ولوشاء اطعام المساكين لاطعمهم ، فلاحاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم. كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار بقوله : ﴿واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله أطعمه﴾ [٣٦/٤٧] وقال تعالى اخباراً عنهم : ﴿لوشاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا﴾ [٦/١٤٨] .

فانظر كيف كانوا صادقين فى كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم .

فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق ، واذا شاء أصعد بالجهل .

كه‌آدم رازظلمت صد مدد شد * زنور ابليس ملعون أبد شد

رب تال القرآن والقرآن يلعنه . رب رجل فقيه متعبد يكون فقهه وتعبده سبباً

لهلاكه ، ورب جاهل مذنب يكون تحسّره وحزنه على قصوره وعصيانه سبباً لنجاته ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ﴾ .

فهؤلاء لماظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين او لاجل الله تحيرت عقولهم وضلّت أفهامهم فقالوا : لاحظّ لنا فى المساكين ، ولاحظّ لله فينا وفى أموالنا « أنفقنا او أمسكنا » . ولم يعلموا ان المسكين الآخذ لمالك يزيل - اذ يقلل - حب البخل وحب الدنيا من باطنك ، فانه مهلك لك ، فهو كالحجّام يستخرج الدم من عروقك ليخرج العلة المهلكة من باطنك .

ولما كانت الصدقات مطهّرة للبواطن ومزكاة لها عن خبائث الصفات ، وغسّالة لذنوبهم - لان بالمال يتمكن الانسان من المعاصي - امتنع رسول الله ﷺ من أخذها وانتهى عنها ، كما نهى عن كسب الحجّام ، وسمى الصدقات اوساخ أموال الناس وشرّف أهل بيته بالصيانة عنها .

* * *

فهذا هو القول الكلي والسبب العقلي في وجوب الانفاق، وقد سبق ان الاعمال مؤثرات فى القلب ، والقلب بحسب تأثيرها يستعد اما لقبول الهداية ونور المعرفة والالهام ، واما لقبول الغواية وظلمة الجهل والوسواس ، ولايبعد ان يكون قوله تعالى : ﴿ ولاطعام الا من غسلين * لايأكله الا الخاطئون ﴾ [٣٧/٦٩] اشارة الى حال عاقبة عمال الزكوة ومتولى الاوقاف الذين يأكلون حقوق المساكين من غير استيهال ولااضطرار .

* * *

قوله عزوجل :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

أقسم سبحانه انه أرسل الرسل المبعوثين منه ـ وهم الملائكة والانبياء عليهم التقديس والتسليم ـ بالحجج والمعجزات الباهرة ، وأنزل معهم الوحى والميزان . والاول للهداية الى العلوم والتعليمات ، والثانى للارشاد الى الاعمال والمعاملات، ولهذا عقّبه بقوله : ليقوم الناس بالقسط ـ اى : فى معاملتهم بالعدل .

روى ان جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال : « مر قومك يزنوا به » .(١)

وعن ابن زيد والجبايي ومقاتل بن سليمان معناه : وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفّتين يوزن به ـ وفيه سر ـ .

وعن قتادة ومقاتل بن حيان : معناه أنزلنا صفة الميزان ، اى أمرنا الناس بالعدل ، كقوله : ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ [١٧/٤٢] .

وأنزلنا الحديد ـ الذى يتخذ منه آلات الحروب للذب عن بيضة الاسلام ولبأس أهل الفساد ومنفعة الناس، اذ مامن منفعة ينتفع به الناس ديناً ودنياً الا والحديد آلتها كالكتابة والزراعة وغيرهما .

روى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ان الله ـ عزوجل ـ أنزل أربع

---

(١) الكشاف : فى تفسير الاية .

بركات من السماء الى الارض : أنزل الحديد والماء والنار والملح (١)

ومعنى الانزال عند أهل المعنى الانشاء منها ، لان الحوادث الكونيـة انما يخلق من الله بتوسط الاسباب الفاعلة السماوية والمواد القابلة الارضية ، فمعنى قوله أنزلنا الحديد : أنشأناه وأحدثناه ، كقوله : ﴿ وأنزل لكم من الانعام ثمانيـة أزواج ﴾ [٣٩/٦] وعلى هذا المعنى ايضاً يحمل أمثال قوله : ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ [٢٥/٤٨] ، فان السموات ليست حياضاً وغدراناً للمياه ولااصطبلا للدواب ، والى شبه هذا ذهب مقاتل فقال « معناه : بأمرنا كان الحديد » .

وقال قطرب : معنى «أنزلنا» هيهنا « هيأنا » من النزل، وهومايهيّأ للضيف ، اى : أنعمنا بالحديد وهيأنا لكم .

وقيل : « نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد : السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة » .

وروى : ومعه المرّ والمسحاة (١)

وقوله : ليعلـم الله من ينصره ورسله ـ معطوف على قوله : ليقوم النـاس بالقسط ـ اى : ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح . ويحتمل أن يكون معطوفاً على محذوف دلّ عليه ماقبله ، فانه حال متضمن تعليلا ، واللام صلة لمحذوف ، اى : أنزله ليعلم الله ـ .

وقوله : بالغيب ـ حـال من المستكن فى : « ينصره » اى : ينصره ورسله غائباً عنهم بمجرد العلم الواقع بالنظر والاستدلال من غير مشاهدة حسيّة ، كما قال ابن عباس ينصرونه ولايبصرونه .

ان الله قوى ـ على اهلاك من أراد اهلاكه ـ عزيز ـ منيع لايفتقر الى نصرة ، وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به فى العاجل ، ويستوجبوا الثواب بامتثال الامر به فى الاجل ، وليجمعوا بين الرحمة فى الدنيا والمغفرة فى الاخرة .

---

(١) الكشاف : فى تفسير الاية .

مكاشفة

هذه الاية كنظائرها مشتملة على اشارات الى فوائد نفيسة من علم المبدء والمعاد ، وتنبيهات على فوائد شريفة من معرفة سلوك طريق الاخرة وأخذ الزاد ينبغي التنبيه عليها :

الاولى : الاشارة الى كيفية ارسال الرسل وانزال الكتب ، وبيانه : ان سعادة الانسان منوطة بأمرين : احدهما الاطلاع على الحقائق والمعقولات بالعلوم الكلية . وثانيهما الاتصاف بالصفات المحسنات والتنزه عن القيود والمضائق السفليات بالآراء العلمية .

وهذه الكمالات ممايخلو الانسان فى أول الحدوث لكونه ضعيف الخلقة ، كما أشاراليه بقوله : ﴿خلق الانسان ضعيفاً﴾ [٢٨/٤] بل فائضة عليه من الله تعالى بتوسط الملائكة العلوية ، وليس كل واحد من الناس مماتيسر له التفطن بالكمالات، والاتصال بعالم العلويات الا من أيّد بروح قدسى يتصل بفيض علوى ، ويعلم الاشياء بالهام غيبى ومدد سماوى، وهذا الانسان هو «**النبى**» او«**الولى**» ومايقبله بحسب صفاء باطنه واشراق روحه عن الملك الملقى اليه المعارف هو «**الوحى**» للانبياء او « الالهام » للاولياء . وستعلم الفرق بينهما .

فلابد لهداية الخلق وارشادهم الى طريق النجاة وايصالهم الى المعاد من وجود متوسط بينهم وبين الله يأخذ منه العلوم والكمالات من غير تعليم بشرى ، ويوصل اليهم ﴿ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ كيف ولو أخذ كل انسان علمه من انسان آخر ـ من غير أن ينتهى الى الوحى والالهام ـ لادّى ذلك الى غير النهاية ، فلابد من الانتهاء الى من يأخذ العلوم والكمالات من معدن اللاهوت بلاتعلم اوتقليد .

ولايتوهمن ان النبى يأخذ العلوم عن الملك الموحى اليه على سبيل التقليد - هيهات - العلم التقليدى ليس علماً فى الحقيقة ، اذ العلم هو اليقين ، وهو لايحصل الا مع الظفر بالمبادى والاسباب بسبب اتصال النفس القدسية بالملائكة وأخذها العلوم منهم ، فان الغير المنطبع لولا احتجابه بالبدن وقواه وتعلقه بالدنيا واخلاده الى الارض يتصل بالمبادى العالية والملائكة المقربين ، وخصوصاً بما يقرب الينا ويؤثر فى عالمنا هذا وهو المسمى بـ **«روح القدس»** المعلم للانبياء ، و**«جبرئيل»** على لغة السريانيين ، فاذا اتصلت به لتلألات فيها النقوش العلمية والصفات الكمالية التى فيها ، اذلامبائنة بين المجردات الا المادة ، ولامنع ولاتقصير ولابخل فى الاجادة والافاضة ، لان هذه الاشياء من خواص عالم الاجسام لتضائقها وتمانعها ، فلدى الارتفاع عن ذلك يطالع المغيبات .

ومن جرّب من نفسه صحة منامات - والنوم انما هو انحباس الروح عن الظاهر فى الباطن - لايستبعد من أن يكون نفس شديدة الارتفاع عن هذا العالم ، قويّة الاتصال بالملكوت الاعلى يتلقى منه المعارف الكلية والحقائق العقلية ، كما يتلقى أكثر النفوس فى بعض الاحانين من الملكوت الاوسط شيئاً من المغيبات الزمانية المادية .

ومنبع المكاشفات العقلية المعنوية عالم العقول والملائكة العقلية ، ومعدن المكاشفات الصورية الحسية عالم النفوس الفلكية والملائكة العملية .

فالمكاشفة العقلية أحد أجزاء النبوة ، وهو جزء مشترك بين الانبياء والاولياء، **وللنبوة جزئان** مختصان: أحدهما أن يكون النبى مأموراً من السماء باصلاح النوع والثانى طاعة الهيولى العنصرية له ، بل طاعة هيولى الافلاك بالشق والرم بسيدهم وخاتمهم ﷺ لظهور المعجزات وخوارق العادات .

* * *

وتحقيق ذلك ان الانسان ملتئم من أجزاء ثلاثة ، من عوالم ثلاثة ، هى مبادى ادراكات ثلاثة : **التعقل ، والتخيل والاحساس .**

فبكل من هذه القوى يتصرف فى عالم من العوالم الثلاثة: الدنيا ، والاخرة، وما هو فوقهما ـ اى عالم الوحدة ـ وقد ثبت ان كل ادراك هو ضرب من الوجود، فكمال كل واحد من هذه القوى يوجب التصرف فى عالم من تلك العوالم، والنبى هو الانسان الذى يقوى فيه ويكمل ويشتد جميع هذه القوى الثلاث ، فبالقوة العاقلة يتصل بالقدسيين ويجاور المقربين و ينخرط فى سلكهم ـ بل يفوق عليهم عند اتصاله بالحق وفنائه عن الخلق واندكاك جبل انيته ، كما أخبر عن نفسه بقوله ﷺ: «لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل» .

وبالقوة المصورة يشاهد الاشباح المثالية والاشخاص الغيبية ويتلقى الأخبار الجزئية منهم ويطلع بهم على الحوادث الاتية والماضية .

وبالقوة الحساسة ـ المساوقة للقوة المحركة ـ يتسلط على الافراد البشرية ، وينفعل عنه المواد ويخضع له القوى والطبائع الجرمانية تسلط العالى على السافل وخضوع السافل للعالى .

فالدرجة الكاملة من الانسان بحسب نشأته الجامعة لجميع العوالم هى التى يكون الانسان بها معظما عندالله ، مؤيداً منه بتأييد تـام ، والهام غيبى ، وامداد ملكى ، واعانة فلكية يكون بحسبها قوى ّ القوى الثلاث كلها ليستحق بها خلافة الله ورئاسة الخلق من قبله .

* * *

فعلم مما ذكرنا ان **اصول المعجزات** والكرامات هى كمالات ثلاثة تختص بقوى ثلاث :

الخاصية الاولى : كمال القوى العاقلة ، وهى أن يصفو عقل الانسان صفاء يكون شديد الشبه بالملائكة المقربين ـ المسماة عند بعضهم بالعقول الفعالة ـ ليتصل بهم من غير كثير تفكر وتعمل ، حتى يفيض عليه العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشرى بل يكاد أرض نفسه الناطقة أشرقت بنور ربها، وزيت عقله المنفعل يضيء لغاية الاستعداد بنور العقل الفعال الذى ليس هو بخارج عن كمال ذاته وان لم تمسسه

نار التعليم البشرى لكن عند تميز ذاته القابلة للمعقول عن ذات المقبول من العقول صارت نوراً على نور ـ يهدى الله لنوره من يشاء .

* * *

الخاصية الثانية : كمال القوة المصورة وهو كونها فى الشدة والقوة بحيث يشاهد فى اليقظة عالم الغيب ـ كما قد يشاهد النائم فى نومه ـ وذلك لان قوى النفس وان كانت متجاذبة متنازعة كلما انجذبت النفس الى بعضها كالظواهر انقطعت عن الاخرى كالبواطن ، لكن اذا لم تكن ضعيفة منفعلة عن الجوانب بل كانت قوية غير منفعلة عنها وسيعة للجانبين تحفظ الجميع فعند استعمال الحواس الظاهرة تستعمل الباطنة ، و تشاهد المغيبات فى اليقظة ، فتدرك المعقولات و الكليات عن الوسائط العقلية ، و تشاهد الصور الجميلة والاصوات الحسنة المنظومة على الوجه الجزئى فى مقام هورقليا اوفى غيرها من العوالم المتوسطة البرزخية الباطنية .

وليعلم ان العوالم متطابقة متحاكية ، فكل مايدرك هذا الانسان من عالم العقل يقع له حكاية منه فى عالم الاشباح الباطنية، فذات العقل المفيض للمعارف عليه يتشبح له صورة حسية متكلماً بكلام فصيح مطابق لتلك المعانى ، مطابقة البدن للروح واللفظ للمعنى، فيكون لصورة المحاكية للجوهر الشريف العقلى **هو الملك الذى يراه النبى والولى** ، أما النبى بما هو نبى فعلى طريق الحكاية والصورة ، وأما الولى والنبى بماهو ولى فعلى طريق التجرد الصرف ـ **وهذا أفضل أجزاء النبوة .**

لكن النبى لكمال قوته البدنية و العقلية ـ جميعاً ـ يدرك الملك الموحى على الوجهين ـ بخلاف غيره من الاولياء ـ وكذا الحكم فى المعارف التى تصل الى النبى معنى و حكاية والى الولى معنى فقط ، فالشخص الملقى للمعارف على الوجه المذكور هو الملك الموحى باذن الله ، والكلام النازل منه فى غاية الفصاحة هو كلام الله والوحى .

فعلم مما ذكر ان للملائكة ذواتا حقيقية أمريّة وذواتاً بحسب القياس الينا من جهة القوة المصورة التى شأنها حكاية المعقولات ـ حكاية صحيحة طبيعية، و كذا

للقرآن حقيقة معقولة لايطلع عليها احد الا من شاءالله تعالى ، وحقيقة بالقياس الى مداركنا و حواسنا ، كما ان للحق تعالى ذاتاً أحدية لايكتنهها أحد غيره ، و ذاتاً متصفة بالاضافات والاستواء على العرش .

فلينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة أفهام خلقه ، وفى ايصال كلامه الى أفهام خلقه ، وانظر كيف يجلب لهم اياه فى حروف و أصوات - هى صفات البشر - و لو استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لماثبت لسماع كلامه عرش ولاثرى و لتلاشى مابينهما من عظمة سلطانه و سبحات نوره ، ولولا أن ثبّت الله موسى - على نبينا وعليه السلام - لما أطاق سماع كلامه ، كمالم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكاً دكا .

وقد عبر بعض العارفين عن هذا وقال: ان كل حرف من كلام الله فى اللوح أعظم من جبل قاف ، وان الملائكة لواجتمعت على الحرف الواحد أن نقلوه لما أطاقوه حتى يأتى اسرافيل - وهوملك اللوح - فيرفعه فينقله باذن الله لابقوته وطاقته، ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به .

فقوله: «كل حرف من كلام الله أعظم من كذا . . .» المراد منه ان كل معنى من المعانى العقلية بحيث لايمكن حمله بقوة جسمانية - لماثبت من أن المعنى العقلى لايحمله المحل الجسمانى - والملائكة الذين لايطيقون حمل المعانى العقلية الكلية هم الملائكة الجسمانيون ، فحق أن المعانى القرآنية مالم تنزل بكسوة التعينات الجزئية والاصوات والالفاظ لايحمله الطبائع الجسمانية والمدارك الخيالية الانطباعية

والمراد باسرافيل اما الملك العقلانى المفيض لفلك الشمس التى هى بمنزلة قلب العالم - كمامر - اوالملك النفسانى المدبر لها. وظاهر أن العقول المجردة لايحمل المعانى الكلية الا بافاضة الله تعالى عليها .

* * *

الخاصية الثالثة : قوة فى النفس الانسانى من جهة جزئها العملى وقواها التحريكية ليؤثر فى هيولى العالم بازالة صورة ونزعها عن المواد ، وبايجادها

وكسوتها اياها ، فيؤثرفى استحالة الهواء الى الغيم ، وحدوث الامطار، وحصول الطوفانات ، واستهلاك امة فجرت وعتت عن أمرربها ورسله ، واستشفاء المرضى، واستسقاء العطشى ، وخضوع الحيوانات .

وهذا ايضا غيرمستحيل لماقد علمت ان الاجسام مطيعة للمجردات ، بل‌هى ظلال لها وعكوس منها، فكلما أزدادت النفس تجرداً وتشبّهاً بالمبادى القصوى ازدادت قوة وتأثيراً فى مادونها ، واذا صادقت أن مجرد التصور والتوهم يحدث هذه التغيرات والانفعالات فى هيولى البدن وليس ذلك لكون النفس ملاصقةبالبدن منطبعة فيه ، بل لتعلق قهرى وارتباط على (عقلى) وعلاقة شوقية لها به ، فلاتتعجب من نفس شريفة قوية تؤثر فى بدن الغير وفى هيولى العالم مثل هذا التأثير ، لاجل مزيد قوة شوقية ، واهتزاز علوى ، ومحبة الهية لها وشفقة لها على خلق الله شفقة الوالد لولده والام لولدها ، فيؤثرنفسه فى اصلاحها واهلاك ما يضرها والمجاهدة مع ما يفسدها .

وكما ان الخاصية الثانية توجد بوجه غير مرضى ولامحمود فى نفوس الاشرار ، فكذا هذه الخاصية يوجد شيء منها فى بعض النفوس القوية من غير تأله ولامعرفة ، بل لشدة قوته التأثيرية قد يتعدى تأثيرها فى بدن آخرحتى يفسدالروح بالتوهم ، ويعبّرعن هذا **باصابة العين** .

كما روى عنه ﷺ انه قال : «العين يدخل الرجل القبر، والجمل القدر» وقال ﷺ ايضا : «العين حق» (١)

فاذا كان هذا النحو من التأثير - اى بدون آلة جسمانية - ممكناً فى حق الاشرار ، فما ظنك بنفوس عظيمة شديدة القوة شديدة البراءة عن المواد ، كيف لايتعدى تأثيرها عن بدنها وعالمها الصغيرالى غيره فيؤثرفى‌هيولى العالم تأثيرها فى بدنه ، ومثل هذا يعبّربالكرامة والمعجزة عند الناس .

---

(١) الجامع الصغير: باب العين ٧٠١ر١

والخاصية الاولى أفضل أجزاء النبوة عند الخواص، ولهذا كان أعظم معجزات نبينا ﷺ القرآن، و هو كما ترى مشتمل على المعارف الالهية . وحقائق المبدء والمعاد ، وسلوك الطريق الى الله تعالى ، وبيان أحوال الواصلين اليه تعالى على وجه عجز عن دركه الا الاقلون من الراسخين من امته . وفيه الاخبار عن المغيبات والافعال الخارقة للعادات ، مع أن نفسه ايضا من المعجزات العقلية التى كلّت أذهان العقلاء عن دركها ، وخرست ألسن الفصحاء عن وصفها .

فهذا ما اوردناه من معنى **ارسال الرسل وكيفية انزال الكتب** .

الفائدة الثانية

الاشارة الى تكميل القوة النظرية وتعديل القوة العملية المستفادين من لفظى **الكتاب و الميزان** والاقران بينهما فى الانزال ، و التعليل لهما بقيام الناس بالقسط

و بيان ذلك ان للانسان هويّة مجردة عن الاحياز والامكنة ، و هى لطيفة ملكوتية ، و كلمة روحانية مضافة الى الحق ، فائضة بأمره من غير وساطة المواد واستعدادها الا بالعرض - كما حققناه فى موضعه - وهى المشار اليه بقولنا : «أنا» و هى الجوهر الباقى منا الى يوم الحشر والحساب مع اضمحلال الاجزاء البدنية ، وهى المحشور الى ربها عند القيامة بالبدن الاخروى المماثل لهذا البدن، بل عينه ، لان هوية البدن و تشخصه انما هى بالنفس فى مدة بقاء الكون و ان تبدلت الاعضاء بالاستحالات الحاصلة من الحرارات الغريزية الطبيعية، والغريبة الداخلة ، والمطيفة بالبدن الخارجة .

وبالجملة حقيقة الانسان ليست الا ذاته المجردة، وكل ذات انما يكون هلاكها فى نقصها وضعفها و آفتها و مجاورة ضدها وبقاؤها فى كمالها و قوتها و صحتها ومجاورة أشباهها، ولكل شىء كمال خاص، فكمال القوة الشهوية نيل المشتهيات

واللذائذ الحسية، وكمال القوة الغضبية الظفر بالانتقام، وكمال القوة الحسية ادراك المحسوسات، وكمال القوه المتخيلة تصوير المتمثلات ، وكمال الواهمةالظنون والرجاء .

و للنفس الانسانيةفى ذاتها كمال يخصها ، و لها قوتان : **احديهما** عاقلة نظرية متوجهة الى الحق، **والاخرى** عاملة محركةللبدن متوجهة اليه،فكمال النفس بحسب قوتها النظرية بمعرفة حقائق الاشياء وكلياتها والمبادى القصوى فى الوجود وبالجملة معرفة الحق الاول بماله من صفات جماله، ونعوت جلاله، وكيفية صدور أفعاله عنه ورجوعها اليه ، ومعرفة كونه غاية الاشياء الذى يتوجه اليه الموجودات فى بقائها، كما يبتدى منه فى حدوثها، الىغيرذلك من المعارف الحقّة التى كانت مستعدة لها اولا عند كونها هيولانية الذات، ثم يحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها على نحو البرهان الدائم اليقينى، ثم سيصير مشاهدة اياها فائضة من الحق الاول، ثم يصير متصلة بها، منخرطة فى سلكها، مستغرقة فى شهودمبدئها ومعادها ، بحيث لا يلتفت الى ذاتها العارفة به تعالى ، فضلا عن غيرها ، بل الاضمحلال فى المعروف يذهلها عن كل شيء حتىعن ذاتها وعنعرفانها لمبدئها.

فاليقين الاول **هوالعلم** ، والثانى **هو العين** ، والثالث هو **الحق** فهذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية ، ولاشبهة فى انه لايحصل هذا الكمال الابسبق معرفة الحقائق والعلم بالمعقولات ، ولاشبهة فى ان كتاب الله مشتمل على جلها بل كلها ، و لا شك فى ان حصول المعارف و العلوم متوقف على وساطة الرسول ، ووساطته انما تحصل بانزال القرآن ، فقوله تعالى : ﴿و أنزلنا معهم الكتاب﴾ اشارة الى ما يستكمل به القوةالنظرية .

و أما كمال النفس بحسب القوة العملية الذى يكون الميزان اشارة اليه فبيانه : أن النفس لما كانت فى اول نشأتها ناقصة ضعيفة القوام بذاتها ، فيحتاج فى استكمالها بالكمال الذى قد سبق ذكره الى مادة بدنية تفيض و تستفيد بواسطة آلاته الجسمانية و مشاعره الادراكية مبادى ادراكاتها التصورية والتصديقية من

الاوليات الحاصلة من المشاركات والمباثنات بين مايقع الاحساس بها من المحسوسات الجسمانية ، فتكون النفس فى اول الاستكمال محتاجة الى البدن وقواه على الوجه المذكور، ولذا قيل: « **من فقد حسا فقد علما** ».

ثم ان البدن جسم مركب من عناصر متضادة فله بحسب كل منها أضداد يجب الاحتراز عنها فى مدة بقائها، وهو فى اول التكون قليل المقدار صغير الجسم لكون كل بدن حاصلا من مثله فى النوع بفضلة تحصل منه ، و فضلة الشيء لا يمكن أن يساويه، فلهذا الوجه ولوجوه اخر مذكورة فى مقامه لابد أن يكون فى اول الحداثة قليل المقدار غير تام الخلقة ، ويكون تمامه بورود الجسم الشبيه به ـ قليلا قليلا ـ فى مدة حيوته وهو الغذاء وطلبه انما يكون بالشهوة ، و الشهوة لا بدلها من ادراك سابق لان كل جسم لايصلح للتغذى، اذربما يكون سما قاتلا اومضراً، فيحتاج الانسان الى قوة ما يدرك المصلح عن المفسد فى الأجسام الغذائية ، ولا بد أن يكون مدركاً بادراك جزئى من الحواس الظاهرة ـ لاجل التميز ـ والباطنة ـ لاجل الحفظ والذكر ـ اذربما لايكون فى كل جسم ما يشهد كونه ملائماً او منافيا فى كل وقت.

فثبت ان استكمال النفس متوقف على بقاء البدن مدة، و بقاء البدن متوقف على **قوى ثلث لامور ثلاثة**: قوة العلم للتميز بين المصلح والمفسد، وقوة الغضب لدفع المفسدة ، وقوة الشهوة لجلب المنفعة .

و مباشرة النفس لهذه القوى الثلاث من باب الضرورة كما علمت ، و الا فكمالها فى التجرد عنها ، ومن ابتلى بصحبة الاخساء من الاضداد فما دام اشتغاله بها و عدم الخلاص عنها فالتوسط بين الاضداد بمنزلة الخلو عنها، فان الماء الفاتر بمنزلة الخالى عن الحرارة والبرودة. فكمال النفس ـ عند استقلالها بالقوى الثلاث واستعمالها اياها ـ توسطها بين الافراط والتفريط فيها لان لاينفعل عنها ولا يطاوعها فى مآربها، بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها لاالانقهار عنها، وهى انما تحصل بالتوسط فيها.

أما قوة العلم ـ اى استعمال الحواس الظاهرة والباطنة فى امور الدنيا ـ

فتوسطها و اعتدالها يسمى «بالحكمة» وهى معناها غير العلم العقلى بحقائق الاشياء بالقوة النظرية، فانها كلما كان اوفر كان أفضل ﴿ و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً﴾ [٢٦٩/٢] وافراط هذه القوة يسمى « بالجربزة » وهى المكر والخديعة ، وتفريطها هى «البلاهة» و«السفاهة» وكلا الطرفين مذمومان .

واما **قوة الغضب**: فتوسطها واعتدالها «الشجاعة» ـ و هى فضيلة كالجود ـ وكلاجانبيهاـ وهما «**التهور**» **و** «**الجبن**»ـ رذيلتان، كما ان طرفى الجود. كالبخل والاسرافـ مذمومان لقوله تعالى: ﴿ ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط﴾[١٧ر ٢٩] وقوله : ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [٢٥ر٦٧] .

واما قوة الشهوة فتوسطها واعتدالها هو «**العفة**»، وطرفاهاـ و هما «**الشره**» و«**الخمود**»ـ رذيلتان .

و من تركيب هذه القوى الثلاثة و امتزاج اوساطها الثلاثة تحصل قوة اخرى لها توسطـ هى الفضيلةـ المعبر عنها «**بالعدالة**».

ولها طرفان مذمومان : فافراطها « **الظلم** » وتفريطها « **الانظلام** » .

* * *

فهذه الصفات الاربع اصول الفضائل العلمية، وأطرافها الثمانية هى الرذائل ومجموعها حسن الخلق اذا صارت ملكة ينوط بها خلاص الانسان من ذمائم الاخلاق الموجب لسخط البارى و غضب الخلاق ، والتعذب بالاحتراق بالجحيم لاجل الانحراف عن العدالةـ المعبّر عنها بالصراط المستقيم، فخير الامور فى هذا العالم اوسطها، فكما ان نفس الطريق المستقيم ليست مقصوداً، بل جوازها يؤدى الى المقصود فكذلك حسن الخلق ليس كمالا ، بل الاتصاف به يورث الخلاص من الجحيم ، وانما الكمال الحقيقى والمقصود الاصلى هو معرفة الحق الاول ومايليه من الصفات الجمالية والافعال الالهية التى تكمل بها النفس ، و تقر بمشاهدتها العين السليمة من الامراض الباطنية، **فالميزان** الذى تقوم فيه الناس بالقسط و يعتدل به نفوسهم

ويحسن خلقهم هو اشارة الى مجامع الأخلاق الحسنة .

وقد روى عن النبى ﷺ انهقال : أثقل ما يوزن فى الميزان خلق حسن (١)

وقال ﷺ:«بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» (٢).

وقيل: « ماالدين؟ » فقال ﷺ: « الخلق الحسن ».

وقال ﷺ: « حسن الخلق خلق الله » (٣).

وقال ﷺ ايضاً: «أفضل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقا» (٤).

و اليه الاشارة فى قوله تعالى: ﴿و نفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقويها* قد أفلح من زكيها* وقدخاب من دسّيها﴾[٩١ر٧-١٠]

و كما ان للحسن الظاهر أركاناً ــ كالعين ، والانف ، والفم، والخد ــ ولايوصف الظاهر بالحسن مالم يحسن جميعها، فكذلك للنفس التى هى باطن الانسان وجه الى الخلق ، و وجه الى الحق ، و وجهها التى يلى الحق هو جهة وحدتها وبساطتها، و وجهها التى يلى الخلق جهة تركيبها من الاخلاق ، وللاخلاق أركان واصول، فلا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق، ولهذا كان فى الادعية النبوية **«اللهم حسن خلقى»**(٥) لحسن الوجه العملى التدبيرى، و: «اللهم أرنى الاشياء كما هى » لحسن الوجه العلمى الشهودى .

والعدالة عبارة عن هيئة تحصل به حسن وجه النفس ، وهى فضيلة متضمنة

---

(١) المسند: ٦/ ٤٤٢ .

(٢) جاء الحديث بالفاظ مختلفة راجع المسند ٢ر٣٨١ والموطأ:باب ماجاء فى حسن الخلق ٣ر٩٧. ومجمع الزوائد ٩ر١٥

(٣) الجامع الصغير : ١ر١٤٨

(٤) الجامع الصغير : ١ر٥١، و فى المسند ٦/ ٩٩ : أكمل المؤمنين . . . وجاء مثله فى الكافى: ٢/ ٩٩ عن أبى جعفر عليه السلام .

(٥) المسند: ٦ / ٦٨-١٥٥: (اللهم أحسنت خلقى فاحسن خلقى) .

لجميع الفضائل الخلقية، كما ان الحسن الظاهرى فضيلة جسمانيةمتضمّنة لكمال سائر الفضائل الخلقية، و تناسب جميع الهيئات البدنية، والتخاليط و التشكيلات الجسمانية، ويعبر عنها **بالميزان** لاشتراكها معه فيما يعرف به مقدار الشيء، اذيعبر (يعرف - ن) بها فقد الأخلاق - التى بها زينة جوهر الذات الانسية عن زيفها واستقامة الاعمالعن ميلها وحيفها، وخلاصها عنغشّها .

والموازين لايجب أن يتساوى الجميع فى الذات والماهية، بل فى كونها ميزاناً،وانهامما يعرف بهحال الشيء كمية او كيفية، فان الاسطرلاب ميزانوالمسطرة ميزان، والعروض ميزان، والنحو ميزان، والمنطق ميزان، لاشتراك جميعها فيما به يسمى الميزان ميزاناً، وان اختلفت فى الماهية، لكن هذا الميزان الذى كلامنا فيه هو بعينه ما سيعود يوم القيامة بصورته المناسبة للنشأة الآخرة، فيعرف به كل واحد من الناس مقدار عمله بمعيار صادق، ثم يحاسبون على أقوالهم و افعالهم وضمائرهم ونيّاتهم مماأبدوه اوأخفوه، ثم يساقون الى الصراط- وهوجسرممدود بين منازل الاشقياء والسعداء أحدّمن السيفوأدق من الشعر، يخف عليهمن استوى فى الدنيا على الصراط المستقيم الذى هوصورة العدالة ومثاله فى الآخرة .

وقداشرنا الى أن فضيلة العدالة ليست فضيلة حقيقية للانسان وخيراً حقيقياً بل هىطريقمستقيم يؤدى الىالكمال والخيرالحقيقيين،فلابد منجوازهاحتى تصل النفس الى كعبةالمقصود، ويتنعم بالنعيم ومجاورة المعبود .

فهذا ما أردنا من بيان معنى الميزان الذى يقوم به الناس بالقسط.

الفائدة الثالثة

الاشارةالىترتيب سلسلة الموجوداتوتقدم بعضها على بعض
و تأخر بعضها عن بعض بحسب الشرف و الكمال و الحاجة
والافتقار فىالنزول منهوالصعود اليه :

وبيان ذلك بأن أوائل الموجودات الصادرة عنه تعالى التى صدرت بمحض

الجود والخير من غير استعداد وتركيب ـ وهى التى تسمى «بعالم الامر» لوجودها عنه تعالى بمجرد أمره، من غير توسط وجود قابل، واستدعاء افتقار ثابت وتضرع بلسان استعداد لوجودها، و صدورها عنه تعالى على هذا الوجه، وهى عقول مفارقة هى **«الملائكة المقربون»** وعالمها **«عالم القضاء»**.

ثم نفوس مجردة هى **«الملائكة المدبرون»** وعالمها «عالم التقدير والتدبير»

ثم أجرام سماوية و عالمها **« عالم الاعمال و الحركات »** التى تنشأ منها العناصر الاربعة بتوسط هيولاها المشتركة، وهى نهاية تدبير الامر المشار اليه فى قوله تعالى ﴿يدبر الامر من السماء الى الارض [٣٢ر٥]﴾ .

و أما الموجودات الفائضة عنه بتوسط المواد والقوابل و الاستعداد فهى المركبات على هذا الوجه: **المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان** ثم أول درجة الانسان و هو الذى فى أوائل العقول، ثم مرتبة اهل الايمان ثم مرتبة العلماء ثم الاولياء والانبياء.

وعند الوصول الى رتبة الاولياء والانبياء وقع الوصول الى الحق، فرجع سلسلة الموجودات فى الصعود الى الحق ثانيا عند ارتفاعها عن درجة النقصان والخسّة الى حيث نزلت منه تعالى أولا، فهو تعالى مبدء الاشياء وغايتها، وهو الاول والاخر.

* * *

واذا تمهد هذا: **فقوله : لقد أرسلنا** ـ اشارة الى عالم الملكوت المتوسطة بينه وبين الخلق، و هو مشتمل على الملائكة والانبياء، ولايتم النبوة الا بالملك النفسانى الذى يخبر بالحوادث الاتية والماضية، ولاينصلح اخباره للرسول الابعد استعلامه من الملك العقلانى المتوسط بينه وبين الله، الذى يستفاد منه حقائق الاعتقادات الكلية، فكما أن الانبياء يصلحون اعتقادات الخلائق، فكذلك الملائكة يصلحون بعضهم بعضاً الى أن ينتهى الى حضرة الربوبية التى هى ينبوع كل قوام، ومطلع كل حسن ونظام.

و قوله : أنزلنا معهم الكتاب ـ اشارة الى الملك النازل على قلوب الانبياء بالوحى ، وحكم الانبياء عند اتصالهم بعالم الغيب و مشاهدتهم الملائكة هو بعينه حكم الملائكة فى منزلتهم و مرتبتهم فى الوجود ، وان صدق عليهم حين نزولهم من عالم تقدسهم الى درجة أفهام الخلق قوله تعالى : ﴿ قل انما أنابشر مثلكم ﴾ [٦/٤١] .

ثم ان الارسال والانزال أمران نسبيّان يدلان على المنزل والمهبط بالالتزام، ومهبط نزول الرسل (الوحى ـن) والملائكةعالم الاجسام ، والهبوط لابد فيه من المرور على المراتب المتوسطة بينعالم القدس و عالم الجرم الارضى الذى هـو أسفل السافلين ، فقدوقعت الاشارة الى المراتب الكلية لسلسلة النزول .

واما الاشارة الى سلسلة الصعود : فلفظ الميزان ممايحتمل أن يكون اشارة الى التعادل فىالعناصر الذى يقال له المزاج ، المشار اليه بقوله : ﴿والسماءرفعها و وضع الميزان ﴾ [٥٥ / ٧] وهوالذىبه يتهيّأ المواد العنصرية لان تحصل منه المواليد الثلاثة ، فان المانع عن قبول الحيوة والشرف من اللهتعالى فى الاجسام السفلية هى التضاد ، والا فالجود مبذول و الرحمة واسعة ، أو لاتـرى أن الاجرام العلوية لخلوها عن التضاد فىالكيفيات حيّة مطيعة لله تعالى فى أوامره و نواهيه ، لاكارهة كالارضيات كما وقعت الاشارة فـى قوله تعالى : ﴿ فقال لها و للارض ائتيا طوعاً او كرهاً ﴾ [٤١ / ١١] وقوله : ﴿ و اوحى فى كل سماء أمرها ﴾ [٤١ /١٢] .

فكلما اوغلتالعناصر عندالامتزاجفى الاعتدال والتوسط بين أطرافالاضداد الذى هو بمنزلة الخلو عنها يستعد لافاضة كمال أشرف وحيوة أرفع .

فاول مايحصل لها منالتوسطوالاعتدال هو مايحصل منه المعادنعلىمراتبه ثم النبات كذلك ، ثم الحيوان على أنواعه ، ثـم الانسان على طبقاته فى الشرف والبرائة من الاضداد ، وقدتقرر فى العلوم الالهية : **انالطبيعة مالمتستوفالنوع الاخس لمتتخط الى النوع الاشرف** ، فقوله : ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾اشارة

الىوجود صورة الانسان بحسب القسط والعدل فى كيفيات عناصره وكمياتها وهو المزاج المعتدل الانسانى الذى هو أشرف الامزجة المعبر عنه بالتسوية فى قوله : ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾ [١٥/٢٩] .

و كون الميزان اشارة الى الاعتدال فى الكيفيات والصفات الجسمانية لاجزاء البدن لاينافى كونه اشارة الى العدالة فى الاخلاق النفسانية ، أما علمت ان وجوه فهم القرآن لاينحصرفى واحد ، **فان للقرآن ظهراًوبطناًوحداً ومطلعاً** ـ كماورد فى الحديث (١) عنه ﷺ ـ بل ذلك الوجه يلائم هذاالوجه ويطابقه تطابق الظاهر للباطن ، اذالعوالم متطابقة ، والنشئات متحاذية ، فالاعتدال فى المزاج يستدعى أن تكون الصورة الانسانية الفائضة عليه عدلا فى الصفات المعنوية و اصول الاخلاق النفسانية ، التىهى بمنزلة صور الكيفيات الجسمانية .

وقوله : و أنزلنا الحديد ـ اشارة الىدرجة المعادن ، وهى الدرجة النازلة من المواليد ، كما أن الدرجة الانسانية من الحيوان ـ المشار اليها بقوله : ليقوم الناس بالقسط ـ هى الدرجة العالية منها .

وقوله : ومنافع للناس ـ يومى الى درجة النباتات لان الحديد آلة الحرث و الغرس . على أن من الاشارة الى الجماد والى نوع من الحيوان وهما الطرفان النازل والعالى من المركبات ـ لزمت الاشارة الى النبات بالالتزام على مامر من توقف النوع الاشرف على النوع الاخس فى سلوك الطبيعة درجات الصعود الى الحق ، كمايتوقف الاخس على الاشرف فى النزول عنه ، والى الحيوان بالتضمن ، لان الحيوان بماهو حيوان جزء من الانسان ، ودلالة الشىء على جزئه بالتضمن .

واماقوله : وليعلم الله من ينصره ـ اشارة الى درجة أهل الايمان والمعرفة ، لانهم ينصرون دين الله بالمجاهدة مع الكفار ، وهم متفاوتون فى الفضيلة ، وأفضلهم

---

(١) قال العراقى (ذيل احياء علوم الدين : ١/٩٩) : أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود . ورواه العياشى (١/١١) بلفظ آخر فراجع.

العلماء الذين ينصرون دينه تعالى بالاجتهاد والاستنباط بالفكر الصحيح.

و قوله : ورسله ـ اشارة الى درجة الانبياء والاولياء الذين بهم ينتهى ارتقاء المكونات فى توجههم شطر كعبة الحق وتلقاء مدينة الخير الحقيقى الذى لايشوبه شوب قصور وزوال ، وهو الله العزيز المتعال ، القوى الشديد فى الاثار و الافعال ، ولذلك وقع الانتهاء باسم ذاته تعالى صريحاً مع ذكر صفة كمالية اضافية، واخرى جلالية سلبية ، كماوقع الابتداء بهضمناً وكذا وقع الالتفات من التكلم الى الغيبة ، لان السلسلة الاولى شعورية ، والاخرى اشعارية فابتدأت الاولى بماينا سبهامن الشعور دون الاشعار ، وانتهت الثانية ايضاً بماينا سبها من الاشعار ، ولان أهل السلسلة الاولى أصحاب الجبر والاستغراق فى الشهود والفناء والهيمان ، فلا التفات لهم الى ذواتهم ولاارادة لهم سوى ارادة الله وأهل السلسلة الثانية أصحاب الاختيار والارادة المنفصلة عن ارادة الله ، وذلك لوجود الوهم والخيال فيهم و هو مناط التكليف لزعمهم أن لهم وجوداً مستقلا بالذات ، فالاضمار و التكلم يناسب الاولى ، و الابراز والغيبة يناسب الثانية.

﴿ الفائدة الرابعة ﴾

الاشارة الى علمه بالجزئيات الزمانية على الوجه الجزئى

وهو الذى حارت فيه أفهام الحكماء والفضلاء حيث ذكروا أن العلم بالشىء على سبيل التجدد والتعاقب يوجب التجسم والتغير فى ذات العالم ،مع أن القرآن مشحون بذكر مايدل على تجدد اختبار وابتلاء ، واستيناف نحو من أنحاء العلم ، كقوله تعالى فى هذه الاية : ﴿ليعلم الله من ينصره﴾ وكقوله : ﴿ ليبلوكم أيّكم أحسن عملا﴾ [١١/٧] .

ومن هذا القبيل كل آية وقعت فيها نسبة الابتلاء اليه تعالى ، وهذا أمر لايعرفه النظار بقوة البحث والنظر الامن أيّده الله بتوفيق خاص الهى يصل بـه الى ادراك

الحق بأقدام العبودية و الاخلاص فى العلم والعمل ، وقد أومأنا اليه والى كشفه فى مواضع متفرقة من الاسفار .

الفائدة الخامسة

الاشارة الى الفرق بين معانى الغاية التى قد يقع بازائها حرف « اللام »

فان الغاية قد يراد بها « **السبب الغائى** » وهو ما به يكون الفاعل فاعلا تامّاً ، وقد يراد بها «**مايؤدى اليه الفعل**» من غير أن يكون مقصوداً للفاعل فى فعله ويقال له «الضرورى» ، وقد يراد بها « ما ينتهى اليه الفعل » بحسب الذات والقصد جميعا .

و الغاية بالمعنى الاول فى أفعاله تعالى لاتكون الا ذاته ، لانه تام الفاعلية والايجاد ، وبالمعنى الثالث لو اريد به آخر ماينتهى اليه الفعل فهو ايضا ذاته ، وقد يكون غيره كما فى الحديث القدسى عنه تعالى : « لولاك لماخلقت الافلاك » .

وأما المعنى الثانى فهو لايكون الاغير ذاته .

ومثال المعنى الاول : تصور السكنى فى بناء البيت للبانى ، بل تصور الراحة التى يتصورها عند السكنى ، ومثال المعنى الثانى : المنفعة الحاصلة للاجير فى بنائه ومثال الثالث : وجود السكنى او الراحة الذى ينتهى اليه الحركات البنائية .

فقوله : أرسلنا رسلنا ـ وماعطف عليه ـ اشارة الى العلة الغائية بالمعنى الاول ، لان الارسال والانزال فعلان اختياريان لابد فيهما من علة غائية ، وقوله : ليقوم الناس اشارة الى الغاية بمعنى الضرورى ، وقوله : وليعلم الله من ينصره ـ اشارة الى الغاية الذاتية التى ينتهى اليها الفعل بالذات .

الفائدة السادسة

الاشارة الى عنايته وحكمته فى خلق الحديد وعجائبه وفوائده ، و كيفية حدوثه من الادخنة والابخرة المحتبسة فى الجبال والمعادن مدة مديدة باذن الله تعالى

بتوسط الكبريت والنفط والقير وغيرهـا مما يتوسط فى القوام بين رقة الادخنة ولطافتها وغلظ الحديد وكثافته، واطاعته للانسان فى قبول الذوبان واللين بالحرارة النارية ، وقبول الاستطراق تحت المطارق وبقـاء لينه عند الطرق حتى يتخذ منه الالات الصناعية على أى وجه اريد ، ثم رجوعه الى جموده الاصلى عند التبرد لتبقى التشكلات المقصودة منه فى كل صنعة .

فانظرالى رحمة الله كيف هدى الناس الى تحصيله من الجبال، ثم الى كيفية تليينه بالنار، واتخاذآلات الصنائع منها لجلب المنفعة ودفع المضرة الحاصلتـان عنداستعمالها بداعيةالعمال الشهوية والغضبية، المنبعثتين عنداستعمال النفس المدبرة اياها باشارةالعقل المكمل الهادى اليها بالهام الحق له، وهوتعالى الاول فى البداية، والاخرفى النهاية ، ومنه الافاضة والجود فى المبدء والغاية .

قوله عزوجل :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾

عطف سبحانه على ماتقدم من ذكرالمرسلين مجملا بذكر نوح وابراهيم ـ على نبينا وعليه السلام ـ مفصلا وانما خصّهما بالذكر وذكرقصتهما لفضلهما وكونهما أبوى الانبياء ، كمايدل عليه قوله تعالى : ﴿وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب﴾ فان الانبياء كلهم من نسلهما وذريتهما ـ عن ابن عباس ـ .

الكتاب : الخط بالقلم . يقال : كتب كتاباً وكتابة .

ثم أخبرتعالى عن حال الذرية بحسب النشأة الاخروية ، فقال : فمنهم ـ اى فمن الذرية ، اومن المرسل اليهم ـ لدلالة ذكرالارسال عليه ـ مهتد ـ الى طريق الحق ـ ومنهم فاسق ـ عن أمربه والغلبة للفساق .

مكاشفة

اعلم ان لوجود كل من الصنفين مصلحة وخيراً يخصه ويليق به لئلايلزم أن يكون الخيرقليلا والشر كثيراً فى أشرف أنواع الكائنات .

فليس لاحد أن يقول أكثر أفراد الانسان يغلب عليهم الشرعلى مادلت عليه الاية ، ولان مناط تحصيل السعادة والشقاوة للنفس الادمية انما هو استعمال قواها الثلاثة : ـ الادراكية ، والشهوية ، والغضبية ـ اذ هى مبادى الافاعيل والانفعالات، ومن تكرر الافاعيل والانفعالات تحصل أخلاق وملكات هى المنتجة للسعادة أو الشقاوة فى العاجل والاجل ، والغالب على أكثر الناس على ماتراه هى أضداد الاخلاق الحسنة ـ من الجهل، وغلبة الشهوة، واستيلاء حب الدنيا، وميل الرياسة، والبخل ، والحسد ، والكبر، والريا ، وأشباهها . ومايترتب عليها وينبعث عنهامن الفسوق والمعاصى ، فيلزم كونهم من الاشرارالمردودين عن رحمة الله ، على أن رحمته وسعت كل شيء ، فمامعنى كونه تعالى محض الرحمة التى لاجهة شريّة فيها ؟ ومامعنى قول الربانيين من الحكماء : « **ان الخير مرضى والشر مقضى** » ؟

لانا نقول : لابد أن يعلم أن الخلق الذى لانجاة معه فى الاخرة هى صفة واحدة للنفس من حيث جزئها العلمى ، وهى ضرب من **الجهل** وهو **مايكون مركبا** مع الاعتقاد الراسخ المضاد للحق ، وأما من حيث جزئها العملى فليس كل رذيلة توجب الحرمان عن الغفران ، بل الرذائل التى رانت على القلوب وصيّرتها فاسدة الجوهر ، كجرم المرآة التى أحاطت بها النداوة ظاهراً وباطناً وغاصت فيها وأفسدتها سطحاً وعمقاً، وكون أكثر الناس فسّاقاً ذوات صفات ذميمة لايستلزم كونهم مطرودين من رحمة ربهم، بل كما أن الجهل المركب الراسخ المضاد لليقين الذى يوجب الشقاوة الابدية نادر كوجود اليقين الذى يوجب خيراً

كثيراً وقسطاً وافراً من السعادة ، والجهل البسيط الذى لايضرفى المعـاد عام فاش فى هذا النوع فكذلك حال القوتين الاخريين .

فالبالغ فى فضيلة العقل والخلق ـ وان كان نادراً ـ كالشديد النزول فيهما لكن المتوسطين على مراتبهم أغلب واوفر، واذا ضم اليهم الطرف الاعلى كانت لاهل النجاة غلبة عظيمة .

ومأشبه حال الارواح فى انقسامها الى هذه الاقسام بحسب السعادة والشقاوة الاخرويتين بحال الابدان فى انقسامهـا بحسب السعادة والشقاوة الدنيويتين الى البالغ فى الجمال والصحة والمتوسط فيهما ـ وهو الاكثر ـ والقبيح السقيم ـ وهو أقل من عدد المتوسط فضلا عن مجموع القسمين ـ .

فاذن قد ثبت أن السعيد اكثر من الشقى، فالحكم بأن رحمة الله تعالى لاتنال الاقليلا من عباده غيرصحيح، وقدقال تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون﴾ [٧/١٥٦] .

وأما **خلود أهل الكفر** فى النار ففيه سر لاينكشف لاحد الا من يشاء من خلّص عباده وهو العليم الحكيم .

* * *

قوله عزوجل :

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

قرء الحسن «الانجيل» ـ بفتح الهمزة ـ والامرفيه هيّن لان الكلمة أعجمية لايلزمفيها حفظ أبنية العرب، بخلاف أمر«البرطيل» «والسكين» فيمن رواهما بالفتح وقرء «رآفة» على وزن فعالة .

و«التقفيه» جعل شيء اثرشيء علىنهج الاستمرار، ولهذا قيل لقواطع الشعر «قوافى» اذاكانت تتبع البيت على اثربيت مستمراً فى غيره على منهاجه .

و«الرهبانية» أصلها من الرهبة والخوف ، يوصف بها النصارى لترهّبهم بعد موت عيسى عليه السلام فى الجبال فراراً من الفتنة فى الدين لظهورالجبابرة على مؤمنى ذلك الزمان ، واخلاصا لانفسهم فىعبادة الرب عندالتفرد عن الخلق، فهى«الفعلة» المنسوبة الى الرهبان بالفتح ، وهو الخائف «فعلان» من «رهب» كخشيان من خشى وقرء «ورهبانية» بالضم منسوبة الى «الرهبان» وهوجمع «راهب» كركبان جمع راكب ، وهى عبادة مخصوصة بالنصارى لقول النبى (١) صلى الله عليه وآله : « لارهبانية فى

(١) فى البحار: كتاب الايمان والكفر باب النهى عن الرهبانية : ٧٠ر١١٥ (ان الله تبارك وتعالى لميكتب علينا الرهبانية ، انما رهبانية امتى الجهاد فى سبيل الله) . راجع ايضا ١٤ر٢٧٧ والمسند : ٦ر٢٢٦ و٣ر٨٢ .

الاسلام» وقوله ﷺ : « رهبانية امتى الحج والجهاد » .

وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر، اى: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، ويجوز أن يكون معطوفة على ماقبلها ، والجملة بعدها صفة لها فى محل النصب، والمعنى: ثم اتبعنا بالارسال على آثارالمذكورين كنوح وابراهيم ومن أرسلنا اليهم اومن عاصرهم من الرسل برسل آخرين ، اى : اتبعنا رسولا بعد رسول وقفّينا سابقا بلاحق انتهى الامر الى عيسى بن مريم بعدهم ، فارسلناه رسولا وأعطيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه من الحواريين وأتباعهم للتراحم والتعاطف بينهم رأفة ورحمة ، بأن أمرهم الله بهما ورغّبهم فيهما، اوخلق فىقلوبهم الرأفة والرحمة

وانمامدحهم على ذلك وان كان من فعله لانهم تعرضوا لهما وابتدعوارهبانية لم يكتبها عليهم ، وهى خصلة من العبادة يظهرفيها معنى الرهبة ، اما فى كنيسة (شعشعة ـ شعثة ـ ن) ، اوتوحش عن الخلق ، اوتفردعن الجماعة ، اوغيرذلك من الامورالتى تعلق بنسك صاحبه .

وقيل : ان التى ابتدعوها من رفض النساء واتخاذ الصوامع ـ عن قتادة ـ وعلى تقدير عطفها على ماقبلهايكون المعنى: وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم . بمعنى : وفّقناهم للتراحم بينهم ، ولابتداع الرهبانية المبتدعةالغيرالمكتوبة عليهم منّا ـ الا ابتغاء رضوان الله ـ اى ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ، والاستثناء منقطع، اى مافرضناها عليهم ولكنهم ابتدعوها طلباً لمرضات الله ، ويحتمل الاتصال بتضمين : « ماتعبدناهم بها » حتى يكون مشتملا على نفى الايجاب والندب المستلزمين لمطلق الراجحية والتقرب ، وهذا وان كان مخالفاً لقوله : «ابتدعوها» لكن يوجه بأن يقال : معناه ولكنهم ابتدعوها ثم ندبوا اليها .

وابتدعوها : بمعنى : استحدثوها من قبل أنفسهم ووافوبها ، فمارعوها حق رعايتها ، اى : الذين بعدهم مارعوا جميعاً للرهبانية ، اوللمذكورات من الرأفة ، والرحمة ، والرهبانية ـ حق رعايتها ، ولكن بعضهم رعاها ، وبعضهم ضم اليها

التثليث ، والقول بالالحاد، وقصد السمعة والرياء والكفر بمحمد ﷺ ، ونحو هذه الأشياء ، كما ان المنسوبين الى التصوف في هذه الازمنة والدورة الاسلامية بعضهم ماراعوا حقّه ـ من تصفية الباطن، والنزهد فى الدنيا ، والانقطاع عن أهلها وذويها طلباً لمرضات الله ـ وأكثرهم لم يراعوا حقّه ، بل ضموا اليه السمعة والرياء ، والتغنّي والسماع ، والاشتغال بالملاهي وصحبة الاباطيل ، والمعطّلين عن الفكر والسير فى الملكوت وعن ذكر الله الا بمجرد اللسان عند مجمع الخلائق .

فآتينا المؤمنين المراعين منهم لها أجرهم و كثيرمنهم فاسقون ـ وهم الذين لم يراعوها ولم يوفوا بها .

قال الزجاج : ان تقدير « ماكتبناها عليهم » : ماكتبنا الا ابتغاء رضوان الله وهو اتباع ماأمر به ـ فهذا وجه ـ .

قال : وفيها وجه آخر في التفسير وهو انهم كانوا يرون من ملوكهم مالايصبرون عليه ، فاتخذوا أسراباً وصوامع وابتدعوا ذلك ، فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه ، كما ان الانسان اذا جعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتم .

قال : وقوله : « فمارعوها حق رعايتها » على ضربين : أحدهما أن يكونوا قصّروا فيما ألزموه أنفسهم ، والاخر ـ وهو الاجود ـ أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به ، وكانوا تاركين لطاعة الله ، فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ، ودليل ذلك قوله : ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ اى كافرون ـ انتهى كلام الزجاج ـ .

ويؤيده ماروى عن ابن مسعود قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : يابن مسعود ـ اختلف من كان قبلكم عن اثنتين وسبعين فرقة ، نجا منها اثنتان وهلك سايرهنّ ، فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى عليه السلام فقتلوهم ، وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا أن يقيمـوا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله تعالى ودين عيسى عليه السلام فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم : « ورهبانية ابتدعوها

ماكتبناها عليهم » .

ثم قال ﷺ : من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد راعا حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون .(١)

مكاشفة

فى هذه الاية حجة على عدم خلو الزمان عمن يقوم به حجة الله على خلقه ، اذ علم انه بهذا جرت سنّة الله من لدن آدم ونوح وآل ابراهيم الى وقت نبيّنا ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ولن تجد لسنّة الله تبديلا ، لكن النبوة قد ختمت برسولنا ﷺ والولاية التى هى باطن النبوة باقية الى يوم القيمة ، فلابد فى كل زمان ـ بعد زمان الرسالة ـ من وجود ولى يعبد الله على الشهود الكشفى من غير تعلّم ، ويكون عنده مأخذ علوم العلماء والمجتهدين ، وله الرئاسة العامة فى أمر الدين والدنيا ، وهوالداعى للخلق بحسب الفطرة من قبل الله ، سواء أطاعته الرعية أولا ، والناس أجابوه او أنكروه ، وسواء كان ظاهراً مشهوراً ، او مستتراً مغموراً ـ كأكثر الائمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ـ .

وكما ان النبوة والشريعة قد ختمت برسولنا ﷺ فالولاية التى هى باطنها تختم بآخر أولاده المعصومين ، **وهو الذى يواطى اسمه اسم رسول الله ﷺ** ، ومعناه معناه ، وبوجوده أقيمت البلاد ، ورزقت العباد ، وبظهوره يملأ الله الارض قسطاً وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

* * *

(١) الظاهر ان المصنف نقل الحديث والكلام المنقول قبله عن الزجاج عن مجمع البيان (ج٩ ص٢٤٣) وجاء هذا الحديث مسنداً مع فروق فى المستدرك للحاكم (ج٢ ص٤٨٠) والدر المنثور (ج٦ ص١٧٧) .

وفي حديث كميل بن زياد النخعي عن أمير المؤمنين عليه السلام مايدل على هذا المطلب ، وهو قوله ـ بعد كلام سابق ـ :

« يا كميل مات خزان الاموال والعلماء باقون مابقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، آه آه ان هيهنا ـ وأشار بيده الشريفة الى صدره المقدس ـ لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة ، بلى اصيب له لقناً غير مأمون ، يستعمل آلة الدين في الدنيا ، ويستظهر بحجج الله على خلقه ، وبنعمه على عباده ، او منقاداً للحق لابصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض شبهة . ألا ـ لاذا ولا ذاك ، او منهوماً باللذات سلس القيادة للشهوات ، او مغرى بالجمع والادخار ليسا من دعاة الدين في شيء ، أقرب شبهاً بهما الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اللهم بلى ، لاتخلو الارض من قائم لله بحجة ، ظاهراً مشهوراً ، او مستتراً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيّناته وأين اولئك ؟ اولئك والله الاقلّون عدداً ، الاعظمون خطراً ، بهم يحفظ الله حجته وبيّناته حتى يودعوها نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقائق الامور ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا مااستوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحل الاعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه ، آه آه شوقاً الى رؤيتهم . ـ انتهى الحديث ـ(١)

* * *

وفيه اشعار بامور :

الاول : ان العالم الحقيقي له الولاية على الدين والرئاسة فيه .

والثاني : ان سلسلة العرفان بالله والولاية المطلقة لاتنقطع أبداً .

---

(١) كمال الدين : باب ماأخبر به علي عليه السلام من وقوع الغيبة ص٢٩٠ . نهج البلاغة : باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم : ١٤٧ .

والثالث : ان عمارة العالم الارضى ووجود أفراد الانسان وسائر الحيوانات وغيرها من الكائنات انما يكون بوجود العالم الربانى ، وقد يقام عليه البرهان فى الحكمة المتعالية ، **فيلزم منه الاعتراف بوجود امام حافظ للدين فى كل زمان.**

الرابع : ان هذا القائم بحجة الله لايجب أن يكون ظاهراً مشهوراً كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى أيام تمكنه من الخلافة الظاهرة ، بل ربما يكون خاملا مستوراً - كهو عليه السلام قبل ذلك الوقت ، وكأولاده الاحدى عشر بعده ، **سيما القائم المنتظر امامنا الهادى** - سلام الله عليه وآله وآبائه الطاهرين - المشار اليهم فى قوله تعالى: ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [٣/٣٤] .

وفيما روى عن النبى صلى الله عليه وآله لايزال امتى بخير ماولّيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .(١)

الخامس : ان من خواص اولياء الله وحججه أن يكون علومهم ومعارفهم حاصلة بحدس تام والهام من الله من غير تعمّل وتكسّب ، كما دلّ عليه قوله عليه السلام : « هجم بهم العلم على حقائق الامور ، وباشروا روح اليقين » اى اطلعهم الله على حقائق الموجودات، وقذف فى قلوبهم نوراً من لدنه ؛ يريهم الاشياء كما هى، وهذه هى الحكمة الحقيقية التى من اوتيها فقد اوتى خيراً كثيراً .

السادس : انه قد علم شرف الحكمة الالهية ومنزلة حامليها ، حيث اشتاقت نفسه الشريفة عليه السلام الى لقائهم مع كونه قدوة الربانيين ومقدّم السائرين الى الله بقوة الحكمة والعرفان ، وبه ينتهى سلسلة السالكين وأصحاب الطريقة والصوفيين ومن يحذو حذوهم فى التألّه والمعرفة - لافى مجرد الرياضة البدنية وجلوس الصوامع ولبس الخرقة ، اذ لاكمال فيه يعتد به - .

وذلك لان الجنسية علّة الضم ، والجنس يحن الى جنسه ، ولان فنون التقرب الى الله تعالى متعددة ، وأذواق الكاملين مختلفة ، مع اشتراكهم فى غلبة جانب

---

(١) راجع البحار : ج٣٦ ص٢٢٦ - ٣٧٣ .

التوحيد والعلم والفناء والبقاء ، فلايبعد أن يكون الاشتراك فى جهة الكمال المطلق ومظهرية الذات الاحدية يوجب أصل المحبة ، والاختلاف فى ظهور بعض المظاهر الاسمائية والصفاتية وخفاء بعضها يوجب التشوق بجهة خفاء اسم اوصفة الى جهة ظهور اسم اوصفة ، فان تجلّيات الحق بحسب الاسماء والصفات غير متناهية عدداً، فكذلك يختلف المظاهر والمجالى اختلافاً غير متناه شخصياً .

ومما يدل على وجود الامام المطاع فى الاحكام فى جميع الازمنة ما اتفقت روايته بين الخاص والعام فى قوله صلى الله عليه وآله : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » .(١)

* * *

وقد اتفقت الامامية على أن الامام فى زماننا هذا هو المهدى عليه السلام الموعود ظهوره فى آخر الزمان ، واستبعاد أهل السنة فى وجوده وبقائه الى الان فى غاية السقوط ، اذ الادلة الطبيّة والنجومية على امتناع بقاء الانسان بعد المأة والعشرين غير تامة ، ومع ذلك منقوض بوجود الاعمار الطويلة للسابقين كما هو المشهور من آدم ونوح عليهما السلام وغيرهما وببقاء دجّال اللعين من اللاحقين مدة طويلة هى من زمن الرسول ـ عليه وآله السلام ـ الى وقت خروج المهدى عليه السلام .

وأسقط من ذلك تشنيعهم على الفرقة الامامية بأن أى ثمرة فى وجود امام لايمكن التوصل اليه وأخذ المسائل الدينية منه ؟ فان مجرد المعرفة بامامته ورئاسته، والتصديق بوجوده وأنه خليفة الله فى أرضه ثمرة ينتفع بها، وليست الفائدة منحصرة فى مشاهدته ، أولاترى ان من كان فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وصدق بوجوده وبرسالته كان مؤمناً حقاً وان لم يره مشاهدة كاويس القرنى ـ رضى الله عنه ـ فكذا هيهنا .

وروى عن جابر بن عبدالله الانصارى : « ان النبى صلى الله عليه وآله **ذكر المهدى فقال** : ذلك الذى يفتح الله على يده مشارق الارض ومغاربها، يغيب عن اوليائه غيبة

---

(١) جاء الحديث بألفاظ مختلفة راجع الكافى ١/ ٣٧٦ .

لايثبت فيها الا من امتحن الله قلبه للايمان .

قال جابر : فقلت : يارسول الله ـ هل لشيعته انتفاع به في غيبته .

فقال ﷺ : اى والذى بعثنى بالحق، انهم يستضيئون بنوره ، وينتفعون بولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان علاها السحاب » .(١)

والعجب أنهم حملوا الامام فى قوله ﷺ على أهل الشوكة الظاهرة من ملوك الدنيا ـ كائناً من كان ، عالماً اوجاهلا ، عادلاً اوفاسقاً ـ فتشنيعهم على الامامية مقلوب عليهم بأشد وجه بأن يقال: أى ثمرة يترتب على معرفة الجاهل الفاسق ليكون من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ؟

وأما رجوعهم عن هذا الحمل لغاية سخافته الى أن المراد بالامام فى ذلك الحديث هو « الكتاب » فدفعته الامامية بمانقله بعض الاعلام منهم بقوله : ان اضافته الى زمان ذلك الشخص يشعر بتبدل الائمة فى الازمنة ، والقرآن لاتبدل له ـ بحمدالله ـ على مر الازمان ، ولان المراد بمعرفة الكتاب ان اريد بها معرفة ألفاظه او الاطلاع على معانيه أشكل الامر على كثير من النــاس ، حيث يكون موتهم ميتة جاهلية ، وان اريد مجرد التصديق بوجوده فلاوجه للتشنيع علينا اذا قلنا بمثله .

* * *

اعلم انه ذكر الشيخ **محيى الدين** الاعرابى فى الباب الثلاثمــأة والست والستين من كتاب الفتوحات المكية كلاماً بهذه العبــارة يدل على انه كان معتقداً لوجود المهدى عليه السلام ، وقد نقل بعض الاعلام من الكرام تمام هذا الكلام فى كتاب **الاربعين**(٢) من أراد الاطلاع عليه فلينظر فيه ونبذ منه هذا :

« وان لله خليفة يخرج من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة عليها السلام يواطى اسمه اسم رسول الله ﷺ، جده الحسين بن على عليهما السلام، يبايع بين الركن والمقام »

(١) كفاية الاثر للخزاز : باب ماجاء عن جابر فى النص ... : ٥٤

(٢) الاربعين للشيخ بهاءالدين العاملى (ره) : الحديث السادس والثلاثون .

ـ وعدّ بعض نعوته واوصافه الشريفة الى أن قال : ـ « يبايعه العارفون من أهل الحقائق عن شهود و كشف بتعريف الهى، له رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه، لولا أن السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله ، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيخافون ويقبلون حكمه من غير ايمان ، ويضمرون خلافه ، ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب أئمتهم انه على ضلال فى ذلك . » ـ انتهى ـ .

* * *

واعلم ان كل عالم ربانى ذو مكاشفة تامة يعرف طريق التبتـل الى الله تعالى و كيفية التخلص عن ورطة التعلق بالمهلكات الدنياوية والموذيات النفسانيـة ، فان اتّباعه وتعلم السلوك منه واجب عقلا ، كما ان اتباع الرسول والائمة عليهم السلام واجب عقلا وسمعا فكما ان المريض ومن به داء مهلك عند التساهل عنه اذا وجد طبيباً حاذقاً يعرف معالجة ذلك المرض المهلك يجب عليه اتباعه وقبول ماأمر به بحسب ماجبل عليه من التحفظ على الحيوة البدنيـة ، فكذلك من به مرض الجهل وداء الخلق الردى النفسانى الذى به يفوت الحيوة السرمدية يجب عليه بالضرورة أن يتبع العارف الواقف بكيفية ازالة الجهل وسائر الأخلاق الذميمة ويتعلم منه طريق الاستكمال ويتأسى به ويسلك بسلوكه ويقبل منه النصائح فى كيفية التقرب الى المبدء الفعال .

وكما ان من تيسر له خدمة عالم متألـه ، ثم تساهل فى ملازمته وتحمـّل المعارف منه ـ خوفاً من سقوط منزلته عند الناس وتحفظاً على جاهه الحقير لدى العوام الناقصين ـ فيوشك أنه اذا خرج الامام المهدى عليه السلام الذى وجبت اطاعته عقلا تمرد عن حكمه وتحاشى عن اطاعته اذا انحطت عند ذلك مرتبته عند الناس وسقط به جاهه الخسيس ، اللهم الا خوفاً اوطمعاً ، لاتقرباً الى الله تعالى ، والا لاطاع كل من له قدم راسخ فى العلم بالله وملكوته ، وذلك لمرض نفسه ، وخبث جوهره ، وقصور ذاته بحسب نفس الامر ، وسقوط منزلته عند الله حيث يصده المنزلة عند

الخلق عن تحصيل المنزلة عنده ، ويرجح عنده رضاء الخلق على رضاء الخالق ، وقد قال سبحانه : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ [٧٢/٩] .

قوله عزوجل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٢٨

الكفل : النصيب .

ياأيها الذين آمنوا - اى:اعتقدوا توحيده وعلمه وقدرته وصدقوا بأنبيائه عليهم السلام - اتقوا الله - فيمانهاكم عنه من قبائح الافعال ورذائل الصفات - وآمنوا برسوله - محمد صلى الله عليه وآله .

او ياأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله .

وعن ابن عباس : ياأيها الذين آمنوا ظاهراً ، آمنوا باطناً يعطكم نصيبين من رحمته ، نصيباً لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وآله ، ونصيباً لايمانكم من قبله من الانبياء عليهم السلام ، ان كان خطاباً لمؤمنى أهل الكتاب ، ولايبعد أن يثابوا بما عملوا فى دينهم السابق وان كان منسوخاً .

هكذا قيل ، وفيه تفصيل : فانهم ان لم يكونوا معاندين ، بل كانوا منقادين للحق اذا ظهر عليهم ، فكل ماعملوا سابقاً طلباً لمرضات الله كانوا مثاباً به الى أن وصل اليهم صيت الاسلام ، فاذا اجتهدوا فى تحقيق الامرحتى ظهر لهم فلاشبهة فى أن لهم كفلين من رحمة الله ، وان لم يكونوا كذلك بل كانوا متعصبين لدينهم متصامين عن استماع الحق فلااعتداد بالاعمال التى فعلها الانسان تعصباً وتجاهلامن غيرطلب البصيرة .

وقيل : الخطاب للنصارى ، الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وآله .

وان كان خطاباً لغير أهل الكتاب فالمعنى : اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسوله يؤتكم ماوعد مؤمنى أهل الكتاب من الكفلين فى قوله : ﴿اولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾[٢٨/٥٤] ولاننقصكم من مثل أجرهم لانكم مثلهم فى أن لاتفرقون بين أحد من رسله .

ويجعل لكم يوم القيمة نوراً تمشون به ـ اى : هدى يهتدون به .

وعن ابن عباس : « النور » : القرآن لما فيه من الادلة النيـّرة على كل حق والهداية الى كل خير ، وبه الاستحقاق لحصول الضياء فى القلب الذى يمشى به يوم القيامة .

ويغفر لكم ـ اى : يستر عليكم ذنوبكم التى أسلفتم من الكفر والمعاصى .

روى سعيد بن جبير(١) : بعث رسول الله ﷺ جعفراً فى سبعين راكباً الى النجاشي يدعوه ، فقدم عليه ودعاه ، فاستجاب له وآمن به ، فقال اناس ممن آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلا : « ائذن لنا فنأتى هذا النبى فنسلم »(٢).

فأذن لهم . فقدموا مع جعفر ، وقد تهيأ ﷺ لوقعة أحد ، فلما رأوا مابالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ فرجعوا وقدموا لهم بأموال لهم ، فواسوا بها المسلمين ، فأنزل الله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ الى قوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [٢٨/٥٤] .

فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله ﴿اولئك يؤتون أجرهم مرتين بماصبروا﴾ فخروا على المسلمين فقالوا : « أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين ، وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم ، فما فضلكم علينا » ؟

فنزلت الاية فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة .

وروى ان مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون

---

(١) الدر المنثور : فى تفسير الاية ٦/١٧٨

(٢) فنلـّم به ـ (نسخة)

أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم ، فنزلت(١) .

مكاشفة

يا أيها المعدودون من أهل الايمان اتقوا الله بتكثير الحسنات وتنقيص السيئات، وآمنوا برسوله اى: حصّلوا لانفسكم ملكة المعرفة بالله ، وكيفية ارسال الرسول، وانزال الكتب عليه ، وافاضة الحقائق العلمية على قلبه بواسطة الملك الموحى اليه باذن الله والتصديق برسالته واطلاعه على المغيبات وحقّيته فى كل ماأتى به .

والاول رعاية للجزء العملى من النفس الانسانية ومحافظة على حصول ثمرته التى هى تصفية وجود (وجه) النفس بتقوى الله والزهد الحقيقى عن كدورات الشهوات الدنياوية من المعاصى والقبائح .

والثانى رعاية للجزء النظرى منها وايصاله بكماله الذى هو المقصود من وجود الانسان وهو اكتساب المعارف الحقة الباقية معه أبداً مخلداً .

وحيث كان كمال الانسان ومنزلته عندالله وحصوله المثوبة الاخروية له منوطاً بثمرة استكمال كل من هاتين القوتين ، فلابد لكل من آمن بالله واليوم الاخر أن لايتوانى عن اكتساب الاحوال والاعمال ، واقتناء العلوم والملكات المؤدية الى هاتين الثمرتين .

أما ثمرة الاعمال الصالحة فالتخلص من ذمائم الاخلاق وردائة الاوصاف والتعلقات الدنياوية المانعة عن قبول الرحمة والهداية ، والا فالجود مبذول والرحمة واسعة عند عدم المانع ، **واما ثمرة العقائد** الحقة فمشاهدة الاعيان الشريفة

(١) المصدر السابق

النورية ومنادمة الملائكة القدسية وأهل الصفوة وعباد الله المقربين وقبول التجليات الالهية .

أما صاحب رتبة العمل دون العلم فهمّته متوجهة نحو لذات الجنان ، والمشتهيات من الحور والغلمان وكل ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين بقوة التخيّل وتصل همّتها اليه ـ وان كان نازلا عما يهمّه ويقصده المقربون من العرفاء كالسدر المخضود والطلح المنضود ، **واما صاحب المعرفة** فهمّته متوجهة نحو عالم المقدس والوحدة ، ومشاهدة الجمال والجلال ، فله المثوبة الكبرى والدرجة العظمى، والمشرب الكافورى ـ وماهو دون ذلك ان أراد كالمشرب الزنجبيلى ـ .

فلما أمر سبحانه أهل الايمان بالتقوى والمعرفة وكل منهما ينتج ثمرة خاصة ونصيباً مخصوصاً من فيضه ورحمته وقعت الاشارة الى حصول النصيبين لهم من الرحمة ، نصيباً لاجل العلم ، ونصيباً لاجل العمل .

ولما كانت ثمرة العلم أجل رتبة وأفضل قدراً من ثمرة العمل ـ فضيلة الادراك على الحركة ، وشرافة العين على القدم ـ أشار أولا الى ذكر ثمرة العلم وتعيين ماهيّتها بقوله : ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ فان هذا النور بعينه هو النور المذكور فى قوله : ﴿ نورهم يسعى ﴾ [٨/٦٦] .

ثم أشار الى ثمرة العمل بقوله : ﴿ ويغفر لكم ﴾ ثم أشار الى كون ذاته تعالى منشأ جميع الخيرات ومبدأ فنون المبرّات بقوله : ﴿ والله غفور ﴾ نظراً الى امداد لطفه فى اجتناب الانسان عن الرذائل وقبول توبته ـ رحيم ـ نظراً الى افاضة جوده فى تلبّس الانسان للفضائل .

* * *

قوله عزوجل :

لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

« لا » فى « لئلا يعلم » زائدة . و « أن » فى « أن لايقدرون » مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف وهو الشأن ، اوضمير راجع الى أهل الكتاب اى : لان يعلم أهل الكتاب أنه لايقدرون على شيء مماذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة ، ولايتمكنون من نيل شيء منه ، لان جميعه مشروط بالاعتقاد الصحيح فى حق الله ورسوله وهم لم يؤمنوا برسول الله ، فلاينفعهم ايمانهم بغيره من الانبياء بعدما فرقوا بين رسل الله ، وليعلموا ان الفضل بيد الله وقدرته ،يؤتيه من يشاء بمشيّته السابقة وارادته الازلية المنبعثة عن علمه باختلاف القوابل وتفنن الماهيات ـ والله ذوالفضل العظيم ـ بافاضة نور الوجود على هياكل الممكنات .

وقيل : ان المراد بفضل الله هيهنا النبوة ، اى : لايقدرون على نبوة الانبياء ، ولاعلى صرفها عمن يشاء الله أن يخصّه بها ، فيصرفوا عن محمد ﷺ الى من يحبونه ، بل النبوة كسائر الفضائل الموهبية بيد الله لامدخل لتعمّل الناس فى استجلابها يعطيها من يشاء ممن هو أهلها ومستحقها .

وقيل : « لا » هيهنا فى حكم الثبات ، والمعنى : لان لايعتقد أهل الكتاب ان النبى والمؤمنين به لايقدرون على شيء من فضل الله ولا ينالونه ، فعلى هذا يكون الضمير فى « يقدرون » للنبى والمؤمنين ، ويكون « أن الفضل » عطفاً على « أن لايعلم » . او لان لايعلم أهل الكتاب انهم لايقدرون أن يؤمنوا ، ويكون المراد : لكى يعلموا انهم يقدرون على الايمان وطلب الفضل والثواب .

وقرء الحسن : « ليلا يعلم » ـ بفتح اللام وسكون الياء ـ وروى بكسر اللام

أيضاً ـ وتوجيهه على ماقيل بأن حذفت الهمزة من « لان » لثقلها حتى صار « لن » ثم ادغمت « النون » فى « اللام » للمجانسة بينهما ، فصار « لـّلا » ـ بالكسر ـ ثم ابدلت اللام الثانية المدغمة فى الثالثة « ياء » كابدالهم الواو المدغمة وغير المدغمة ياء فى « ديوان » و « قيراط » فان الانتقال من المضاعف الى المعتل متعارف عند أهل اللسان .

وأما الفتح ـ كما فى قراءة الحسن : فعلى أن أصل لام الجر هو الفتح ، وقرء : « لكى يعلم » و « لكيلايعلم » و « ليعلم » و« لان يـّعلم » ـ بادغام النون فى الياء ، و« لين يـّعلم » بقلب الهمزة ياء وادغام النون فى الياء كما ذكرفى الكشاف .

مكاشفة

انما يستشعرمن الاية الكريمة ان لاهل الايمان اقتداراً على استجلاب فضل الله وتمكناً من استدرار رحمته ، ومفهـوم الخلاف وان لم يكن معتبراً عند الاكثر ، سيما فى مثل هذا المقام حيث عقـّب بقوله : ﴿أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ الا أنه مما يمكن تصحيحه هيهنا بوجه عقلى ، فان الفضل وان كان كله من عند الله بحسب مشيـّته بلا تأثير لغيره فى الاجارة ، وتوسيط لما سواه فى الافاضة ، لكن لابد من تعلق المشيـّة بواحد دون واحد من مخصص لامتناع الترجيح من غيرمرجح ـ كما هو المذهب المنصور ـ .

فللعبد اختيار فى اكتساب المرجـّح بتحصيل المعارف الايمانية والعقائد الحقة ـ أولا ـ ثم العمل بمقتضاها ـ ثانياً ـ ثم الانتظار لهبوب رحمة الله وفضله ـ ثالثاً ـ .

فان من حصـّل المعرفة بالله ورسوله واليوم الاخر والاعتقاد والثواب للمحسن، والعقاب للمسيء ـ وان كان على وجه التقليد والظن ـ حصـّل لنفسه تشوق الى تكميل

جوهره بتحصيل اليقين والوصول الى ثواب الله والتقرب اليه ، فيبعثه ذلك على قمع الشهوات الظاهرة عن النفس - أولا - ثم على قلع الصفات الذميمة الباطنة عن القلب - ثانياً - ثم يختار العزلة والخلوة عمّا يشوّش ذكره ويوسوس طبعه فيجلس للمراقبة والذكر والفكر ، ثم يؤدى به ذلك الى أن يجعل همومه ومقاصده وأغراضه واحداً - هو التشوق الى طلب الحق - .

واذا غلب ذلك على قلبه فهوبعد ناقص محروم مالم يكن من المتفكرين وأهل العلم، **فان كان** له مجال فى التفكروحركة معنوية فى الباطن شغله ذلك عندالتجرد عن محاربة الشيطان ووساوس الوهم بابداء الشبهات والشكوك فى قلبه حتى يضلّه ذلك عن الطريق ، **وان لم يكن** له سير فى الباطن وحركة معنوية فى الملكوت فلا ينجيه الاوراد المتواصلة والصلوات المتعاقبة ، بل يحتاج معها الى تكليف الحضور لقلبه بالافكار المعنوية ، فان التفكر فى الباطن هو الذى يستغرق القلب ويسخّر النفس دون الاوراد الظاهرة .

وربما لم يسلم مع ذلك من الافات الشاغلة له فى بعض الاوقات من الفكر والذكرضرورية كانت اوغيرضرورية ، كمرض وخوف ، اوايذاء من مخاصم ، او طغيان من مخالط لضرورة المعيشة او اشتغال بمطعم اوملبس ممايحوجه الى شغل تولاه بنفسه ، فان تيسر له قطع هذه العلائق ليسلم له أكثر الاوقات ، فيصفو قلبه ، وينشرفكره فى عالم الملكوت ، وينكشف له من أسرارالله مالايقدرعلى شىء قليل منه جملة الاذكياء المشتغلين بقلوبهم بالدنيا وعلائقها .

* * *

وهذا أقصى المقامات التى **لاختيارالعبد مدخلية فى أن تنالها** بالاكتساب والجهد ، فأما مقادير ماينكشف له من فضل الله ، ومبالغ مايرد عليه من رحمته فهو خارج عن اختياره واقتداره فانه يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق والطالع الاسمائى ، الذى طالع طالعه السمائى ، فقد يقل الجهد ويحل الصيد ، وقد يطول الجهد ويقصر الحظ ، فالمعول بعد ذلك على جذبة من جذبات الحق التى يوازى

عمل الثقلين ، وليس ذلك باختيار العبد ، وان كان له اختيار فى أن يتعرض لتلك الجذبة بالاكتساب من الرياضات الفكرية والعملية (العلمية) .

واليه الاشارة بقوله : انلربكم فيأيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوالها.(١)

وذلك بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى أسفل السافلين كيف ينجذب الىأعلى عليين ، وذلك لان تلك النفحات والجذبات أرزاق معنوية بمنزلة الرزق الصورى، فلها أسباب سماوية رحمانية، كماأن للرزق الصورىأسباب سماوية جسمانية ، اذ قال ، ﴿وفى السماء رزقكم وماتوعدون﴾ [٥١/٢١] فانهذه السماء الجسمانية مثال وظل لمبدء رحمانيته تعالى المنبعث عنها الارزاق الصورية والمعنوية كلها ، ولهذا وقعت الاشارة بقوله . ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ .

وهذا الذى كلامنا فيه من أجل مراتب الرزق المعنوى ، فهوايضا منأسباب سماوية قدسية ، والامورالسماوية غائبة عنا فلايدرى متى يسر الله أسباب الرزق ، فماعلينا الا تفريغ محل القلب والانتظارلنزول الرحمة وبلوغ الكتابأجله ـ كالذى يصلحأرض الزراعة وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر ـ بأنيصفى المريدالقلب عن ذمائم الصفات ، ويبث فيه بذر المعارف الالهية ـ وكل ذلك لاينفعه الا بنزول المطرولايدرى متى يقدرالله أسباب المطر الا أنه يثق بفضل الله وسنته فى أن لايخلى الارض سنة عن مطر ، فكذلك قل مايخلو قلب المريد الصافى فى شهر اويوم عن جذبة من جذبات الحق .

* * *

وبالجملة ـ فقد علم أن تطهير القلب عن حشيش الشهوات ، والتبذير فيه ببذرالايمان بالله ورسله وملكوته ، وجعله عرضة لمهاب فضل الله مما لاختيارالعبد مدخل فيه ، الا أن يكون فى غاية الجمود والقساوة لسبق الكفر المتمادى اوالفسوق المتراكمة كالجاحدين من أهل الكتاب .

---

(١) الجامع الصغير، باب الألف بعده النون : ١/٩٦ .

وأما نزول أمطار الفضل ، وهبوب رياح الرحمة ، فلااختيار للعبد فيه ، بل كله بيد الله يؤتيه من يشاء .

فقوله : ليعلم أهل الكتاب أن لايقدرون على شيء من فضل الله نعى عليهم وايعاد وويل لهم ، حيث لايمكنهم تطهير الباطن وتصفيته عن الرذائل لاستدرار رحمة الله وفضله ، وذلك لجمود قرائحهم الجاسية وفساد قلوبهم القاسية .

كماقال : ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ [٢٢/٣٩] .

* * *

خاتمة

هذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون آية ، وقيل: ثمان وعشرون والاختلاف في قوله : ﴿من قبله العذاب﴾ [١٣] و﴿آتيناه الانجيل﴾ [٢٧] .

وعدد كلماتها خمسمأة وثلث وسبعون .

وحروفها ألفان وأربعمأة وتسعون .

وانتظام ختم الواقعة بافتتاحها أنهما في التسبيح .

وانتظام السورتين أن تلك السورة في ذكر السابقين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالين، وهذه السورة في كيفيه الارتقاء الى درجة السابقين وأصحاب اليمين بالمعارف الحقة والاعمال الصالحة ، وفي حث الفائزين بالوصول الى درجة المقربين والسعداء بسبب الايمان على تقويته وتوسيع دائرته وتكثير فوائده ودفع المطفين لانواره والجاحدين لاثاره من الكفرة الفجرة وترغيب المؤمنين في مجاهدة الكافرين والانفاق على المجاهدين .

* * *

(١) *فافتتحت السورة بتقديس الله عن النقائص وصفات الممكنات وسمات الحادثات ، بلسان كل من في سموات عالم الملكوت ، ومافي أرض عالم الملك، وبذكر أن جميع ماوقع عليه اسم الوجود ملكه وتحت تسخيره، جارعليه سلطانه ،

---

*) الارقام التي وضعناها في الخاتمة تشيرالى رقم الايات .

نافذ فيه حكمه ، سارفيه أمره يصرفه كيف يشاء بالاحياء والاماتة .

(٢) ثم ذكر أن منشى مملكة السموات والارض وبانيها مع تمادى أزمنة بقائها واتساع أمكنة أرضها وسمائها ـ مما لايغيب عنده زمان عن زمان ولايفوت لديه مكان عن مكان، بل جميع الازمنة والزمانيات لاحاطته القيومية فى حكم آن واحد فى الحضور لديه ، وكافة الامكنة والكائنات بتمامية الالهية فى حكم نقطة واحدة فى المثول بين يديه ، من غير تطرق تجدّد وتغيّر فى ذاته او احتمال تجز وتكثّر (تجبّر وتكسّر ـ ن) فى صفاته ، وذلك لانه هو الاول فى عين آخريّته ، وهو الظاهر فى عين باطنيّته ، ولما كان هذا مستلزماً لشمول علمه بجميع الموجودات واحاطة شهوده بجملة الكائنات ذكر عقيبه : ﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ .

(٤) ثم اشير الى أن علمه بكل شىء بنحو العلم بأسباب ذلك الشىء وعلله ـ الذى هو أجلّ مراتب العلم واوثقها وأتقنها ـ ليعلم أن عالميّته بالاشياء بأى نحو من ضروب العالميّة ، وليعلم انه ليس باحساس ولا بانفعال ، والا يلزم استكمال الكامل بالناقص ، وانفعال العالى عن السافل ، فذكر انه مبدع الاشياء ، وخالق الارض والسماء فى أقل من عدد كامل ـ هو السبعة ـ أعنى الستة .

ثم لمّا كان أسباب وجود الكائنات وشرائط حفظها وبقائها من الارزاق والآجال ينزل من عنده بواسطة السموات وقواها المحركة لها شوقاً الى طاعة بارئها فنون الحركات وصنوف اختلاف الاوضاع والنسب التى تنشأ منها الكائنات ، وينبعث منها الحيوان والنبات على ماجرت عليه سنّة الله التي لاتبديل لها ، وجملة المتحركات السماوية والاكر الكوكبية فى فلك واحد عظيم مشتمل على الجميع اشتمال الشخص الانسانى على أعضائه وجوارحه وأركانه ، هو المحدد بجسميّته للجهات والابعاد ، وبمقدار حركتـه للازمنة والحركات ، فهو بنفسه وعقله يدبّر الكل ويسوس الجميع باذن مبدعه ومحركه ومدوره وموجد نفسها ومحركها، تحريكا شوقياً بالحركات النفسانيـة ، والاوراد والاذكار القدسية ، والانتقالات العلميـة ، والطاعات الملكية ،كل ذلك تشوقاً الى جنابه ، وتقرباً الى طاعته ، وامتثالا لامره،

وتضرعاً وابتهالا نحوه وتشفعاً لديه لانجاح مقاصد الملهوفين، واستغاثة عنده لاغاثة المحتاجين ، واصلاح أحوال الهابطين الى معدن الظلمات ، واعلاء مرتبة النازلين فى مهوى عالم الجهالات من أهل الاستعداد ، واصعادهم عن رتبة السافلين الى اوج العلـّيين بالهامهم معرفة المبدء والمعاد ، وتوسطاً لجبر كسير وخلاص أسير، فاريد التنبيه على أن هذه الوسائط مما لامدخلية لها فى الايجاد والاعطاء ، بل هى مظهر الرحمة ومستوى الرحمن ، وهو الذى استوى على العرش لانتظام مافى الكون ، وتسبيب الاسباب ، وتهييج الاشواق ، وانشاء الدواعى ، وتوسيط القوى الفعـّالة ، ووضع القوابل المنفعلة ،كل ذلك على سبيل العنايـة بالسافلات ، وترشيح الخير الدائم على المنفعلات الكائنات بوساطة عالم الحركات العاليات، الصادرات بأمره تعالى عن الملائكة المدبرات ، وعباده الساجدات الراكعات ، كما أشير اليهـم بقوله تعالى : ﴿غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون﴾ [٦٦/٦] .

ثم عاد الى بيان علمه بالجزئيات بزيادة استيضاح على هذا الوجه المذكور من سبيل اخرى فأشار الى أن من هوشأنه هكذا لابد وأن لايعزب عن علمه مثقال ذرّة فى الارض ولافى السماء ، بل يعلم الوالج فى الارض من أسباب قابلية الوجود للكائنات ـ كالبذور والنطف وغيرها من المقادير والكيفيات الاستعدادية ـ والخارج منها ـ كاجساد المواليد الثلاثة وأبدانها من الجماد والنبات والحيوان ـ والنازل من السماء ـ كقواها وصورها ونفوسها ومايتحصـّل ويتقـّوى به أعضائها وأحجامها كالامطار والثلوج وغيرهما ـ والعارج فيها من العقول الصافية الانسانية التى صارت طيوراً سماوية طائرة اليها من أقفاص الابدان بجناحى العلم والعمل، بخلاف النفوس المتعلقة المقيدة بشهوات هذه العالم التى يكونأ بدانهم بالقياس الى نفوسهم البهيمة اسطبل الدواب لاأقفاص الطيور، فليس لهم قوة الارتقاء الى ملكوت السماء، ولالهم سبيل الى عالم التقديس وعالم المعنى .

ثم لما تقدم انه سبحانه مما لايتجدد عليه شىء بالغيبة والحضور ، والوجود والدثور ، ولايفوته شىء من الاشياء ، بل الماضى والمستقبل بالنسبة اليه كالآن فى

الحضور لديه ، ومع ذلك هو القائم على كل نفس بما كسبت بيديه لاستوائه برحمانيته على عرش وجود الحوادث والكائنات، واستقلاله بالافاضة والايجاد على الموجودات من غير تأثير لغيره الا فى الاعداد . فظهر أن لاواسطة بينه وبين كل موجود ، ولاتفاوت فيها عنده ، ولاتعاقب لوجود على وجود لديه ، بل هو بوحدته مقوّم ذات الجميع ، وبفردانيّته مقرر ماهية الكل ، أثبت معيّته لنا أينما كنا ومتى كنا، عالين اوسافلين، سابقين اولاحقين، فاذا كان كذلك كان علمه حضورياً شهوديا، اشراقياً نورياً ، فعبّر عن ذلك بأنه ﴿بماتعملون بصير﴾ .

(٥) ولما علم مما ذكر سابقاً كونه مبدءاً فاعلياً للجميع أراد التنبيه على أنه المبدء الغائى ايضا للكل، وحيث كان الاول كاشفاً عن الثانى مستلزماً له ، ذكر رجوع الامور اليه بعدما أعاد ذكر نسبة ملك السموات والارض اليه ، ليعلم انه الغاية القصوى للكل كما انه المبدء الاعلى للجميع بتوسط (بتوسيط ـ ن) المنافع والغايات الجزئية وتسبيب (تسبب ـ ن) الاسباب المتوسطة لوجود الاشياء على الوجه الذى أراد وشاء .

(٦) ثم لما مرت الاشارة الى الاسباب القابليّة الارضية والفاعلية السماوية لخلق المركبات العنصرية أراد أن يشير الى أن تأثير الاسباب العالية فى القوابل السافلة متوقف على الحركة المتجددة ليقرب المعلول الى علّته ـ فان الامور مرهونة باوقاتها الحاصلة من حركات أسبابها وتغيّراتها ، فاختلاف الحركات والاوقات سبب لاختلاف الحوادث والكائنات ، كما يشاهد تبدل الفصول الموجب لتخالف الليالى والايام ، المستلزم لاختلاف أحوال الخلائق والانام ـ عبّر عن تفاوت الليل والنهار على الوجه المشاهد المستلزم لاعتدال الكائنات بولوج كل منهما فى صاحبه ، مومياً الى المنافع والغايات المترتبة على تفاوتهما فى المقدار واختلافهما فى الآثار، وبيّن أن الجاعل لهما على هذا الوجه المقرر ، والمولج لكل منهما فى الاخر : هو سبحانه ـ لتدبير الكائنات ومصلحة الموجودات . فانه سبحانه لو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة، واخرى بطيئة مختصة، ولم يجعل دوائر الحركات

البطيئة مائلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحى شمالا وجنوباً فلم تنتشر منافعها على بقاع الارض .

ولولا ان حركة الشمس ـ خصوصاً ـ على هذا المنوال من تخالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التى يتم بها الكون والفساد ، وينصلح بها أمزجة البقاع والبلاد ، ولما كان القمر نائباً للشمس خليفة لها فى النضج والتحليل، والاصلاح والتعديل، واذا كان قوى النور جعل مجراه يخالف مجراها ، فالشمس يكون فى الشتاء جنوبيّة والقمر شمالية لئلا ينعقد السببان ، وفى الصيف بعكس ذلك لئلا يجتمع المسخنان ، ولما كانت الشمس فى أيام الصيف الطوال شمالية الحركة وفى أيام الشتاء القصار جنوبيّتها ولها اوج وحضيض متقابلان بينهما نصف دور جعل الله تعالى بحكمتها البالغة اوجها فى الشمال وحضيضها فى الجنوب لينجبر قرب الميل عن سمت الرأس ببعد المسافة لئلا يشتد التسخين بالتنوير ، وينكسر بعده بقربها لئلا يضعف القوة المسخنة عن التأثير ، كل ذلك لحكمة العليم القدير الحاصلة من تخالف الليل والنهار وتفاوتهما فى المقدار .

ولما كان بيده وجود الأسباب المؤدّية الى خلقة الانسان بدناً ونفساً ، صورة ومعنى كان عالماً بصفاته الظاهرة البدنية وملكاته الباطنة النفسانية ، فذكر انه عليم بذات الصدور ليعلم انه ناقد بصير لا يخفى عليه قليل ولا كثير ، فيجازى على كل عمل قلبى كما يجازى على كل حركة بدنية .

(٧) ولما بيّن انه سبحانه متصف بغاية العظمة والجلال، منعوت بكونه مبدء أعلى وغاية قصوى للكل يستوضح لذوى البصيرة ان الكل محتاجون اليه فى الوجود ، وخصوصاً المعلول الذى تضاعف فيه وجوه الحاجة ، وكثرت عنده جهات الامكانات الذاتيّة والاستعدادية ، ولا شبهة فى أن من هو موصوف بغاية الفقر والفاقة من شأنه التشبث بمن هو منعوت بالكرم والافضال ، ومن دأبه التضرع والابتهال وطلب التخلّص عن القصور والوبال ممن هو على غاية التمام والكمال، واستدعاء الاستمداد والاستكمال ممن هو فى نهايه العظمة والجلال ، متبرّئ الذات

عن النقص والعدم والزوال كائناً بذاته الفردانية الاحدية منبع كل صورة وكمال ، ومنشأ كل خير وجمال .

ثم لايخفى ان كل ناقص يسوغ له الانتقال من حدود النقص الى ذروة الكمال، فله طريق خاص ومنهج معيّن فى الترقى الى اوج الترفع والاقبال، فللاجسام ـ بما هى أجسام ـ الحصول فى مطلق الحيز والفضا وللعناصر فى الحركة نحو المكان الاسفل والاعلى ، وللنبات فى الاغتذاء والنماء ، وللعجم من الحيوان فى حيوته الدنياوية بانفاسه وحركته بارادته واحساسه ، وما من دابة فما دونها الا ومن شأنه البلوغ الى أقصى مالها فى ذاتها مالم تعقها عائق ، ولنوع الانسان كمال يخصه وهو الايمان بالله وأفعاله القريبة بحسب جزئه العلمى ، والتجرد عن الدنيا واللذات البهيمية بحسب جزئه العملى ، ولهذا وقع له الامر بالايمان بالله ورسوله والانفاق مما زاد على ضرورات بقائه الكونى .

ثم بيّن سبحانه عظم أجر الانسان الذى سلك مسلك المعرفة والتجرد بقوله : ﴿ لهم أجر كبير ﴾ لانه بهذين الامرين يقرب من الملكوت ويتخلّص عن الناسوت .

(٨) ثم أظهر سبحانه الاستنكار والتعجب ممن لم يتفطن بالمعرفة بالله عند تحقق الرسول ـ المعلّم للبشر الداعى طريق الحق ـ مع قابلية الذوات ومناسبتها لمعرفة الحق بحسب الفطرة الاصلية المعبرعنها « بأخذ الميثاق » .

(٩) ثم بيّن عظم رتبة هذا المعلم البشرى وكيفية ارتقائه الى مرتبة الرسالة ودرجة التبليغ ، وهو انما يكون بتنزيل الله سبحانه على عبده المستجمع للفضائل والملكات البشرية الايات البيّنة والمعارف الحقّة ليتنور ذاته بالانوار القيوميّة ، ويستشرق عقله المنفعل بالاضواء الاحدية ، وتستضىء نفسه التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار بالاشراقات الصمدية ، ويصيرعند مامسته نار الانوار والشعلات الجبروتيّة نوراً على نور ليتنور بنور ذاته المستضيئة بأنوار الله المتنكسين فى دياجيرالجهل والظلمات ، الهابطين الى مهوى الغفلة والشهوات ، المتزحزحين

لضعف الاحداق عن عالم الاشراق ، ويخرجهم من ظلمات الاجسام الى نور عالم الارواح ومرجع نفوس السعداء والكرام .

ولما كان ارسال الرسول وانزال الوحى وتنزيل الآيات الى قلبه منه تعالى على وجه لطيف حيث صار موجباً لنظم امور الدنيا وتعيش الانسان على أبلغ نظام مع تحصيل الاهبة فى سفر الاخرة له وأخذه الزاد وربح التجارة فى المعاد والفوز بأرفع مقام ومراد ـ فقد كان فيه نفع العاجل مشفوعاً بسعادة الآجل ـ أشار الى هذا التلطف فى الهداية والتكميل والاخبار عن تعلّق صفتى الرأفة والرحمة بالعباد لترتبهم فى الوجود والبقاء من جهتى المعاش والمعاد .

(١٠) ولما أمر أولا بالايمان والانفاق الذين هما خلاصتا الكمال العلمى والعملى . ثم أخذ يسئل شبه المتعجب المستفهم عن التاركين للايمان فى تركهم اياه مع دعوة الرسول ﷺ وأخذ الميثاق ـ أى وجود المعلّم وقابلية المتعلّم ـ وتأييده سبحانه هذا المعلّم بصنوف أسباب الهداية والتعليم، فعاد ثانيا شبه المتعجب المستفهم عن التاركين للانفاق فى تركهم اياه محتجاً عليهم فى استقباح هذا البخل والامساك منهم بأن مافى تملّكهم ليس باقياً لهم ، بل فى معرض الزوال هو عنهم وهم عنه ، وأن الجميع بالحقيقة ملكه يعود اليه ، وله ميراث كل شىء سواء المال وذى المال .

ثم ذكر تفاضل المنفقين والمجاهدين قبل الفتح وبعده وتفاوتهم فى درجة الجزاء والثواب ، فان أفضل الاعمال أحمزها ، مع أنه وعد الجميع بالحسنى لاشتراكهم فى أصل الفعل الحسن وذكر أنه خبير بمراتب الاخلاص فى العمل وحسن النيات ، كما انه خبير بظواهر الاعمال وبواعث الافعال .

(١١) ثم وعد الاجر الكبير مع المضاعفة فى مقدار الثواب لمن يقرض الله قرضاً حسناً .

(١٢) ثم بيّن الموضع الذى يتحقق فيه المجازاة على الاعمال ويتبيّن فيه الدرجات والاحوال ويتميّز فيه السعداء عن الاشقياء، فذكر شيئاً من أحوال المؤمنين،

وشيئاً من أحوال المنافقين في ذلك اليوم ، وذكر تخلّف المنافقين عن المؤمنين في سلوكهم طريق النجاة بنور المعرفة والسداد ، وتمنّيهم الاقتباس من نورمعرفة المؤمنين مع استحالة ذلك ببطلان استعدادهم الفطرى وزوال قابليّتهم الجبلى . وذكر رد المؤمنين ملتمسهم ومقترحهم بالتنبيه على فقدان القبول لهذا الاقتباس والاشعار بما يوجب له الخذلان واليأس .

(١٣) ثم ذكر انّه وقع عند ذلك حاجز ذو باب باطنه يلى عالم القدس والرحمة والنعمة ، وظاهره يلى عالم الظلمة والغضب والنقمة .

(١٤) ثم أشار الى نداء أهل الجحيم لاهل النعيم وسؤالهم اياهم بسبب علو مرتبتهم وانحطاط مرتبة هذه مع الاتفاق بينهم فى ظواهرالاعمال البدنية والتساوى فى مزاولة العلوم الدينيّة وبطلان ترجيح أحد المتساويين على الآخر لالمرجح ، فحكى الجواب لهذه الشبهة الواهية التى هى اوهن من بيت العنكبوت من قبل البارعين فى العلم من أفاضل المؤمنين : ان ملاك التقرب الى الله تعالى والصعود الى معارج القدس انما هوبالاخلاص فى النيّات ، والسيرالمعنوى فى الملكوت ، والتفكر فى بدائع الفطرة مع صدق الطويّات ، وأنتم سلكتم مسالك الامانى والشهوات، والاغترار بالدنيا واللذات بتسلط الغار المغوىعليكم ، واراثة الشيطان لكم الباطل فى صورة الحق ، حتى ترسخت فيكم ذمائم الصفات ، وتراكمت فى قلوبكم ريون المعاصى والشهوات .

(١٥) فلن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ، ولايسمع منكم معذرة ، ولا يؤخذ منكم فدية ولامن الكفار، النار مأويكم ، والجحيم مولاكم ، اذكل شىء يصيرالى أصله، وكلمريض يداوى بعقاقيربلده ، ومأويكم بئس المأوى(وموليكم بئسالمولىـن)، ومصيركم بئس المصير .

(١٦) ثم لما ذكر حسن أحوال المخلصين ووخامة عاقبة المنافقيـن لاجل اغترارهم بالدنيا عاتب المؤمنين المشتغلين باكتساب الدنيا وقلّة التشوق الى دار الآخرة حيثتطرقت فيهم قساوة القلوب لتطاول الامدكما فى بنىاسرائيل ، ونهاهم

عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلب .

(١٧) ثم تداركهم باللطف بعد هذا التوبيخ ، بأنقلوبكم وان قست وقطرت عمّا كان فى سابق الاسلام ، وماتت بنسيان المعرفة وقلّة تلاوة الايات والذكر الحكيم ، لكن الله يحييها بنور المعرفة والتلاوة والذكر لبقاء قابليتها بثبوت أصل الايمان فيها ، كما يحيى الارض بعد يبسها لبقاء جوهرها وان عدمت عنها الطراوة التى هى بمنزلة تذكر الايات فى الانسان .

والقلوب التى لم يبق فيها أصل الاعتقاد بمنزلة الارض التى فسدت ذاتها وأرضيّتها وانقلبت سبخة او رماداً او ملحاً ، لايمكن احياؤها بأنوار المعارف الحقّة ، ومياه الاعمال الصالحة ، كما لاينصلح المملحة للعشب بأضواء الشمس ومياه المطر .

(١٨) ثم رجع الى الترغيب والحث للانسان عن اكتساب العلم والعمل بحكاية حال العاملين والعالمين بذكر الوعد للذين تصدقوا واقرضوا الله قرضاً حسناً - بتضعيف جزائهم وكرامة أجرهم - وبذكر الفضيلة للمؤمنين بالله ورسله ايماناً حقيقياً - بأنهم هم الصديقون والشهداء عندربهم، والوعدلهم بأجر ونورمخصوصين بهم لمزيد شرفهم ومنزلتهم عند الله لمكان المعرفة اليقينية والعمل المنبعث عن محض المعرفة والاخلاص الذى لايوجد مثله فى غيرهم ، أما الاجر ففى مقابلة أعمالهم الخالصة ، وأما النورفمن لوازم معرفتهم المحضة بلاشوب غرض ورياء فى الاول ، ولاتطرق شبهة وريب فى الثانية .

(١٩) ثم ذكرلتوضيح هذه المنزلة فى الاعتقاد والعمل وشرافته بذكرضدها فيهما، وهوالكفرالذى هو أفسد مراتب الجهل - بازاء فضيلةالمعرفة بالله - والتكذيب بآيات الله الذى هوأقبح القبائح العملية - بازاء فضيلة العمل الصالح - وذلك لان الاشياء تعرف بأضدادها .

وأخبر بأنهم أصحاب الجحيم بحسب غريزتهم الاصلية ، كما أنهم من أهل هذه الدنيا بحسب طبيعتهم الفطرية ، اذ الجحيم من سنخ هذه الدار الفانية الهالكة

الباطلة ، ولهذا وقع الاشتراك بينهما فى الخصائص والاحوال .

أما ترى أن شأن كل منهما الاحالة والتحليل ، ودأبهما الاماتة والتبديل ، أشخاصهما أبداً فى الذوبان والانتقال ، وأجسامهما دائماً فى الحركة والارتحال ، حال الساكنين فى الدنيا نظير ماحكى الله عن حال سكان الجحيم بقوله : ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [٥٦/٤] فاشتركوا فى الاستحالة والذوبان وكذا حال أهل الدنيا فى تضاد عناصرهم فى الكيفيات المحسوسة وتباغض نفوسهم فى الاغراض الخسيسة النفسانية والدواعى القبيحة الدنية ، وتخالف مذاهبهم الناشئة عن المخاصمة والعناد ، والمناقشة فى الحسد واللداد كحال أصحاب الجحيم فيما ذكره سبحانه بقوله : ﴿كلما دخلت امة لعنت اختها﴾ [٣٨/٧] وبقوله : ﴿ان ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [٦٤/٣٨] الى غيرذلك من الخصائص الجامعة للدنيا والجحيم والصفات المشتركة بينهما التى تدل على أن الدنيا بعينها صورة الجحيم والجحيم بعينها حقيقة الدنيا .

وعلى هذا الرأى شواهد عقليّة ، ومؤيدات نقليّة ، واشارات قرآنيّة ، ورموزات نبويّة ، ونصوص الهاميّة ، وبراهين حدسيّة ، يستعرفها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها .

(٢٠) واذ قد ثبت جهة الاتحاد بين الجحيم والدنيا وان أصحاب الجحيم هم بأعيانهم من أصحاب الدنيا أشار سبحانه الى بيان ماهية الدنيا ليعلم كيفية استتباعها للنار ، واستلزام التلذذ بشهواتها للتعذب بعقوبات الجحيم ، فأمر بمعرفة ماهيّتها وخصائصها وحقيقة زهراتها ولذاتها بكونها لعب ولهو ، وما ينبعث منها كالتفاخر فى الامور الخسيسة والتكاثر فيها ، وهى امور باطلة وهمية لاحقيقة لها ، كما لاحقيقة للنار الا كونها قطّاعة نزّاعة مفرّقة للاتصال ، معدمة للكون والحيوة ، وجميع ماذكرناه امور عدمية لاحقيقة لها .

وهذه الاشراق والنورية والتلوّن التى يترائى من هذه النار الدنياوية ليست داخلة فى حقيقة ناريّتها لانها ليست ناراً صرفة بل نار مخلوطة بنور ولها مرتبة فى

الكون والتحصّل ، وأما النار الصرفة الاخروية فهى ليست الا اهلاكاً وايلاماً ، ولذلك قيل : « هذه النار الدنياوية غسلت بسبعين ماء عند مراتب تنزّلها الى هذا الدنيا »(١) ليمكن الانتفاع بها رحمة من الله تعالى، والنار الاخروية مخلوقة من عين غضبه تعالى على من يستحقه .

ثم ذكر مثالا مناسباً لدثورها وزوالها ، ثم أشار الى أن المتوغلين فيها ، المطمئنين اليها مآلهم الى الجحيم ، حيث عقّب ذكر التمثيل فى فنائها وفسادها واعجاب الكفار بزينتها بقوله : ﴿وفى الاخرة عذاب شديد﴾ ولما كان من عادة القرآن أن لايتجرد ذكر الغضب والعذاب عن ذكر الرحمة والمغفرة عطف عليه قوله : ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ .

ثم رجع الى تأكيد ذم الحيوة الدنيا بأنها متاع الغرور .

(٢١) ثم أكّد فى بيان الاجتناب عن الدنيا بأن أمر فى المسارعة فى التباعد عنها للوصول الى المغفرة والجنّة ،كمسارعة السابقين فى المضمار، وذكر تشويقاً للعباد فى هذه المسارعة بوصف عظمة الجنّة وسعة ملكها بما يتصور من البسطة والسعة ، وأنها معدّة للعارفين بالله ورسله ، وأنها من مراتب فضل الله ودرجات تجلّيه على الأفعال والاثار وتطوره بالاطوار ، وذكر أنه ذو الفضل العظيم ، فان جميع العوالم والنشآت من فضائل ذاته المتعالية عن الشبه والنظير، ومن رشحات فيضه المتعالى عن القصور والتقتير ، وهذه الفضائل الافعالية زائدة على شؤونات ذاته وتجلّيات وجهه فى غيب غيوبه التى لايحيط بها العد والاحصاء ، ولا يمكن لها النعت والثناء .

ولهذا ذكر عقيبه بأن كل مايوجد فى هذا العالم سواء كانت اموراً خارجية او ذهنية آفاقية او أنفسية ، فهى مما كانت قبل خلقها فى كتاب من علمه تعالى الذى هو من مراتب شؤونه الصفاتية تفصيلا ، او الذاتية اجمالا .

(١) راجع البحار : ٢٨٨/٨ والترمذى : ٧٠٩/٤

(٢٣) وذكر ان من نتائج هذه المعرفة عدم الاساء على الفائت ونفى الفرح عن الاتى .

ومن نتائج الجهل بها الخيلاء والفخر المبغوضان له تعالى المنهيّان بنهيه .

(٢٤) وينبعث عنهما كثير من الصفات الذميمة والاخلاق الردية كالبخل وحمل الناس عليه ، وجميع ذلك مما يورث البعد عن الحق والتولى عنه الى الامور الباطلة ، ويضر فى معاد الشخص من غير نقصان فى سلطانه تعالى وملكه ولذلك عقّب ذلك بقوله : ومن يتولّ فان الله غنى - فى ذاته - حميد - فى صفاته .

(٢٥) وحيث يمكن أن يختلج لاحد فى قلبه ان صفة الغناء المطلق ينافى طلب الصدقات والطاعات وسائر حقوق الله عن العباد بألسنة الرسل والكتب أشار الى دفع هذا التوهم بأن الغاية فى ارسال الرسل بالمعجزات وانزال الكتب وقانون العدالة فى الافعال والصفات ليس الا استقامة الناس واصلاح نفوسهم بملكة العدالة ، وحصول المعاملة بينهم بالقسط والانصاف من غير تعد وجور وتفريط ونقص ليدوم معيشتهم الدنيوية مؤدياً الى سعادتهم الاخروية .

وكما أن فى خلق أسباب الهداية من الرسل والكتب والقوانين ليس المقصود الكائنة الا تبقية الناس بحسب الدارين ، لامنفعة تعود الى ذاته تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، كذلك فى خلق الاسباب الجسمانيّة من أدوات الحروب وغيرها ليس المقصود الا منفعة العباد لاغيرها ، ولذلك عقّب ذكر المقصود من الاولى بذكر المقصود من انزال ماهو من قبيل الثانية ، وذكر ان فى انزال الحديد وخلق آلات الحروب وآلات الصنائع فيه ليس الداعى الا مايرجع الى الخلائق ، اذ الفائدة فيه بأس شديد ومنافع للناس ولان فى استعمال الاسلحة المتخذة منه تبيّن رتبة حال المجاهدين فى سبيل الله ، والناصرين له ولرسله حين الغيبة عنهم ، لالحاجته تعالى عن ذلك الى الناصر له فى اهلاك أعدائه ، لان الله ان أراد اهلاكهم قوى على ذلك عزيز لانقص فى قدرته ولاقصور فى عزته .

وللاشعار بأن المقصود من ايجاد الممكنات وهدايتهم طريق الحق بارسال

الرسل ونصب الادلة والايات ليس غرضاً يعود الى ذاته ، بل انما هو مجرد عناية بالقياس اليهم وفيض رحمة عليهم على سبيل الرشح ، ونظم للامور وترتيب للاسباب مؤدات الى المسببات ، مترتبة عليها الغايات الجزئية ، ومصالح للعباد ، من غير التفات من جنابه العالي الى السافل ، أخبر سبحانه انه قد خلق الانبياء وأرسلهم وذريّتهم الى الخلق ، مع تأييده اياهم بجنود لم تروها من الملائكة ، وتنويره قلوبهم بالوحي والكتاب ، والحال انهم مع ذلك لم يقع الاهتداء بهم الا من بعض الناس دون بعض ، وكثير منهم فاسقون .

ولو كان له تعالى ارادة جزافيّة ، وأغراض جزئيّة ، ومقاصد سفليّة ـ كما يتصوره العامة ـ لم يتصور ذلك، ولما كانت أولياءالله وأحباؤه ممتحنة بيدالاعادى، مقهورة بقهرالكفرة الفجرة ، ممنوعة عن ارشاد الخلق معوقة عن هدايتهم مدة مديدة بسبب كيد المنافقين وافساد الظلمة .

(٢٧) ثم أكّد هذا المعنى بالاخبار عن اتصال سلسلة الرسل والمصطفين الاخيار على ماهو مقتضى حكمة البالغة ، من عدم تخلية العالم عمن يوحّده ، ويمجّده ويعظّمه، ويعرّفه، ويصفه بصفات العظمة والجمال، ويثنيه بنعوت الكبرياء والجلال من الانبياء والاولياء والعرفاء ، ثم الأمثل فالأمثل الى أن بلغت نوبة الاجادة والافضال الى الاداني والارذال، من غير تعلّق قصد بوجود هذا القسم الا على سبيل الاستجرار والاستتباع كما ان الصانع الحاذق والنجّار المحدق اذا تمت صنعته عن موضوع معيّن لها كالخشب مثلا للسرير او الباب ، وبقى من الموضوع شيء ، لايضيع حق قابليّة هذه الفضالة ، بل يصنع منه ماهو أدون منزلة من الاول وهكذا كالوتد والخلال الى أن لايبقى شيء من الموضوع الجسماني، فهكذا البارى تعالى ـ وهو أشرف الصانعين ـ يقع من صنعة وجوده الاشرف فالاشرف الى الاخس فالاخس، حتى ينتهي الى وجود الاشرار والفسقة والكفرة ، فكان الغرض المقدم في ايجاد المكونات (الممكنات ـ ن) خلقه أشراف نوع الانسان ، فخلق من فضالته سائر الاكوان لئلا يفوت كل ذى حق حقّه ، ولا يضيع عن القابل مستحقّه ، كل ذلك

على سبيل الحكمة والعناية الخاليتان عن النقص والشين .

وذكر انه عقّب الرسل بالرسل وقفّى بعضهم على اثر بعض مؤيداً بالايات من لدن نوح وابراهيم الى عيسى بن مريم عليه السلام ، وكان فى كل امّة الغلبة للفساق والنجاة للمهتدين - وهم الاقلّون عدداً من المتوسطين والهالكين - وكذا فى امّة عيسى عليه السلام كان بعضهم ممن آمنوا به واتبعوه وكان فى قلوبهم رأفة ورحمة فاوتى أجرهم ، وكثير منهم فاسقون .

(٢٨) ولما أخبر تعالى عن ارسال الانبياء متّصلين الى عيسى وذكر حال قومهم الغابرين وقومه الغابر شرع فى ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم وحال قوّته الظاهر الحاضر ، مخاطباً اياهم ، آمراً لهم بالتقوى والايمان ، واعداً لهم كفلين من رحمته ونصيبين من فضله وجوده لشرافتهم وفضيلتهم على سائر الامم ، لقوله : ﴿ كنتم خير امّة اخرجت للناس ﴾ [٣/١١٠] - جاعلا لهم نوراً يمشون به يوم القيامة - وهو نور المعرفة - جزاء ايمانهم بالرسول ، وجزاء تقويهم المغفرة لذنوبهم السابقة ، لان العلم شرف وتحلية ، والعمل نجاة وتخلية .

(٢٩) وهذه المراتب السنيّة لهم فوق سائر الامم لاجل استحقاقهم الذاتى وصفاء قرائحهم الفطرية ، فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، بعضهم أصفى وبعضهم أكدر ، ولهذا أشار سبحانه تنبيهاً على تفاوت طبقات الخلق فى الكمال بحسب الجواهر والاستعدادات بقوله : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء ﴾ لخسّة جوهرهم ونقصان قابليّتهم ، والفاعل الفياض وان كان متشابهاً فى فيضه وجوده ، كماأشاربقوله : ﴿وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم﴾ لكن يختلف آثاره باختلاف القابليات ﴿يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً﴾.

أما ترى أن الماء حقيقة واحدة فعله من جانبه متشابهة لكن يختلف آثاره حسب اختلاف الاراضى كما فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرفيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون ﴾ [١٦/١٠-١١] .

والشمس ذات واحدة وفعلها الخاص بها الاضائة والاشراق ومع ذلك يكون لفعله الوحداني أثران متضادان كتبيّض ثوب القصّار وتسوّد وجهه .

* * *

فهذا ماخطر ببالي المنكسر وحضر في ذهني الفاتر والقاصر من النكات المتعلقة بهذه الكريمة مع تضيّق المجال وتعسر الحال وفشو داء الجهل والوبال في الاطراف والاكناف وترفّع حال الجهلة والارذال وتصدّرهم على الاخيار والاشراف وخلو البقاع والبلاد عمن يعرف قدر المعارف والاسرار ، الفائضة على قلوب العباد من خبايا علوم المبدء والمعاد ، والى الله المشتكى من زمان شاع فيه الجهل والعناد (والفساد) وكثر فيه الحسد واللداد وانسد طريق المعرفة والسداد واستكبر الناس عن تعلم الحق بحسب ماحصّلوه بالوسواس، وسمّوه علم المذهب لتوصلهم به الى مراجعة الخلائق اليهم والاستيناس .

وله الشكر فيما أخرجنا الله به عن مضائق ظلمات الابحاث الجدلية والكلامية الى أفضية الانوار الالهية القرآنية ولرسوله الهادى الى طريق التوحيد بأسرار كلماته ورموز آياته ـ محمد وآله ـ الصلوة والدعاء كفى ارشادهم للخلق وافضالهم وجزاء هدايتهم للناس واكمالهم أولا وآخراً .

* * *

تم تفسير سورة الحديد والحمد لله أولا وآخراً .

تعليقـات

الحكيم الالهى المولى على النورى (قده)

علـى

تفسير سورة الحديد

بسمه تعالى وله الحمد

لدى اختتام طبع هذا الجزء أتحفنى مشكوراً السيد الكريم والعالم الجليل الدكتورالسيد أحمدالتويسركانى- أدام الله توفيقاته - صورة فتوغرافية منمخطوطة هذا الجزء وهى فى ضمن مجموعة ثمينة محفوظة لديه - محشية بحواشى الحكيم الالهى المولى على النورى - قدس سره - بخطه الشريف . فرأيت من اللازم اضافة هذه الحواشى فى نهاية الكتاب اتماماً للنفع وأداء لشكر مامن الله علىّ من ايصال هذه النعمة .

وهنا نلفت نظر القراء الكرام الى مايلى :

١ - جميع الحواشى كانت مختومة بكلمة « نورى » - اسم المحشى - الا نادراً ولتمييز القسم الاخير وضعت فى آخرها علامة كهذه (*) .

٢- وضع نقط مكان كلمة او كلمتين تشير الى عدم تمكنى من قرائتها صحيحة .

٣- جاء معدود من الحواشى مختومة بكلمة« منه » وقد مضى بعضها فى ذيل الصفحات وذكرت هنا مابقى منها مرموزة بكلمة (منه - ره) .

٤ - كانت الحواشى مكتوبة بحروف صغيرة ومهملة غير منقوطة على أن الموجود عندى صورة فتوغرافية فرغم مابذلت جهدى فى قرائتها واستنساخها يمكن أن يكون فيه بعض الاخطاء فليعذرنى القراء الكرام - اذ الانسان محل السهو والنسيان ، والعصمة لاهلها .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ص۱۴۱ س۱۳ **قوله** : عن الرق المنشور ـ والطور : عرش العلم ، اى القرآن المجيد . وكتاب مسطور : اللوح المحفوظ المسمى بالكرسى وهو العرش العظيم. فى رق منشور: لوح الهندسة القدرية وهو خيال الكل المسمى بعرش الرحمن.

ص۱۴۲ س۱۴ **قوله** : والاخر هو معرفة المعاد ـ هذا منه بناء على اعتبار كون دار الاخرة منحصرة فى أهل السعادة ، اذ الاخرة ـ بكسر الخاء ـ ان هى الا الغاية من ايجاد الاشياء ، ودار النار والهلاك والبوار لايصلح لذلك ، كما لايخفى سره على أهل البصائر ، فهى خلقة طفيلية كخلقة القاذورات المدفوعة ، كيف لا ـ وهى حقيقة الدنيا ودار الطبيعة الظلماء ـ فافهم ولاتكن من الغافلين .

ص۱۴۲ س۱۸ **قوله** قرب الفرائض ان فى قرب الفرائض الظاهر هو الحق الساتر للخلق، والمستور هو الخلق، كما قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [۱۶/۴۰] والأمر فى قرب النوافل على عكس ذلك ـ فاعتبروا ياأولى الابصار .

ص۱۴۲ س۱۹ **قوله** : تعريف السالكين ـ ان هؤلاء السالكين لهم مصدوقة كريمة « ويحبونه » فى قوله تعالى : ﴿ يحبّهم ويحبونه ﴾ [۵۴/۵] .

ص۱۴۳ س۱ **قوله** : كيفية حلول غضب الله عليهم ـ ولقد أشرنا قبيل هذا ان مآل حال أهل النار ـ مع كونه(۱) مآلهم ومعادهم ـ لابعد من دار الاخرة

---

(۱) كذا .

ولايجعل ولايحسب منها لكون فطرتها فطرة الهلاك والبوار وان دارالاخرة ـ بكسر الخاء ـ لهى دار البقاء والثبات والقرار، وهذا الضرب من الاعتبار انما يجرى على مجرى رعاية الحكمة البالغة الكاملة الناعتة للحكيم العليم الغنى الجواد المطلق عمت رحمته وسبقت رحمته غضبه ـ فافهم واستقم .

ص١٤٣ س٥ **قوله** : ثانيها ـ ان هذه الثانية لهى بيان كيفية حال مآل الكفرة من الفراعنة وتبعتهم الذين لحقتهم واتبعتهم .

ص١٤٣ س٧ **قوله** : والمقصود منه ـ قد يعبرعنه بضرب من السياسة المدنية والمنزلية النازلة على السائس الالهى وهى غير السياسات الحكمية التى تستنبطها العقول البشرية فى تنظيم نظام المعيشة الخلقية ، سواء كانت لها مدخل فى اصلاح المعاد ، أم لا . اذ ربما يكون السائس بهذه السياسة البشرية غير قائل بدار المعاد وهم جمهور المتفلسفة والدهريين القائلة بمات فات .

ص١٤٦س١٩ **قوله** : سبحان ماسبحت له ـ فلفظة « ما » فى هذا القول من العرب المعرب بمعنى « من » الذى هو الذات الاقدس الذى كان يمن علينا وعلى سائر الاشياء بمنّه الذى هو وجهه المشرق على الكل فى الكل المحيط بنا وبسائر الاعيان ، وهو النور المحمدى الكاشف عن حضرة الذات جل وعلا وعن وحدانيته الكبرى وهو عرش الذات وعرش هوية الذات الذى يرجع الى تقدس كنه الذات، وكل تسبيح من تسبيحات سائر الاشياء انما هو تنزيه ذلك الوجه المحمدى ، كما قال تعالى: ﴿وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾[١٧/٤٤].

والحاصل : انا نسبح الوجه . والوجه يقدس حضرة الذات ، بل هو نفس تقدسه تعالى الذى به يقدس سبحانه نفسه ـ تثبّت فيه .

ص١٤٧ س٥ **قوله** : تسبيح فطرى ـ كيف لا وقد قال تعالى : ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾[٣٣/٧٢] كما يشير اليه بضرب من الاشارة لاهلها قوله تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ [٥٩/٢١] .

وأما الوهم الانسانى الجهلانى فحملها حمل سراب ـ فافهم .

ص١٤٧ س١١ **قوله** : ولنا ايمان ـ هذا الايمان أعم من الايمان التقليدى العامى المعروف بعقد القلب من دون يقين وايقان ومن الايمان البرهانى الايقانى .

وقد يقال للتقليدى « الايمان » وللبرهانى « العلم » وللكشفى العيانى « الاحسان » ولايعم الايمان كل ذلك كما يظهر للماهر فى الفن ـ تفطن .

ص ١٤٩ س ١٥ **قوله** : من حيث هو بدن ـ اى من الحيثية المذكورة فلاينافى ماسيجىء من كون هياكل الحيوانات فى التسبيح (منه ـ ره) .

ص١٤٩ س١٨ **قوله** : لامن حيث جسميتها وماديتها ـ سرّ ذلك هو كون الجسمية المادية كيانى الكون ، والكينونة الكيانية ـ كما تقرر بالبرهان الباهر فى مقامه ـ ان هى الا التفرق والتشتّت والتكون فى عين التصرم ، والتجدد فى عين التقضّى ، كما هو سجيّة الفطرة الزمانية والزمانيات الجسمية المكانية ومصادرها الاتصالية لامعية فيها ... ولا جمعية و كل جزء منها خلو عن وجود سائر الاجرام بل الكل عن كل جزء من أجزائه بل وعن نفسه ، اذليس نفسه الا عين هذه الاجـزاء المتفرقة من خلو الشىء من عين نفسه اذ نفسها ليست الا متشتّتة فى عين نفسها .

ص١٥٠ س٧ **قوله** : فاباء ابليس ـ ان ابليس مشتق من « ابى ليس » بالاشتقاق الكبير ، و« الليس » جلالى ، كما ان « الايس » جمالى و كل حاصل فى عين الاخر ـ فليتدبر .

ص ١٥ س ١٠ « أبلس من رحمة الله » اى : يئس . ومنه «ابليس» و كان اسمه «عزازيل» ـ (منه ره) .

ص١٥٠ س١٤ **قوله** : موافقة علمه ـ سرذلك هو كونه سبحانه شيئاًبخلاف الاشياء .

ص١٥٠ س١٤ **قوله** : علمه الذى هو عين ارادته ـ فماتشاؤون الاأن يشاء الله فالكل جار والامر سار على ارادته جل شأنه وعظم وقهر سلطانه .

ص ١٥٠ س ٢٢ **قوله** ويعلم ان انكارهم عين الاقرار ـ سرّ ذلك كله هو

كـون منزلة الأعيان الثابتة التى هـى حقائق الاشياء من صفات الله العلياء وأسمائه الحسنى منزلة الصور والامثلة والاظلة مـن الحقائق ومنزلة الفروع والوجوه مـن اصولها، واذا كان الامر بهذه المنزلة فمن أين وأنى يتصور للاعيان التخلف عن اجابة دعوة الاسماء التى هى حقائقها واصولها، فهى بذواتها وصفاتها وأفعالها تابعة لحقائق الاسماء وأظلالها ، وظل الشيء ان هو الا مجرد حكايته ومحوضة تبعيته واجابته فى الحكاية والتبعية ، وليس التبعية الظلية مثل تبعية شيء لشيء ، بل المراد هو كون الفطرة الظلية فطرة التبعية . فاعيان الأشياء بحقائقها وطبايعها راجعة الـى اصولها التى هى الأسماء الحسنى وليست لها ذوات انفصالية لها أحكام بحيال أنفسها ، بل ان هى الاصورها الحاكية عنها المرجوعة اليها -. ﴿ألاالى الله تصير الامور﴾ ﴿واليه يرجع الامر كله﴾ لكن درك كيفية هذا الرجوع ونيل حق حقيقته أمر صعب لايحتمله الا ملك مقرب ، او نبى مرسل ، او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان .

ص ١٥٠ س ٢١ **قوله** : فى مرتبة الجمع ـ قد يعبر عن هذه المرتبة بشهود تعانق الأطراف بوجدان كل من المتقابلين فى عين الآخر .

ص١٥٢ س ٢ دون ما تصدر عنها ـ كالكتابة من الكاتب والبنّاء من البناء والهيئة الصورية العرشية مـن النجار ، فان شيئاً من تلك الامور لايتعلق بمصادرها المذكورة المعروفة تعلقاقواميأ وافتقاراً ذاتياً يوجب كونهمافاقرة الذوات الى تلك المصادر المعروفة بمصدريتها عند الجمهور وتعلقى الهويات بها . كيف لا ـ وبقاء كل منها عندفناء ما تصدرمنه كاف فى نفى كون تلك المصادرعللا فاعلية لها مذوتة لذواتها ، مقومة لهوياتها ـ فلا تغفل (*) .

ص ١٥٢ س ١٢ **قوله** : فان حيوة العلم ـ الى قوله : ـ فى الدنيا ـ لعل فيه نشر مرتب للف الذى فى قول ابن عباس .

ص ١٥٢ س ١٥ **قوله** : ان نـوع الأحياء مختلف ـ قال تعالى : ﴿ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾ [٣/٦٧] وقال: ﴿وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر﴾ [٥٠/٥٤] فالتفاوت بين الدنيا والآخرة ناش من ناحيتهما ولماكان المادة الدنياوية

تدريجى القبول للوجود الفائض عن حضرة قدرة الحق ـ كما تقرر فى محله ـ من كون الفطرة الدنياوية فطرة زمانية آبية عن الجمعية والاجتماع زمانا ـ بل ومكانا ـ صارت أسبابها تدريجية .

وبعكس ذلك الفطرة الاخروية لكونها فطرة أمرية جمعية، اذ الوعاء الدهرى هو وعاء الطىّ ـ اى طىّ طومار الزمان والمكان ـ كما قال تعالى : ﴿يوم نطوى السماء كطىّ السجل﴾ [١٠٤/٢١] ﴿والارض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ [٦٧/٣٩] .

ص ١٥٣ س ٩ **قوله** سبحانه : هـو الاول والآخر والظاهر والباطن ـ قلت فى خلاصة ترجمته ومحصل افادته :

الله أحـد و لا هـو الا هـو ❊ در دار وجود نيست جز حضرت او

﴿قل هو الله أحد﴾

لامثل و لا مثال لله بگـو ❊ مثلش كه مثال اوست لامثل له

﴿ولا تضربوا لله الامثال ❊ ليس كمثله شىء﴾

وله فى ترجمة هذه الكريمة :

جز ذات خدا اول وآخر نبود ❊ جز ذات خدا باطن وظاهر نبود

در غيب و شهود نيست جـز حضـرت او

جز حضرت او غـايب و حـاضر نبود (❊)

ص ١٥٣ س ٣ **قوله** : موت البدن من ضروريات ـ تعلق الروح بالبدن تعلقا افتقاريا وان كان علة معدة لاستكماله مثل تعلق الراكب بمركوبه الـذى به يسير ويسافر حتى يصل الى المقصد الذى كان الوصول اليه مطلبه ، لكنه مادام كونه متعلقاً بالبدن مثله ـ مـن وجـه ـ مثل المريض المبتلى بمادة الافليج المزمنة التى تجعله عاجزا عن الحركات الاختيارية التى لابد له منها فى انتظام معاشه ، فبالاستكمالات العملية كالمعالجات الطبية ينبت له أجنحة يطير بها الى سماوات كمالاته ـ فافهم .

ص ١٥٣ س ١٣ **قوله** : معجمة (١) اى لادلالة ولا نطق لها ـ فافهم .

---

(١) كان المتن فى نسخنا : «مقحمة» كما هو فى مجمع البيان .

ص۱۵۴ س۱ **قوله** : عن الضحاك ـ محصل قول الضحاك اى: باوليته تعالى صارت الاوائل أوائل ، وهكذا الثلاثة الباقية .

وسر ذلك هـو كما ان كل موجود موجود و قائم به ، هو الله المحيط فى الوجود واوصاف الـوجود وأحواله بما هو وجود كالاولية والاخريـة والظاهرية والباطنية و. . . هذاالمحصل هو كون وجوده سبحانه أصل الوجودات ، ففى كل مرتبة ومقام هو الموجود بالاصالة أولا وبالذات وسائر الاشياء يكون موجودأثانياً وبالعرض ـ فاليه يرجع الامر كله .

ص ۱۵۴ س ۸ **قوله** : قيل ان الاول والاخر ـ قول هـذا القائل دقيق عميق فبالتعمق والتدبر حقيق.

وقولـه : «والحق وسع المكان ظاهراً وباطناً ـ آه » يعنى : ان الحق قهّار قهر الاشياء كلها وأحاط بها احاطة تستهلك بها المحاطات فى المحيط وتضمحل بها المقهورات فى قهره البسيط .

ومحصله هو مفاد قوله تعالى : ﴿ألا الى الله تصير الامور﴾ و﴿اليه يرجع الامر كله﴾ «غيرتش غيردرجهان نگذاشت» ويرجع محصله الى التوحيد الوجودى(*)

ص ۱۵۴ س۱۵ **قوله** : علمه بالمصلحة وكونه تماماً ـ آه ـ : . . . بظاهره كانه يشير الى مشربين ، مشرب كدر مشهورى عامى ، و مشرب صاف خاصى غير مشوب بشائبة أصلا .

ص ۱۵۵ س ۱۸ **قوله** : ان الموجـودات العالية ـ آه ـ ذلـك كما اشير اليه نوع اشارة لاينالها الا أهـل الاشارة فى قوله تعالى : ﴿لهم طوبى وحسن مآب﴾ ـ وهو الملهم للصواب ـ

ص ۱۵۵ س ۲۲ **قوله** : فى شقاق ـ آه ـ اى : وقعوا بدركهم الوهمى الرابى فى شق العدم والظلمة الذى هونقيض حضرة الوجود ، وضد حضرة النور ، وشق العدم الذى هو ملاك تكوّن جهنم بكون طريقهم وطريقتهم فى السلوك المعرض عن مشرق شمس الحقيقة المتوجه الى مغرب هاوية الظلمة .

وقد قال شاعر اخوان الصفا :

ترسم نرسی به کعبه ای اعرابی   این ره که تو میروی بتر کستانست

و الهاوية التي هي الدركة السفلى المعبّر عنها بما تحت الثرى هي قاعدة مخروط النقيصة الامكانية والظلمة الهيولانية ، النقيضة المقابلة لقاعدة مخروط نور الوجود والوجوب التي هي جنة المأوى التي اليها تأوى طيور الارواح القادسة التي هي اولاد الادمية الاولى وأقارب المحمدية البيضاء والعلوية العلياء التي منزلتها من المحمدية البيضاء منزلة حواء من آدم نبياً .

كما قال ﷺ : « يا على ، أنا وأنت أبوا هذه الامة » فشقاق العدم و الظلمة لحضرة الوجود والنور هو شقاق أهل النفاق لمحمد وعلى و آلهما ـ ﷺ ـ فى المآب والمآل ـ فاعتبروا يا اولى الالباب ـ

ص ١٥٥ ص ٢٠ **قوله** : هيهنا غايات وهمية ـ اه ـ ذلك كما يشير اليه قوله عزمن قائل: ﴿الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء حتى اذا جائه لم يجده شيئا ووجدالله عنده فوفّيه حسابه ﴾ او كظلمات في بحر لجى يغشيه موج﴾ ـ الاية [٢٤/٤٠]

والوهم هيهنا هـو العقل الجزئى المضاف الى النشأة الحسية الدنياوية الظلمانية والمتعلق بهما المسخر للنفس الامارة بالسوء والفحشاء .

و اصل سنخ الفطرة العقلية وان كان من سنخ فطرة أبيها المقدس المسمى بروح القدس الاعلى و بالمحمدية البيضاء ، ولكنها لما تولدت من امها الامارة بالسوء ونشأت في دار الغربة وتقلدت بقلادة قرابة قبيلة امها الامارة ابتليت ببلية الاحتجاب عن شهود موطن أبيها المقدس الذى هو واد القدس الباقى بالبقاء الحقانى على خلاف هذه النشأة الدنياوية المفطورة على الفناء والدثور والتصرم والتقضّى المحادة بالمضار والشرور وما شمت شامة فطرتها رائحة الحبور والسرور ان هى الا دار الاغترار والغرور .

ص ١٥٧ س ١ **قوله** : اذلا معنى له بذاته ـ اى : لامعنى له بذاته مع قطع

النظر عن كل ما هو خارج عن حقيقة ذاته الاصرف صريح ذاته ، والقواطع البرهانية قائمة على كونه سبحانه متجليا بذاته ومتعرفا بذاته لكل شيء من الاشياء ، فكل شيء في عين شهود ذاته و في عين ظهور ذاته و حضورها له محتجب عنه ، وهو تعالى حاضر له بحضور غير محدود ، وكل شيء ما أدرك ولا يدرك الامحدوداً.

والحد هيهنا انما هو نقصانه الذاتي و قصوره الفطري الذي هو حجابه عن شهود المحيط في الظهور والحضور .

ص ١٥٨ س ١٥ **قوله** : ان ايجاد الحوادث على انشاء ـ اي الامر الدفعي الوقوع يحتمل ان يكون أمراً اتفاقيا ـ بل و غير مشعور به واقعا بطور البخت و الاتفاق ـ واما اذا حصل شيئا فشيئا واوجد وانشأ تدريجا شيئاً بعد شيء كل مرتبة من وقوعه تلازم ما يناسبها وتنفك عما يناقضها كما قال ﷺ مشيرا الى هذه الدقيقة اللطيفة : « الامور مرهونة باوقاتها » فهو مما يكشف عن كون صانعه عليماً حكيماً مدبّراً موجداً محصلا كل شيء في وقت يناسبه و يقتضيه لاعلى وجه الجزاف و الاتفاق ـ هذا ـ

ولكنه نكتة عامية غير خاصية ، وللخاصة أسرار في المقام سنشير الى بعضها ـ والعلم عندالله .

ص١٥٩س٩ **قوله** : فابدع الافلاك ثم زيّنها بالكواكب مع نفوسها المجردة المحركة ـ اه ـ لقد أشار بهذا المساق من البيان حيث اقحم لفظة ثم و عطف بحرف « ثم » جملة : «وزيّنها بالكواكب » ـ اه ـ على جملة « فأبدع الافلاك » ـ الى سر كون خلقة السموات السبع متحققا في يومين ، وهما يوم يتعلق اعتباره بخلقة الكواكب والنفوس العلوية من الناطقة القدسية القضائية والحساسة القدرية، فكل من القسمين يتعلق خلقه بيوم مع كون خلقة السماويات ابداعية ، فان نفس الزمان بل نفس الحركة التي هي ملاك الزمان خلقتهما ابداعي .

ص ١٥٦ س ١٣ **قوله** : وعمد ـ الى قوله : ـ ثم قسمها ـ اه ـ هذا السياق ايضا منه للاشارة الى وجه كون خلقة الارض بالمعنى الذي فسره بقوله : « اي ما

فی جهة السفل » وهو غير المواليد متعلقة بيومين . و كذلك قوله : ثم انشأأنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا و تصويرها ثانياً » فيه اشارة الى لمّ كون خلقة انواع المواليد متعلقة بيومين . ولذا قال : « بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا » فيكون تركيب المواد فی يوم وتصويرها بالصور النوعية المواليدية فی يوم.

ص ١٦٠ س ٣ **قوله** : التهيئة و الاعداد ـ فأين وأنى مبدء الاعداد و منشأ الاستعداد من مبدء . . . و الايجاب والايجاد وقد تقرر فی مقره ان منزلة الامكان من الوجوب منزلة النقص من التمام والكمال وهو سبحانه تمام التمامات و كمال الكمالات فهو حقيقة الحقائق ببساطته ـ اذ بسيط الحقيقة كل الاشياء بوجه أشرف واعلى والطف واقوى وتمام الشیء هو اولى به من نفسه ، اذا لشیء بتمامه هوهو وبنفسه ليس شیء اصلا لاهو ولاغيره .

تلطف فيه فانفيه قرة عين التوحيد الوجودی الذی هو الكبريت الاحمر .

ص ١٦٠ س ٨ **قوله** : و احتجابها بالاسماء ـ اه ـ و رفع احتجاب الذات يتحقق بتمامها عند نفخة الصعق التی لايبقى معها شیء من مظاهر الاسماء .

ص ١٦٠ س ٨ **قوله** : وظهور الاسماء فی مظاهر الاشياء ـ اشارة الى كون الاسماء ايضاً مختلفة مستورة بمظاهرها ، اذا المظهر من حيث هو مظهر ساتر للظاهر فيه ، لان الظاهر انما يظهر به وبحسبه .

تفطن ـ فالخلق حجاب للحق ذاتاً وصفة واسما .

ص ١٦٠ س ١٢ **قوله** : وهو يوم الجمعة ـ لعله أراد من يوم الجمعة هيهنا يوم القيامة الوسطى كما هو مقتضى مشربه ، اذا الاسابيع سبعة والجمع ايضأسبع وجمعة الاسبوع الاخر هی يوم القيامة الكبرى .

ص ١٦٠ س ١٤ **قوله** : هذه الدنيا سبعة آلاف سنة ـ وفی الخبر من طريق أصحابنا مامحصله ان عمر الدنيا مأة ألف سنة ، والعشرون منها لسائر الناس والباقی مدة دولة آل محمد ﷺ .

وظاهر الاخبار مختلف والمشهور من الاثار كما ذكر . وقد تقرر فی محله

من العلوم الحقيقية انه كما نزل ونطق به محكم القرآن والقرآن الحكيم: ﴿تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبرا جميلا﴾ [٧٠ / ٤] وهو سبعة أسابيع ، وخاتمة تلك الاسابيع السبعة هي قيام الساعة الواسعة الكبرى . وعصرنا هذا حسبما رأيت في بعض الاخبار كما نقل في

-٣٤٠- التعليقات

من العلوم الحقيقية انه كما نزل ونطق به محكم القرآن والقرآن الحكيم: ﴿تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبرا جميلا﴾ [٧٠ / ٤] وهو سبعة أسابيع ، وخاتمة تلك الاسابيع السبعة هي قيام الساعة الواسعة الكبرى . وعصرنا هذا حسبما رأيت في بعض الاخبار كما نقل في
من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾ [٤٤/١٧]

وسر عدم تفقه الخلق ذلك التسبيح هو كون ذلك التسبيح بلغة ألسنة الورثة الختمية المحمدية ، وتلك اللغة وضعها وضع الهي طبيعي لايطلع عليه الأهل التأله الذين هم أهل طرح الكونين وخلع النعلين خاصة ، وهم يتلمذون من الولي المطلق الحق الحقيقي تعالى ، بلاتوسط ملك فضلا عن توسط معلم بشري -فافهم-

ص١٦٠ س١٩ **قوله** : وزمان الاستواء على العرش - ان الحقيقة المحمديه لهي عرش العرش الالهية الذي هومظهر المظاهر الجامع لجوامع مظاهر الاسماء الالهية ، بل وهي امام ائمة الأسماء كلها ، كما قال تعالى : ﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾ [٣١/٢] وتعلم الاسماء هو النحقق بحقائقها ، ومن هنالك صارت حقيقة حقائق الاشياء ، اذ منزلة حقائق الاشياء من حقائق الاسماء الحسنى منزلة الامثلة والصور من الحقائق واللباب .

ص ١٦٠ س١٩ **قوله** : وهذاالظهور يبتدى ـ اه ـ اذالبعثة المحمدية الختمية لهى البعثة الجامعة لجوامع البعثة ، و شريعتها هـى الجامعة لجوامع الشرايع ، و طريقتها هى الجامعة لجوامع الطرائق ، وحقيقتها هى الجامعة لجوامع الحقائق .

اذالحقيقة المحمدية لهى حقيقة الحقائق كلها هى مبدئهاومعادها ومعاد الاشياء كلها حقائقها ورقائقها، اصولهاوفروعها ، فاليوم الجامع لجوامع الايام الالهية لهو الجمعة ـ الجامعةالمحمدية .

ص١٦٠ س٢١ **قوله** : وجمع بين السبابة والوسطى ـ لعل السبابة كناية عن القيامة الكبرى ، والوسطى عن الوسطى .

ص١٦١ س١٣ **قوله** :يوم خلق آدم اى الحقيقى ـ ان آدم الحقيقى لهو آدم المحمدى، و سرتسمية يوم المحمدى بالساعة لسعته واحاطته وبيوم المزيد لازدياد الظهور وانتقاص الخفاء فيه تدريجا الى أن يتم الظهور ، ومن هيهنا كثرت الخواص فى الدورة الختمية من الورثة المحمدية ، ويزداد تلك الكثرة الاختصاصية شيئاً فشيئاً الى يوم خروج قائم الال عليه السلام بأمر ذلـك الاظهار و ظهور دولته الباهرة القاهرة فى الظهور والاظهار ، الى أن تنتهى الامر فى الظهور والاظهار و كشف البواطن والاسرار الى أن يعم جملة الخلائق من الخواص والعوام من السعداء والاشقيا كائنامن كانفهو يوم تبلى السرائر وتنكشف أسرار الضمائر بأربابها التى هى أسماء الله تعالى المحتجبة عن الابصاروالبصائر فى يومنا هذا احتجاب الظواهر بمظاهرها ، اذالمظهر حجاب للظاهرفيه ـ فليتأمل فيه ـ .

ص ١٦٢ س٤ **قوله** : دهـر طويل ـ يعنى منه الدهر الذى هو طى طومار الزمان والمكان المتقدم عليهما وجوداً .

ص ١٦٢ س ٤ **قوله** : الى أن تلخص (١) و تميز ـ الى قوله : ـ فى مدة من العمر ـ حاصله : ان السموات والارض بما فيهما كانتا فى ذلك الدهر الطويل

---

(١) المطبوع فى المتن : تمخض .

رتقا وجمعاوطيّا مطويا ثم فتقا ـ كما نزل فى صريح التنزيل ـ.

و « الفتق » هو وجودهما الزمانى والمكانى فى العالم الطبيعى الهيولانى. فالعوالم المترتبة النازلة من عندالله الاول منها هو عالم العقل الكلى ـ وهو « عقل الكل المحمدى » ـ ثم نفس الكل المسماة بـ « ـالعلوية العلياء » ، ثم هيولى الفلك المسماة بـ « ـالهباء » ، ثم جسم الكل الاجمالى المسمى بـ «عرش الرحمن» وهو مثال الكل ، ثم الكرسى التفصيلى، ثم فلك الروح المعروف بـ « ـالفلك الاطلس» الذى لا كوكب فيه أصلا، ثم فلك الثوابت المعروف بـ « الفلك الثامن» عند الجمهور وهو الرابع من الافلاك الاربعة المذكورة ، ثم خلقت الارض و السموات السبع ثم المواليد الى أن انتهى الامر الى باب الابواب الى الله « الانسان » ـ فافهم ان كنت من أهل الاشارة واحفظه .

ص ١٦٢ س ٦ **قوله** : و تحيط بعضها ببعض ـ كأنّه منصوب محلا على الحالية .

ص ١٦٢ س ٦ **قوله** : كأنها شخص واحد ـ اه ـ هذا هو توحيد العالم الكلى والنظام الجملى المسمى بـ « ـالعالم الاكبر» و « الانسان الكبير » فقد تستدل بوحدانيته على وحدانية الحق كما هو الموروث المعروف من أرسطاطاليس ، وقد يعكس الامر فتثبت اولا وحدانيته تعالى و تفرع عليه وحدانية العالم كما هو طريقة الالهيين المعروفين بالصديقين ـ لكل وجهة هو موليّها ـ .

ص ١٦٤ س ١٣ **قوله** : فمكث ذلك الابن زماناً طويلا ـ لعل رمز قولهم « زماناً طويلا » يعنى منه الدهر مطلقاً ، او الدهر الايمن او الاسفل عن الايمن واما مرموز قولهم : « وقدر نصف يوم » فيحتمل ان يكون نصف يوم ههنا كناية عن الدهر الايسر الذى يعبر عنه بـ «ـالملكوت الصورى المثالى » المسمى . بجنة الدنيا كما ورد فى الاخبار ـ والمراد من اليوم ههنا هو اليوم الربوبى الذى وعائه وعالمه دون مرتبة اليوم الالوهى المسمى فى وجه بـ « الدهر الايمن الاعلى » وهو عالم عقل الكل ، كما ان الايمن الاسفل عالم نفس الكلى التى هى أبو هؤلاء الاولاد من آدم

ابى البشر الى الخاتم المحمدى ﷺ الظاهر بالصورة البشرية فى عالم الزمـان الطبيعى .

ص١٦٤ س١٣ **قوله:** قدر نصف يوم- لعله عطف تفسير لقوله : «زماناطويلا» ويراد من نصف يوم هيهنا « الدهر الايسر » الذى يعبر عنه بـ «الملكوت الصورى المفارقى» وعالمه عالم خيال الكل وعالم القدر فيراد منه فى المقام الذى فيه يساق الكلام من قصة آدم أبى البشر وقصة جنة التى اغترّ فيها بوسوسة الشيطان فاخرج منها واهبط الى أرضنا هذه ، وكان فى الارض البيضاء معنى وروحا وفى الارض الخضراء صورة وجسداً ، وهى جنة الدنيا ـ اى الجنة النزولية .

ص١٦٥ س ١٠ **قوله** : هيكلا ـ يعنى الكعبة .

ص ١٦٥ س٢١ **قوله** : بأخيه الاول ـ انمثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب .

ص ١٦٦ س ٢ **قوله** : فاستفز (١) عليهـم بجنوده ـ اى استولى عليهم ، وأصل الاستفزار : الاستخفاف « بمعنى : سبك گردانيدن هر كسى را ورمانيدن » واستعماله بـ «على» بتضمين معنى الاستعلاء .

وقوله : وأيدهم بجنوده ـ لعله يراد من الضمير المنصوب المؤمنون منهم كالحواريين وأتباعهم ، فيسرى فى نفوسهم سراية الروح فى البدن .

وقوله : وتحكـّم فى لاهوتهم ـ «حكم رانى كرد درمملكت روحانى ايشان» قصاصا لما تحكـّموا فى ملكه وشهادته (*).

ص ١٦٦ س٥ **قوله:** للمنجمين- انهم لهم الارواح الكلية الالهية عالمهم عالم الربوبية وهم أرباب أنواع الكواكب ولاسيما أرباب أنواع السبعة السيارات فانهم بتفاوت درجاتهم فى القرب من الملك يتولون باذن مولاهم وسيدهم ومالك رقابهم أمر العالم الكلى معنى وصورة ويقومون بتدبير الامور وتنظيمها حسبما الهموا من عند ملك الملوك

---

١ ـ فى المتن : فاستقر.

-جل شأنه - وشرح مقاماتهم فى التدبيرات والتصرفات طويل لامجال لنا لتبيانه .

ص ١٦٦ س ٦ **قوله** : فينبه اخوته النيام - اه - لعل هذا التنبيه والايقاظ عند نفخةالفزع فى القيامة الوسطى بانقلاب عالم الصورالمفارقى الملكوتالعلوى الى عالم المعانى الروحانى انقلاب نشأةالخيال والمثال الى عالم العقلانىالنفسانى عالم ضرب من الربوبية والتدبيرالكلى والتربية الربانية كماقال تعالى: ﴿يدبرالامر من السماء الى الارض﴾ [٣٢/٥] .

ص ١٦٧ س١٢ **قوله** : فى الرحم - يشبه أنيراد منالرحم المداراتالاربعة منالجمادى والنباتىوالحيوانىوالحيوانى البشرى فى كلعشرة أيام، وانمراده من «عشرين يوماً فىالرضاع» كناية عن أيام الزهد فى الدنيا ، وعن أيام الورع المتعلق بترك النعيم الحيوانى الانسانى فى الاخرة الجسمانية وفىكل منهما عشرة أيام -اى عشرةدرجات -بضرب قوتىالشهوة والغضبفىالخمس من الحاسة الظاهرية والباطنية كماورد فى الكافى باسناده عنهم عليهم السلام .

وأما الحكومة فىالممكة نحوثلاثين يوماً - فكانها كناية عن تعمير النشآت الثلاث - عالم الملك والشهادة الكلى ، وعالم الملكوتالصورى المثالى الكلى، وعالم الملكوت الجبروتى الروحانى المعنوى الكلى المحيط بالكل كما يشيراليه قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين﴾ [٥٣/٩] .

وأما قوله: يوم من أيام القمر- يشبه أن يراد منه مدة عمرد فى عالم الشهادة ونشأة الدنيا العنصرية وابتلائه بأنواع البلايا والمصائب والامتحانات الالهية كما يشبراليه قوله تعالى : ﴿وان منكم الاواردها﴾ [١٩/٧١] يعنى نارالطبيعة «اذالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» اى سجن العقل وجنده ، وجنة الجهل الذى هوالوهم السرابى وجنده - هذا هوماحضروخطر والعلم عندأهله - .

ص ١٦٧ س ٤ **قوله** : ثلاثماة وأربعة و خمسين من أيام الشمس بحساب القمر - ان هذه المدة كانها عبرعنها اللسان القرآنى حيث قال سبحانه : ﴿و لبثوا فى كهفهم ثلثماة سنبن وازدادوا تسعاً﴾ [١٨/٢٥] .

فى الصافى والمجمع روى ان يهودياً سأل على بن أبى‌طالب عليه السلام عن مدة لبثهم ، فاخبربمافى القرآن . فقال: «انا نجد فى كتابنا ثلاثمأة» . فقال عليه السلام : «ذلك بسنى الشمس ، وهذا بسنى القمر» .

أقول: يعنى عليه السلام أن‌مافى كتابكم بسنى الشمس، ومافى القرآن بسنى القمر. فأربعة وخمسين برد عشراتها ـ وهى خمسون ـ الى الآحاد وهى عقد الخمسة وعددها تصيرجمع العددين ـ الاربعة والخمسة ـ تسعاً .

فقول الحكماء : «من أيام الشمس بحساب» يجب أن يحمل على ماأوله عليه السلام اليه .

فى الصافى عن الصادق عليه السلام ـ فى ذيل نقل قصة أصحـاب الكهف ـ : لايدخل‌الجنة من‌البهائم الاثلاثة: حماربلعم بن باعورا، وذئب‌يوسف عليه السلام (گرگ دهن‌آلودۀ يوسف ندريده) و كلب أصحاب الكهف .

وأما قولهم : «لانه لايكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم ـ الى آخر هذا الكلام فى هذا المقام القمقام فتعليل عجيب لوبلغ فهم أحد الى حق مغزاه فهو الاوحدى الفريد فى‌الدهر ـ كيف‌لا ـ وهومن‌المتشابهات‌التى لايحتمله الا ملك‌مقرب اونبى مرسل اومؤمن امتحن الله قلبه للايمان .

ص١٦٨ س٣ **قوله:** قيل أنهم سبعة وثامنهم كلبهم ـيعنى آدم ونوح‌وابراهيم وموسى وعيسى وحضرة محمد وآله الاشراف الذين هم الاوصياء‌واولياء العلم وعرش الولاية ، ويومهم هو يوم السابع من الايام السبعة ، واما الثامن الذى هو كلبهم هوالمالك خازن جهنم‌الكبرى مظهرقهرعلى عليه السلام قسيم‌الجنة والنار ـ فاعتبروا يا اولى الابصار .

ص١٦٨ س٤ **قوله:** يوماً من أيام الشمس ـ يشبه أن يكون مدة تربية‌روح القدس‌الاعلى‌المسمى بعقل الكل‌آدم‌الاول، الحق‌الحقيقى ـ الذى هوالاب الحقيقى لادم البشرى وذريته وبنيه .

وأماأيام الرضاع ـ فهو كناية عن مدة تربية نفس الكل التى هى حوا الاولى ، كماأشار اليهما بقوله ﷺ : «ياعلى أنا وانت أبواهذه الامة» ـ فتنبه.

ص١٦٨ س٤ **قوله** : من أيام الشمس ـ انهذه الشمس لهى الوجود الثانى لعقل الكل، كما أن هذا القمرهوالوجود الثانى فى وجه من نفس الكل .

ص١٦٨ س٥ **قولهم** : فلاتمار ـ اه ـ اىلاتجادل أهل الكتاب الاجدالاظاهرا غيرمتعمق فيه وهوأن. . . فى أمر الفتية ـ وهم أصحاب الكهف ـ بماأوحى اليك... اليك ـ فتفطن .

ص١٦٨ س١٣ **قوله** : فهكذا يجرى حكم النفوس الكلية ـ ان تلك النفوس الكلية لهى النوس الابائية العلوية المدبرات المربيات للنفوس الجزئيه المحشورة فى القيامة الوسطى ، وهى أنفس الكواكب السبعة السيارة فى وجه حيث تبعث الارواح بأجسادها بالنفخة الفزعية . وفى وجه آخر هو أنفس الانبياء وأرواحهم التى اليها اياب اممهم . ورجوع الانفس الجزئية التى هى دعوتهم المنقسمة الى امة الاجابة وامة عدم الاجابة من المنكرين المستكبرين .

ص١٦٨ س ١٤ **قوله** : وملائكة الله العمالة ـ هؤلاء الملائكة من النفوس المنطبعة الجزئية التى هى جنود النفوس الكلية .

ص١٦٨ س١٤ **قوله** : فى كل سبعة أيام ـ ان هذا القضـاء وجريان حكم النفوس الكلية فى النفوس الجزئية لهو فى القيامة الوسطى التى هى يوم الرجعة والكرة لتكرر هذه السبعة التى هى اسبوع واحد من الاسابيع السبعة، ويوم الكرة هو يوم دولة آل محمد ﷺ الذى قلنا به ولم يقل به مخالفونا ـ فلاتغفل ـ .

ص١٦٨ س١٨ **قوله:** سبعة آلاف سنة ـ انهذه السبعة لهى سبع من الاسابيع السبعة التى هى مقدار خمسين ألف سنة ، الذى هو يوم القيامة الكبرى ، وكل سبع من ذلك اليوم الجامع للجوامع الاسبوعية هو يوم القيامة الوسطى ويوم الحشر والنشر الذى فيه اقامة أمر الحساب والكتاب واقامة الموازين القسط وسائر المواقف

الحشرية .

وهذه القيامة الوسطى تقوم بنفخة الفزع كما أن القيامة الكبرى تقوم بنفخة الصعق التى بها يتحقق فناء الكل والفناء الكلى ومحو الجل والقل ، كما قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [١٦/٤٠] ثم بالنفخة الثانية يتحقق بعث الكل ـ بعث الجل والقل ـ بالتجلى الاعظم ـ كما تقرر فى محله .

ص١٧٠ س١٦ **قوله** : اوما ينزل من سماء الروح الكلى ـ قد يسمى هذا الطور من النزول فى قلوب الانبيـاء التى هى كتب الله وصحفه النازل من عنده المكتوبة بيده تعالى وبقلمه الاعلى بـ «بالتدوين التشريعى» وتسمى صحيفة القلب النبوى بـ «الكتاب التدوينى» كما قد يسمى القسم الاول بـ « التشريع التكوينى » والكتاب الذى هو لوح مادة العالم الكلى والعالم الاكبر بـ «الكتاب التكوينى» .

والحضرة الختمية المحمدية مبعوثة بالكتابين ، ومن هيهنا يسمى العالم الاكبر بالانسان المحمدى ﷺ كما قال ﷺ : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» يعنى بين الروح والجسد .

ص١٧١ س٣ **قوله**: بظهوره فى مظاهرها ـ واليه ينظر قوله تعالى: ﴿مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم﴾ ـ الاية ـ [٥٨/٧] فالرابع فى باب الثلاثة ، اوالسادس فى باب الخمسة مثاله وآيته كون الشاخص رابعا فى المرايا الثلاث وسادسا فى المرايا الخمس ، فليس بداخل فيهما مثل دخول شيء فى شيء، ولاخارجاً عنها مثل خروج شيء عن شيء فهو معها معية الظاهر، بمظاهرها التى هى أمثلتها وصورها ووجوهها وحكاياتها. وبون مابين التمثيل بظهور الشاخص المحسوس لنا فى مراياه الخارجة البائنة عنه وعن صورته بينونة العزلة وبين الممثل له تعالى بالنسبة الى مظاهره التى هى أنفس كافة صفاته العليا وصور أسمائها الحسى وأمثلتها ـ تفطن تفطن نور، لاتوهم ظلمة وزور.

ص١٧١ س٥ **قوله** : فى الالواح ـ اى الالواح الكونية وملكوت الالواح

بقسميه من الاعلى والاسفل من عالم الدهر ـ اى أيمنه وأيسره ـ كل بقسميه كما تقرر فى محله ـ فتذكر ـ .

ص١٧١ س٨ **قوله** : ليس كمعية جسم لجسم ـ اه ـ اذ هذه المعية انما هى معية شىء لشىء، والشيئان متبائنان بينونة العزلة التى تستلزم كون كل منهما موجوداً مقيداً ناقصاً . .. . فى الوجود و كمالات الوجود .

ص ١٧١ س ٨ **قوله** : او جسم لعرض ان حل العقدة لايتيسر الا للاوحدى الذى في الدهر ، وحاصل الحل انها ليس كمعية شىء لشىء متشاركين فى حقيقة الشيئية و كانت الشيئية التى مشتركة بينهما كشيئية الجسمية بين الجسمين وقس عليها سائر الصور ـ فتدبر و تلطف فى النظر ـ .

ص ١٧١ س ١٤ **قوله** : و انما يعرف الراسخون فى العلم ـ يعنى المعية القيومية التى محصلها رجوع الكل من الجل والقل اليه تعالى، كما قال تعالى: ﴿ألا الى الله تصير الامور﴾ [٥٣/٤٢] واليه يرجع الامر والخلق كله وقال سبحانه: ﴿ألا انه بكل شىء محيط﴾ [٥٤/٤١]

گفتم بكام وصلت خواهم رسيد روزى گفتا كه نيك بنگر شايد رسيده باشى

ص ١٧١ س ١٥ **قوله** : مثلوا لهم مثال المرآة ـ القول الحق ان فى تلك المعية القيومية المرموزة الراجعة الى الوحدة المحضة ، قال تعالى : ﴿مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولا خمسة الاهو سادسهم﴾ الآية [٧/٥٨] وان كان فى هذه الكريمة ضرب من الاشعار بشوب من التفرقة ولكنها هى التفرقة فى عين الجمع والجمع الحق الحقيقى انما هو الجمع فى عين التفرقة ومن هنا لك قالوا بالوحدة فى عين الكثرة ـ فاعتبر يا صاحب البصيرة و طالب الحقيقة ـ و الحقيقة محو الموهوم وصحو المعلوم ، والمعلوم المشهود ان هو الا هو ،ياهو يامن لاهو الاهو .

ص ١٧٢ س ١٥ **قوله** : وليس فوقه ـ و ليس فوقه شىء حتى يصير سبحانه باطناً غير ظاهر ـ وليس دونه شىء حتى يصير ـ جل شأنه ـ ظاهراً غير باطن ، هذا

بناء على أن يراد من الفوقية الظهور والعلن ، ومن الدونية التحت والسرّ والحاصل ظاهر لايكاد يبدو و باطن لايكاد يخفى ، ويحتمل أن يراد من كل منهما عكس ما احتملنا وحملنا ، فاذا عكس الامر صار حاصل المعنى : ليس ظاهراً يقابله الباطن ، ولا باطناً يقابله الظاهر ، اذ كمال كل من الظهور والبطون انما هو في مقابله ، فهو الظاهر في عين بطونه ، والباطن في عين ظهوره ، لان في محيط المحيطات يجب أن تتعانق الاطراف ـ تفهم تفهم نور .

ص١٧٢ س١٨ **قوله** : وكذا حديث قرب النوافل ـ فانه يكشف عن كون حضرة نور الانوار المحيط القهار نور بصر العبد ـ فضلا عن نور بصيرته ومكفا في السمع وسائر الحواس بل وسائر القوى وجوارح الاعضاء كلها ، بل الامر في نفس الآلات لااختصاص له بالعارف السالك اليه تعالى و الساعي المتقرب منه سبحانه بقرب النوافل .

وأما سرّ التخصيص بقرب النوافل هو كون السلوك اليه تعالى باقامة نوافل السير والسلوك ـ بمزيد اقامة فرائضهما ـ هو رفع غشاوة الوهم عن عين البصيرة بصيرورة بصر البصيرة حديداً يرى الاشياء وخصائصها كماهي ، ولكنه في جانب قرب الفرائض والتقرب بها هو رفع الوهم الحاجب عن شهود الحق جلت جلاله.

ص١٧٣ س٦ **قوله** : كما نقل عن المحجوبين ـ مثل قول بعضهم «أنا الحق» او « سبحاني ما أعظم شاني » او « تدرع باللاهوت ناسوتي » و أمثال ذلك ، و نقل عن بايزيد البسطامي انه قال : « الهي ان قلت يوماً : سبحاني ما أعظم شاني . فأنا اليوم كافر مجوسي أقطع زناري و أقول : أشهد أن لا اله الا اله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله » .

ص ١٧٣ س ٧ **قوله** : ما قالوا ـ مفعول قوله « نقل » معناً ، و نائب فاعله لفظاً وأما ما قالوا فهو مثل قولهم «سبحاني ما أعظم شاني» الناشي من عدم التثبت، الناشي من شدة سكرهم ، الناشي من الاحتجاب بالحق عن الخلق التي هي مظاهر صفاته العليا ومجالي أسمائه الحسنى ، وذلك الاحتجاب ناش من فقدان مقام الجمع

بوجدان مقام الفرق المقابل للجمع بين الحقين الناشى من كون العارف السالك الجامع الحافظ للطرفين وحكمهما ذا العينين- فافهم .

ص ١٧٣ س ٧ **قوله** : الا أن قالوا - استثناء من قوله : و قلت انه فيه - فلا تغفل .

ص ١٧٤ س ١٢ **قوله** : كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق - أقول : الآن كما كان ، الا ان غشاوة الوهم تمنع عن شهود الجمع فى عين الفرق و تحجب شهود ملك الحق فى عين تملك الخلق ولولا احتجاب العقل بمغلطة الوهم الكذوب لحكم العقل الصريح بكون تمليك التشريعى من حضرة الحق لخلقه نازلا منزلة الاستخلاف منه سبحانه وجعله عباده خلفاء له تعالى فى التصرفات الملكية -فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء و اليه ترجعون - فاحفظ بهذا بعد التثبّت فيه بتلطّف سرّك .

ص ١٧٥ س ١١ **قوله** : الغاية فى الشهود - و بعكس ذلك كان حكم الفاعل المستكمل بفعله فانه الفاعل علما فهو الغاية وجودا ، واما الفاعل التام فى الفاعلية وفوق التمام فى الشدة - اى غير متناه فى شدة الوجود - فهو الفاعل الفيّاض التام وفوق التمام فى باب الوجود و كمالات الوجود ، وهو الغاية القصوى لفعله الذى هو ايجاد أعيان الاشياء فى باب المعرفة والشهود كما قال : «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف».

ص ١٧٥ س ٢٢ **قوله** : لا فى الذات ولا فى الاعتبار - اه - خلاصة مايتفرع عن دليله هذا هو كونه سبحانه فاعلا فياضا وعلة غائية و جودا وعلما الذى هو عين وجوده ووجوده الذى هو الوجود الحق الحقيقى الغنى المطلق القيوم الواجبى عين حقيقة ذاته جل شأنه ، وكونه سبحانه غاية معرفة كما مرّ قبيل هذا ، فمن هيهنا قال وليه سيد الاولياء على المرتضى عليه السلام : «معرفتى بالنورانية معرفة الله ، و معرفة الله معرفتى بالنورانية» .

فمعرفة الله التى هى الغاية القصوى فى الايجاد هو معرفة نبيه و وليه عليهما السلام

بالنورانية بالفطرة الادمية الاولى قال : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » و هى خليفة الله فى المعرفة ، كما انها خليفة الله مطلقا ، و المعرفة معرفة المعبود ـ تفهم تفهم نور لاتفهم ظلمة وزور .

ص ١٧٩ س ٤ **قوله** : و الانفاق عن الزهد ـ فالاولى أن يعم الانفاق هيهنا حينئذ حتى يشمل انفاق النفس بطرح الكونين وخلع النعلين ـ نعل الدنيا و نعل الآخرة ـ وقد عبّرفى طائفة من الاخبار عن طرح الكون الدنياوى بالزهد ، وعن طرح الكون الاخروى و النعيم الجسمانى من الآخرة بالورع حسبما وردت هذه الاخبار باسناد الكافى فيه ، والتعميم بهذا الوجه يعتبرفى تحصيل العلوم الحقيقية مطلقاً ـ فافهم .

ص ١٧٩ س ١٨ **قوله** : حاصله ـ معنى ماحصّل ـ قدس الله روحه المقدس ـ صار قوله سبحانه « بربكم » بظاهر ترجمته المحصلة نازلا منزلة قوله (ره) « بقواطع الحجج والبينات » .

وسر استقامة ذلك هو كون العلة الفياضة علة فياضة فى الوجودين ، الوجود العينى والوجود العلمى ، وقد برهن فى محله على كون كل برهان بامر يفيد اليقين وهو الحد الوسط فى البرهان واسطة فى الوجود العلمى علة فى الوجود مطلقاً ، والعلة بهذا الوجه الموجد بالبراهين الباهرة ان هى الا رب الارباب وهو ربنا الاعلى ـ جل وعلا ـ كيف لاوبنوره أشرقت أرض ظلمات الاعيان المظلمة بالذات كما قال: تعالى : ﴿وأشرقت الارض بنور ربها﴾ [٣٩/٦٩] فاستنارة أرض القلوب التى هى أشرف بقاع ارض الامكان بنور ربه الاعلى أحق بالتحقيق واولى ـ فافهم .

ص ١٨٠ س ١٢ **قوله** : دون من هو قرب مربوب مثلكم ـ يعنى من الالهة التى هى الطواغيت المخذولة المطرودة المردودة التى هى أدون منزلة منكم فطرة، وأرذل مرتبة وأذل سجيّة كماينادى بذلك اسم ابليس الابالسة بحسب روح معناه وسر مغزاه لانه مشتق من « ابى ليس » و« ابى الليسية » بالاشتقاق الكبير الموروث من اولياء العلم والمعرفة .

وأما آدم المضاد نظرته لفطرة الابليسية فهى بتلك الضابطة الموروثة كماتقرر فى محله فيستخرج منه ملاحظة بعض مراتب بطونه «أبوالايس» والايسية، كيف لا وهوالمظهرالجمالى الوجودى والفطرة الابليسية هى المجلاة الجلالية العدمية كما لايخفى سرّما أظهرنا على اولى البصائروالابصارفاعتبروا يااولى العبرة والاعتبار.

ص١٨٢ س١٦ **قوله** : بطلان قول المجبرة ـ اذ المجبرة لايقولون بالتعليل الغائى فى افعاله تعالى لتوهمهم العجز لمن تعلل فعله، ومن هيهنا قالوا بالارادة الجزافيّة، ويلزم عليهم نفى العليّة والمعلوليّة رأساً، اذ الترجيح من دون مرجّح يرجع الى «الترجّح من غيرمرجح ورجحان» وهو باطل بالضرورة والاتفاق.

ص ١٨٢ س ٢١ **قوله** : فالتقطه آل فرعون ـ فالتقاطهم هذا لزمه أن يكون الملتقط بالتقاطهم عدواً وحزناً لهم، ومعلوم بالضرورة ان كونه عدواً ليس بداعى لهم على الالتقاط.

ص ١٨٧ س ١٥ **قوله** : مكاشفة ـ يشبه أن يكون بناء هذه المكاشفة على بيان التفاوت والتفرقة بين « السالك المجذوب » و«المجذوب السالك» وبين ان اختيار السلوك الى الله تعالى قبل الانجذاب ومكاشفة الحقائق أصعب بمراتب من اختيار السلوك اليه تعالى بعد الجذب وكشف الحقائق، فالاصعب يجب ان يكون اجره أتمّ وأجمل وأجمع وأشمل من الاخف الاسهل، كيف لا وقد قال ﷺ : «أحسن الاعمال أحمزها» والتفاوت بينهما كالتفاوت بين الموت بالاختياروالموت بالاضطرار اذ حالة الجذب ضرب من الموت تفطن (١).

ص ١٩٢ س ٢١ **قوله** : قلت ـ حاصل الجواب بقوله : « قلت » ان هذه الدائرات باقيات بوجه أعلى، دائرات بوجه أخسّ، اذ لها بحسب اصول فطرتها نوع رجوع الى معادنها الثابتة وان كانت بحسب تعلقهاالكونية فانية غيرباقية، كما

---

١ ـ هذا مع كون كل من الجذبين موتاً اختيارياً و لكن كان كل واحد منهما بالقياس الى الاخر اضطرارياً (منه ره).

قالوا ان الحواس الظاهرة بحسب ذواتها وأنفسها خارجة عن عالم محدد الجهات وبحسب تعلقاتها بهذه المواد الكتابية دائرة زائلة داخلة تحت المحدد ، معدودة فيما يحيط به المحدد للجهات .

ص١٩٣ س١٥ **قوله** : فيضاعفه ـ وقداشيرالى ذلك فى المثنوى المعنوى:

اقرضوالله قرض ده زين بر گـ‌تن ❋ تا برويد در عوض در جان چمن

ص ١٩٤ س ١٩ **قوله** : على الاول يعنى «بين أيديهم» ، واما الوجه الثانى فهو«بايمانهم» فهمانازلان منزلة المعنى والصورة، والحقيقة والوجه، واللب والقشر، والاصل والفرع ـ الى غيرذلك ممايناسب المقام. والحاصل ان منزلة جنة المقربين من جنة أصحاب اليمين منزلة اللب من قشره ومنزلة الحقيقة من ظله .

ص ١٩٥ س ٢ **قوله** : سلسلة الاسباب المؤديـة ـ ان سلسلة الاسباب العلل الايجادية المترتبة طولا المتنزلة الى وجود الانسان البشرى يسلكها السالك الى الله صعوداً ورجوعاً الى ما نزل منه الذى هـو تمامه وموطنه ومقامه وعند وصوله الى مقامه وموطنه الذى نزل منه فى البداية صار متصلا بـأصله ، فانياً فيه ، باقياً بعين بقائه سرمداً .

ص ١٩٥ س ١٥ **قوله** : مع اتفاقها فى اصول الحقائق ـ الاتفاق فى اصول الحقائق وصور الحسان هو اتفاق أهل الجنان فى اصول الايمان .

ص ١٩٦ س ٥ **قوله** : وخرجت من مرتبة القوة الهيولانية ـ يعنى هيهنا من القوة الهيولانية «العقل الهيولانى» الذى هوهيولى عالم الحقائق والمعارف الالهية، والخروج من تلك القوة الهيولانية التى هى هيولى عالم المعانى وطراز عالم الصور المسمى بعالم الخيال والمثال والبرزخ بين العالمين انما هو بكسب العلم بحقائق الاشياء وسعى العمل الذين قـال تعالـى مشيراً اليه : ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [١٠/٣٥] ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ ـ الاية ـ [٢٥٧/٢].

ص ١٩٦ س ٧ **قوله** : نوراً على نور ـ اى النور المستفاد يكون على نور

الفطرة التى هى من عالم النور ، مثالهما النور الشمس الوارد على النور الجبلى البصرى والزائد عليه ، فباجتماع النورين يتحقق الابصار ـ فافهم فهم نور .

ص ١٩٦ س ٩ **قوله** : او بسبب كسب الاعتقادات المحمودة ـ اه ـ فيكون على هذا التعميم المستفاد بالترديد المذكور مراده من العقل المستفاد أعم من أن يكون عقلا مستفاداً علمياً يقينياً ، اوعقلا مستفاداً عملياً ظنياً .

والاول حاصل السير والسلوك الى الله تعالى بالعلم والعمل معاً عالمه عالم السابقين المقربين ، بتفاوت مقاماتهم حسب تفاوت استعداداتهم . والثانى حاصل سير العباد وسلوك الزهاد الذين هم أهل التقليد من غير بصيرة فى اصول الدين ، التى يطرح فى حق صاحبها ـ الذى هو طالب الحقيقة ـ عالم الكونين ويصل الى نور اليقين بريئاً من الشين و المين فى اخلاف صاحب التقليد ، فهو من أصحاب اليمين .

ص ١٩٨ س ١٤ **قوله** : والصور الحسان ـ فيه قيل ـ ولله در قائله ـ :

آن خيالاتى كه دام اولياست ❊ عكس‌مه رويان بستان خداست

ص٢٠٠ س٩ **قوله** : لظنهم ـ اه ـ اى لتوهمهم ان المؤمنين اخذوا نورهم من موضع خلف المنافقين، وموضع خلف المنافقين ـ ألذين أحاطت بهم ظلمة نفاقهم و كفر سريرتهم من جميع جوانبهم وجهاتهم كما قال تعالى : ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [٤٩/٩] ـ لاينصلح لان يكون موضع تجلى نور الرحمة والمغفرة ـ كيف لا ـ والمنافق من جميع جوانبه وقع موقع قاعدة مخروط الظلمة المقابلة لقاعدة مخروط النور ، والقاعدتان كل فى غاية البعد والتباعد من الاخرى ـ فافهم ـ .

ص ٢٠٢ س ٨ **قوله** : والمحسوس حاضر ـ ان الانتقال من المحسوس الى المعلوم ـ اى من الصورة الى معناها ومن الظاهر الذى هوعنوان الباطن الى باطنه، ومن الوجه الى الحقيقة، ومن المجلاة الى ما يتجلى فيها. اذ منزلة الدنيا من الاخرة

منزلة ظل الشيء من الشيء ـ وظل الشيء ان هو الا آيته ووجهه ومثاله وصورته وحكايته التي يحكى عنه .

ص ٢٠٢ س ١٧ **قوله** : الا بمثال ـ سر ذلك مـا أشرت اليه من كون عالم المحسوس مثال عالم المعقول لضرورة مطابقة الصورة لمعناها، والتطابق بين العوالم المترتبة طولا ضروري ـ كما تقرر في محله .

ص ٢٠٣ س ٣ **قوله** : اداء المعنى في صورة ـ لأيّة صورة كانت وكيف اتفقت ، بل صورة بينها وبين أصل معناها نوع طباق ومطابقة ولو بوسائط وروابط مترتبة ترتباً يؤدي الى المماثلة ـ بل الى الوحدة مع وجود البينونة الحكمية والصفتية التي هي أتم أنحاء البينونة ـ تأمل فيه ، فانه حريّ بالتأمل .

ص٢٠٣ س٤ **قوله** : وجد كاذباً ـ لمكان البينونة الحكمية التي هي أتم أنحاء البينونة ، والمتبائنان في الحكم والصفة يتحدان حقيقة وروحاً ويتغايران حكماً ووصفاً ، وفيه يتعانق المتقابلان ويتحد الضدان ، ودرك هذه الاشارات صعب المنال ولايناله الا الاوحدي الفريد .

ص٢٠١ س١٢ **قوله** : من مسيره الى آخرته ـ يعني أن سيره الوجـودي الفطري المفطور عليه الى الغاية التي مجبول على طلبها من حيث لايشعر، لا الفطرة الدنياوية ـ أيّة فطرة كانت علوية اوسفلية ، معدنية كانت او نباتية غير حيوانية ، او حيوانية حيوانية ، او حيوانية آدمية مفطورة على طلب الغايات والسير الى النهايات .

ومن هيهنا قال ﷺ : « الدنيا بلغة الى الاخرة » ولامفر و... لشيء من الامور المذكورة عن السير والسلوك الى الغاية ...

وأما اقباله الى الدنيـا فبقوته الوهمية التي شأنها ادراك الامور على خلاف ماهي عليه ، فهي بحسب ادراكاتها السرابية التي تدرك ادراكا غير مطابق للواقع ، مثل تخيّله السراب شراباً ، وتوهمه الخضاب شبابا ، فيقبل على طلب الدنيا في عين الاعراض عنها ، ويجتهد في تحصيلها في عين الادبار عنها .

فكل مسافر من الدنيا الى الآخرة طبعاً ومقيم فيها وهماً .

ص٢١٣ س١٣ **قوله :** بعضه مثل بعض ـ «من بعض ـ ظاهراً» ـ بمعنى ان العمل يتحصل من العلم ، والعلم من العمل ـ وعلى نسخة المتن يعنى : ان العمل يكون مثال العلم وظلّه الذى يحكى عنه وعن وجوده ، فمن لاعمل له لاعلم له ، فان العمل علامة العلم وأثره وخبره ـ فافهم ولاتغفل .

ص٢١٥ س٥ **قوله :** جالس على الحد المشترك ـ الحد المشترك هو الجمع بين الحق والخلق ، بأن ينظر الى الوحدة فى عين نظره الى الكثرة ، وينظر فى الكثرة فى عين نظره الى الوحدة ، والشهود بهذا الوجه الجامع لايتيسر الا بنور الله الجامع بين الاطراف المتقابلة ، كما انه سبحانه عال فى دنوّه ، دان فى علوّه ، ظاهر فى عين بطونه ، باطن فى عين ظهوره .

ص٢١٥ س١٨ **قوله :** خوف الرجاء ـ حاصل خوف الرجاء ان العبد لما نظر الى خساسته ودنائته وحقارته والى جلالة ربه و كبريائه ورفعة شأنه خاف من رجائه ويتصغر من طمعه ، اذ المناسبة شرط فى ارتباط الطرفين ، واذا نظر الى سعة رحمته ودنوّه فى عين علوّه وخفضه فى عين رفعته رجى وطمع .

فخوف الرجاء كأنه مسبوق بالحياء ، المسبوق بشهود سبحات الجلال و كشف أطوار العظمة وآثار الكبرياء .

ص٢١٥س١٨ **قوله :** لاخوف المعصية ـ فى الادعية المأثورة : «الهى كيف أدعوك وأنا أنا و كيف أقطع رجائى منك وأنت أنت» فالخوف من الراجى خوف من انيّته الراجية برؤية نفسه حين رجائه «وجودك ذنب لايقاس به ذنب» فمع ذلك الذنب العظيم الذى لاذنب أعظم منه فكيف يتمكن من أن لايخاف اذ الخوف شدة وضعفاً يتبع الذنب ، فالذنب الشديد الذى لاذنب أعظم منه يلزمه ويتبعه الخوف الشديد الذى لاأشد ولاأعظم منه ، وملاك كل الذنوب هو ذنب رؤية النفس ، وتدارك ذلك الذنب انما هو اسقاط الاضافة «كه التوحيد اسقاط الاضافات» فالاضافة ملاك الشرك ، والشرك هو أكبر الكبائر الذى غفرانه هو اسقاط الاضافة رأساً وطراً

ـ فافهم واستقم .

ص٢١٧س٨ **قوله** : والجهات كلها محراباً واحداً ـ فأينما تولّوا فثمّ وجه الله فيه قلت نظماً :

تنها نه همين سر اله است على ❋ درملك وجود پادشاه است على(❋)
درپادشهى قبلهٔ عالم همه اوست ❋ چون وجه خداست قبله گاهست على

ص٢١٨س٧ **قوله**: وعباده الصالحين ـ ان اولئك الصالحين مقامهم مقام صلح الكل لاحقاقهم حق العبودية التى هى جوهرة كنهها الربوبية ، واقتضاء تلك الجوهرة ان هى الا تبعيّة كنهها وحكاية حقيقتها ، فان منزلتها من حقيقتها منزلة ظل الشىء من الشىء ، فليس لها اقتضاء فى نفسها ـ اذ لانفس لها بحسب نفسها ـ ومن هنا فسرت العبودية الحقّة بلازمها الذى هو كونها راضية بكل مايفعله المولى ومسلمة لموليها فى كل ماقضى وقدّر ، فان فطرتها فطرة مسلمة نفسها التى هى أمانة مولاها الى مولا[ها] فبقيت بلانفس ، يعنى بقاء مولاها لابقائه ـ وهكذا .

ص٢٢٢ س٢٣ **قوله** : كما أشرقت الارض بنور ربها ـ يعنى أرض القلب المعنوى القدسى . (❋)

ص٢٢٣س١١ **قوله**: بالوجوب الارتباطى ـ مراده من الوجود الارتباطى الاضافة الاشراقية التى هى التجلى الذاتى الازلى واشراق شمس الحقيقة ، ويسمى بـ« الحق الاضافى » .

ص٢٢٣ س١٦ **قوله** : وصباحات ـ والفجر وليال عشر ، اى العقل الكل والعقول التى هى أرباب الانواع من التسع العلوية والواحد السفلى .

والشفع ـ اى نفس الكل وجسم الكل .

والوتر ـ هو الروح الاعظم الذى هو روح القدس الاعلى ، روح الحقيقة ... الختميه المحمدية البيضاء ، وهى « المصباح » كما ان نفس الكل هى « الزجاجة » وجسم الفلك هو « المشكوة » .

وأما الفجر ـ فهو حجة العصر صاحب الزمان عليه السلام .

وليال عشر- الائمة العشرة من الحسن المجتبى الى الحسن العسكرى عليهم السلام لوجودهم فى دولة الخلفاء والفراعنة ، كمعاوية ومابعده - لع .

اماالشفع فله وجوه : القلم ، واللوح ، آدم وحواء ، العلوية العلياء والفاطمة الزهراء عليها السلام - اى نفس الكل وجسم الكل - أحدهما الزجاجة والآخر المشكوة .

حم : محمد صلى الله عليه وآله والكتاب المبين : على عليه السلام . انا أنزلناه فى ليلة مباركة هى فاطمة عليها السلام - اى الليلة المباركة هى فاطمة - يفرق فيها كل أمر حكيم : سائر الائمة عليهم السلام - تفطن سر الامر وطباقه .

ص٢٢٣س١٧ **قوله** : لاليالى لها - اى لأبدان ولاأجسام لها تتصرفوا فيها تصرّف تدبير ، كالعقول النفسانية الفعّالة المدبّرة وهى الطبقة التالية للاوائل المهيمات فى...

ص٢٢٣س١٧ **قوله** : الطبقة التالية - تلك الطبقة التالية للاوائل هى المسماة بالمثل الافلاطونية وبأرباب الانواع النورية الجبروتية . ※

ص٢٢٣ س١٨ **قوله** : فى أسافل العالم الجسمانى - متعلق بـ « يوجد » و « ليال عشر » مرفوع بالفاعلية ليوجد . ※

ص٢٢٣س٢٢ **قوله** : بمافيه - اى فى العقل العاشر كدبانوعالم السفل ، وآثار الرحمة التى فيه هى وجوهه التى كل منها عين ثابتة وماهية امكانية كلها موجودة فيه بوجودها الجمعى بضرب أعلى من الوجود التفصيلى - فافهم .

ص٢٢٤س٢ **قوله** : فمن هناك - اى من نفس الكل المسماة بالعلوية العلياء ، وهى اللوح المحفوظ والكتاب المبين وامير المؤمنين عليه السلام ولكن باعتبار اشتمالها على الصور العقلية ، كل صورة منها تكون عقلا من العقول التالية التى هى ليال عشر فى وجه من الاعتبار ، والا صارت عددها بعدد أنواع العلويات والسفليات - فاحسن التأمل .

ص٢٢٦س٢١ **قوله** : صدق الطويات - ان الطويّات لهى النيّات المنطوية فيها تفاصيل الاقوال والاعمال انطواء الكثرة فى الوحدة بوجه آكد واقوى ، ولما

كانت النيّة حالة وصفة روحانية دهرية ، وتفاصيل الافعال ومتفرقات الاعمال جسمانية زمانية ـ والدهر طيّ الزمان والزمانيات ـ فصارت كلمة « الطويّات » بياناً لشرح حال النيات .

ص٢٢٧ س٨ **قوله**: فسنيسره للعسرى ـ فان قلت: كما قلت تكون فى كلتا الصورتين عند الرسوخ صدور كل من الخيرات والشرور سهلة يسرى ، فما وجه قوله تعالى فى جانب الشرور « للعسرى » مع قوله : « فسنيسره » ؟

قلت : لعل السر هو ملاحظة حال العاقبة والمآل فى دار الاخرة ، والوجه الاخر هو مايتضمن بيانه ـ قدس الله مرقده ـ من كونها غير مجانسة لعالم الناطقة القدسيّة .

ص٢٢٧ س١٠ **قوله** : مناسبة لعالم القدس ـ فذلك لكون منزلة هذه الافعال والاعمال من حقائق عالم القدس ولطائف (١) منزلة الهيئات والمثل والاضلال والاشباح من الارواح، بل بمنزلة أظلة الاضلة وأمثلة الامثال، فان فى اصول الحقائق وجوهاً وجهات تتجلى تلك الحقائق بصورملكوتية ، تتنزل وتتمثّل تلك الصور الملكوتية فى عالم الاسفل ـ الذى هو عالم البدن العنصرى ـ بهذه الهيئات والاوضاع الناموسية النازلة من عالم العند بوسائط مترتبة طولية ، بأن تتنزل من الدهر الايمن الاعلى الى الدهر الايمن الاسفل، ومنه الى الايسر الاعلى ، ومنه الى الايسر الاسفل، فتنتهى الى عالم بدننا العنصرى وتصير محسوسة بالحس الظاهرى .

ثم ترجع وتؤثر فى القلب البشرى ـ الذى حقيقة باطن شخصنا الحاضر عند حواسنا الظاهرية ـ أثراً ما ، فبتكرر العمل يتقوى الاثر و يشتد بحيث يصير ملكة راسخة جوهرية ـ بعد ما كان حالا غير راسخة عرضية ـ ويصير ـ ملكاً قريناً للعبد الصالح محشوراً معه فى الدنيا والاخرة ، كما قال ﷺ : « انما هى أعمالكم ترد عليكم » اى يرجع منكم اليكم .

---

١ ـ كذا قرأناه ، ولعله : «اللطائف» .

وقد تقرر في محله مطابقاً لما أخبر ﷺ ان كل قول وفعل وعمل من الانسان انسان ، ويشهد له كشف أهل الكشوف فليتأمل فيه .

ص ٢٢٧ س ١٠ **قوله** : والنفس ـ اى عالـم الناطقة القدسية ، لكون تلك الافعال نازلة من افق عالم القدس . كيف ولو لم يكن طلوعها نزولا من ذلك الافق الاعلى لمـا رجع اليها صعوداً ، كمـا يشير اليه قوله تعالى : ﴿واليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [١٠/٣٥] بأن يرجع العمل الى النفس ، وترجع النفس بها الى عالمها الاصلى الابائى ، بخلع نعلى الكونين وطيّهما ـ الذى هو الدخول في الواد المقدس ـ تفطّن .

ص ٢٢٨ س ٣ والجهل والموت ـ ولقد تقرر فى محله ان الجهل مجعول بعين جعل العقل ـ و لكن ثانياً وبالعرض ـ كما ان الماهية ـ وهـى ملاك الجهل والظلمة ـ مجعولة بعين جعل الوجود ولكن ثـانياً وبالعرض ، والوجود هو ملاك العلـم والنور ، والوجود مجعول بالاصالة ، وهو الوجه الذى به يلى الشيء ربه ، والماهيته هى الوجه الذى به يلى الشيء نفسه ، ووجه الرب هو الغالب ووجه نفس الشيء هو المغلوب، وانعكاس الاثرفى أكثر الصور مستند الى الوهم الغالب حكمه على العقل فى الاغلب الاكثر وان كان الامرفى نفس الامر على عكس ذلك كما قال :«سبقت رحمتي غضبي» .

وبالنظر الى غلبة حكم الوهم ـ غالباً ـ قال تعالى : ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ [٣٩/٢٤] ـ الاية .

ص ٢٣٠ س ١٢ **قوله**: فى فسطاطه ـ الفسطاط : الخيمة العظيمة وعن الليف وهو ضرب من الابنية، وعن الازهرى: كل مدينة فسطاط، وفى الصحاح: بيت من شعر. (منه ره).

ص ٢٣١ س ١٠ **قوله** : ما يستفاد من البرهان اليقيني ـ ان البرهان اليقيني لهو الدليل الذى لايتطرق اليه شك وشبهة بوجه أصلا وهو البرهان الذى يفيد نور اليقين ، وهو قليل الوجود جداً لقلة وجود صاحبه، والافالبرهان المفيد لنور اليقين كثير جداً ـ بل لايكاد يحصي ـ ولكن ذويه قليلون ، وهم الذين وصلوا الى مرتبة

العلم اليقين الذى قال سبحانه : ﴿كلا لو تعملون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونّها عين اليقين﴾ [١٠٢/٥-٨] اى : عند مفارقة النفس عن البدن الدنيوى وانسلاخها عن جلباب القالب العنصرى .

ص٢٣١ س٢٠ **قوله** : بوجه له مناسبة الى ماهو الحقيقة ـ يعنى مثل مناسبة الصورة والحكاية لمعناهـا ، والمثل والظل والخيال لمغزيها ، فان الاشباح أظلّة وأمثلة وصور للارواح التى هى اصولها وحقائقها والاشباح عالمها عالم المثال البرزخى ـ اى الملكوت الصورى المفارقى ـ والارواح عالمها عالم الجبروت والملكوت الروحانى العقلانى .

ص٢٣٢ س١٣ **قوله** : لايحب الله أحداً غيره ـ فان قلت : فماشأنه سبحانه حينئذ مع سائر الاولياء غير ذلك الولى الذى وصل واتصل بهذه المرتبة ، وكل ولىّ بماهو ولىّ له هذه المنزلة كما قال تعالى : ﴿يحبّهم ويحبّونه﴾ [٥/٥٤] فلاتختص مرتبة الولاية بواحد شخصى منهم بخصوصه دون غيره ؟

قلت : اعلم ـ ياصاحب البصيرة النافذة ـ انه يمكن أن تنحل عقدة اشكالك وسؤالك بماقيل :

حال گرگان وسگان ازهم جداست * متحد جانهاى شيران خداست

وان تفاوتوا فى درجات الولاية بالشدة والضعف كما أشار اليه بقوله ـ قدس الله روحه : « مع تفاوت المرائى ـ الخ » ـ فاعتبر واستبصر .

ص ٢٣٣ س ٥ **قوله** : والبائع راغب عن المبيع ـ أقول : بل يسلم المبيع الى المشترى وتبقى الانفس والاموال التى هى قوى النفس وصفاته النفسانية التى بها تحجب النفس عن شهود ربه ، فتفنى وتبقى ببقاء ربه الاعلى .

ص٢٣٣ س١٠ **قوله** : فقد علم ان رتبة الشهداء ـ اه ـ يعنى من الشهداء هيهنا الشهداء المعروفين فى عرف الجمهور ، ولكن قد يكون منهم من هو قبلة العرفاء ووليهم الذى يكون اولى بهم من أنفسهم وهو لسيد الشهداء روحى له الفداء فانه عليه السلام لهو سيد السادة ، وقبلة الشهادة معنى وصورة ـ تفطن .

ص٢٣٥ س٧ **قوله** : يجد الالم عين الراحة ـ وهم جمهور العلماء المتسمّين بالورم ، والمتوهمين للسراب ماء زمزم ، وللخضاب شباباً ... عن كدورة الهرم ، فانهم لهم المعرضون عن آيات ربهم ـ التى هى الحقائق الكشفية واللطائف العرفانية، وأسرار الحقانية والعلوم الربانية ـ خذلهم الله تعالى فانهم لهم المخربون لعمارة الدين ، الضالون المضلّون لعامة المسلمين .

ص ٢٣٧ س ١٠ **قوله** : مع جحودهم لنعمة الله ـ ان كون الامور الدنياوية نعمة ، انما هو من جهة كونها بلغة الى الاخرة ووسيلة لعمارتها ، فالكافر المنكر للاخرة لايتصور فى حقّه أن تكون هى بلغة ووسيلة الى عمارتها ، بل يكون كفره وانكاره بلغة ووسيلة فى حقّه الى خراب عمارة عاقبة أمره وآخرة شأنه ، فالدنيا نعمة مخلوقة فى نفسها ، لكونها فطرة مفطورة على امداد المواد لعمارة الاخرة كما تكون فى حق أهل الاخرة ـ وهم أهل الله ومن تابعهم .

والمراد من المواد هيهنا هى أراضى الانفس البشرية التى هى العقول الهيولانية علماً وحالا وعملا .

ص ٢٣٩ س ١٧ **قوله** : لا بما هو به بنية ومادة ـ فانه بهذا الاعتبار ليس بحيوان ولابحي الا بالعرض كما تقرر فى مقرّه .

ص ٢٣٩ س ١٨ **قوله** : فى علم الميزان ـ فاطلاق الحيوان الحساس على الانسان بماهو انسان يكون من باب اسم الملك على المالك والملك المتصرف فيه .

ص٢٣٩ س٢٢ **قوله** : والاحساس بالشىء لايتم - اه - هذا انما يتم ويتوجه بتعميم معنى التوهم والتخيّل ، حتى يشمل الحكم كل الحيوانات ، لمكان بعض الحيوانات الذى لاحظّ له من الحس الباطنى ، فالمعنى العام هو التصور الاحساسى سواء كان بالحس الظاهر اوالباطن ، اذ كل منهما منزلته منزلة التوهم فى عدم وجوده الخارجى وفقدانه ـ فتفهّم ولاتغفل ـ .

ص٢٣٩ س٢٣ **قوله** : لاوجود له فى الخارج ـ فان قلت: يلزم على ماحققت من وجه كون الحيوة الدنياوية موهومة كون الحيوة الاخروية العقلانية ايضا كذلك

اذالتعقلات والتصورات والادراكات العقلانية في حق الانسان البشرى كلهاموجودات ذهنية غير خارجية ، والموجودات الذهنية كلها موجودات ظليّة ضعيفة الوجود غير مترتب عليها الاثر ، فما الفرق حينئذ بين هاتين القبيلتين ؟

قلنا : فاسمع لما يتلى عليك ويلقى اليك نازلا منزلا عن رب العالمين ، واعلم ان بين الطائفتين بون بعيد كالبون بين السماء والارض - اذ الادراكات العقلانية والتعقلات الانسانية ان هي الامثل وامثلة الحقائق الربوبية ، وصور الاسماء الحسنى الالهية والربانية . وأظلّة الحقائق الربوبية وأمثلتها وصورها العقلانية الفائضة عنها على قلوب الحكماء والعلماء البشرية عند رسوخها تكون باقية ببقاء مباديها التى هي أرباب أنواع أصنام هذا العالم - مادامت الحيوة الدنياوية ، وعند كشف الغطاء ورفع هذه الغشاوة ترجع تلك الصور الظليّة والحكايات العقلانية التى هى فروع تلك الحقائق والاصول الى اصولها وتلحق بها بضرب من الانحاء وتبقى ببقائها الذى هو بقاء الاسماء الحسنى أبد الاباد .

وتلك الصور والتعقلات - الحاكية عن حقائق تلك الانوار الربوبية الواقعة فى صقع من الاسماء الالهية - هى التى وردت فى وصف كمالها ونزلت فى نعت جمالها وشرح جلالها : « مالاعين رأت ولااذن سمعت » .

واما الصور الحسية لما كانت مأخذها ومباديها - التى هى الموجودات الدنياوية الداثرة الزائلة - راجعة الى حقيقتها وحقائقها التى هى الاعدام والنقصانات والفقدانات عند فناء الدنيا فكذلك شأن تلك الصور محصلها يرجع الى دار البوار والهلاك والحرمان - فافهم (*)

ص٢٤٠ س٢١ **قوله** : بأن مناط وجود الجزئيات المحسوسة - اه -(١) يعنى ان وجود المحسوسات فى أنفسها ليس وجوداً على وجه الحقيقة ، بل ان هى الا

١ - قد حررت هذه الحاشية قبل ان الاحظ مابعد قوله : بأن مناط وجود الجزئيات - الى آخر الكلام . (المحشى)

أظلّة الحقائق النورية العقلية وآثارها وشؤونها وأمثلة تلك الارباب الجبروتيـة ، وأخذكون هذه الوجودات الجزئية واعتباركون هذه الموجودات المادية الحسية وجودات وموجودات فى حيال ذواتها على وجه الحقيقة ان هو الاحكم الوهم الكاذب والخيال الوهمى العاطل الباطل . فأخذ هذه الموجودات واعتبارها ذواتاً حقيقيـة واموراً موجودة فى مرتبة أنفسها على وجه الحقيقـة انما هو أمر وهمى لايطابق الواقع ، ويرتفع هذا الحكم الوهمى عند كشف الغطاء لكل أحد كما يكشف الان لاهل الكشف وهم اخوان الصفا ـ فافهم (*)

ص٢٤١ س٣ **قوله** : الدنيا بما هى هى ـ فالموجودات المادية الدنياوية بما هى دنياوية مرجعها الى العدم الذى هوفقدان الكمال ونقصان الجمال والفقد حجاب بلاارتياب (*)

ص٢٤١ س١١ **قوله** : كل مافى الكون وهم ـ كل مافى الكون وهم وخيال من جهة الادراك الذى هو ملاك الالتذاذ بما فيـه عكوس فى المرايا وفى المجالى الاحساسية وظلال من الصور البرزخية المثالية التى منزلتها من الامور الكونية منزلة الحقائق من الاظلّة ، والظل بما هوظل شىء وليس بشىء فهوبين الايسيّة والليسية ، فليس بصرف ايس ، ولابصرف ليس ـ كما هو حكم الامر الوهمى الخيالى ـ فهو خيال فى خيال ـ هذا .

ولكون الكون خيالا فى وجـه لطيف شريف غير ماشير اليه ، اذ الامور الكيانيـة والصور الهيولانية من جهة كونها أظلّة وخيالات بالنسبة الى اصولهـا وحقائقها التى هى الصور البرزخية الملكوتية المفارقية ـ المسمى عالمها بـ « عالم خيال الكل » وبـ « الخيال الكلى » مستهلكة فيه مثل استهلاك البدن فى النفس فيقال: ان البدن فى النفس ، وان قيل فى عرف العامى : ان النفس فى البدن ـ ولكل وجهة ـ فكون كل مافى الكون خيالا فى خيال ـ اى خيالات جزئية كائنة تدريجا على نعت التجدد والاتصال الغير القار مستهلك فى الخيال الكلى ، وهوخيال الكل ، وراجعة اليه رجوع الدنيا الى الاخرة ويوم تبدل الارض غير الارض ـ فافهم فهم نور واستقم

كما امرت .

ص٢٤١ س١٣ **قوله**: العكس ـ لم يكن فى نسخة اخذت من الاصل والظاهر انه ترك (*).

ص٢٤١ س١٨ **قوله** : وسوى الحق باطل ـ فيه تنبيه على سر التوحيد ، ألا الى الله تصير الامور ـ فاستبصر .

ص٢٤٢ س٢ **قوله** : بعض العلماء ـ يعنى الغزالى (*)

ص ٢٤٢ س ٤ **قوله** : غرس فيها أشجاراً ـ ان مادة غرس الجنة الشيطانية واصولها هى بسائط الحروف الظلمانية التى بوضعها الطبيعى وضعت على عكس الحروف النورانية ، وكل من الطائفتين تكون ثمانية وعشرين حرفاً ، كل حرف من النورانية يمانى ـ وهو الوجـه الذى به يلى لوح قلب الانسان ويواجه ربه ـ وكل حرف من الظلمانية شمالى ـ وهو الوجه الذى به يلى نفسه التى هى شيطانية .

فبالغرس اليمانى النورانى تنبت شجرة السدرة بفروعها و لـواحقها ـ من الاغصان والافنان والاوراق ـ فتثمر أثمارها، وبالغرس الشمالى تنبت شجرة الزقوم بفروعها ولواحقها كذلك .

وقس عليهما هذه الكتابة فى ذلك اللوح الذى له وجهان وصفحتان ، صفحة يمنى وصفحة يسرى ، فاليمنى تكتب فيها كلمات الله العليا ، وفى اليسرى الكلمات السفلى (*) .

ص٢٤٤ س٢ **قوله** : نظر كشفى ـ اى بحث واعتراض حسبما اقتضاه الكشف اذ الكشف يقتضى أن تكون رحمة منه تعالى رحمة امتنانية ، وهذا لايناسب ارتكاب حذف المضاف المشعر بخلاف ذلك، كارتكاب حذف استحقاق ثواب جنة وسعتها ـ فافهم .

ص ٢٤٤ س ٢ **قوله** : نظر كشفى ـ لعله ناظر الى قوله تعالى : ﴿و آخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [١٠/١٠] حاصله ان الرحمة كلها امتنانية ،

اذ الاستحقاقية منها ايضا راجعة الى أصلها الذى هـو الامتنانية ، ومن هذا قالوا : «اليه يرجع عواقب الحمد والثناء» وفيه قيل :

چون باتوام‌ازتوجان دهم آدم‌را ✽ و زنور تو روشنى دهم عالم را
چون بيتو شوم قوت آنم نبود ✽ كز سينه بكام دل بر آرم دم را

ـ فافهم واستقم كما امرت .

قوله : خارجة ـ اه (١) ـ يعني انهاداخلة فى حجب السموات والارض لكن لاكدخول شيء فى شيء ، يعنى خارجة عنها لاكخروج شيء عن شيء ، اذمنزلة الجنة الصورية الملكوتية المعروفة بين العامة بالجنة الجسمانية مـن هذه السموات والارضين الطبيعية والدنياوية منزلة الجسمية الحقيقية من الجسمية الظلية، فليس بداخل فيها ولابخارج عنها كما هومنزلة الحقيقة من مثالها وظلها، فالجنة التى قال سبحانه: ﴿عرضها كعرض السماء والارض﴾ وسعت السموات والارض كما وسع الكرسى وأحـاط بهما ولا يؤدحفظهما كما لايؤد حفظ الشاخص والشخص لظله ، اذ منزلـة الحقيقة من صورتها الحاكية عنها ـ كحكاية الظل لشاخصه و شخصه ـ منزلة العلة القيومية الفياضة لمعلولها القائم بها ، قيام صدور ، لاقيام عروض وحلول ـ فافهم .

ص٢٤٤ س٤ **قوله:** وفى ذكر العرض ـ والحق هوان رفع هذاالاشكال بأن يقال: ان تلك الجنة الموصوفة بتلك السعة خارجة عن صقع هذه السموات والارض، ولها صقع ملكوتى وهـو ملكـوت السموات ، والملكوت محيط بهذه الاجسام والاجرام ـ علوية وسفلية ـ وهذه الاحاطة ليست كاحاطة جسم بجسم ، بل كاحاطة الروح بالجسم، وذلك مع كون تلك الجنة جسمانية وصورية مثالية قام عليه البرهان الباهر ، اذ منزلة ملكوت كل شيء من ملكه منزلة الروح من البدن كما برهن عليه فى الفن الذى هو محل تحقيق هذه المسئلة العميقة وموضع حل هذه العقدة التى لايمكن أن تنحل الا بيد القرم فى الدهر .

١ـ ما وجدناه فى المتن .

ص٢٤٤ س ١٣ **قوله** : عرضها كعرض السماء والارض ـ وفى بعض النسخ العتيقة وجد هكذا: وقال بعضهم ان الله قال عرضها كعرض السماء والارض ، والجنة المخلوقة فى السماء السابعة فلا تنافى . اعدت للذين آمنوا ـ اى: ادخرت الى قوله من التمحل .

أقول : فعلى هذه النسخة تكون استقامة الكلام فى المقام أظهر وسياق البيان فى الذب عن المقام أتم وألصق باصابة الحق وباحقاق الحق ـ فليتأمل فيه .

* * *

مراد أهـل العلم من كون الجنة فوق السماء السابعة الفوقية المعنوية ، وهى فوقية الملكوت على الملك والشهادة، لان منزلة الملكوت من الملك منزلة الحقيقة من ظلها وصورتها الحاكية عنها .

ص ٢٤٤ س ١١ **قوله** : قال الحسن ـ تقرير ما قال الحسن على وجه يصير حسنا مستحسناً ـ فاعلم تنقلب قيامة الصغرى الى الوسطى، والوسطى الى الكبرى، حيث حكم ان الجنة الصغرى التى هـى جنة القبر الكائنة بالموت ـ اى الموت المعروف بين العامة ـ تنقلب الى الجنة الوسطى ، و الوسطى تنقلب الى الكبرى التى هى جنة الخلد التى لاانتقال ولا ظعن منها ، وكذلك دار النار ، نار صغرى، ونار وسطى ، ونار كبرى ـ هى نار الخلد ـ يخلد أهلها وفيها ولا مخلص عنها ، هذا ما قامت عليه البرهان .

لكن الحسن ليس باهل هذا المعنى الذى قررنا ـ فلا تغفل .

ص٢٤٤ س١٣ **قوله** : والجنة المخلوقة فى السماء السابعة ـ يعنى مثل كون الملكوت فى الملك والشهادة، وبعبارة اخرى: مثل كون النفس فى البدن والروح فى الجسد . فيصح حكم العكس ايضا اى : كون البدن فى النفس .

وسرّ ذلك ستير جداً ، عسير نيلا . ولكن كون كل فى آخر بمعنى آخر لا بمعنى واحد ـ فتفطن ان كنت من أهل التفطن ، اى من أهل الاشارة ، ومما أشرنا يتمكن الفطن من التفطن بسر عدم التنافى ـ فافهم .

ص ٢٤٥ س ١٦ **قوله** : موجودة للمؤمنين ـ يعني : انهم عند كونهم في الدنيا كائنون في الجنة ، كما ورد في أحاديث أصحابنا : « ان أرواح المؤمنين منذ خلقت الجنة كانت فيها » وكذا حكم أهل النار ـ سرّ ذلك هو كون الجنة والنار غير خارجة عن أحسن اهلهما ـ فافهم .

ص ٢٤٦ س١٦ أبدانهم في الدنيا ساكنة ـ ان كون الابدان ساكنة في الدنيا والارواح سائرة في الجنة غير مختص بالمكاشفين ، بل كما اعترف ـ قدس سره ـ قبيل هذا حيث قال : «دليل واضح ـ الى قوله: ـ موجودة للمؤمنين» يعم كل مؤمن ـ مكاشفاً كان او غيره .

نعم ـ ان كشف ذلك وانكشافه وشهوده مختصة بهم، وبون بين أصل الكون في الجنة في حال حيوة الدنيا وبين شهود ذلك الكون، ففي قوله هذا مسامحة ما، والمقصود هو ما أظهرنا كما قال صريحاً في صدر هذا الكلام ، والتزاماً فيما قال قبيل هذا ـ هذا .

ص ٢٤٦ س ٢٢ **قوله** : ولابد ايضاً أن يعلم ـ اه ـ فمن هيهنا قال أهل الحق بكون الحسن والقبح في الاعمال ذاتيين وعقليين ، بمعنى ان بين شجرة العمل وثمرتها اتصالا عقلياً وملازمة عقلية ، وايضاً من هنا قال ﷺ : «انما هي اعمالكم ترد عليكم ـ او اليكم ـ» .

ومما يشير الى ما يترتب على ذلك ويتفرع عنه من غرائب الاسرار وسرائرها كون كل قول من الانسان وكل فعل وعمل صدر عنه ـ بما هو انسان ـ انساناً ، وأما ما صدر عنه لا بما هو انسان ـ بل بما هو كلب او خنزير اوغيرذلك من طبايع الانواع الخبيثة الدنيّة ـ فهي راجعة الى اصولها التي هي مباديها من الملكات الرذيلة ، كل بما يجانسه ويشاكله ، كما قال عزّ من قائل : ﴿كل يعمل على شاكلته﴾ [٨٤/١٧] تفطن .

ص٢٥١ س١٦ **قوله**: حيث أبرز مكنونات المكونات ـ اه ـ يعني ان مضمرات الكائنات الحادثات بعد أن لم تكن التي هي صور علمية لها ـ اى للحادثات الكائنة

بعدان لم تكن ابرزت ـ اى تلك المضمرات الصورية العلمية أولافى القضاء بوجه الاحتفاظ وفى القدر بوجه المحو والاثبات تقدمة العلم بها على وجودها وايجادها فى العين .

وقوله : ثم اظهر مستورات الحقائق وخفيات المخلوقات ـ التى هى العقول ومامعها ، كما ان مكنونات المكوّنات من الجسمانيات وما معها ـ اى : ثم أظهر تلك المستورات والخفيات التى هى من الروحانيات الجبروتية والحقائق واللطائف الملكوتية العاليات التى ما برحت ولاتبرح أبداً من موطنها على منصّات المحسوسات الزمانية المكانية ، على عين المعاملة مع الجسمانيات الكائنة . اى : انزل تلك الحقائق واللطائف الجبروتية الى ان أظهرها وأبرزها بصور أصنافها وأمثلتها الحسية.

فان هذه الحسيات الجزئية المحسوسة ان هى الا نزولات تلك الحقائق الالهية ، كما ان تلك الحقائق الحقية انما هى هذه المحسوسات الخلقية ، وظاهر ان ثبت الجسمانيات باسبابها فى الموضعين العاليين مقدمة على نزول الحقائق وثبتها فى لوح المادة الهيولانية ، تقدم القضاء والقدر على المقضى والمقدر .

هذا هو محصل معنى كلامه هيهنا ، ولكن فى طور بيانه نوع تعقيد صعب حله وهو ـ قدس سره ـ متعمد فيه لكن الى ما أشرنا اليه من الرموز والكنوز المكنوزة فيه فافهم ان كنت من أهل اشاراتهم المرموزة بها ... قل من يهتدى اليها، فلولم يعقد طور البيان لم تتمكن ولايتمكن أحد من ذلك التفطن ـ تفطن يا قرة عينى المتفطن .

ص٢٥١ س ١٨ **قوله** : فاستمع لشرحه ـ حاصل محصل هذا الاستماع هو فحوى قوله سبحانه : ﴿يحبهم ويحبّونه﴾ [٥/٥٤] .

كه هر جا هست حسن اينش تقاضاست   نخست اين جنبش از حسن ازل خواست

فلما آن الحق أن يرى عينه او أعيان صفاته العلياء وأسمائه الحسنى من حيث أسمائه تعالى التى لايبلغها الاحصاء فى كون جامع ينحصر (يبصر) الا فى وجوده وعند وجوده ويظهر سره تعالى اليه جل وعلا ويؤدّى أمانته اليه ، فاقتضى

الامر جلاء بذات العالم بايجاد آدم الذى خلقه على صورته ، وكان منزلة آدم من العالم منزلة انسان العين مـن العين ، وفى وجه آخر كان منزلة آدم مـن حضرة الحق منزلة انسان العين من العين الذى به يكون النظر الابصارى والبصر.

فبه ـ اى بآدم الذى منزلته منه تعالى منزلة انسان العين فى باب النظر و البصر ـ نظرالحق الى الخلق فرحمهم ، لانه الغاية التى لاجلها خلق الحق خلق(١) العالم ، و خلق العالم لاجل آدم ، و خلق آدم لاجل نفسه لكى يرى عينه بأعيان الصفات العلياء والاسماء الحسنى بعينه التىهى آدم الحق الحقيقى ، خليفة الله فى كلية العالم و العالم الكلى ، كما فى القدسى : « كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن اعرف » اى أن أرى بعينى عينى و أعيان صفاتى و كمالاتى ـ كمالات جمالى و جلالى ـ فخلقت الخلق المتأدى و جودهم الى خلقة عينى التى بها أرى عينى وأعيان كمالاتى ، فهذا هو نوع اشارة خفية لطيفة الى محصل فحوى قوله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وهم خمسة واربعون كما ان آدم كذلك .

هذا هوخلاصة ما أفادت أساطين العلم فى مثل مقامنا هذا .

ص ٢٥٢ س ۴ **قوله** : ان رحمتى سبقت غضبى ـ يعنى ان نشأة رحمة الله التى هى الرحمة الخالصة الغير المشوبة بشوائب من الغضب هى نشأة العقول القادسةوالارواح المقدسة الكلية الالهية، التىهى خزائن رحمتهاللامتناهية، وهىبعينها مفاتح خزائنه ، فهىالسابقة علىسائرالنشآت الخلقية ولاسيما على النشآتالهيولانية السفلية التى هى الدركات السفلى ببرازخها التى هى جهنم الاشقياء و ملك الشرو ملاكه ، ومدارالسخط والغضب انماهوهاوية الهيولى كما تقررفى محله .

ص ٢٥٢ س ١۴ **قوله** : القريبة الجسمانية ـ يعنى ان النقص و القصور فى الوجود ـ حسبماتقررفى محله ـ خاصة النشأة الهيولانية التى موجوداتهاـعلوية كانت او سفلية ـ ناقصة غيرتامة فى باب الوجود و أحواله ، و النشأة ـ الهيولانية

---

١ ـ كذا ، والظاهران كلمة « خلق » زائدة .

- مادامت هيولانية -منفعلة غيرفاعلة ولافعالة أبداً ، والفعل الايجادى والافاضة الكائنة مختص بالعالم التام وفوق التمام الذى هو الاتمام .

ص ٢٥٣ س ٨ **قوله** : وهو المسمى بام الكتاب - يعنى من ام الكتاب اللوح الاعظم المسمى بـ « ـاللوح المحفوظ » والقلم الذى امر بأن يكتب فيه كل ما كان وما يكون الى يوم القيامة هو « القلم الاعلى » وأما العقول اللوحية فهى الاقلام الفياضة الواسطة بين القلم الاعلى و بين سائر الالواح الكليات التى هى دون اللوح الاعظم و بعده ، و منزلة اللوح الاعظم من سائر الالواح التى دونه رتبة منزلة العلوية العلياء بعد المحمديه البيضاء من سائر الانبياء الاولياء الاوصياء من الامم السالفة ، و منزلة الفرقان المحمدى من سائر الكتب السماوية المنزلة على سائر الانبياء .

ومن هيهنا قال تعالى حكاية عن عيسى بن مريم ﴿ تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ﴾ [٥/١١٦] اى مافى العلوية العليا التى قال فيها ﴿ وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾ [٤٣/٤] ومن هنا سميت العلوية العلياء التى هى نفس الكل بذات الله العليا ، كما سميت بسدرة المنتهى وشجرة طوبى وجنة المأوى .

ص٢٥٣س١٨ **قوله** : بالقلم على اللوح - يعنى القلم الاعلى واللوح الاعظم المسمى بـ « ام الكتاب » ،

ص ٢٥٣ س ١٧ **قوله** : فى النفس الناطقة - اه - اى النفس الناطقة التى هى نفس فلك الشمس ، فاللوح الاعظم ، المسمى بام الكتاب هى نفس فلك الكرسى المقدم فى الوجود على السموات السبع والارضين السبع و كل من اللوحين لوح محفوظ .

ويحتمل غير بعيد عقلاً أن يراد من قلب العالم نفس الحجة فى كل زمان ولكن حمل الكلام هيهنا عليه بعيد - هذا .

ولما كان أمر فلكى العرش والكرسى بنفسهما منفرزين مفروزين عن السموات

والارضين السبع، والمراد من العالم هيهنا العالم الطبيعي الكلى المحتوى على السموات السبع و الارضين السبع - و اما فلك العرش المعروف بالفلك الاطلس و بفلك الافلاك و كذلك فلك الثوابت المعروف بالكرسى فشرح حالهما خارج عن السموات و الارضين لكونهما فى وجه من الاعتبار خارجين عن العالم الطبيعي داخلين فى البرزخ المثالى - أفرزهما فى البحث وأشار اليهما بالاشارة الى أصليهما الذين هما مثالان لهما ، وهما المشار اليهما هيهنا بالقلم واللوح - اى عقل الكل ونفس الكل - هما المحمدية البيضاء والعلوية العلياء ، وفى المقام بعد مسائل ومعارف لايسع المجال لبيانها - .

و هذا الذى علقنا هيهنا انما يتوجه ويستقيم على تقدير كون أصل النسخة كذلك واحتمال السهو والتصحيف و غيرذلك قائم ، ولكن ظاهر مساق الكلام هو الاستقامة وصحة هذه النسخة - فافهم .

ص ٢٥٥ س ١٨ **قوله : فحركة الاعضاء** - لقائل أن يقول : ان حركة الاعضاء ان هى الانفس أفعال نفس الانسان التى تظهر فى مادة الاعضاء فتكون منزلة هذه الحركات و الافعال منزلة ظهور أفعاله تعالى فى لوح الهيولى الخارجية ، فمن أين وأنى يتصور أن تكون منزلة هذه الحركات منزلة الحركات السماوية ؟

فنقول : ان هذا السؤال بظاهر الامر . . حل عقدته ، لكن لنا أن نقول فى حله : ان حركة الاعضاء البشرية المركبة من المادة العنصرية المقسورة ومن الطبيعة القاسرة لها الصارفة اياها عن الانحلال تتوزع الى حركة نفس الطبيعة المتصرفة فى المادة العضوية العنصرية، والى حركة نفس المادة العنصرية ، فالحركة الطبيعية المتصرفة السابقة على الحركة العضوية - بماهى حركة مادة انفعالية - هى بمنزلة الحركة السماوية التى هى تحريك بالنسبة الى المادة العنصرية ، والحركة العنصرية بماهى محرك للمادة العنصرية العضوية تتفرع عن تلك الحركة الطبيعية التى هى بعث و تحريك بالنسبة الى المواد العضوية .

فهيهنا عند التحقيق و التدقيق حر كتان : احديهما ذاتية للطبيعة التى هى جند النفس البشرية ، و الاخرى تتفرع عن تلك الذاتية النازلة من عند النفس باعثة لانفعالات المواد العنصرية المقسورة و بحركات الاعضاء بماهى عنصرية ـ هكذا ينبغى أن تنحل عقدة هذا المقام ـ والسلام .

ص ٢٥٦ س ١٢ **قوله :** و الطور ـ يعنى ان الطور هو عقل الكل والقلم الاعلى و كتاب مسطور هو ما كتب فى اللوح الاعظم ـ فى رق منشور هو نفس اللوح الاعظم المسمى بام الكتاب ، و مراده من سماء الدنيا ينبغى أن يكون السموات السبع بجملتها لولم تأبى عنه بعض فقرات عبارته هيهنا .

ص ٢٥٧ س ١٥ **قوله :** فاجملوا فى الطلب ـ لعل الامر بالاجمال فى الطلب هو الامر بتحصيل ملكة «الحكمة» التى هى من رؤساء الملكات الكريمة والاخلاق الحميدة المأمورة بها ، التى تقابلها « الجربزة » المذمومة و«البلادة» المذمومة اللتين هما طرفا الافراط والتفريط بالنسبة الى الحكمة التى الملكة الوسطى من صفات النفس الانسانية من جهة قوتها العملية ، فللطلب حد وسط ممدوح وافراط وتفريط مذموم ، وهذا الطلب هو الطلب العملى الذى افراطه مضر مانع عن السلوك الى الله و كذلك تفريطه .

ص ٢٥٧ س ١٥ **قوله :** فاجملوا فى الطلب ـ ان لاجمال الطلب لوجها آخر أبين مما ذكرنا فى الحاشية وهو أن يرتكب الطلب بمجرد الامتثال لامر الله تعالى، فقد يلتفت الى طلبه قصداً أولا وبالذات ولايتكل على عمل نفسه ، وان كانت تمامها أعمالا صالحات ولايرى مساعى نفسه فى الوصول الى الغايات والسعادات ، بل وجب أن يتكل فى باب الدنيا والاخرة على فضل الله تعالى و كرمه لا على عمل نفسه

چشم براجر عمل از كورى است * طاعت از بهر جزا مزدورى است ـ فافهم.

ص ٢٦٠ س ٤ **قوله :** أدنى درجة الرضى ـ يعنى الرضى من العبد لكل ماقضى وقدره المولى ، فالفائت والاتى كل منهما اذا كان بقضائه وقدره تعالى ، و كل ما كان بقضائه وقدره سبحانه اذا كان مرضياً عند العبد ، فمن أين [و] أنى يرد

عليه الحزن على مافات اوالفرح بما اوتى ؟ اذ الكل عنده بمنزلة واحدة .

ص۲۶۱ س۱۹ قوله : اختياريا واجبا ـ اى : واجبا بالاختيار . ومن هيهنا قال المحقق الطوسى القدوسى ـ أعلى الله مقامه ـ « الوجوب بالاختيار لاينافى الاختيار بل يؤكده ويقرره» .

ص ۲۶۱ س ۲۱ **قوله** : وماجبر الابعد الاختيار ـ كما أشرنا اليه بقولنا : «الوجوب بالاختيار» .

حاصله : ان اضطراره مستند الى اختياره . وأصل السر فى كل ذلك هو كون العبد الانسانى مضطرفى اختياره ، بمعنى أنه لايتمكن من أن يصدر أفعاله وأعماله لابارادته واختياره ولايتمكن من أن يريد ويختار من دون فكره واعتباره ، فهومضطرفى اختياره ، وفى اختياره مضطر الى علمه واعتباره ، ومن هيهنا قال عز من قائل : ﴿لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ [۲/۲۵۶] فى اعتباره وبحسب استبصاره .

ومع ذلك كله «ماتشاؤون الا ان يشاء الله» كمالايتوجدون الا أن يوجد الله ـ فافهم فهم نورلا وهم وهم وزور.

ص۲۶۲ س۱۱ **قوله**: قال بالقدروالتفويض ـ يجب أن يعلم أن لقب القدرى فى عرف الاخبار وأهل العلم يطلق بمعنيين : أحدهما القدرى التفويضى الشبيه بالمجوس الثنوى ـ وهوالقول بكون العبد فى أفعاله الاختيارية مستقلا وقادراً بالقدرة الانفرادية البائنة عن قدرة البارى تعالى بينونة العزلة ، التى تلزمها كون العبد بقدرته التى خلقها فيه البارى تعالى شريكا وشبيهاً له تعالى فى صفة القادرية ، غير راجعة قدرته الى قدرته تعالى ، وهكذا فى الوجود وكمالات الوجود بماوجود كلها ـ من العلم ، والارادة ، والاختيار ، والسمع ، والبصروغيرذلك من أحوال الوجود بماهووجود ـ وهذا هوالشرك الجلى المنافى للتوحيد الحق عند أهل التوحيد الحق الذى يكشف عنه قوله تعالى ﴿ألا الى الله تصيرالامور﴾ [۴۲/۵۳] ونظائره من الايات المحكمات .

وثانيها : هو القدرى بمعنى كون أفعال العبـاد مثل سائر المخلوقات واقعة بقدرته تعالى وبقضائه وقدره، وكل قدرة وارادة واختيار غيرقدرته واختياره تعالى - وان كانت وقعت فى البين ورابطة بين الفعل وأصل مصدره الذى هومنتهى سلسلة الحاجات وهو قدرته سبحانه ، لكنها كلها غير مؤثرة الا بقدرته متفرعة عنها لاأثر لها بحسب أنفسها ، بل بقدرته جل وعلا ، فهو المؤثر حقيقة وبالذات .

فالقدرى بهذا المعنى يضاد القدرى بالمعنى الاول ويقابله تقابل التوحيد للشرك وفيه . . . فلاتغفل .

ص٢٦٢ س١٠ أما القدرى - اعلم أن فى المقام مذاهب و مشارب أربعة :

أولا : الافراط فى التشبيه ، وهوالقدرى التفويضى والمجوسى الثنوى .

ثم الافراط فى التنزيه الراجع من حيث لايشعر قائله الى الافراط فى التشبيه وهوالجبرى الاشعرى الغيرالشاعربفساد أمره - وهماأشنع المذاهب الباطلةوأكدر المشارب الكدرة المنكرة .

ثم مشرب القدرى الناظر الى القدرة القديمة والقاطع نظره عن الوسائط والاسباب القريبة ، وان كان قابلا بسببيتها ووساطتها عند عرضها عليه ولكن غير ملتفت اليها بل يقصر نظره الى العلة الاصلية القديمة ، وهو ذوالعين اليمنى وعمى عينه اليسرى كأنه لايرى بها أصلا .

ثم الناظر الى الاصل القديم فى مقام التوحيد باسقاط الاضافات ومحو الانيّات والتعينات التى هى انحاء تجليات الذات القديمة وشؤونه الذاتيةالتى يبديها ، وليست بشؤون يبتديهاوهو التنزيه الذى طوى فيه بساط التشبيه طرآ،فصاحب هذاالمقام من التوحيد الحق هوالمستغرق فى شهود الجلال لم يتحقق بعد له مرتبة الجمع بين المحو الجلالى والصحو الجمالى حتى يرى التنزيه فى عين التشبيه وبالعكس ، ويرى التوحيد فى عين التكثير، والتكثيرفى عين التوحيد .

وهذا . . . الذى ينظر اليه . قوله تعـالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ووضعنا عنك وزرك - السورة ﴾ [١/٩٤] .

ص٢٦٢ س١٦ **قوله:** بهسبحانه لابالاستقلال ـ فيه سرالحقيّة وروح الصدق الكاشف عن تحقق منزلة بين المنزلين اوسع مما بين الارض والسماء ـ فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم كماقيل :

چون باتوام ازتوجان دهم آدم را ❋ وزنور تو روشنی دهم عالم را

چون بی توشوم قدرت آنم نبود ❋ کز سینه بکام دل برآرم دم را

فافهم فانه غامض جداً، كيف لا وفيه سرالتوحيد الحق وقدقالوا عليهم السلام التوحيد الحق هوالله ، والقائم به رسول الله ، والحافظ له نحن ، والتابع فيه شيعتنا ـ تلفظ بفهم .

ص٢٦٣ س٢ عن مضيق البون ـ فالنظر الجامع بين الحقين هوالقول بالامر بين الامرين بلامين وشين أصلا .

ص ٢٦٣ س٤ **قوله:** فاضمحلت الكثرة ـ ان سرّ السرفى كل ذلك هو كون الزمان والزمانيات ـ التى لابداية لها ولانهاية ـ فى طومارالزمان الغيرالمتناهى من جانب الازال ومن جانب الاباد بالنسبة الى العالم الحقانى من المبادى العالية مطوية نازلة منزلة الان البسيط الغير المتجزى أصلا ، وكذلك أمر المكان والمكانيات بتشتّتها وتكثرّها وتفرقها الى غير النهاية بالقياس الى ذلك العالم السبحانى كالنقطة .

ص٢٦٣ س٤ **قوله** : فاذا رجع الى الصحو ـ فبهذا الرجوع يتحقق بحقيقة معنى قول الصادق عليه السلام : «لاجبر ولاتفويض ، بل أمر بين الامرين ، ومنزلة بين المنزلتين» كما حققناه قبيل هذا ـ قل هذه سبيلى أدعوا الى الله أنا ومن اتبعنى ولكن حق نيله صعب مستصعب لايحتمله الا ملك مقرب ، اونبى مرسل ، اومؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، وهو المؤمن حقاً .

ص٢٦٣ س٧ **قوله** : فهو الولى المحق ـ فاولئك الاولياء الكاملون الواصلون هم القائمون بمقامه تعالى فى قرب النوافل ، وهوسبحانه القائم بمقامهم فى قرب

الفرائض، الذى يقضي ان [يكون] العبد مختفياً وباطناً غيرظاهر والحق ظاهراً غير مختف وفي قرب [النوافل] يكون الامر منعكساً .

ص٢٦٤ س١ **قوله** ﷺ : اعملوا كل ميسّر لماخلق له ـ سرّ الامر بالعمل مع تحقق « جف القلم بما هو كائن » هوانه لماخلق سبحانه القلم ـ اى القلم الاعلى ـ قال له : «اكتب» يعنى فى اللوح الاعظم الذى هوام الكتاب المسماة بـ «نفس الكل» وهى « حوا الاولى » ام الخلائق كلها من العلويات والسفليات جلـّها وقلـّها .

فكتب القلم الاعلى المسمى بـ « عقل الكل » و« المحمدية البيضاء » كل ما كان ومايكون الى يوم القيامة الكبرى فى اللوح الاعظم المسمى بـ « العلوية العلياء » فكل مايتجدد ويتكوّن ويقتضّي ويتصرّم على نعت الاستمرار التجددى فى عالمى القدر العلمى والقدر الخارجي فهومثبت فى اللوح المحفوظ المسمى بـ « اللوح الاعظم » على وجه الثبات والتقرر السرمدى ، والبقاء الغير المتغيّر المحفوظ عن التغيّرات كلها وعن التقضيات والتصرفات جلـّها وقلـّها .

وعالم القضاء المكتوب بالقلم الاعلى على اللوح الاعظم هوعالم الحق الباقى ببقائه ويسمى بـ « الحق الاضافى » التابع فى البقاء والثبات للحق الحقيقى والعلمية الازلى الكمالى الذاتى ـ تبصر بالتدبر فيه فانه لطيف جداً ، غامض عميق حتما .

ص٢٦٤ س٣ **قوله** : فى أمر مستأنف ـ هذا هو الجمع بين الحقّين كما أشرنا اليه قبيل هذا .

ص٢٦٤ س٨ **قوله** : فهى معرفات ـ ظاهره المتبادر أن الحركات والارادات الحسنات والسيئات الصادرة عنا معرفات لاموجبات ، فان الموجباب لهى الامور المزبورة فى الزبر التى هذه الحركات منا كاشفاتها .

وأما ارجاع الضمير الى المكتوبات المحفوظة لعل له وجهاً غيرموجه عند التحقيق وتحديق النظر وتحديد البصر ، وان كان موجهاً فى بادى النظر ـ فتدبرفان فيه سرّ القدر .

ص٢٦٥ س٣ **قوله** : مباديها ـ اى المبادى الاعدادية التى هى أفعالنا وأعمالنا

باختياراتنا واراداتنا، وهي علل وأسباب اعدادية تعد وتهيء أنفسنا لاستحقاق نزول الاثار من المبادىء الفعالة في ألواح أنفسنا حسبما تهيأت أنفسنا بأعمالنا ـ تفهّم .

ص ٢٦٥ س ٤ **قوله** : في العقبى ـ ان نشأة عقبانا هي بعينها نشأة ألواح أنفسنا وأرواحنا التي أراضي زرعنا .

دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر
كاى نور چشم من بجز از كشته ندروى

ص٢٦٥ س١٣ **قوله** : فكيف يحصل الاسباب ـ يعني من الاسباب: الاسباب القريبة ، ومن المسببات المسببات الدانية ، بينهما علاقة اتصالية . . . ومن هيهنا يتحقق القول بكون الحسن والقبح عقليين ذاتيين في الاوامر والنواهي الشرعية .

ص٢٦٥ س١٤ **قوله** : والجميع معلومة له تعالى ـ دليل آخر .

وأما قوله : قبل وجودها ومعها وبعدها ـ اي قبليّة ومعيّة وبعدية مجتمعة اجتماعية في وجه من الاعتبار لايعرفه الا الراسخون في العلم . وأما القبلية والمعية والبعدية الغير الاجتماعية فهي أوصاف يتصف بها علوم اوليائه تعالى القائمين بمقامه ـ كما مرّ منا .

ص٢٦٥ س١٥ **قوله** : ومعه ـ ان كون علمه تعالى بالحوادث المتغيرة مع وجوداتها الحادثة الكائنة بعد أن لم يكن حكمه حكم كون ذاته تعالى معنا أينما كان كما قال عزّ من قائل : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ مع كوننا موجودات كائنة بعد ان لم نكن ، فكل مايقال هنالك يقال هيهنا .

وتلك المعية هي المعية القيّومية فكذلك هنا ، ولب لباب معناها هو رجوعها الى الوحدة المحضة كما تقرر في محل تحقيق المعية القيومية ، وسرّ ذلك كون علمه تعالى في كل مقام عين ذاته لمكان احاطته تعالى ـ ألا انه بكل شيء محيط .

ص ٢٦٥ س ١٥ **قوله** : بل باعتبار تجدد الاشياء ـ اه ـ هذا من الغوامض الالهية التي حلّ عقدتها صعب مستصعب لايحتمل الا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ـ والضابطة فيه هو كون هذه الصفات المتغيرة والتغيرات الخلقية من صفات

اوليائه تعالى الذين تخلـّقوا بأخلاقه سبحانه وتحققوا بصفاته العليا فى مقام الخلافة عنه ، وكما ان اولئك الاولياء الذين فنوا عن أنفسهم قائمون بمقامه تعالى فكذلك هوسبحانه كان قائماً بمقامهم عند أسماء أموالهم وأنفسهم، فهم نعوا الانفس فذكروه تعالى مثلا به عنده له سبحانه ـ تلطـّف فيه حتى تتبصـّر وتتفهـّم .

ص س قوله : موصوفين بهذه الصفة ـ اى موصوفين حين كونهم موصوفين بهذه الصفة ، ولايلزم من كون وجودات المعلومات موقتة حينيـّة كون علمه تعالى بها وبوجوداتها وأحوالها الموقتة موقتا مقيداً بوقت وجود المعلوم ، فالمعلوم بما هو موقت زمانى معلـوم له تعالى ، ولكن علمه تعالى بوجوده الموقت وأحواله الموقتة مع كونه عين وجوده الموقت والاحوال الموقتة ليس بموقت ولامقيد بوقت الوجود وأحواله .

فقوله : وأما ماقبل ذلك الابتلاء فانه علمهم مستعدين للمجاهدة ـ الى قوله ـ: بعد حين ـ فكذلك ليس المراد علمه تعالى بكونهم مستعدين موقتاً ومقيـّداً بقبل ذلك ، بل القبليـّة قيد وتقييد ووقت وتوقيت للمعلوم الذى هو متعلق علمه تعالى، فالعلـم الازلى القيومى المحيط المنزّه عن ثبوته التقابل ـ وان كان عين وجـود المعلوم وعين حضوره لدى العالم المحيط ـ لو فرض كونه موجباً ومقيداً بزمان القبل اوالمع اوالبعد للزم نقض الاحاطة النافية السالخة القالعة القامعة لاصول شجرة الثنوية التقابلية ـ فافهم فهم نور .

* * *

والحاصل ان العلم الاحاطى كالوجود الاحاطى لايمكن أن يكون ويوجد له ثان ، حتى يتقيد بوقت دون وقت ، ويوقـّت بحين غيرحين ، فلايمكـّن سلطانه وقهرمانه الذى هو بعينه قهرمان الوجود الاحاطى علماً آخرثانياً (بائناً) له أن يظهر فى عرصة ظهوره وان يحضرفى عرصة حضوره ، فان كل ذلك تنافى سلطانه وقهرمانه، فلومكن سلطان النور الحسى الشمسى ، القاهر للكل ، الباهر فى الجل والقل فى عرصة انارته القاهرة نوراً آخرمن أن تنور وتنير قهراً من العرصة الشمسية ـ والشمس

هذه ـ وهى المثل الاعلى فى عالمنا الحسى هذا لنور الانوار المعنوية ، وشمس الشموس الحقة الحقيقية ـ لامكن أن يمكّن شمس الحقيقة ـ جلّت عظمته ـ شمساً اخرى ، او قمراً آخر او أكبر او أصغر فى عرصة الانارة ان تنور او تنير ، فاذا لم يمكن هذا لما أمكن ذلك بالنظر الاولى ـ فاحفظ بهذا لكى(١) فى كل ماهو مبتغاك .

ص ٢٦٩ س ١٣ **قوله** : ولاتكون هذه الشقاوة ـ يعنى العملية منها ، لقوله بانقطاع العذاب بمعنى الالم والتألم شخصاً ، وان كان سرمدياً نوعا ، كما تقررفى محله من مشرب القائلين بذلك الانقطاع الشخصى، وأما الشقاوة الجهلية التى هى حقيقة الشقاوة فهى عندهم سرمدية شخصاً ونوعاً ـ هكذا قالوا .

ص٢٧٣ س١٢ **قوله** : فيه سرّ: كأنه اشارة الى كون القوة العملية والعقل العملى من النفس اللامية ذات كفتين : كفة اليمنى فيها العمل الصالح، وكفة اليسرى فيها العمل الطالح ، فيؤمر بالموازنة حين يظهر الغلبة لاحديها فيحكم على حسبها ، او لم يظهرفينساق فتحكم الحسية ، وبالجملة فلامضائقة للعقل الواقف عن أسرار الشريعة الحقة من أن يجوز بمثل ذلك المعنى بهذه الصورة المناسبة له ، المماثلة والمجانسة له فى رفع أصل المعنى ، كما قال ﷺ : « الناس نيام » وقال: « كلّم الناس على قدر عقولهم » .

فلهذا السر المستور عن أعين الناس اضطرّوا الرسل والاوصياء الى التمثيل والتصوير لحقائق المعانى فى مقام البيـان بالمثل والصور التى تناسبها وتجانسها ليتسهل الامر فى باب الرسالة والتبليغ .

ص٢٧٦ س٢ **قوله** : اذ اليقين ـ لعمر الهى ان عالم اليقين هوعين الواقع ونفس الامر الذى يسمى بالحق الاضافى ، المسمى بعالم الامر (*)

ص ٢٧٦ س ٢٠ **قوله** : بالشق والرم ـ اما «الشق» فكشق القمر المعروف،

---

١ ـ كذا .

واما «الرم» فهو كانه يراد منه معنى الرميم ـ يعنى الاندراس والاضمحلال ـ .

ص ٢٧٧ س ٢ **قوله** : اى عالم الوحدة ـ كما قال تعالى : ﴿وما أمرنا الا واحدة﴾ [٥٠/٥٤] والتعدد والتكثر فى تلك العالم الحق الاضافى ليس بذاتى له بل عرضى بعرض بما يتعلق الامربها ، فالحقيقة واحدة بالذات يتكثر ويتعدد بتكثر المتعلقات وتعددها (*) .

ص٢٧٧ س١٠ **قوله** : وبالقوة الحساسة ـ اماالقوة الحساسة النبوية فلكون منزلتها من سائرالحواس التى لسائرالناس منزلة الروح من الجسد ، كما فى الخبر عن أحد من الصادقين عليه السلام فى قصة طويلة ما محصله : «ان لنا مع كل حس حساً» وكذلك كون منزلة قوته المحركة من سائر المحركات الجسمانية، ويعبرعن تلك المعية بالمعية القيومية ، وقد يختلف الاوقات حسب اختلاف الاحوال فى مادة شخص واحد من الانبياء فى باب تلك الاحاطة الوجودية والمعية القيومية وجوداً وعدماً ، وجداناً وفقداناً ، والى هذا المقام العالى من المعية كانه يشير قوله تعالى: ﴿النبى اولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [٦/٣٣] فهم عليهم السلام رحماء على المؤمنين أشداء على الكفار ـ فاعتبروا يا اولى الابصار .

ص ٢٧٧ س ١١ **قوله**: تسلط العالى على السافل ـ ان سرّ تسلط العالى على السافل انما هو كون وجود العالى وجوداً احاطياً ، فلو لم يكن له ضرب من تلك الاحاطة الوجودية لما مكنه السافل من التصرف فيه ، ومن هنا قيل :

فيض روح القدس ارباز مدد فرمايد * ديگران هم [بكنند] آنچه‌مسيحا مى كرد

وظاهر ان منزلة روح القدس من مواد الاموات او الجمادات مثلا منزلة الروح من الاجساد .

ص ٢٧٨ س ١٠ **قوله** : هورقليا ـ منزلة هورقليا من المثال الطبيعى منزلة الصور المبصرة بالذات المفارقة عن المواد الطبيعية من الصور والاشكال . . . المادية ، فان مرتبة هورقليا فى التجرد والانسلاخ عن جلباب المادة من العوالم

المتوسطة منزلة نشأة الباصرة منهافي الحواس الظاهرة من نشأة القوة الخيالية منها، فان الباصرة خارجة عن محدد الجهات ذاتاً وداخلة فيه تعلقا بعضو العين الذى هو قطعة من البدن العنصرى .

ص ٢٧٨ س ١٢ **قوله** : يتشبح ـ اى يتجلى على الحس الباطنى للنبى المسمى بالخيال فتتنزل وتتمثل لخياله بصورة شخصية ملكية حاملة لصورة كلامية يشاهدها الحس الباطنى ويستمعها بسمعه الباطنى فى حال اليقظة، وكذلك فى مشاهدة شخص الملك الحامل للوحى ببصره بعينه الباطنية الخيالية .

ص ٢٧٨ س ١٤ **قوله** : واللفظ لـلمعنى ـ اى بحسب الـدلالات الطبيعية لابحسب الاوضاع الجعلية الغير الطبيعية العامية، ومن ثمة قيل: « ان الاسماء تنزل من السماء» وهذا هومنزلة الاولياء اذمنزلة الحروف والكلمات المنزلة من السموات الروحانية الى أرض الحواس ـ كتابية كانت او كلامية ـ من الحقائق والمعانى الالهية منزلة المثل والصور والامثلة والاظلة من أعيان اصولها وحقائقها ، والتطابق بينهما ضرورى جوهرى ذاتـى ، حيث كانت منزلة كل حقيقة من صورتها ومثالها منزلة الحد التام، وبالعكس تكون منزلتها من حقيقتها منزلة الحدالناقص، وكذلك حكم كـل علة فياضة مع معلولها ، و من هيهنا يكون علمه تعالـى بذاته بعينه عين علمه تعالى بالاشياء على وجه آكد و أقوى و أعلى مـن علمها بانفسها فـى مرتبة نفسها .

ان سر السر فى ذلك السر المكتوم هو كون بسيط الحقيقة كل الاشياء بوجه أعلى ، ليس بشىء منها ـ ماللتراب ورب الارباب ـ فهم كن والله أعلم بالصواب.

ص ٢٧٨ س ١٦ **قوله** : التجرد الصرف ـ ان التجرد الصرف لهوالتجرد العقلانى الذى هو الانسلاخ عـن جلباب الصوره مطلقاً صورة ملكية شهادتية ، او صورة برزخية مثالية المسماة بالصورة الملكوتية ، وعالم التجرد الكلى والانسلاخ العقلى عالمه عالم حقانى ربانى ، علم النبى والولى بما فى ذلك العالم علم لدنى،

والعالم به عالم ربانى ورب انسانى اذا غلب حكم الربانية على الانسانية الخلقية ، ويقال له عند الغلبة : انه حق اضافى . وهو الحق المنزه والخلق المشبه ـ فافهم .

ص ٢٧٩ س ٣ **قوله** : على العرش ـ حتى عرش الحس الذى هوالوجود الجمعى الخلقى الجسمانى ، وذلك للزوم التطابق بين العوالم المترتبة نزولاورجوعاً على التعاكس بينهما ، اذ النزولى من الاشرف فالاشرف، والصعودى بعكس ذلك فالصف النعال من الوجود مطابق ذروة الذرى التى هى الذات الاحدية ومن هيهنا قال : ﴿هو الاول والاخر والظاهر والباطن﴾ [٥٧/٣] وتقديم الذكرى للظاهر اشارة الى ما أشرنا اليه من كون الرجوعى على عكس النزولى ، فالاية تتضمن الاشارة الى القوسين ، تشير الى النزولى منهما قوله : ﴿هوالاول والاخر﴾ والى الصعودى قوله : ﴿والظاهر والباطن﴾ هذا فى وجه من الاعتبار ولعل فيه اعتبار آخر ، فتدبر .

ص ٢٩٠ س ٧ **قوله** : لان السلسلة الاولى شعورية ـ يعنى ان الشعورخاصة المتكلم وحده (١) والاشعار خاصة المتكلم مع الغير والسلسلة الاولى لما وقعت طولا والترتيب الطولى . . . الى الوحدة ناسبت الاضمار الذى هو محوالتعينات، والتكلم الذى هو طى المتفرقات وجمع المتشتتات .

وأما السلسلة الثانية لما وقعت عرضا ، والتعاقب العرضى ملاك توهم التعدد والكثرة ناسبت الاظهاروالغيبة ، فمن هناقال تعالى فى الاشارة الى سلسلة البائدات: ﴿ولقد أرسلنا رسلنا﴾ ـ اه .. بصورة الاظهار والتكلم ، وقال تعالى فى الاشارة الى سلسلة العائدات : ﴿وليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب ان الله قوى عزيز﴾ بصورة الاظهار والغيبة .

والسلسلة البائدة طولية أمرية والامر صفة الآمر وفعله الذى هو كلامه ،

---

١ ـ قولنا : «خاصة المتكلم وحده وخاصة المتكلم مع الغير» فيه نوع ابهام لايخفى .

والصفات الفعلية التى له تعالى و كلماته التى هى بعينها صفاته الفعلية و ان كانت مرتبتها دون مرتبة حضرة الذات لكنها ليست بزائدة على ذاته مبائنه لها، اذ صفاته تعالى ـ كمالية حقيقية كانت او فعلية غير كمالية اضافية ـ كلها عين ذاته تعالى ، وان كانت عينية صفاته الاضافية ظل عينية صفاته الكمالية .

وهذا على خلاف شأن السلسلة العائدة فانها عرضية خلقية ، والخلق سوى الحق فى وجه ـ كما جاء فى الخبر عن المخبر الصادق عليه السلام : « ان الله لايوصف بخلقه » ـ والامر كما بينا صفة الحق عز وعلا ، وبينهما بون كالبون بين الارض والسماء ومع ذلك كله نقول بقوله ـ عز من قائل ـ : ﴿ألا له الخلق والامر﴾ [٥٤/٧] وبقوله : ﴿ألا الى الله تصير الامور﴾ [٥٣/٤٢] .
«غيرتش غير در جهان نگذاشت» .

كما قال أمير المؤمنين ، امام الموحدين ، قطب الاولياء العارفين عليه السلام : « داخل فى الاشياء لاكدخول شىء فى شىء ، خارج عن الاشياء لاكخروج شىء عن شىء» وغير ذلك من كلماتهم عليهم السلام الدالة على التوحيد الوجودى والحاصل : لكل وجهة هو موليها ـ فافهم ـ .

ص ٢٩١ س ١ **قوله** : وقد اومأنا اليه والى كشفه ـ محصّله هو أن التجدد والتغير انما هو للمعلوم بما هو معلوم، لالعلمه تعالى بالمعلومات الجزئية الجسمانية الداثرة المتجددة الحادثة المتغيرة ، وعلمه بهذه الحوادث الجزئية ـ بما هو علم ـ منزه عن التجدد والتغير ، وفيه سرّ ستير صعب مستصعب كشفه ، وهو بعينه سرّ قوله عز من قائل : ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ [٢٩/٥٥] ولقد قلنا فى الكشف عنه : «اى: شأن يبديه، لاشأن يبتديه» وملاك حل هذه العقدة العويصة فى المقامين هو التفرقة بين الابداء والابتداء ـ فلا تغفل .

* * *

محصل حل الاشكال المستصعب الانحلال فى المقامين ـ مقام العلم بالجزئيات

المتجددة المتغيرة ، ومقام تجدد شؤونه المتعاقبة ـ هو أن يقال : ان لكل شيء من الاشياء ـ جزئية متجددة كانت الاشياء او كلية ثابتة غير متجددة، مادية كانت اومفارقة ـ وجهين : وجه به يلي ربه ، ووجه به يلي نفسه .

فبالوجه الذى به يلي ربه باق بعين بقاء ربه ثابت غير داثر ولازائل ، حاضر عنده . وبالوجه الذى به يلي نفسه اذا كان جزئياً متجدداً ، داثراً زائلا، كان متجدداً حادثاً غير باق ولاثابت .

والوجه الذى به يبقى ببقائه تعالى هومابه يكون تجوهرذاته وتذوت جوهره وتهوى هويّته التى بها هو هو .

وأما مايتجدد منه ويتغير ويدثرو يفنى ان هو الا اضافات وتعليقات تعتريه بحسب نشأتيه المتغيرة غيرمعتبرة فيه تجوهره وتقومه ، اذ مرجعها الى التعينات العدمية والتعلقات العرضية الغير الجوهرية الداثرة الزائلة التى مرجعها العدم والفقدان، ومعادها الى النقص والنقصان، وهي ليست الاعلائق الوجودات المادية ولواحق النشأة الدنياوية الظلمانية الفانية ، ودارالدنيا ـ بماهي دار الدنيا مبدءها من العدم ومعادها الى العدم والفنا كمابرهن فى محله ، ولقد برهن على كون المادة ولواحقها غيرمقومة ولامعتبرة فى قوام شيئية الاشياء وتجوهرها ، بل شيئية الاشياء وتجوهرها انما هوبصورتها التى هي مبدء فصلهاوملاك تحصلها وتعينها ، والصورة باقية ببقاء مبدء هاالذى نزلت من عنده ورجعت اليه .

نعم العلة المادية تكون علة فى حدوث الاشياء وتجددها وتجدد أحوالها ولادخل لها وللواحقها فى بقاء الاشياء وتجوهرها كما حقق فى مقامه ـ فلاتغفل .

واذا علمت هذا ووقفت بشأن المادة ولواحقها فانتبه من نوم الغفلة واحكم بكون الماديات ـ الجزئيات الداثرة المادية ـ أموراً عدمية ، والاعدام ـ بماهي أعدام ـ ليست بأشياء حتى يلزم من دثورها وزوالها تغير فى علمه تعالى ، فهي مادامت مخلوطة بالاشياء ومخالطة بها معلومة بالعرض ، كما أنها فى باب الوجود والموجودية موجود بالعرض ، فعلمه تعالى بالاشياء ـ بماهي أشياء ـ ثابت دائماً

بدوام السرمدى ، ولاتجدد ولاتغيرفيه أصلا .

هذا ـ وبعد فى زوايا خفايا لايسع المجال بيانها فأحسن التدبر.

وأما قوله: وهوالذى حارت فيه أفهام الحكماء ـ اه قلنا: قاعدة كلية واردة من أئمتنا عليهم السلام وهى ان كل مايسند اليه تعالى فى كتابه من الامور الحادثة والمتغيرات الدائرة ـ علمية كانت أوغير علمية ـ ان هى الا صفات اولياء الله تعالى الذين هم خلفائه فى الارض والسماء ، والخلافة الحقة التى لهم عنه تعالى هى مصحاح ذلك الاسناد، لمكان تخلقهم بأخلاقه عزوعلا، واندكاك انيّاتهم من جهة ذواتهم وأفعالهم وصفاتهم فى ذاته تعالى وصفاته وأفعاله يصحح اسناد شؤونه تعالى وأطواره وأفعاله اليهم (ع) ، ويعبرعن ذلك الاندكاك بـ«المحو» المصحح لذلك الاسناد ، ثم رجوعهم بالحق الى الخلق الذى يعبرعنه فى وجه بـ « الصحوبعد المحو » هو ملاك صحة اسناد صفاتهم وشؤونهم وأطوارهم وافعالهم الى الحق على ضرب من الحقيقة ليست فيه شائبة تجوزوتوسع ـ كما يتوهمه الجمهور الغافلون المحجوبون عن مشاهدة نورالولاية المطلقة الذى هونورالله السارى فى السموات والارض وبه يدبرالامرمن السماء الى الارض .

فاولئك الاولياء والخلفاء بالولاية والخلافة الحقة المطلقة هم بخلافة الله تعالى على وجه الحقيقة يتصرفون باختيارهم الذى هوعين اختياره تعالى وارادتهم التى هى من مراتب ارادته عزوعلا فى الاشياء من السموات العلى والارضين السفلى ـ تصرف الولى المطلق ، الذى هوالحق الحقيقى ، والقيوم الواجبى المتعالى عن الشبه والشريك علواً كبيراً .

والتصرف على هذا الوجه هوبعينه تصرفه تعالى ، والتدبير على هذا النحو هوبعينه تدبيره عزوعلا .

ومن هنا ايضاً تنحل عقدة « البداء » التى عجزت عن حلها فحول أعاظم الحكماء وعقول أفاخم الفضلاء وحرفوا الكلم عن مواضعها ، وأوّلوا البدا الى مجازات جمهورية ، وتعسفات عاطلة ، ولم يقدروا على حلّه كما هوحقه من دون

ارتكاب توسع وتجوز . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . فاعتبروا يا اولى الابصار.

ص٣٠٠ س١٥ اعلم أيها الطالب فى دين الله تعالى انه اذا كمل وتم واختتم هذا السير والسلوك الاعظم الجامع لجوامع السير والسلوك اليه تعالى من تلك الذرة السيارة اليوم حل الاجل الكلى ، وانصرم عمر العالم ومدة النظام الجملى الذى هو نظام العالم الاكبر ، وقامت القيامة الكبرى ، وانهدمت بنيان عالم الدنيا دفعة ، فمادامت الافلاك دائرة ، والارضون معمورة سائرة ، ماكمل ولاتم ذلك السير والسلوك الاعظم، الذى به قوام بقاء الدنيا ومافيها، فمن هنا قلنا ـ كماقالت أساطين الحكمة، معادن العصمة والمعرفة والكشف والشهود ـ بلزوم وجود الحجة (ع) فى الارض مادامت الارض والسماء ، ومن هيهنا بطلت مذاهب مخالفينا من أهل السنة واليهود والنصارى وغيرهم من خالفنا ، وظهرت بطلان مذاهبها كمالايخفى .

ص ٣٠١ س ١٦ **قوله** : فان مجرد المعرفة بامامته ـ اه ـ لنا مزيد كلام فى المقام ، وهو ان الغاية بالذات والعلة الغائية الحقيقية الباعثة للحق الحقيقى والقيّوم الواجبى على ايجاد الولى القائم بأمره تعالى الذى قال ﷺ فى حقه : « والذى بعثنى بالحق انهم يستضيئون بنوره وينتفعـون بولايته انتفاع الناس بالشمس وان علاها السحاب » ان هى الا استكمالاته واستتماماته بالمجاهدة الكبرى المطوية فيها جوامع المجاهدات ومجامع الطاعات والعبادات بضرب أشرف وبوجه أعلى، وهو الذى به وبمجاهداته وطاعاته وعباداته المحبوبة على جوامع الاستكمالات ومجامع الاستتمامات يعبد الله تعالى فى أرضه وسمائه بالعبادة الجامعـة لجوامع العبادات، ويعرف الله سبحانه بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله حق المعرفة المقصودة من الخلق والايجاد ، الجامعة لمجامع الحقائق والمعارف الالهية المتعلقة باحوال المبدء والمعاد، كماجاء فى القدسى« كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف» ـ الحديث ـ

واستكمالات سائر المستكملين والمستكملات ـ من العلويات والسفليات كلها ـ قلّها وجلّها ـ من تتمة استكمالات ذلك الولى المطلق ومن استتمامات

نوره وظهوره بصورة العالم الاكبر المسمى بالانسان الكبير فى عين غيبته واستتاره عن الاعين البشرية بصورته البشرية المعروفة بين العامة .

فالغاية بالذات لوجود هذا الولى الغائب اليوم بالغيبة الكبرى ليست بالتمكن من التوصل اليه ، وأخذ المسائل منه ظاهراً ، والعلة الغائية الحقة الحقيقية لايجاده وابقائه فى الدنيا فى هذه المدة الطويلة ـ بل مادامت الدنيا ومادامت الارض والسماء ـ ان هى الا استكمالاته واستتماماته السير والسلوك اليه عزّ وعلا فى حد نفسه ـ بالمجاهدات التامة والطاعات والعبادات الجامعة المطوية فيها كلية جوامع السير والسلوك والمجاهدة والعبادة ـ .

كيف لا ـ ونوره السارى فى السموات العلى والارضين السفلى هى الدرّة النازلة من عنده تعالى الى الذرة الصاعدة الى المرتبة التى نزلت منها بتلك الاستكمالات والاستتمامات الجامعة البالغة الى الغاية المتادية بها الى النهاية المقصودة من خلق السموات والارض وما فيهما ، والحركات العلوية والاستكمالات السفلية والاستتمامات الارضية والدورات الفلكية والكوكبية والانقلابات العنصرية كلها وجلها وقلّها واستحالاتها وامتزاجاتها الكلية والجزئية كلها ان هى الاسير تلك الذرة النازلة الى الذرة الصاعدة منها بتوابعها وأتباعها وأشياعها ـ علوية كانت اوسفلية ، بشرية كانت اوغير بشرية ـ الى عالمها الذى نزلت منه ، وسير كل ثابت وسيار ، وسلوك كل ثابت وسيار وسلوك كل ساكن ودوّار ليس الاسيرها وسلوكها الى الواحد القهار.

فالمقصود بالذات من وجود الولى الغائب فى يومنا هذا ان هى الا تلك الثمرة العلياء ، والغاية القصوى، التى هى ثمرة الشجرة الطيبة الفلكية ؟ التى أصلها وفرعها فى السماء ، وهى **شجرة الولاية المطلقة** ، وتلك الثمرة ختم **ثمرات الولاية** .

فعمّ له ولوجوده عليه السلام ثمرات وغايات اخرى تبعية ـ كالنهايات المتوسطة والضرورية التى سبقت الاشارة اليها من المصنف ـ اعلى الله مقامه ـ قبيل هذا ، وهى الامامة والخلافة لله تعالى فى هداية عباده وارشاد عبيده وامائه، كماهو المعروف

عند العامة ، وتلك الثمرات هى تصرفاته فى امور العباد ايجاباً كما أشار اليه عليه السلام بقوله : « يستضيئون بنوره ـ الخ » واعداداً .

فالثمرات الاعدادية من شجرة وجوده الطيبة متكثرة متعددة على أنحاء مختلفة وأنواع متفاوتة ، وجل تلك الثمرات الاعدادية ايضاً كالثمرات الايجابية لامدخل لحضوره عليه السلام فى حصولها، بل يصدرتلك الثمرات من نور وجوده خاملا مستوراًكان او ظاهراً حاضراً مشهوداً ومشهوراً .

نعم الثمرة التىهى التمكن من التوصل اليه ظاهراً ، وأخذ المسائل منه(ع) حضوراً شفاهياً منوطة بحضوره الظاهرى، وفى غيبته الكبرى حكم كلية ، ومصالح عامية وخاصية حكمية بمقتضى البراهين الباهرة باعثة عنها وداعية اليها ـ ليس فى مقامنا هنا مجال بيانها والكشف عنها ـ فلهذا الثمرة قرر الحكمة البالغة الربانية نواباً عامة يقيمون الامر بقدر الطاقة ويقومون بامر هذه الثمرة بضرب من التوصل اليه عليه السلام وبنوع من اعانته وامداده باطناً ، وبنوع من الافاضة والايجاب غيباً ـ خذ هذا واتخذه سبيلا والسلام على نافع الهدى .

ص٣٠٣ س ٨ **قوله** : واجب عقلا ـ واليه الاشارة فى قوله عليه السلام : « من أكرم عالما فقد أكرمنى » (منه ـ ره) .

ص٣١٤ س١٤ **قوله** : عدد كامل هو السبعة انما سميت السبعة عدداً كاملا عند العرب لتضمنها جميع خواص العدد كما يظهر عند التدبر (منه ـ ره)

تم التعليقات والحمد لله وحده

فهرس تفسير سورة السجدة

١ مقدمة المؤلف ـ أشرف العلوم الحكمة .

٥ القرآن خلاصة كتب الله المنزلة وبيان خلاصة ما في هذه السورة .

٨ تمهيد ـ رفعة مقام القرآن ومافيه من مهمات المسائل .

١١ كيف يمكن فهم المسائل القرآنية ؟

١٤ الم(١) ماقاله الشيخ الرئيس في تفسير الحروف المقطعة القرآنية .

١٧ دراية كشفية : معاني هذه الحروف وانها لاينكشف الا للعارفين.

٢١ تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (٢) .

٢٢ القرآن مشتمل على جميع مراتب العوالم والكتاب اشارة الى ذاته ﷺ .

٢٥ الارواح بمنزلة الكتاب و كل عالم رباني عالم تام في الاخرة .

٢٦ أم يقولون افتراه بل هو . . .(٣)

٢٦ مكاشفة : بيان ان الله انما يحتج على الناس بما آتاهم .

٢٨ الله الذي خلق السموات والارض . . (٤) ما المراد من اليوم ؟

٣٠ كشف الهامي : في تفسير الايام الستة المذكورة في القرآن .

٣٤ تبيان : في معنى استواه تعالى على العرش .

٣٨ بسط حكمة رحمانية : تتمة القول في استوائه تعالى .

٣٩ تلويح عرشي : وجوه المشابهة بين قلب الانسان والعرش .

٤٢ يدبر الامر من السماء الى الارض ...(٥).

٤٣ تبصرة : معنى الامر والتدبير .

٤٥ تفصيل تنبيهي : مرور الحقيقة الانسانية على جميع العوالم .

٤٧ تبيين مقال لكشف حال : مراتب سير الانسان الكامل .

٥٠ كشف استفادي : اليوم المقدر بألف سنة والمقدر بخمسين ألف.

٥٢ تنوير تمثيلي : فيه تمثيل العالم على هيئة المدينة .

٥٣ ذلك عالم الغيب والشهادة ...(٦)

٥٤ وبدء خلق الانسان من طين (٧-٩) .

٥٥ الانسان ثمرة الخلقة وهو عالم صغير يشتمل على مافي العالم الكبير.

٥٧ الروح وأقسامه والمقصود منه في هذه الاية .

٥٨ تنبيه فرقاني : في أن القرآن له ظاهر وباطن.

٦١ وقالوا أذا ضللنا في الارض ...(١٠)

٦٣ حكمة قرآنية : بيان أهمية علم المعاد وصعوبة دركه.

٦٤ لمعة قرآنية : شبهة اعادة المعدوم والجواب عنها.

٦٩ تتمة تنبيهية : ذكر عمدة شبه المنكرين والجواب عنها.

٧٤ قل يتوفيكم ملك الموت الذي...(١١)

٧٦ رموز قرآنية : سفر الانسان الى ربه.

٧٩ الموت هو قبض الارواح الى عالم أعلى.

٨٥ وجه اختلاف نسبة التوفي في الايات.

٩٠ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم...(١٢)

٩١ أثر تبصري . انه من كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى.

٩١ بطلان التناسخ.

٩٣ ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ...(١٣)

٩٤ الهداية و كيفيتها وبيان علة العقاب.

٩٦ فذوقوا بمانسيتم لقاء يومكم ...(١٤) كيفية نسبة النسيان اليه تعالى.

٩٧ معنى الحيوة متفاوتة وان سعادة الانسان منوطة بالعلم والعمل.

٩٨ انما يؤمن بآياتنا الذين اذا (١٥) ذكر خواص المؤمن.

١٠٠ تتجافى جنوبهم عن المضاجع.. (١٦)

١٠٢ فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من ...(١٧) اسعد الناس اقواهم لله حبا .

١٠٤ تتمة : مراتب الواصلين الى حبه تعالى .

١٠٥ ايضاح تفصيلى : الفرق بين الحكماء الالهيين والطبيعيين .
١٠٧ تتمة : كمال المعرفة منوطة بالعمل .
١١١ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً .:.(١٥)
١١٣ الانسان متخالف النوع بحسب الباطن .
١١٤ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...(١٩ - ٢٠) خلود الكفار فى النار.
١١٦ ولنذيقنـّهم من العذاب الادنى...(٢١)
١١٧ مشكوة فيها مصباح : كيف ينسب الترجى اليه تعالى ؟
١٢٠ ومن أظلم ممن ذكـّر بآيات ربه ...(٢٢)
١٢٠ ايضاح فرقانى : الفرق بين المنافقين والكفار.
١٢١ ولقد آتينا موسى الكتاب...(٢٣ -٢٤) .
١٢٣ مكاشفات سرّية : الفرق بين القرآن وسائر الكتب المنزلة .
١٢٥ ان ربك هو يفصل بينهم ... (٢٥)
١٢٧ تذكرة : الدنيا دار اشتباه والآخرة دار الفصل والتميز .
١٢٧ تذكرة اخرى : حشر الانسان على صور مختلفة .
١٢٨ أولم يهدلهم كم أهلكنا من ...(٢٦).
١٢٩ مكاشفة الهامية : المراد من المشى فى المساكن .
١٣٠ نصيحة : أهل الاستبصار لايستنكفون عن التعلم .
١٣٠ أولم يروا انا نسوق الماء ... (٢٧)
١٣١ مكاشفة قرآنية . تمثيل القرآن بماء المطر .
١٣٢ ويقولون متى هذا الفتح...(٢٨ - ٢٩).
١٣٣ كشف تنبيهى : يوم الفتح يوم الولادة المعنوية او القيامة الصغرى.
١٣٣ فاعرض عنهم انهم منتظرون(٣٠).
١٣٤ اشارة : يحتمل أن يكون المراد بالفتح الخلاص من آلام الدنيا.
١٣٥ خاتمة : فضل السورة وعدد آياتها وموقع نزولها

تفسير سورة الحديد

١٣٨ مقدمة المصحح .

١٤٠ مقدمه المؤلف .

١٤٢ فاتحة : بيان المقاصد المشتملة عليها القرآن وفضل السورة

* * *

١٤٥ سبح لله مافى السموات . . . (١)

١٤٧ تدل الايات على ان كل شىء مسبح له تعالى فطرة.

١٤٨ مكاشفة : بيان حكمى لسريان التسبيح فى الجميع .

١٥١ لهملك السموات والارض يحيى ويميت . . . (٢)

١٥١ مكاشفة : فى انه تعالى المالك على الاطلاق .

١٥٢ مكاشفة : كيفية الاحياء والاماتة فى النشأتين .

١٥٣ هوالاول والاخر والظاهر الباطن . . .(٣)

١٥٤ مكاشفة : معنى اوليته تعالى وآخريته لكل شىء .

١٥٥ تتميم : عباد الطاغوت يتوهمون الغاية غيره تعالى .

١٥٧ هوالذى خلق السموات والارض فى ستة ايام . . .

١٥٩ مكاشفة : ترتيب خلق العالم .

١٦٠ مكاشفة : بيان خلق السموات والارض فى ستة أيام .
١٦٤ كلام شبه رمز ـ فيه بيان خلقة السموات فى ستة أيام .
١٦٩ يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل . . .(٤)
١٧٠ مكاشفة : بيان المقصود ممايلج فى الارض ومايخرج منها .
١٧١ لمعة الهية : معيته تعالى للاشياء و كيفية تجليه .
١٧٤ لهملك السموات والارض والى الله . . .(٥)
١٧٤ مكاشفة كيفية رجوع الامر الى الله تعالى .
١٧٦ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل . . . (٦)
١٧٧ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم . . . (٧)
١٧٨ مكاشفة : فى انه المالك على الاطلاق لما فى أيدينا بل لوجودنا.
١٧٩ ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم . . . (٨)
١٨١ مكاشفة : فى ان المخاطب فى هذه الاية المؤمنين لاالكفار .
١٨٢ هو الذى ينزل على عبده آيات بيّنات ليخرجكم ... (٩)
١٨٣ مكاشفة : كما يرسل الانبياء لهداية العباد كذلك ينزل اشارات وأنوار على قلوب عباده .
١٨٤ ماهو التوفيق والخذلان ؟
١٨٦ ومالكم لاتنفقون فى سبيل الله ولله . . . (١٠)
١٨٧ مكاشفة : تفاوت درجات المؤمنين قبل انتشار الاسلام فى الظاهر وقبل المكاشفة فى الباطن .
١٩٠ الانسان ذووجهين وتفسير آيات الجهاد بالجهاد الاكبر .
١٩٣ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ... (١١)
١٩٤ مكاشفة : من القرض الحسن انفاق المواد الدماغية فى طريق المعرفة .
١٩٤ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم . . . (١٢)
١٩٦ مكاشفة : يقذف فى القلوب نور الايمان والمشاهدة فى الاخرة بقدر المعرفة

١٩٩ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا . . . (١٣ - ١٥)
٢٠٢ مكاشفة : لايمكن بيان مافى الاخرة لاهل الدنيا الابمثال .
٢٠٣ حال علماء الظاهر فى الاخرة.
٢٠٧ الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ... (١٦)
٢٠٩ مكاشفة : بيان حال علماء الاخرة وعلماء الدنيا وأحاديث فى ذلك .
٢١٤ مااورده الشهيدالثانى (ره) فى تقسيم العلماء وصفاتهم وعلاماتهم
٢٢١ اعلموا ان الله يحيى الارض بعدموتها . . . (١٧)
٢٢١ مكاشفة : تفسير الارض بالنفس واحيائها بالعلوم الحقة .
٢٢٥ ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا . . . (١٨)
٢٢٦ مكاشفة : النكتة فى تضاعف أجر الحسنات .
٢٢٩ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ...
٢٣١ مكاشفة : معانى الايمان وان الشهداء حقيقة هم العارفون .
٢٣٤ والذين كفروا و كذبوا باياتنا اولئك أصحاب الجحيم (١٩)
٢٣٤ مكاشفة : علة الخلود فى النار الكفر وارتكاز محبة الدنيا .
٢٣٦ اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ... (٢٠)
٢٣٩ مايوجب الخلود فى النار ، وان الدنيا موهوم .
٢٤٣ سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض...(٢١)
٢٤٥ مكاشفة : ان الجنة والنار حق ولايعلم كنهها الا المكاشفين .
٢٤٩ ماأصاب من مصيبة فى الارض ولافى أنفسكم ... (٢٢)
٢٥٠ مكاشفة: مراتب الوجود، ولوح القضاء والقدر ، والكتاب المبين .
٢٥٥ ان الانسان نسخة العالم الكبير
٢٥٧ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بماآتيكم . . . (٢٣)
٢٦٠ مكاشفة : ان الانسان فى أفعاله مختار .
٢٦٣ تكميل وتوضيح : الدعوة والتكليف لازم لاصلاح الانسان .

٢٦٥ الابتلاء والاختبار وان مايجده الانسان فى الاخرة نتيجة عمله .

٢٦٧ علة اختلاف الاستعدادات . وأقسام السعادة والشقاوة .

٢٧٠ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل .. (٢٤)

٢٧١ مكاشفة : علة حث الناس على الانفاق .

٢٧٣ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم ... (٢٥)

٢٧٥ مكاشفة : فى هذه الاية اشارات الى فوائد من علم المعاد :

٢٧٥ ١- احتياج الانسان فى هدايته الى النبى وبيان اصول المعجزات.

٢٨١ ٢- تكميل القوة النظرية وتعديل العملية وبيان اصول الفضائل والرذائل

٢٨٦ ٣- ترتيب سلسلة الموجودات.

٢٩٠ ٤- كيفية علمه تعالى على الجزئيات والزمانيات .

٢٩١ ٥- معانى الغاية.

٢٩١ ٦- النعم الموجودة فى خلق الحديد .

٢٩٢ ولقد أرسلنا نوحاً وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما ... (٢٦)

٢٩٣ مكاشفة : لم خلق الله أهل المعاصى والاشقياء ؟

٢٩٥ ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ... (٢٧)

٢٩٨ مكاشفة : عدم خلوالزمان عن الحجة.

٣٠١ امامة خاتم الأولياء عليه السلام والجواب عما اورد من الشبه .

٣٠٤ ياأيها الذين آمنوا اتقوالله وآمنو برسوله . . . (٢٨)

٣٠٦ مكاشفة : تشيرالاية الى اكمال قوتى النظرية والعملية .

٣٠٨ لئلايعلم أهل الكتاب ألايقدرون على شىء من . . . (٢٩)

٣٠٩ مكاشفة : تأثيرعقائد العبد وايمانه فى استجلاب فضل الله .

٣١٣ **خاتمة** : بيان مختصات هذه السورة وخلاصة ماجاء فيها من المعارف .

٣٢٩ تعليقات المولى على النورى (قده) على تفسير سورة الحديد .

فهرس الاحاديث

الاخذ لتراب قالبه (آدم) هم رسل الله . ٨٦
أبغض العبد فى الارض الهوى . ١٠٣
أبيت عندربى يطعمنى ويسقينى . ٩٧
أثقل مايوزن فى الميزان خلق حسن . ٢٨٥
أحسن الاعمال أحمزها . ٣٥٢
اختلف من كان قبلكم عن اثنتين وسبعين . . . ٢٩٧
أدبنى ربى فأحسن تأديبى . ١٩
اذاجمع الله الاولين والاخرين يوم القيامه . . ١٠١
اذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم . . . ٢١٢
الارض لاتاكل محل الايمان . ٧٨
اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت . . . ١٠٢
اعلم ان الامة لواجتمعت على أن ينفعوك بشىء . . . ٢٦٤
اعلموا علمايقيناً ان الله تعالى لم يجعل للعبد وان . . . ٢٦٤
اعملوا فكل ميسر لماخلق له ٣٧٧-٢٦٧
أفضل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقاً . ٢٨٥

اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه . ٢٢
أقريب أنت فاناجيك ، أمبعيد فاناديك . . . ١٧٢
أكثر أهل الجنة البله . ١٩٨
اللهم حسّن خلقى . ٢٨٥
الامراض والاوجاع كلها بريد الموت . ٧٦
الامورمرهونة باوقاتها . ٣٣٨
أناأعلمكم بالله وأناأخشاكم منه . ١٢٥
اناستقامت امتى فلها يوم . . . ٢٩
الانسان أعجب موجود خلق . ٤٦
ان أرواح المؤمنين منذ خلقت الجنة كانت فيها . ٣٦٨
انأشد الناس عذاباً يومالقيامة عالم . . . ٢٠٩
ان الله احتج على الناس . . . ٢٧
انالله اذا خلق خلقاً . . . ٤٦
انالله عزوجل أنزل أربع بركات . . . ٢٧٣
ان الله خلقآدم على صورة الرحمن . ٤٦
ان الله خلقآدم على صورته . ٤٦
ان الله تعالى خلق العقل نوراً . . . ٥٩
انالله تعالى قبض بيده . . . ٨٦
ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى سبقت غضبى . ٢٥٢
انالله لايوصف بخلقه . ٣٨٤
انالله تعالى يخرج يوم القيامة من النارمن فى قلبه . . ١٩٧
ان الخير كله بيديك والشرليس اليك . ٢٢٨
ان الذى باشر الحق . . . ٤٦
ان روح القدس ينفث فى روعى ان نفسا لنتموت . . . ٢٥٧

ان في المسبحات آية أفضل من الف آية . . . ١٤٣
ان لربكم فيأيام دهر كم نفحات ألافتعرضوا لها . ٣١١
ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى . ١٤
انللقرآن ظهراً وبطنا وحداً ومطلعا . ٢٣-٢٨٩
ان لله أرضا بيضاء مشحونة خلقا . . . ٢٥٢
ان لنا مع كل حس حسا . ٣٨١
انماهى أعمالكم ترد اليكم . ٩٨
ان ملك الموت قد أخذ قبضة من التراب ٨٦
ان مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين ... ٣٠٥
انما هى أعمالكم ترد اليكم (عليكم) . ٣٥٩ - ٣٦٨
أنوار الاخيار والابرار مختلفة فى الاضائة . . . ١٩٦
انه تعالى فوق كل شيء وتحت كل شي... ١٧٢
انى جعلت معصيةآدم سبباً لعمارة الارض ٩٤
انى لارجوأن لايعجزامتى عندربها .. ٢٩
أنين المذنبين أحب الى من زجل المسبحين . ٩٤
أهل الجنة جردمرد . ٧٤
اوحى الله الى بعض الانبياء : قل للذين يتفقهون ... ٢١١
اوحى الله الىداود عليه السلام : لاتجعل بينيوبينك عالما مفتونا ... ٢١٢
أول ماخلق الله جوهرة ... ٨١
أول ماخلق الله نورى . ١٩
بعثت أنا والساعة كهاتين . ٢٩-٥١-١٦٠
بعثت فى نفس الساعة فسبقتها . ٢٩
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق . ٢٨٥
بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جعفرا فىسبعين راكبا ... ٣٠٥

بينا نحن مع رسول الله ﷺ . فيغزوة تبوك ... ١٠٠
تشهد له اعلام الوجود على اقرارقلب ذى الجحود . ١٥١
التوحيد الحق هوالله ، والقائم به نحن ... ٣٧٦
الجامع لاجزاء بدن الانسان هم الملائكة . ٨٦
جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة . ٣٢-٢٦٣-٣٧٧
خلق الله الارواح قبل الاجسادبالفيعام. ٨٠
خلقتم للبقاء لاللفناء . ٧٨-٨٨
داخل فى الاشياء لاكدخول شى فى ... ٣٨٤
الدنيا بلغة الى الآخرة . ٣٥٥
الدنياجيفة وطالبها كلاب. ١١١
الدنيا مزرعة الآخرة. ٢٤٨
الدنيا ملعونة وملعون ما فيها . ١١١
ذلك (المهدى عليه السلام) الذى يفتح الله على يده مشارق . . . ٣٠١
رهبانية امتى الحج والجهاد . ٢٩٥
الزهد عشرة أجزاء فاعلى درجة الزهد أدنىدرجةالورع... ٢٦٠
ذلك بسنى الشمس وهذه بسنى القمر. ٣٤٥
سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء ، ٢١٥
سئل عن النبى ﷺ : أين الله ؟ فقال فى قلوب عباده . ٤٠
سئل ﷺ : ماالدين ؟ فقال : الخلق الحسن . ٢٨٥
سبقت رحمتى غضبى . ٢٢٧
صلوا كما رأيتمونى اصلى . ٦١
ضرس الكافرمثل جبل احد . ٧٤
طلبة العلم ثلاثة، فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم ... ٢١٢
العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه . . . ٢٣٠

العلماء رجلان : عالم آخذ بعلمه فهذا ناج . . . ٢١٣
العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولاأدرى . ٢١٦
العلم علمان : علم الابدان ، وعلم الاديان . ٥٧
العذاب الادنى عذاب القبر. ١١٦
عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، بعثت فى آخرها ألفا . ٥٢-١٦٨
عمر الدنيا مأة ألف سنة . ٣٣٩
العين حق . ٢٨٠
العين يدخل الرجل القبر ، والجمل القدر . ٢٨٠
فضل العالم على العابد كفضلى على رجل من أصحابى . ١٩٨
فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم . ١٩٨
القدرية مجوس هذه الامة . ٢٦٢
القرآن غنى لافقر بعده . ٨
القرآن هو الدواء . ٨
قرة عينى فى الصلوة . ٢٠٦
قيل لامير المؤمنين عليه السلام : صف العالم . فوصفه . . . ٢٦٩
قيمة كل امرء ما يحسنه . ٥٤
كان خلقه صلى الله عليه وآله القرآن . ٢٢
كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينام حتى يقرء الم تنزيل . . . ١٣٥
كان صلى الله عليه وآله يصلى وفى صدره ازير كازير المرجل . ٦١
كلم الناس على قدر عقولهم . ٣٨٠
كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن اعرف . ٥٤ - ١٥٥ - ٣٧٠ -- ٣٨٧
كنت (ابن مسعود) مع رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجنا فى بعض ... ١٤٧
كنت نبيّا وآدم بين الماء والطين . ٣٤٧-٣٥١
كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه ؟ ٢١١

لاتسبّوا علياً فانه ممسوس بنور الله . ٤٦
لاجبر ولاتفويض بل أمر بين أمرين . ٢٦٢-٣٧٦
لارهبانية فى الاسلام . ٢٩٥
لاعيش الا عيش الاخرة . ٥٨
لانبى بعدى على هذه الامة . ٥٢-١٦٨
لايدخل الجنة من البهائم الا ثلاثة ... ٣٤٥
لايزال امتى بخيرماولاهم اثنى عشرخليفة . ٣٠٠
لايسعنى أرضى ولاسمائى ، ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن . ٤٠
لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس أمثال الاباعر ... ٢٥٩
لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون . ٩٤
لولاك لماخلقت الافلاك . ١٥٥-٢٩١
لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل . ٢٧٧
ما خالف العامة ففيه الرشاد . ٢٠
من أراد أن ينظر الى ميت يمشى فلينظر الى . ١١٧
من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فى الاخرة من نصيب . ٢١٢
من أكرم عالماً فقد أكرمنى . ٣٨٩
من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء . . . ٢١٢
من عرف نفسه فقد عرف ربه . ٣٩ - ١٠٦
من قال : « لا اله الا الله » مخلصاً وجبت له الجنة . ١٠٣
من قتلته فأنا ديته . ٩٧
من قرء الم وتبارك الذى . . . ١٣٥
من قرء الم تنزيل فى بيته لم يدخل . . . ١٣٥
من قرء سورة السجدة فى كل ليلة جمعة . . . ١٣٥
من مات فقد قامت قيامته . ٨٨

من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية . ٣٠١
منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم . ٢١٢
المؤمن حي في الدارين . ٩٧
المؤمن شهيد . ٢٣٠
الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . ٦٨ – ٢٦٦
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . ٢٠٢ – ٣٨٠
نزل آدم من الجنة ومعه المر والمسحاة . ٢٧٤
والله لدنياكم عندي أهون من عراق خنزير في يد مجذوم . ٢١٧
والله مادنياكم هذه الا كعفطة عنز . ٢١٨
والذي بعثني بالحق انهم يستضيئون بنوره ... ٣٨٧
هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم . . ٤١
هل يغني الدواء والرقية من قدر الله ؟ . . ٢٦٣
ياداود فرغ لي بيتا أنا عند المنكسرة قلوبهم . ٣٩
ياكميل – مات خزان الاموال والعلماء باقون مابقي الدهر . . ٢٩٩
ياعثمان ذهبت عريضاً . ٢٤٤
ياعلي أنا وانت أبوا هذه الامة . ٣٣٧
ياويحك – هل رأيت فقيهاً قط . ٢٠
يجمع خلق أحدكم في بطن امه أربعين يوماً . . ٤٥
يحشر الناس على صور نياتهم . ١١٣–١٢٨
يحشر الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير . ١١٣–١٢٨
يحيى بالطاعة ويميت بالمعصية . ١٥٢
يدالله مع الجماعة . ٢٠

فهرس الموضوعات والاصطلاحات الهامة

آثار الاعمال : ٣١١ - ٣٦٨
الآخرة : ٩١ - ١٢٧ - ١٥٤ - ٢٤٦
٢٢٦ - ٣٣١- ٣٣٥ - ٣٥٤ - درجاتها
١٩٨ - ٢٠٢ كسب المعارف ٢٠٤
ثوابها وعقابها ٢٦٥
آدم الاول (الحقيقى) ٣٥٤
الابتلاء : ٢٦٤
الابليس : ١٥٠ - ٢٤٢ - ٣٣٣ - ٣٥٢
الاحسان : ٣٣٣
الاحياء : ٧٥ - ٧٨- ٩٧ - ١٥٢- ٢٢٤
الاختيار : ٢٦١ - ٣١٠ - ٣٧٤
الادراك:١٩٧- الادراكات العقلية ٣٦٣
أرباب الانواع : ٣٤٣
الارض البيضاء: ٣٤٣- الخضراء ٣٤٣
أسفل السافلين : ٢٦٧
الاسماء الالهية: ٥١ - ٩٤ - ١٢٦
الاسماء الحسنى : ٢٦٥ - ٣٣٤ - ٣٤٠

الاشقياء : ٢٩٣
اعادة المعدوم : ٦٩
أعلى عليين : ٢٦٧
الاعيان الثابتة : ٣٣٤
افاضة المعارف : ٢٢٤
الاكتساب : ٢٢٨ - ٣١٠
الالتذاذ : ٢٤٠ - ٢٤١
الله تعالى : ٢٨ - ٥١ - ٩٦ - ١١٧-
١١٨ - ١١٩ هو الاول والآخر ١٥٤ -
الظاهر الباطن ١٥٦- الغاية ٢٩١-١٧٤
١٧٥ - ٣٥٠ الآخر ٢٨٧ - المالك
١٥١- ١٧٨ - علمه ١٧٠- ٢٥٠- ٢٩٠
٣٧٨-٣٧٩- ٣٨٥ تجليه ١٧٣- ٣٣٧ -
٣٧٠ معيته ١٧١ - اوليته ٢٨٧ غضبه
٢٢٧
٣٧٠ - رحمته ٣٧٠ صفاته : ٣٨٥
الف : ١٤ - ١٥

الم : ١٦
المص : ١٦
الالهام : ١٨٤ – ٢٧٥– ٢٧٦
الاماتة : ١٥٢
الامامة : ٢٩٨ – ٣٠٠ – ٣٠١ – ٣٠٢
٣٨٧ – ٣٨٨ – ٣٨٩
الامر : ٤٣ – ٨٧ – عالم الامر
الامر بين الامرين : ٢٦٢
ام الكتاب : ٢٥٣ – ٣٧١ – ٣٧٣
الانزال : ٢٧٦
الانسان : ٢٣ – ٣٥ – ٣٨ – ٣٩ – ٤٠
٤١ – ٤٥ – ٤٦ – ٤٧ – ٤٨– ٤٩–٥٤
٥٧– ٦٥ – ٦٧– ٦٨ – ٧٦ – ٨٥–٢٣٤
٢٥٥ – ٢٥٦ – ٢٧٥ – ٢٧٦ – ٣٤٢–
المحمدى – ٣٤٧ – الكبير – ٣٤٢
الانفاق : ١٠٢ – ٢٧١ – ٣٥١
الانظلام : ٢٨٤
الاولية : ١٥٤
أول ما خلق الله تعالى : ٥٦
أهل النار: ٣٣١
أيام الخلقة : ٣٣٨
الايام الالهية : ١٦٠
الايمان : ٢٣١ – ٣٣٣
الباء : ١٥
البحر المسجور : ٣٦–١١٩
البداء : ٣٨٦
البرزخ : ٧٢ – ١٩٥– ٣٥٣
البرهان : ٣٦٠
البصر : ٥٨
البلاهة : ٢٨٤
البلادة : ٣٧٣
بوليموس : ٢٣٥
البيت المعمور: ٢٥٦
تجسم الاعمال : ٢٤٧
التدوين التشريعى : ٣٤٧
التریاق الاكبر : ١٤٤
التسبيح : ١٤٦ – ١٤٤ – ٣٣٢ – ٣٤٢
التشخص : ٣٢ – ٦٧
التشريع التكوينى : ٣٤٧
التفويض : ٢٦١
التناسخ : ٩١
التوحيد الافعالى : ٣٣٤
التوفى : ٧٥ – ٨٥
التهور : ٢٨٤
التوفيق : ١٨٤– ٣١٠
ثمرة الاعمال : ٣٠٦
ثمرة العقائد : ٣٠٦
الثواب : ٩٥
الجبر : ٢٦١
جبرئيل : ٢٧٦

الجبن : ٢٨٤
الجحيم : ٦٨ - ١٦٣ - ٢٣٤
الجذبة : ٣١ - ٣١١
الجربزة : ٢٨٤ - ٣٧٣
جسم الكل : ٣٥٨
جنود الشيطان : ٢٤١ - ٣٦٥
جنود العقل : ٢٤١ - ٣٦٥
الجنة : ٢٤٩ - ٣٤٢ - ٢٤٥ - ٢٤٦-
٣٦٦- الماوى ٢٣٥- الدنيا ٣٤٢-٣٤٣
(النزولية)
جنات المأوى : ١١٤
الجهاد الاكبر: ١٩٠
الجهل : ٣٦٠ - المركب :٢٩٣
الجحيم : ١٥
الحاء : ١٦
الحجة : ٣٩٨
الحديد : ٢٩١
الحركة : ١٩٧
حروف ابجد : ١٦ - ١٧
الحروف المجملة: ١٧
الحروف المقطعة: ١٤ - ١٥- ١٧- ١٨
الحسنات : ٢٢٦
حسن الخلق : ٢٨٤
الحشر : ١٢٧ - ١٢٨ المعاد
الحق الاضافى : ٣٥٧ - ٣٧٧ - ٣٨٠
حق اليقين : ٢٨٢
الحقيقة المحمدية : ٣٤٠ - ٣٤١
الحكمة : ٣ - ١١٠ - ٢٨٤- ٣٧٣
الحكماء الالهيون - الطبيعيون : ١٠٦
حم: ١٦ - ٣٥٨
حمعسق : ١٦
حوا الاولى : ٣٤٦ - ٣٧٧
الحيوة الدنيا : ٢٣٦ - ٢٣٨
الحيوةالعقلية : ٢٢٢ - ٢٢٤
خازن جهنم : ٣٤٥
الخذلان : ١٨٤
خزائن الغيب : ٢٥٣
الخشوع : ٢٠٩
الخلق : ٨٧ خلق الاعمال - ٢٦٢ -
خلق العالم : ١٥٩ - الزمانيات : ١٦٢
الخلقة : ٥٣
الخلود : ١١٥ - ٢٣٥ - ٢٣٦
الخمود : ٢٨٤
خوف الرجاء - خوف المعصية: ٣٥٦
خيال العالم : ٢٥٤ - خيال الكل ٣٦٤
الدال : ١٥
الدعاء : ١٠١
الدنيا : ١٢٧ - ٢٠٢- ٢٣٦ - ٢٣٨ -
٣٣٤-٣٥٤-٣٦٣-٣٦٤ حقارتها ٢١٠-
انها وهم ٢٤٠ - ٢٣٩ - ٢٤١

الدهر الايسر : ٣٤٢ - ٣٤٣
الدهر الايمن : ٣٤٢
الراء : ١٦
الرذائل : ٢٨٤
الرحمة : ٣٦٦
رحتة تعالى : ٢٢٧
رق منشور : ٣٧٣ - ٣٣١
الروح : ٥٨ -٢٥- ٥٦ -٥٧- ٧٥ -٨٧
٢٨١ - ٣٣٥ القدسى ٨٨
روح القدس : ٢٢٤ - ٢٧٦ - الاعلى
٣٣٧ - ٣٤٥
الزجاجة : ٣٥٧ - ٣٥٨
السالك المجذوب : ٣٥٢
السبب الغائى : ٢٩١
السفاهة : ٢٨٤
سلسلة الصعود : ٢٨٨
سلسلة النزول : ٢٨٨
السعادة : ٩٨ - ١٠٣ - ١٠٨ - ٢٦٧
- ٢٧٥ - ٢٩٣ - ٣٠٦
السمع : ٥٨
السين : ١٦
الشجاعة : ٢٨٤
شجرة الزقوم - السدرة : ٣٦٥
الشر : ٥٣
الشريعة : ٢٠٥
الشره : ٢٨٤
الشفع : ٣٥٧ - ٣٥٨
الشقاوة : ٩٨ -١١٠- ٢٦٧-٢٧٥-٢٩٣
- ٣٨٠
الشهيد : ٢٣٢
الشيطان: ١٥٦-١٨٤-٢٤١-٢٤٢-٣٦٥
الصاد : ١٦ - ١٧
الصحو بعد المحو : ٣٨٦
الصدقات : ٢٧١
الصديق : ٢٣٢
الصورالبرزخية : ٣٦٤- الحسية ٣٦٣-
الملكوتية ٣٨٣
الطاء: ١٦
الطبائع النوعية : ١٤٨ - ١٤٩
طس : ١٦
الطلسم : ١٤٩
الطور : ٣٧٣ - ٣٣١
الظلم : ٢٨٤
العارف : ٢٩٩ - ٣٠٧
العالم - الاكبر: ٣٤٢ - ٣٤٧-الاعمال
٢٨٧-الامر٢٥٢-٢٨٧-٣٨٠-الجبروت
٢٥٣ - الحقيقى ٢٩٩ - الخيالى ٢٥٠-
الخيال٣٥٣ - خيال الكل٣٤٣-الربوبية
٣٤٣ - الصورة ٣٥ - عقل الكل ٣٤٢
العقلى ٢٥٠ - ٢٥١ - الغيب ٣٥ - ٥٢

القدر٣٤٣ ـ القدرة ٢٥٣ ـ القضاء٢٨٧
المثال ٢٥٤ ـ ٣٥٣ ـ المعنى ٣٥ ـ
الملكوت٢٨٧ ـ٣٤٤ـ نفس الكل٣٤٢
النفسى ٢٥٠ ـ العوالم
عباد الطاغوت : ١٥٦
العبودية : ٣٥٧
العدالة : ٥٧ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥
العذاب الادنى : ١١٦
العرش : ٣٥ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ١٥٨
الاستواء عليها ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٣٨ ـ ١٦٠
الرحمن٣٤٠ ـ ٣٣١
العرفاء : ٢٣٣
العفة : ٢٨٤
العقاب : ٩٥
العقل: ٥٦ ـ ٣٦٠ جنودها ٢٤١ـالكل
٣٤٢ ـ ٣٤٦ ـ ٣٥٧ ـ الهيولانى ٣٥٣
الفعال ٥٦
العقول : ٢٥٣ ـ الفعالة ٢٧٧
العلم : ٩٨ ـ ١٠٥ ـ ٢٧٦ ـ ٣٣٣ ـ
اللدنى ٢٥٣
علم اليقين : ٢٨٢
علماء الاخرة : ٢١٤ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ
علاماتهم٢١٥
علماء الدنيا : ٢٠٣ ـ ٢١٠ ـ٢١١ـ٢١٢
ـ٢١٣ علاماتهم ٢١٥ ـ ٢١٨
العلة الغائية والفاعلية : ٢ ـ ١٧٥ ـ٣٣٩
العلوية العلياء : ٣٣٧ـ٣٤٢ـ٣٥٨ـ٣٧١
ـ ٣٧٧
العنبر الاشهب : ١٤٤
العوالم : ٢٥ ـ٣١ـ٤٢ـ٤٣ـ٤٥ ـ ٥٨
العود الانفر: ١٤٤
العين : ١٦ ـ اصابة العين ٢٨٠
عين اليقين : ٢٨٢
الغاية:٢٩١ـ٢٣٧فى الوجود٥٥ـللخلق٣
الفتق : ٣٤٢
الفجر: ٣٥٧
الفصل: ١٢٥
الفضائل العلمية : ٢٨٤
الفلك : ٣٥٧ ـ الاطلس ٣٤٢ ـ الثامن
٣٤٢.الشمس:٢٥٦ـ٢٧٩ـالكرسى٣٧١
القاف : ١٦ ـ ١٧ ـ ٢٠
القبر: ٧٩ ـ ٨٠ ـ ١١٧
القدر : ٣٣ ـ ٩٥ ـ ١١٨ ـ ٢٥٤ـ٢٦٢
القدرى : ٣٧٤
القرآن : ٥ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ٢٢
٢٣ ـ ٢٤ ـ ٥٨ ـ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٣١
١٤٢ ـ ٢٧٨ ـ ٢٨٠ ـ ٣٠٢
قرب الفرائض ـ النوافل : ٣٣١ـ٣٤٩
قرض الحسن : ١٩٣ ـ ١٩٤
القضاء : ١١٨ ـ ٢٥٣

قلب : ٣٥ - ٣٦ - ٣٩-٤٠ -٤١ -٢٢١
القلم : ٣٥٨ - ٢٧١ - الأعلى ٣٧١ - ٣٧٧
القوى الانسانى : ١٨٨ - ١٩٢ - ٢٨٣ - ٢٩٣ العاقلة ٢٧٧ - العملية ٣٠٦ الغضب ٢٨٣ - ٢٨٤ المصورة ٢٧٨ المفكرة ٨٨ النظرية ٣٠٦
القيامة : ٥٢ - ٧٠ - ١٦١ - ١٦٨ - ١٦٩ الوسطى ٣٤٦ - ٣٤٧
الكبريت الاحمر : ١٤٤
الكتاب : ٢٢ - ٢٥ المبين ٢٥٤- ١١٩ - ٣٥٨ المحو و الأثبات ١١٨ الله تعالى١٢٣ - المسطور ٣٧٣ - ٣٣١ التدوينى ٣٤٧
الكرامة : ٢٨٠
الكروبيون : ٢٥٢
الكسب : ٢٢٨
الكفار : ٥٩ - ٩١ - ١١٥ - ١٢٠
الكفر : ٦٠ - ١١٠
كلام الله تعالى : ١٢٣ - ٢٧٨
كهيعص : ١٦
اللام : ١٦
اللوح : ٣٥٨ - الأعظم ٣٧١ - ٣٧٣ - ٣٧٧ - المحفوظ ١١٨ - ٢٥٠ - ٢٥٣ - ٣٥٨ - ٣٧١
ليال عشر : ٣٥٨
المتخيل : ٢٣٩
المثال - عالم المثال
المثل : ١٤٩ - ٣٥٨
المحمدية البيضاء: ٣٧١- ٣٣٧ -٣٧٧
المحو : ٣٨٦
المجبرة : ٣٥٢
المجذوب السالك : ٣٥٢
مراتب السلوك : ٣٥٢ - الصعود ٣٥٩ النزول ٣٥٩ - المخلوقات ٣٤٢ الوجود ٢٥١ - ٣٨٣
المزاج : ٢٨٨
المسك الأذفر : ١٤٤
المشكوة : ٣٥٧ - ٣٥٨
المصباح : ٣٥٧
المعاد : ٦٣ - ٦٤ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٤ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٩
معرفة الله تعالى : ١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٥ - ٣٥٠
معرفة النفس : ٢٢٢
المعجزة : ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٨٠
مفاتيح الغيب : ١١٨
مقام هورقليا : ٢٧٨
المكاشفة : ٢٧٦
الملك : ١٨٤ - اللوح ٢٧٩ - الوحى

٢٧٨ الموت : ٧٥ - ٧٦
الملائكة : ٢٧٨ - ٣٤٦ - المقربون - ٢٥٣ - ٢٨٧ الموكلون ٢٥٢
الملكة : ٢٥٢ - ٢٤٧
الملكوت الصورى المثالى: ٣٤٢-٣٤٣ ٣٤٤
المنافقون : ١٢٠ - ٢٠٨ - ٣٥٤
منزلة الاولياء : ٣٨٢
الموت : ٧٥ - ٧٨ - ٨٧
المؤمن : ٩٨ - ٩٩
الميثاق : ١٨٣
الميزان : ٢٨٤ - ٢٨٦ - ٢٨٨
الميم : ١٥
المهدى (ع) : ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩
النار : ٢٣٤ - ٢٣٨ - ٢٤٦ - ٢٤٩
النبى : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٨١
النشآت : ٣٤٤
النفس الانسانى : ٨٨ - ٢٨١ - ٢٨٢ ١٨٩ - الرحمانى ٤٢ - الناطقة ٥٦ الكل ٣٤٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٤٢ ٣٧٧ الكلى ١٦٢
نورالايمان : ١٩٦
النون : ١٦
واد القدس : ٣٣٧
الواو : ١٦
الوتر : ٣٥٧
الوحدة : ٧٢ - فى عين الكثرة ٣٤٨
الوحى : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٨ - ٣٨٢
الوسوسة : ١٨٤
الولى : ٢٣٢ - ٢٦٣ - ٢٧٥
الوهم : ٣٣٧
الهاء : ١٦
الهاوية ٣٣٧
الهباء : ٣٤٢
الهداية : ٩٤ - ١٨٣
هورقليا : ٣٨١
الهيولى : ١٦٣
الياء : ١٦
يس : ١٦
يوم ابتداء الخلق: ١٦١- الجمع ١٧- ٣٤٠ الجمعة ١٦٠ - ١٦١ - ٣٣٩ الربوبى ٢٨- ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٥٠ ٥١- ٥٢ الساعة ١٦١- ٣٤١ العرض ١٦٩ الفصل ١٧- ١٢٦ - ١٢٧ القضاء ١٢٦ المزيد ١٦١ المحمدى ٣٤١ الرجعة ٣٤٦ القيامة الكبرى ٣٤٦

فهرس الاعلام

آدم (ع) : ٥ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٤
٥٠ - ٥٥ - ١٥٠ - ١٦٠ - ١٦١
٢٢٦ - ٢٥٢ - ٢٧١ - ٢٧٤ - ٣٠١
٢٩٨ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٥
٣٥٢ - ٣٥٨ - ٣٧٠
ابراهيم (ع) : ٥ - ٢٩ - ٥٠ - ١٠٦ -
٢٩٢ - ٢٩٦ - ٣٤٥
ابراهيم : ١٧٦
ابليس : ١٥٠ - ٢٤٢ - ٢٥٢ - ٢٧١ -
٣٣٣ - ٣٥١ - الشيطان
ابن ابى العالية : ١١٦
ابن ابى عمير : ٢٧
ابن ابى ليلى : ١١١
ابن جرير : ٢٣٠
ابن حبان : ٢٨٩
ابن زيد : ٢٧٣
ابن السميفع : ١٣٤
ابن سينا : ١٥ - ٦٣ - ٧٦
ابن طيار : ٢٧
ابن عامر : ١٨٦ - ١٩٩ - ٢٧٠
ابن عباس : ٧٥ - ٧٦ - ١١٤ - ١١٦
١٣٠ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٩٧ - ٢٠٧ -
٢٣٠ - ٢٧٤ - ٢٩٢ - ٣٠٤ - ٣٠٥
ابن عمر : ٢٧٣
ابن القريه : ٣
ابن كثير : ٢٢٥
ابن مسعود : ١١٦ - ١٩٦ - ٢٠٧ - ٢١٦
- ٢٣٠ - ٢٨٩ - ٢٩٧
ابوبكر الوراق : ١٥٢
ابوبكر : ٢٢٥
أبو جعفر (ع) : ٢٠ - ١٠٠ - ١١٦ -
٢١٢ - ٢٣٠ - ٢٨٥
ابو جعفر : ١٩٩
ابو جهل : ٥٩ - ١١

أبو حنيفة : ۱۵۹
ابو عبدالله الصادق (ع) : ۲۰ - ۲۷ -
۱۰۰ - ۱۱۶ - ۱۹۸ - ۲۱۲ - ۲۱۳
۲۱۶ - ۲۳۰ - ۲۵۲ - ۲۶۲ - ۳۴۵ - ۳۷۶
ابو عمرو : ۱۷۹ - ۲۵۷
ابو القاسم البلخی : ۴۴۵
أبو لهب : ۱۱ - ۵۹
ابو يحيى (ملك الموت) : ۷۷
ابو يزيد البسطامی : ۲۵ - ۴۰ - ۱۲۶
ابن کثیر : ۲۲۵
احمدبن محمدبن عيسى : ۲۷
ارسطو : ۲۴
اسماعیل(ع) : ۱۲۳
اسرافیل (ع) : ۲۷۹
اغاثاذیمون : ۱۲۶
افلاطون : ۱۲۶ - ۱۴۹
امير المؤمنين (ع) : ۱۴ - ۲۲ - ۵۴ -
۶۲ - ۹۳ - ۱۱۱ - ۱۵۱ - ۱۵۲ - ۲۱۲
۲۱۳ - ۲۱۷ - ۲۱۸ - ۲۶۴ - ۲۹۹ - ۳۰۰
۳۳۷ - ۳۴۵ - ۳۵۷ - ۳۵۸ - ۳۸۴
انباذقلس : ۱۲۶
انس : ۱۰۱
اویس القرنی : ۳۰۱
ايوب بن قيس : ۳
بایزیدالبسطامی : ۳۴۹
براءبن عازب : ۲۳۰
بلخی : ۱۵۴
بلعم بن باعورا : ۲۱۰ - ۳۴۵
بهائی (شیخ) : ۳۰۲
جابربن عبدالله : ۳۰۱ - ۳۰۲
جبائی : ۲۷۳
جبرئیل(ع) : ۴۴ - ۲۷۳ - ۲۷۶
جعفربن ابی طالب (ع) : ۳۰۵
جمیل بن دراج : ۲۷
جنید بغدادی : ۱۲۶
حارث بن المغيرة : ۲۳۰
حسین بن علی(ع) : ۳۵۸
الحسن العسكرى (ع) : ۳۵۸
حسن : ۳ - ۶۲ - ۱۰۰ - ۱۱۶ - ۱۲۲
۱۲۳ - ۱۵۸ - ۱۷۸ - ۲۰۸ - ۲۴۴
۲۹۵ - ۳۰۸ - ۳۰۹ - ۳۶۷
حسن بن سعيد : ۲۷
حسن بن علی (ع) : ۳۰۲
حسین الصیقل : ۲۱۳
حمزه : ۱۲۲ - ۱۹۹
حوا(ع) : ۳۵۸
خازن جهنم : ۳۴۵
خضر(ع) : ۱۲۵
داود (ع) : ۲۱۲
دجال : ۱۳۳ - ۳۰۱

رویس : ۲۰۷
زجاج : ۱۲۲ - ۲۰۰ - ۲۹۳ - ۲۳۰
زمخشری : ۱۱ - ۲۱ - ۲۶ - ۵۵-۶۲
۷۴ - ۹۱ - ۲۹۹
زین‌الدین (الشهید الثانی) : ۲۱۴
سدی : ۱۳۲ - ۱۱۶ - ۲۴۴
سقراط : ۱۲ - ۱۲۶
سلیم‌بن‌قیس : ۲۱۲
سنائی : ۳۳
سهل‌التستری : ۱۲۶
شیطان: ۳۴۳ - ابلیس
صاحب الکشاف : زمخشری
صالح‌بن کیسان : ۲۱۱
ضحاک : ۱۵۴
عایشة : ۱۲۴
عبدالعزیز : ۱۵۳
عبدالله‌الانصاری : ۶۸
عبدالله‌بن مسعود : ابن مسعود
عراقی : ۲۱۱ - ۲۸۹
عطاء : ۱۰۰
عکرمة : ۷۶ - ۱۱۶ - ۱۷۶
علی‌بن ابراهیم : ۲۱۲
علی بن ابیطالب عليه‌السلام : امیر المومنین
علی‌بن الحسین (ع) : ۲۶۰
عیاشی : ۲۸۹ - ۲۳۰
عیسی(ع) : ۲۹ - ۳۳ - ۵۰ - ۲۵۶ -
۲۹۵ - ۲۹۶ - ۲۹۷- ۳۰۴ - ۳۰۵
۳۴۳ - ۳۴۵ - ۳۷۱
فاطمه (ع) : ۳۵۸
فراء : ۱۵۹ - ۲۳۰
فرعون : ۳۵۲
فرفوریوس : ۲۴
فیثاغورس : ۱۲۶
قاضی : ۱۵۹
قتادة : ۷۵ - ۱۱۶ -۱۲۲- ۱۹۶-۲۹۶
قطرب : ۲۷۴
قفال : ۱۱۸
کسائی : ۱۲۲
کلبی : ۲۴۳
کلینی(ره) : ۲۱۲ - ۲۷
کمیل : ۲۹۹
لبید : ۲۰۱
مالک‌بن أنس : ۱۵۹
مجاهد : ۶۲ - ۷۴ - ۱۰۰ - ۱۳۲ -
۱۵۸ - ۲۳۰
محمدصدرالدین (المؤلف) : ۶
محمدبن یعقوب - کلینی(ره)
محی‌الدین : ۳۰ - ۱۲۶ - ۱۴۸ - ۳۰۲
مسروق : ۲۳۰
معاذبن جبل : ۱۰۰

معاوية : ۳۵۸
مقاتل بن حبان : ۲۳۰
مقاتل بن سليمان : ۲۳۰ - ۲۷۳
ملك الموت : ۷۷ - ۷۸
منهال بن قصاب : ۲۳۰
موسى (ع) : ۲۶ - ۲۹ - ۵۰ - ۱۲۲ - ۱۲۴ - ۱۶۰ - ۱۷۲ - ۲۷۹ - ۳۰۴ - ۳۴۵
المهدى عليه السلام : ۲۶ - ۲۹ - ۵۰ - ۱۲۲ - ۱۲۴ - ۱۶۱ - ۲۹۸ - ۳۰۰ - ۳۰۲ - ۳۴۱ - ۳۵۷ - ۳۸۷
ميدانى : ۲۷۶
نافع : ۲۰۷ - ۲۷۰ -
النابغة الذبيانى : ۶۱
النبى صلى الله عليه وآله : ۱ ، ۳ ، ۵ ، ۸ ، ۹ ، ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۲ ، ۲۶ ، ۲۸ ، ۲۹ ، ۳۰ ، ۳۴ ، ۳۵ ، ۴۰ ، ۳۹ ، ۴۶ ، ۴۷ ، ۵۰ ، ۵۱ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۶۱ ، ۶۲ ، ۶۴ ، ۶۸ ، ۷۲ ، ۷۶ ، ۸۵ ، ۹۰ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۹۴ ، ۹۷ ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ ، ۱۰۳ ، ۱۱۰ ، ۱۱۱ ، ۱۱۳ ، ۱۱۷ ، ۱۲۳ ، ۱۲۴ ، ۱۲۵ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۶۰ ، ۱۶۱ ، ۱۸۰ ، ۱۸۳ ، ۱۷۲ ، ۱۹۸ ، ۲۰۱ ، ۲۰۲ ، ۲۰۶ ، ۲۰۹ ، ۲۱۱ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۱۵ ، ۲۴۳ ، ۲۴۴ ، ۲۶۶ ، ۲۶۸ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، ۲۷۶ ، ۲۷۷ ، ۲۸۰ ، ۲۸۱ ، ۲۸۵ ، ۲۸۹ ، ۲۹۵ ، ۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۳۰۰ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲ ، ۳۰۴ ، ۳۰۵ ، ۳۰۸ ، ۳۳۷ ، ۳۳۸ ، ۳۳۹ ، ۳۴۳ ، ۳۴۵ ، ۳۴۶ ، ۳۴۹ ، ۳۵۲ ، ۳۵۵ ، ۳۵۸ ، ۳۵۹ ، ۳۶۰ ، ۳۶۸ ، ۳۷۷ ، ۳۸۰ ، ۳۸۴ ، ۳۸۶
نعمان بن الحارث : ۶۱
نوح (ع) : ۲۹ ، ۵۰ ، ۱۶۰ ، ۲۷۳ ، ۲۹۲ ، ۲۹۶ ، ۲۹۸ ، ۳۰۱ ، ۳۴۵
واحدى : ۱۰۰
وليد بن عقبة : ۱۱۱
يعقوب : ۱۱۲ - ۱۹۹
يوسف (ع) : ۳۴۵

بعض الاخطاء الواقعة فى الكتاب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥	٢	الى وعدم	الى عدم
٢٩	٥	فالسنةمنهاهىالتىخلقاليه	فالستة منها هى التى خلق الله
٤٦	١٨	فرغ	فرّع
٥٩	٢١	ويعدم	لعدم
٦٢	٧	مستعبدا	مستبعدا
٧٦	١٩	فكون	فتكون
٨٣	١٠	الايجوز	لايجوز
٨٥	١	تستنجز	تستخبر
٨٨	٨	الخالق	الخلق
١١٩	٨	المحقوق	المحقون
١٢١	١٠	اكثر	اكثرهم
١٨٥	٩	ينتقل	تنتقل
٢٠١	٣	أنمتم	أثمتم
٢٠١	٢٠	تم الكلام	ثم الكلام
٢١٧	٢	منبعثون	لكونهم منبعثين
٢٣١	١٨	الانكار	(زائدة)
٢٦١	١٠	السور	الصور
٢٦٩	١٣	ولايكون	ولاتكون
٢٨٣	١٢–١٥	التميز ـ للتميز	التمييز ـ للتمييز

VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 047112097